الفريق سعد الدين الشاذلي

حرب أكتوبر

(مذكرات)



الفريق سعد الدين الشاذلي

منشورات مؤسسة "الوطن العربي"
للطباعة والنشر - باريس
بالتعاون مع "دار المحرر للطباعة والنشر" - بيروت


الفريق سعد الدين الشاذلي
حرب اكتوبر
(مذكرات)

تقـــديم

إعترف السادات . في حديث لمجلته الخاصة « اكتوبر » ، بأنه يسعى للسلام مع اسرائيل منذ عام ١٩٧١ . أي فور توليه الحكم . واعترف ايضا بأن حرب اكتوبر ١٩٧٣ جاءت لخدمة هذا الغرض نفسه .

ولعلّ السادات لم يكن في حاجة الى مثل هذا الاعتراف ، فإن سياسته العملية قد سرقت بطولة الجندي المصري الذي عبر القناة لتحرير سيناء والأرض العربية المحتلة ، بينما كان صاحب القرار السياسي يوظّف النصر العسكري في عملية استسلام فريدة تحولت فيها الهزيمة الى هدف !.

لقد أصبح كل شيء واضحاً الآن ، وتجاوز حالة الظن أو الاجتهاد .

وكان الفريق سعد الدين الشاذلي أوّل من أعلن الحقيقة . وأجاب على الدهشة التي أصابت الأمة حين حقّق الجيش المصري المعجزة بعبوره القناة وتحطيمه خط بارليف المنيع ولكنه أمِرَ بالتوقّف في أوج النصر .. أمر بالامتناع عن إكمال النصر وتحرير سيناء .. أمر بانتظار الهجوم الاسرائيلي المضاد لفتح الثغرة الشهيرة .

وكان سعد الدين الشاذلي أوّل من أعلن أن الثغرة ليست ثغرة عسكرية . إنها ثغرة سياسية فتحها السادات لتمر منها اميركا ، وليمرّ منها السادات وكارتر لانجاز الهزيمة القومية الكبرى : باستسلام مصر امام العدو الاسرائيلي الذي حوّله السادات الى حليف ..

إن سعد الدين الشاذلي ، في مذكراته الجريئة ، يسجّل لنا وللتاريخ أكثر من شهادة قائد مقاتل ، كان النصر ملقى أمام أقدامه وأقدام الجنود المصريين على رمال سيناء العـارية ، دون أن يؤذن لهم بالتقاطه . إنه يسجّل الطلاق المأساوي بين بطولة الجندي وبين خيانة القـــرار السياسي . ويسجّل لنا كيفية التفريط بدم آلاف الشهداء الذين ذهبوا لتحرير وطنهم فاستثمر السادات دمهم ليكون شريكاً ذا حقوق شبه متساوية مع العدو الاسرائيلي في نـــادي المـهمـات الأميركية الخاصة .

إن مذكرات الشاذلي لا تكتسب أهميتها من هذه المفارقة الجارحة . ولكنها تستمد أحد جوانبها المهمة من كونها شهادة واقعية مكتوبة بالدم على طاقات المقاتل العربي القادر على إنجاز مهمة التحرير بكفاءة وتضحية لا تعرفان الحدود . وهي ستبقى عبرة مُهمة تفيد منها مصر والأمة العربية بأسرها حين تتجاوز محنة استسلام نظام السادات ، وتواصل انطلاقها في درب التحرير .

وإيماناً برسالتها التاريخية ، تعتزُ دار « المحرر » بالتعاون مع مؤسسة « الوطن العربي » بنشر هذه الوثيقة التاريخية الهامة من تاريخ العرب المعاصر ..

إنها وثيقة تعلمنا الثقة بالنفس ، وتحفظ للمقاتل شرفه الرفيع ، وتعلمنا بأن تحرير الأرض يبدأ من تحرير الشعب . فالحر هو القادر على التحرر .

النّاشـــر

توطئة

بسم الله الرحمن الرحيم

على الرغم من صدور كتب كثيرة عن حرب اكتوبر ١٩٧٣ بين العرب واسرائيل ، فما زال هناك كثير من الحقائق الخافية ، التي لم يتعرض لها أحد حتى الآن ، كما ان ثمة حقائق أخرى قام بعضهم بتشويهها ، أحياناً عن جهل ، وأحيانا أخرى عن خطأ متعمد لإخفاء هذه الحقائق . ومن بين المواضيع التي ما زالت غامضة تبرز التساؤلات الآتية :

١ ـ لماذا لم تقم القوات المصرية بتطوير هجومها نحو الشرق بعد نجاحها في عبور قناة السويس ، ولماذا لم تستولِ على المضائق في سيناء ؟

٢ ـ هل حقاً كان ضمن تصور القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية أن يقوم العدو بالاختراق في منطقة الدفرسوار بالذات ، وأنها أعدت الخطة اللازمة لدحر هذا الاختراق في حالة وقوعه ؟ واذا كان هذا حقيقياً فلماذا لم يقم المصريون بالقضاء على هذا الاختراق فور حدوثه ؟

٣ ـ كيف تطور اختراق العدو في منطقة الدفرسوار يوماً بعد يوم ، وكيف كانت الخطط التي يضعها العسكريون تنقض من قبل رئيس الجمهورية ووزير الحربية .

٤ ـ من هو المسؤول عن حصار الجيش الثالث ؟ هل هم القادة العسكريون أم القادة السياسيون ؟

٥ ـ كيف أثّر حصار الجيش الثالث على نتائج الحرب سياسياً وعسكرياً ، لا على مصر وحدها بل على العالم العربي بأسره ؟

ـ عندما قررت ان أبدأ في كتابة مذكراتي في اكتوبر ٧٦ ـ أي بعد ثلاث سنوات من حرب اكتوبر ٧٣ ـ لم يكن هدفي فقط هو كشف أكاذيب السادات التي عمد الى تأليفها جزافاً بعد أن وضعت الحرب اوزارها ، بل كان هدفي الأول هو اعطاء صورة حقيقية للأعمال المجيدة والمشرفة التي قام بها الجندي المصري في هذه الحرب . إن من المؤسف حقاً أن السادات ورجاله لم يستطيعوا تقديم هذه الحرب في الأطار الذي تستحقه كعمل من أروع الأعمال العسكرية في العالم ـ لقد عمدوا الى الكلمات الانشائية والبلاغية دون الاستعانة بلغة الأرقام والتحليل العلمي للعوامل المحيطة بها . لقد انحصر همهم في اخفاء وطمس دور الفريق سعد الدين الشاذلي الذي كان يشغل منصب رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية لمدة امتدت من مايو ٧١ (٢٩ شهراً قبل بداية الحرب) وحتى ١٢ ديسمبر ٧٣ (سبعة أسابيع بعد وقف اطلاق النار) . ولم يعلم السادات أنه بهذا الحقد على الفريق سعد الدين الشاذلي قد أساء إساءة بالغة للقوات المسلحة المصرية . فلكي يتحاشى هو ورجاله ذكر دور الفريق الشاذلي لم يستطيعوا أن يذكروا كيف تم اعداد القوات المسلحة وتجهيزها لهذه

الحرب . ولم يستطيعوا أن يذكروا كيف قامت القوات المسلحة بعبور قناة السويس . ولم يستطيعوا ان يذكروا كيف وقع أول تصادم بين الفريق الشاذلي والرئيس السادات يوم ١٦ اكتوبر . لخلاف في الرأي حول القضاء على العدو الذي اخترق في منطقة الدفرسوار . ولم يستطيعوا ان يذكروا كيف تطور القتال غرب القناة يوماً بعد يوم . وكيف كانت آراء العسكريين تنقض من قبل السياسيين . لقد عتقد السادات ورجاله أنهم يستطيعون أن يحكوا قصة حرب أكتوبر . وألا يكون نصيب رئيس اركان حرب القوات المسلحة المصرية سوى أربعة أسطر يلقون فيها عليه باللوم بصفته المسؤول عن الثغرة ! ما أتفه هذا التفكير . أويظن هؤلاء انهم يستطيعون ان يثبتوا ما يقولون ؟ أويظن هؤلاء أنه ليس لدينا الوثائق التي تثبت أنهم كاذبون ؟ ويل للكاذبين الذين يقولون الكذب وهم يعلمون .

- لقد انتهيت من تسجيل مذكراتي في اكتوبر ٧٧ وأخذت أنتظر الوقت المناسب الذي أقوم فيه بنشرها . إن انتخاب الوقت المناسب هو عامل مهم في كسب أية معركة سواء أكانت هذه المعركة سياسية أم عسكرية . إن مهاجمة رئيس نظام أوتوقراطي وفضح أكاذيبه وخداعه ليس بالأمر السهل . انه يحتاج الى الوثائق التي لا يتطرق اليها الشك . ويحتاج الى شهود دوليين . والى مناخ اعلامي مناسب . وبحلول اكتوبر ٧٧ كان قد تم أعداد كل شيء ولم يبق سوى انتظار المناخ الاعلامي المناسب . وفيما بين اكتوبر ٧٧ ومايو ١٩٧٨ ارتكب السادات ثلاثة أخطاء كبيرة تسببت ، بمجموعها ، في خفض شعبيته في مصر والعالم العربي الى الحضيض . ففي نوفمبر ٧٧ قام بزيارته المشؤومة الى القدس حيث أعطى الكثير لإسرائيل دون أن يحصل على شيء لقاء ما أعطى . وفي إبريل ٧٨ نشر مذكراته . وبذلك كان أول رئيس دولة في العالم يقوم بنشر مذكراته وهو ما يزال في السلطة . لقد كان نشر هذا الكتاب عملاً لا اخلاقياً استغل فيه السادات منصبه كرئيس دولة وحاكم بأمره يملك وسائل الاعلام - يعطي ويمنح ، يرقّي ويفصل ، ينصر ويقهر - ليختلق الأكاذيب على كل من يخالفه في الرأي . وفي مايو ٧٨ ارتكب الخطأ الثالث بإجراءاته التعسفية لإسكات كل رأي حر في البلاد . لقد كنت أراقب السادات وهو يقوم بتصرفاته الشاذة بألم وحسرة ، بصبر وتحفز ، في انتظار الوقت المناسب . وبحلول شهر يونيو ٧٨ وجدت أن الصمت بعد ذلك قد يكون خيانة لعزة مصر وشرفها وقواتها المسلحة . وفي يوم ١٩ يونيو ١٩٧٨ ، ومن مكتبي كسفير لمصر في البرتغال هاجمت السادات هجوماً عنيفاً ، وقلت كل ما يريد كل مصري حر أن يقوله . كنت أعلم بأنني أضحي بمنصبي الممتاز من اجل مبادئي وكنت سعيداً بذلك . لقد ظن السادات ان حياة الأبهة التي أعيش فيها كسفير قد تنسيني حبي لمصر . وحبي للكفاح من أجل مصر ، ولكنه أخطأ في تقديره هذا خطأ جسيماً . لعل السادات يرى الناس من خلال نفسه . إنه يعتقد انه يستطيع بالمال والمناصب ان يـ تري أي شخص . ولكن هيهات هيهات . فليس الرجال كلهم سواسية .

- وها هي ذي مذكراتي عن حرب اكتوبر ٧٣ أهديها لكل ضابط وكل . ندي في القوات المسلحة المصرية . وإنني فخور جداً بكل يوم وكل ساعة قضيتها كرئيس لأركان حرب القوات المسلحة المصرية . تلك الفترة التي تم خلالها تخطيط أول عملية هجومية ناجحة

وتنفيذها ضد اسرائيل في الثلاثين سنة الماضية . وأنني انتهز هذه الفرصة لكي أشيد بكل ضابط وكل جندي أسهم في تلك الحرب التي استمادت للجندي المصري كرامته وتاريخه المجيد . لقد كانوا هم الأصحاب الحقيقيين لهذه المذكرات . لقد صنعوها بدمائهم وشجاعتهم . وكانوا شهود عيان لكل أحداثها . وان بعض الحوادث التي ذكرتها في هذه المذكرات يعلمها الألوف منهم وبعضهم الآخر يعلمها المئات أو العشرات منهم . إن مئات الألوف منهم سوف يستقبلون هذه المذكرات بحماس شديد ولكن قليلين ـ ممن باعوا انفسهم ، للسادات وربطوا مصيرهم بمصيره ـ سوف يجدون انفسهم في كرب شديد . فإما أن يقولوا الحق وهم يعلمون أن ذلك سوف يعني أن يفقدوا مناصبهم . وإما ان يقولوا الكذب ـ وهم يعلمون الحقائق . فيفقدوا بذلك سمعتهم أمام الناس وأمام أبنائهم وأمام التاريخ ، ناهيك عن حساب الله الذي يمهل ولا يهمل . إني أرثي لهؤلاء وأدعو الله أن يوفقهم الى الصراط المستقيم . ولكنني أحذرهم بأنني قادر على اثبات كل ما كتبت في هذه المذكرات .

الحمد لله رب العالمين الذي وفقني في أن أقول كلمة الحق وأن أدافع عنها ـ اللهم اهدنا وأنر الطريق لنا وأنزل السكينة في قلوب المؤمنين حتى يستطيعوا أن يقفوا في وجه الطغيان وألا يكتموا كلمة الحق وهم يعلمون .

الفريق سعد الدين الشاذلي
رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية
خلال الفترة من ١٦ مايو ٧١ حتى ١٢ ديسمبر ٧٣

10

الباب الاول

الخطـة الهـجوميّـة

المشاريع الاستراتيجية

ـ لم نكف عن التفكير في الهجوم على العدو الذي يحتل أراضينا حتى في أحلك ساعات الهزيمة في يونيو ١٩٦٧ . لقد كان الموضوع ينحصر فقط في متى يتم مثل هذا الهجوم وربط هذا التوقيت بإمكانيات القوات المسلحة لتنفيذه · وفي خريف ١٩٦٨ بدأت القيادة العامة للقوات المسلحة تستطلع إمكانية القيام بمثل هذا الهجوم على شكل « مشاريع استراتيجية » تنفذ بمعدل مرة واحدة في كل عام · وقد كان الهدف من هذه المشاريع هو تدريب القيادة العامة للقوات المسلحة ـ بما في ذلك قيادات القوات الجوية والقوات البحرية وقوات الدفاع الجوي ـ وكذلك قيادات الجيوش الميدانية وبعض القيادات الأخرى . على دور كل منها في الخطة الهجومية · لقد اشتركت أنا شخصيا في ثلاثة من هذه المشاريع قبل أن أعين رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة · لقد اشتركت في مشاريع عامي ١٩٦٨ و ١٩٦٩ بصفتي قائدا للقوات الخاصة (قوات المظلات وقوات الصاعقة) . واشتركت في المرة الثالثة عام ١٩٧٠ عندما كنت قائدا لمنطقة البحر الأحمر العسكرية · وقد جرت العادة على أن يكون وزير الحربية هو المدير لهذه المشاريع ، وأن يدعى رئيس الجمهورية لحضور جزء منها ، لكي يستمع الى التقارير والمناقشات التي تدور خلالها · وقد استمرت هذه المشاريع خلال عامي ١٩٧١ و ٧٢ · أما المشروع الذي كان مقررا عقده عام ١٩٧٣ فلم يكن إلا خطة حرب أكتوبر الحقيقية التي قمنا بتنفيذها في ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ·

ـ وحيث أن اسرائيل كانت تتفوق علينا تفوقا ساحقا في كل شيء خلال عام ١٩٦٨ والأعوام التالية ، فقد كان مديرو هذه المشاريع الاستراتيجية يفترضون امتلاكنا لقوات مصرية ليست موجودة واقعيا ، وذلك حتى يكون من الممكن تنفيذ مشروع الهجوم بأسلوب لا يتعارض مع العلم العسكري · وبمعنى آخر فإن المديرين كانوا يضعون الخطة الهجومية على أساس ما يجب أن يكون لدينا ، اذا أردنا القيام بعملية هجوم ناجحة · ولا يمكن ان نعتبر هذا خطأ كبيرا، حيث أن مثل هذه الخطط ، وان كانت غير واقعية ، فإنها تظهر بوضوح حجم القوات المسلحة التي يجب توفرها لكي يمكن تنفيذ خطة هجومية ناجحة . وفي خلال السنوات ٦٩ وما بعدها أخذت قواتنا المصرية تزداد قوة ، وأخذت خططنا في تلك المشاريع الاستراتيجية تبدو أقل طموحا ـ نتيجة ربط الأهداف بالإمكانيات الواقعية ـ وبذلك أخذت الثغرة بين إمكانياتنا الهجومية وخططنا الهجومية تضيق شيئا فشيئا ، حتى تم إغلاقها تماما في اكتوبر ١٩٧٣ . وهكذا أصبحت خطتنا الهجومية عام ٧٣ مطابقة للإمكانيات الفعلية لقواتنا المسلحة ·

امكانياتنا الهجومية

- عندما عينت رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة المصرية (ر ا ح ق م م) في ١٦ مايو ٧١ . لم يكن هناك خطة هجومية . لقد كان لدينا خطة دفاعية تسمى « الخطة ٢٠٠ » ، وكان هناك أيضا خطة تعرضية أخرى تشمل القيام ببعض الغارات بالقوات على مواقع العدو في سينا ، ولكنها لم تكن في المستوى الذي يسمح لنا بأن نطلق عليها خطة هجومية ، وكانت تسمى « جرانيت » .

- بدأت عملي بدراسة إمكانيات القوات المسلحة الفعلية ومقارنتها بالمعلومات المتيسرة عن العدو بهدف الوصول الى خطة هجومية تتمشى مع امكانياتنا الفعلية . وقد أوصلتني تلك الدراسة الى النقط الرئيسية التالية :

١ - إن قواتنا الجوية ضعيفة جدا اذا ما قورنت بقوات العدو الجوية . انها لا تستطيع ان تقدم أي غطاء جوي لقواتنا البرية اذا ما قامت هذه القوات بالهجوم عبر أرض سيناء المكشوفة ، كما انها لا تستطيع أن توجه ضربة جوية مركزة ذات تأثير على الأهداف الهامة في عمق العدو .

٢ - إن لدينا دفاعا جويا لا بأس به ، يعتمد أساسا على الصواريخ المضادة للطائرات SAM ولكن ، وللأسف الشديد ، فإن هذه الصواريخ دفاعية وليست هجومية ، انها جزء من خطة الدفاع الجوي عن الجمهورية ، وهي لذلك ذات حجم كبير ووزن ثقيل وتفتقر الى حرية الحركة (لم يكن لدينا في هذا الوقت SAM 6 الخفيف الحركة والذي يستطيع أن يتحرك ضمن تشكيلات القوات المهاجمة) . وبالتالي فإنها لا تستطيع أيضا أن تقدم غطاء جويا لأية قوات برية متقدمة عبر سيناء . إنها سلاح مناسب في الدفاع حيث يمكن أن نوفر لها الوقاية بوضعها في ملاجىء خرسانية يتم إنشاؤها خلال بضعة أشهر ، اما اذا خرجت من هذه الملاجىء لترافق القوات البرية المهاجمة فأنها تصبح فريسة سهلة لقوات العدو الجوية وقوات مدفعيته .

٣ - كانت قواتنا البرية تتعادل تقريبا مع قوات العدو . لقد كان لدينا بعض التفوق في المدفعية - في ذلك الوقت - ولكن العدو كان يحتمي وراء خط بارليف المنيع والذي كانت مواقعه قادرة على ان تتحمل قذائف مدفعيتنا الثقيلة دون أن تتأثر بهذا القصف ، وبالإضافة الى ذلك فقد كانت قناة السويس ، بما أضافه العدو اليها من موانع صناعية كثيرة ، تقف سداً منيعاً آخر بين قواتنا وقوات العدو (١) .

---

(١) ذكر اليعازر رئيس أركان حرب القوات المسلحة الأسرائيلية خلال حرب اكتوبر ٧٣ . أنه أثناء مناقشة احتمال قيام المصريين بالهجوم عبر القناة علق دايان ساخرا « لكي تستطيع مصر عبور قناة السويس واقتحام خط بارليف فإنه يلزم تدعيمها بسلاحي المهندسين الروسي والاميركي معا » . وكان الجنرال بارليف يؤيد دايان في هذا القول . ان هذه الشهادة من قادة العدو هي شهادة نعتز بها لأنها تظهر عظمة التخطيط وروعة الأداء اللذين تمّ بهما إنجاز هذا العبور العظيم .

٤ ـ أما قواتنا البحرية فقد كان من الممكن ان نعتبرها أقوى من بحرية إسرائيل ، ولكن ضعف قواتنا الجوية قد قلب الموازين وأحال تفوقنا البحري الى عجز وعدم قدرة على التحرك بحرا ٠ لقد كان في استطاعة العدو أن يتجول في خليج السويس ببعض الزوارق الصغيرة وهي لا تحمل سوى بعض الرشاشات دون ان يكون في استطاعتنا ان نتحدى تلك القوارب الصغيرة بقطع بحرية هي أكثر قوة وأفضل تسليحا . لقد كانت تلك القطع البحرية المعادية تعتمد على قوة الطيران الإسرائيلي الذي يستطيع أن يغرق أية قطعة بحرية مصرية تتعرض لها ٠ ولم يقتصر تحدي العدو لبحريتنا على تقييد حركتها في أعالي البحار، بل انه استفاد من ضعف دفاعنا الجوي في منطقة البحر الأحمر فكان يقوم بتوجيه عدة ضربات جوية ضد قطعنا البحرية ونجح في عدد من الحالات في إغراق بعض قطعنا البحرية وهي راسية في الميناء ٠ لم يكن بامكاننا ان نحقق دفاعا جويا مؤثراً بواسطة الصواريخ عن جميع أهدافنا داخل الجمهورية ، ولذلك فقد كانت هناك أسبقيات تنظم توزيع هذا الدفاع . وكانت جبهة قناة السويس والعمق يستحوذان على امكانياتنا كلها تاركين منطقة البحر الاحمر شبه عارية من وسائل الدفاع الجوي ، اللهم الا بعض المدافع التقليدية المضادة للطائرات والتي لا تشكل أي تهديد خطير للطائرات النفاثة الحديثة . والمجهزة بصواريخ جو أرض ذات مدى طويل يجعلها قادرة على أن تصيب أهدافها دون أن تدخل في مدى مدافعنا المضادة للطائرات ٠ وفي هذه الظروف استطاع العدو ان يحصل على السيطرة البحرية في خليج السويس والجزء الشمالي من البحر الأحمر بواسطة قواته الجوية ، وذلك على الرغم من تفوقنا العددي والنوعي في القطع البحرية على اسرائيل ٠

ـ ونتيجة لهذه الدراسة فقد ظهر لي بأنه ليس من الممكن القيام بهجوم واسع النطاق يهدف الى تدمير قوات العدو وارغامه على الانسحاب من سيناء وقطاع غزة ، وان امكانياتنا الفعلية قد تمكننا ـ اذا احسنا تجهيزها وتنظيمها ـ من ان نقوم بعملية هجومية محدودة تهدف الى عبور قناة السويس وتدمير خط بارليف ثم التحول بعد ذلك للدفاع ، وبعد اتمام هذه المرحلة يمكننا التحضير للمرحلة التالية التي تهدف الى احتلال المضائق حيث ان المرحلة الثانية سوف تحتاج الى انواع اخرى من السلاح والى اسلوب آخر في تدريب قواتنا ، وقد كانت فكرتي في القيام بهذا الهجوم المحدود متأثرة بالعوامل الرئيسية التالية :

١ ـ كان العامل الاول هو ضعف قواتنا الجوية ، كما سبق ان قلت ، لقد كنت حريصا الا نزج بقواتنا الجوية في معارك جوية غير متكافئة مع العدو ٠ لقد دمرت قواتنا الجوية مرتين على الارض ، كانت المرة الاولى ابان العدوان الثلاثي البريطاني الفرنسي الإسرائيلي عام ١٩٥٦ ، وكانت المرة الثانية إبان الهجوم الاسرائيلي المفاجىء ١٩٦٧ ٠ وفي خلال السنوات الأربع الماضية قمنا ببناء ملاجىء خرسانة لطائراتنا ، كما اقمنا شبكة دفاع جوي بالصواريخ حول قواعدنا الجوية ، وبذلك اصبح لدينا بعض الضمانات ضد تدمير قواتنا الجوية بضربة جوية

مفاجئة كما تم في الحالتين السابقتين . ولكن بمجرد ان يقلع الطيار بطائرته في الجو فأنه سوف يعتمد اعتمادا كليا على مهارته وعلى كفاءة طائرته عند اشتباكه مع الطائرات المعادية . ومن خلال الاشتباكات المتعددة التي تمت بين طائراتنا وطائرات العدو بعد ١٩٦٧ ظهر تفوق الطيران الاسرائيلي في هذه الاشتباكات بشكل واضح وحاسم . وقد دار كثير من الجدل والمناقشات حول هذا الموضوع . هل هو نقص في تدريب طيارينا ومهارتهم ؟ ام هو عدم كفاءة طائرة الميج ٢١ بالمقارنة مع طائرات العدو ؟ كان طيارونا يلقون بأسباب فشلهم في هذه الاشتباكات على الطائرة . في حين كان الخبراء السوفيات يلقون باللوم على الطيارين المصريين . وفي اعتقادي ان فشلنا في هذه الاشتباكات كان يعود الى كل من الطيار والطائرة . وكذلك الى الظروف التي كان العدو يفرضها علينا في هذه الاشتباكات . فعندما كان العدو يخطط لمثل هذه الاشتباكات . فأنه كان ينتقي لها افضل طياريه ويرسم لها خطة محكمة يبدؤها عادة بأن يخترق اجواءنا في الوقت والمكان والاتجاه الذي انتخبه ضمن خطته . وعندما نقوم نحن باعتراض تلك الطائرات المعادية . فأننا نعترضها بواسطة من يتصادف قيامهم بخدمة العمليات في اعلى درجات الاستعداد . وقد يكون من بينهم بعض الطيارين حديثي الخبرة وهؤلاء لا يمكن مقارنتهم بأي حال من الاحوال بالنخبة المختارة من الطيارين التي دفع بها العدو للتحرش بهم . وبالاضافة الى ذلك فأن طيارينا ينطلقون بطائراتهم الاعتراضية الى الجو دون اية خطة مرسومة معتمدين على ما سوف يحصلون عليه من معلومات من الموجهين الارضيين . وحيث ان الموجهين الارضيين هم الآخرون يقومون بدور خدمة عادي فقد يكون منهم الموجّه الجيد او الموجّه الذي هو دون المستوى المطلوب ونتيجة لذلك كله فأن العدو يقابلنا بأفضل طياريه وبخطة مرسومة . بينما نقابله نحن بما هو متيسر لدينا في الخدمة من طيارين وموجهين ودون اية خطة . ولذلك فقد كانت النتائج دائما في مصلحة العدو . في كثير من الحالات افاد طيارونا بأنهم اسقطوا بعض طائرات العدو . ولكن لم يقم دليل قوي على ذلك في معظم الحالات . لم يكن طيارونا تنقصهم الشجاعة ولكن كانت تنقصهم الخبرة والتجربة . لقد كانت الغالبية العظمى منهم تقل ساعات طيرانهم عن ١٠٠٠ ساعة طيران . في حين كان متوسط ساعات طيران الطيارين الاسرائيليين يزيد على ٢٠٠٠ ساعة . لقد كانت القوات الجوية الاسرائيلية تسبق القوات الجوية المصرية بعشر سنوات على الاقل . واذا اضفنا الى ذلك كله ان طائراتنا كانت اقل كفاءة من طائرات العدو . ولاسيما من حيث المدى وقوة التسليح والتجهيز بالاسلحة الالكترونية وجدنا ان طيارينا كانوا يقاتلون عدوهم في ظروف غير متكافئة . ومن هنا بدأ يتولد عندي اسلوب جديد في استخدام قواتنا الجوية يعتمد على مبدأين : المبدأ الاول هو تحاشي المجابهة مع العدو في الوقت والمكان اللذين يختارهما هو . والمبدأ الثاني هو ان نستخدم قواتنا الجوية عندما تشتعل الحرب بتوجيه ضربات مفاجئة في الاوقات والاماكن التي نستبعد فيها اي تدخل من جانب قوات العدو الجوية . وبمعنى آخر فقد

كنت اهدف الى ان اجعل القوات البرية والاهداف الارضية الاسرائيلية تتأثر نفسيا بهجمات قواتنا الجوية . وفي الوقت نفسه نحاول ان نتجنب اية معارك جوية · لقد كنت مقتنعا انه ما لم نستخدم قواتنا الجوية بحرص وذكاء فمن الممكن ان نخسر قواتنا الجوية للمرة الثالثة مع فارق بسيط هو اننا هذه المرة . نخسرها وهي في الجو بدلا من خسارتها وهي على الارض كما تم في المرتين السابقتين ·

٢ ـ كان العامل الثاني هو قدرات صواريخنا المضادة للطائرات SAM ومداها في المعركة الهجومية . لقد أثبتت صواريخنا كفاءتها خلال حرب الاستنزاف ما بين ٦٨ ـ ٧٠ . وكذلك خلال الاشتباكات والتحرشات مع طيران العدو بعد وقف إطلاق النار في ٧ أغسطس ٧٠ وحتى قيام حرب اكتوبر ٧٣ · إن اسرائيل لم تحترم قط وقف اطلاق النار . واستمر طيرانها يقوم باختراق مجالنا الجوي كلما سنحت له الفرصة بذلك . ولكننا لاحظنا بكل فخر أنه كان دائما يحاول أن يتفادى اختراق المناطق التي يعلم انها تحت مظلة من صواريخ SAM . وقد كان ذلك في حد ذاته شهادة رسمية من العدو تنطق باحترامه وخشيته من صواريخنا · لقد كان أحد دروس حرب الاستنزاف هو أن القوات الجوية المعادية تكون ذات تأثير ضئيل ضد القوات المخندقة . وذات تأثير كبير ضد القوات الأرضية اذا ما هوجمت في العراء وهي خارج مدى مظلة دفاعنا الجوي بالصواريخ SAM . ومن هنا كان علينا ان نقيد حركتنا شرق القناة في أية عملية هجومية . وأن نربط هذه الحركة بقدرة دفاعنا الجوي على مدى الوقاية التي يستطيع أن يحققها لقواتنا البرية · وقد كانت امكانياتنا في الدفاع الجوي ـ بعد القيام ببعض الإجراءات الخاصة ـ قادرة على تحقيق دفاع جوي مؤثر شرق القناة بمسافة تتراوح بين ١٠ ـ ١٢ كيلو متراً · وإن أي هجوم بري يتجاوز هذه المسافة قد يقود الى عواقب وخيمة ·

٣ ـ لقد كان العامل الثالث هو الرغبة في ان نرغم إسرائيل على قتالنا تحت ظروف ليست مؤاتية لها . إن اسرائيل ذات الثلاثة ملايين نسمة تعبيء وقت الحرب حوالي ٢٠ ٪ من قوتها البشرية للانضمام الى القوات المسلحة وقوات الدفاع الاقليمي . وهي نسبة عالية جدا لم تستطع أية دولة في العالم أن تصل اليها . وان إسرائيل نفسها لا تستطيع ان تتحمل مثل هذه التعبئة لمدة طويلة لأنها ترهق اقتصادها القومي وتصيب خدماتها وجميع نشاطاتها الأخرى بالشلل الكامل · ونتيجة لهذا الموقف فإن لإسرائيل مقتلين : المقتل الأول هو الخسائر في الأفراد . والمقتل الثاني هو إطالة مدة الحرب · إن إسرائيل لا تهتم كثيراً إذا هي خسرت الكثير من أسلحة الحرب المتطورة sophisticated من دبابات وطائرات ولكنها تصاب بالهلع إذا خسرت بضع مئات من الأفراد · إن لديها رصيداً هائلاً من المعدات . وهناك من يقوم نيابة عنها بدفع ثمن فواتير السلاح . أما خسائر الأفراد فإن رصيد الشعب اليهودي من البشر رصيد محدود . ومن الصعب تعويض هذه الخسائر · كذلك فإن إطالة الحرب هو السم الذي يضعف مقاومة إسرائيل يوماً بعد يوم . إن الجندي الإسرائيلي الذي يستدعى في التعبئة هو نفسه العامل والمهندس في المصنع . وهو نفسه الأستاذ والطالب في الجامعة . وهو نفسه الذي يقوم بجميع النشاطات الأخرى في الدولة. فكيف يمكن لهذه الدولة أن تعيش لو امتدت الحرب

ستة أشهر فقط . وما بالك بأكثر من هذا ؟ لقد كانت إسرائيل في جميع حروبها السابقة تفضل اسلوب الحرب الخاطفة blitz krieg . لذلك فقد كان من صالحنا أن نفرض عليها حربا بأسلوب ليس في صالحها. فلو اننا توقفنا شرق القناة بمسافة تتراوح بين ١٠ ـ ١٢ كم فاننا سنخلق لها موقفا صعبا . فاذا هي قامت بالهجوم على مواقعنا شرق القناة فسيكون لدينا الفرصة لأن نحدث في قواتها المهاجمة خسائر كبيرة سواء في القوات الأرضية أو القوات الجوية التي تساندها . نظراً لوجود تلك المنطقة تحت مظلة دفاعنا الجوي . وإذا هي عزفت عن الهجوم فسوف تضطر الى الاستمرار في تعبئة قواتها المسلحة . وبذلك تستنزف قوتها الاقتصادية .

٤ ـ أما العامل الرابع الذي أثر على تفكيري فقد كان « تعلم الحرب بواسطة الحرب » أو بمعنى آخر تدريب الضباط والجنود على الحرب الكبيرة ـ التي سوف تتم في مراحل قادمة ـ عن طريق الزج بهم في حرب محدوده يستطيعون فيها أن يكتشفوا ذواتهم وأن يكتسبوا خبراتهم بأنفسهم . لقد تعلمت من خدمتي في القوات المسلحة واشتراكي في خمس حروب سابقة أن ميدان المعركة هو أنسب الأماكن لتدريب الرجال على فنون الحرب . إننا مهما حاولنا خلال التدريب أن نخلق المناخ الذي يتشابه مع مناخ الحرب ، فإننا لن نستطيع أن نخلق الأثر النفساني الذي تولده الحرب في الجنود . هذا الأثر الذي هو خليط من الخوف والشجاعة ، خليط من الكبرياء وحب البقاء . هذه الآثار النفسية على المقاتل لا يمكن أن تكتشف إلا عن طريق الحرب الحقيقية . لقد كنت أتوقع أن نجاحنا في هذه الحرب المحدودة سوف يلعب دوراً هاماً في رفع معنويات قواتنا المسلحة بعد أن تكبدت ثلاث هزائم أمام اسرائيل خلال الخمس والعشرين سنة الماضية . لهذا كنت أرى أن الحرب القادمة يجب أن تكون مخاطرة محسوبة . ويجب ألا تكون بأي حال من الأحوال نوعاً من أنواع المقامرة .

(الفصل الثالث)

تطور الخطة الهجومية

ـ قبل مرور شهرين على تعيني رئيساً للأركان العامة . كنت قد أصبحت مقتنعاً بأن معركتنا القادمة يجب أن تكون محدودة ويجب أن يكون هدفها هو « عبور قناة السويس وتدمير خط بارليف واحتلاله ثم اتخاذ أوضاع دفاعية بمسافة تتراوح بين ١٠ ـ ١٢ كم شرق القناة » وأن نبقى في هذه الأوضاع الجديدة الى أن يتم تجهيز القوات وتدريبها للقيام بالمرحلة التالية من تحرير الأرض . وعندما عرضت هذه الأفكار على الفريق أول محمد أحمد صادق بصفته وزيرا للحربية وقائداً عاماً للقوات المسلحة عارض هذه الفكرة بشدة . وقال إنها لا تحقق أي هدف سياسي أو عسكري . فهي من الناحية السياسية لن تحقق شيئاً . وسوف يبقى ما يزيد على ٦٠٠٠٠ كيلو متر مربع من سيناء . بالإضافة إلى قطاع غزة تحت الإحتلال الإسرائيلي . ومن الناحية العسكرية سوف تخلق لنا موقفا صعبا فبدلاً من خطنا الدفاعي الحالي الذي يستند الى مانع مائي جيد فإن خطنا الدفاعي الجديد سوف يكون في العراء

واجنابه معرضة للتطويق . وبالإضافة الى ذلك فسوف تكون خطوط مواصلاتنا عبر كباري القناة تحت رحمة العدو · لقد كانت فكرته في العملية الهجومية هي أن نقوم بتدمير جميع قوات العدو في سيناء. والتقـــدم السريـــع لتحريرهـــا هي وقطاع غزة في عملية واحدة ومستمرة ! قلت له كم أود أن نقوم بتنفيذ ذلك . ولكن ليس لدينا الإمكانيات للقيام بذلك سواء في الوقت الحالي أو في المستقبل القريب · ردّ قائلاً « لو أن السوفيات أعطونا الأسلحة التي نطلبها فإننا نستطيع أن نقوم بهجومنا هذا في خلال عام أو أقل » · لم أوافقه على رأيه هذا وأخبرته أننا قد نحتاج الى عدة سنين لكي نحصل ونتدرب على الأسلحة اللازمة لمثل هذا الهجوم . وأعدت ذكر الأسباب التي تفرض علينا القيام بعملية هجومية محدودة · وبعد مناقشات مطولة وعبر جلسات وأيام متعددة وصلنا الى حل وسط هو تجهيز خطتين : خطة تهدف الى الاستيلاء على المضائق . وأخرى تهدف الى الاستيلاء فقط على خط بارليف ·

- أطلقنا على الخطة الأولى اسم « العملية ٤١ » وقمنا بتحضيرها بالتعاون مع المستشارين السوفيات بهدف إطلاعهم على ما يجب أن يكون لدينا من سلاح وقوات . لكي نصبح قادرين على تنفيذ هذه الخطة · أما الخطة الثانية فقد أطلقنا عليها الاسم الكودي « المآذن العالية » وكنا نقوم بتحضيرها في سرية تامة . ولم يكن يعلم بها أحد من المستشارين السوفيات . كما أن عدد القادة المصريين الذين سمح لهم بالاشتراك في مناقشتها كان محدودا للغاية . وفي خلال يوليو . أغسطس ١٩٧١ كانت الخطتان قد تم استكمالهما · كانت الخطة ٤١ غير قابلة للتنفيذ إلا اذا توفرت أسلحة ووحدات افترضنا وجودها . أما خطة المآذن العالية فقد كانت أول خطة هجومية مصرية واقعية ·

- وبناء على الخطة ٤١ قمنا بتحرير كشوفات بالأسلحة والعتاد المطلوب الحصول عليهما من الاتحاد السوفياتي · وكالعادة دارت مناقشات مطولة بيننا وبين المستشارين الروس بخصوص هذه الكشوفات . فقد كان الروس يتهموننا دائماً بالمغالاة في مطالبنا بينما كان الجانب المصري يتهم الروس دائماً بعدم الاستجابة الى مطالبنا العادلة والضرورية · وفي اكتوبر ١٩٧١ سافر الرئيس السادات والفريق أول صادق الى موسكو حيث تم الاتفاق على صفقة أسلحة كانت تعتبر أكبر صفقة أسلحة مع السوفيات حتى ذلك الوقت . ورغم ضخامة هذه الصفقة فإنها لم تغطِّ جميع الأسلحة اللازمة لتنفيذ « الخطة رقم ٤١ » . ورغم أن هذه الصفقة كانت تشمل ١٠٠ طائرة ميج ٢١ FM . فوج صواريخ كوادرات مضادة للطائرات خفيفة الحركة (سام ٦ SAM 6 فإن قدراتنا في الدفاع الجوي حتى بعد التدعيم بهذه الاسلحة الجديدة لم تكن بقادرة على حماية اي تقدم لقواتنا البرية في اتجاه المضائق طبقاً لمتطلبات « الخطة رقم ٤١ » . كما أن الأسلحة والمعدات التي تقرر وصولها قبل نهاية عام ٧١ لم يكن في استطاعتنا أن نستوعبها قبل ابريل ١٩٧٢ في أحسن الظروف ·

- وبالرغم من هذه الحقائق فقد أخذ السادات يدق طبول الحرب بعد عودته من الاتحاد السوفياتي ويصرخ في كل مناسبة وأحياناً دون مناسبة بأن عام ٧١ هو عام الحسم . ولكي يقنع الجميع بجديته في ذلك أعلن نفسه قائداً عاماً للقوات المسلحة اعتباراً من ٣١ اكتوبر ٧١ وفي

الوقت نفسه أخذت وسائل الاعلام المصرية ـ التي تسيطر عليها الدولة ـ تتحدث عن الحرب القادمة بحرية غريبة كأنها نوع من حفلات المبارزة التي يعلن مسبقاً عن ميعادها ومكان انعقادها . لقد كان موقفاً غريباً وشاذاً مما اضطرني الى أن أفاتح الفريق صادق في هذا الموضوع حيث قلت له « ان الرئيس يضعنا في موقف صعب . اذا كنا حقاً سنخوض المعركة هذا العام فأن الرئيس يحرمنا من المفاجأة التي يمكن أن نحققها لو أنه ظل صامتاً . واذا كنا لن نقوم بالمعركة هذا العام فإنه بتصريحاته هذه يمكن أن يدفع اسرائيل الى أن تقوم بضربة أجهاض ضد قواتنا . أو على أقل تقدير فقد تأخذ هذه التصاريح ذريعة لطلب أسلحة جديدة من الولايات المتحدة ! » قال لي إنه يتفق معي في وجهة نظري هذه . وأنه ناقش هذا الموضوع مع الرئيس وأنه يعتقد أن الرئيس يلعب لعبة سياسية . لم أقتنع بمثل هذه الخدع السياسية وعكفت على تدقيق وتجهيز خطة « المآذن العالية » حتى لا أجد نفسي مفاجأ بقرار سياسي بالهجوم دون فترة إنذار معقولة .

ـ في خلال عام ١٩٧٢ اخذنا ندخل بعض التعديلات الطفيفة على كل من « الخطة رقم ٤١ » و « خطة المآذن العالية» وذلك بناء على التغير المستمر في حجم قواتنا وحجم قوات العدو . ولكن جوهر كل خطة بقي كما هو عليه . ولكن تم تغيير اسم « الخطة ٤١ » لتكون « جرانيت ٢ » . وبنهاية عام ١٩٧٢ بقيت « خطة المآذن العالية » هي الخطة الوحيدة الممكنة بينما كانت الخطة جرانيت ٢ هي خطة المستقبل التي يشترط لتنفيذها حدوث تغييرات أساسية في إمكانيات قواتنا المسلحة . كان مازال هناك ثلاث نقط ضعف رئيسية تحد من قدراتنا على تنفيذ الخطة « جرانيت ٢ ».وكانت أولى هذه النقط هو ضعف قواتنا الجوية . لم يكن لدى قواتنا الجوية الإمكانيات التي تمكنها من تصوير وتفسير وتسليم الصور الجوية في وقت يسمح بالاستفادة من هذه المعلومات . كذلك لم تكن القوات الجوية بقادرة على توفير الدفاع الجوي للقوات البرية أثناء تحركها. وكانت نقطة الضعف الثانية هي عدم توفر كتائب صواريخ SAM خفيفة الحركة بالقدر الذي يمكنها من أن تحل محل القوات الجوية في توفير الغطاء الجوي للقوات التي تتقدم شرقاً . وكانت نقطة الضعف الثالثة هي عدم قدرة غالبية عرباتنا على السير عبر الأراضي . أي خارج الطرق المهدة وعبر الأراضي الرملية . لقد تعلمنا من خبراتنا السابقة في الحرب أن العربات ذات العجلات التي لا تتمتع بمقدرة مقبولة على السير في الرمال خارج الطرق تشكل عبئاً ثقيلاً على كاهل القوات المقاتلة . فعندما يقوم طيران العدو بتدمير بعض هذه العربات اثناء سيرها على الطرق المرصوفة . فأن هذه العربات تقوم بسد الطريق مما يدفع العربات اللاحقة . في محاولة لتفاديها . الى الخروج عن الطريق المرصوف فتغرز في الرمال ويتكرر الأمر نفسه حتى يختنق الطريق تماماً بما في ذلك حوالي ٥٠ متراً من كل جانب بالعربات المعطلة أو المغروزة .

عندما عين الفريق أحمد اسماعيل وزيراً للحربية وقائداً عاماً للقوات المسلحة خلفاً للفريق صادق في نهاية شهر اكتوبر ١٩٧٢ . عرضت عليه خططنا الهجومية لمناقشتها معه . لقد كنت أعلم مسبقاً وجهة نظره عن الحرب من تقرير كان قد تقدم به بصفته مديراً للمخابرات العامة في النصف الأول من عام ١٩٧٢ . وفي هذا التقرير ذكر بأن مصر ليست على استعداد للقيام

بحرب هجومية . وحذر من أنه لو قامت مصر بشن الحرب تحت هذه الظروف فإن ذلك قد يقود الى كارثة . وكان هذا التقرير قد رفع الى رئيس الجمهورية وأرسلت صورة منه الى القيادة العامة للقوات المسلحة . وأيد رئيس الجمهورية هذا التقرير في مؤتمره الذي عقد في القناطر الخيرية (١) يوم ٦ يونيو ١٩٧٢ . وعندما كنت أناقش الموقف العسكري مع الفريق أحمد اسماعيل بصفته الجديدة كوزير للحربية ذكرته بتقريره السابق وقلت له : « لم يحدث اختلافات كبيرة في القوات المسلحة منذ تقريرك . وبالذات فيما يتعلق بالدفاع الجوي . ولكنني أعتقد أنه بأمكاننا أن نقوم بعملية هجومية محدودة » ثم عرضت عليه الخطة « جرانيت ٢ » وخطة « المآذن العالية » وقد اقتنع بعدم قدرتنا على تنفيذ الخطة « جرانيت ٢ » وأنه يجب علينا أن نركز على خطة « المآذن العالية » . وتحدد ربيع ١٩٧٣ كميعاد محتمل للهجوم.

ـ عندما بدأت في وضع اللمسات النهائية على خطة « المآذن العالية » كان يتحتم علينا أن نوسع عدد القادة الذين يلمون بالخطة ومناقشة كافة المشكلات والاحتمالات المنتظرة . وفي اثناء هذه المناقشات برز سؤال هام « متى وكيف سيقوم العدو بهجومه المضاد ؟ » . في جميع المشاريع الاستراتيجية السابقة كنا نفترض أن العدو سيقوم بهجومه المضاد التعبوي بواسطة لواءاته المدرعة والميكانيكية ضد رؤوس الكباري بعد فترة تتراوح بين ٣٦ ـ ٤٨ ساعة من بدء الهجوم . لقد كنا طبعاً نتوقع بعض الهجمات المضادة الصغيرة بقوة تتراوح بين فصيلة دبابات وكتيبة دبابات خلال الساعتين الأوليين من الهجوم . ولكننا لم نكن نهتم كثيراً بمثل هذه الهجمات المضادة حيث أن قواتنا كانت قادرة على صدّها بسهولة . ولكن عند مناقشة تفصيلات الخطة قدرت هيئة العمليات أن الهجوم المضاد للعدو ينتظر وقوعه بعد ٢٤ ساعة فقط من بدء الهجوم . لقد بني تقديرهم على أساس أنه على الرغم من جميع ما تقوم به من اجراءات خداعية فإن العدو سيكتشف حتماً استعداداتنا قبل بدء الهجوم بثلاثة أيام . وبالتالي يكون لديه الوقت اللازم لتعبئة قواته وحشدها في أماكن قريبة من القتال تسمح له بتوجيه ضربته بعد ٢٤ ساعة فقط من بدء الهجوم . أما ادارة المخابرات الحربية فقد كانت أكثر حذراً ولم تعترف بأن خططنا الخداعية قادرة على خداع العدو . وأنه سوف يكتشف نوايانا الهجومية بمجرد بدء العدّ التنازلي ١٥ يوماً قبل المعركة . وأن هذا الوقت الكافي سيسمح له بتعبئة قواته في يسر وسهولة . وأنه سيتمكن من حشد ١٨ لواء في سيناء قبل ان نبدأ هجومنا . وبالتالي فإن مدير المخابرات الحربية أشار في تقريره الى أنه يتوقع ان يقوم العدو بتوجيه هجومه المضاد العام في خلال ٦ ـ ٨ ساعات من بدء هجوم قواتنا .

ـ لقد كان واضحاً أن مدير المخابرات الحربية يبالغ في قدرات العدو حتى يؤمن نفسه فيما لو استطاع العدو أن يقوم بهذا الاحتمال البعيد . أما اذا لم يستطع العدو تنفيذ هجومه المضاد في خلال ثماني ساعات فلن يتوجه أحد باللوم لمدير المخابرات . لم أكن مقتنعاً برأي مدير المخابرات ومع ذلك فلم يكن من الممكن اهمال هذا الرأي وكان علينا أن ندخله في حسابنا على الرغم من المشكلات الكبيرة التي خلقها لنا . لقد كانت خطتنا في العبور تتلخص في عبور أفراد المشاة المترجلين في قوارب مطاطية حاملين معهم أسلحتهم الخفيفة التي

(١) انظر صفحة ١١١

يستطيعون حملها أو جرها على الشاطىء البعيد · وكنا ننتظر أن تبدأ المعديات في العمل ما بين سعت س + ٥، س + ٧ · أما الكباري فكنا نعتقد أنها ستكون جاهزة ما بين سعت س + ٧ ،س + ٩ ساعة (١) · وبحسابنا لقدرة جميع المعديات والكباري المنصوبة فإن الدبابات والأسلحة الثقيلة الضرورية ستحتاج الى حوالي ٣ ساعات على الأقل للعبور والانضمام الى المشاة . أي أن قواتنا العابرة لن تكتمل امكانياتها الدفاعية لكي تصبح قادرة على صد هجوم العدو المضاد الرئيسي قبل سعت س + ١٢ ساعة . وفي أحسن الظروف سعت س + ١٠ ساعة فإذا قام العدو بهجومه المنتظر ما بين سعت س + ٦ ، س + ٨ ساعة كما جاء في تقرير مدير المخابرات الحربية فمعنى ذلك أنه يسبقنا بحوالي ٤ ساعات . وتكون لديه فرصة جيدة لتدمير مشاتنا قبل أن تصل اليها دباباتنا وأسلحتنا الثقيلة لزيادة امكانياتها الدفاعية · ولمواجهة هذا الاحتمال اتخذنا · الاجراءات التالية (٢) ·

١ - قمنا بزيادة عدد الصواريخ المضادة للدبابات التي يحملها المشاة معهم أثناء العبور . وقد تم ذلك على حساب التشكيلات غير المشتركة اشتراكاً مباشراً في عملية العبور . وهكذا جردت تشكيلاتنا التي كانت في احتياطيات الجيوش الميدانية كما جرد احتياطينا الاستراتيجي من جميع الصواريخ المضادة للدبابات مالوتكا MALOTKA بأطقمها . وذلك حتى يمكن أن ندعم بها قواتنا المشاة المكلفة بالعبور · لقد كانت مغامرة ولكنها كانت مغامرة محسوبة على أساس أن هذه الأسلحة سوف تسحب هي وأطقمها وتعاد الى تشكيلاتها الأصلية بعد أن تصل الدبابات والأسلحة الثقيلة الى المشاة (٣) .

٢ - قررنا زيادة عدد القوات المكلفة بالعمل في عمق العدو . وذلك بهدف تأخير وصول قواته الاحتياطية المكلفة بالقيام بالهجوم المضاد . الى أطول أجل ممكن ·

٣ - فرضنا على وحدات المشاة المترجلين الذين يعبرون القناة ألا يتجاوز تقدمهم ٥ كيلومترات شرق القناة . مع ضرورة استناد أجنابها على القناة حتى تؤمن نفسها ضد التطويق ثم تتقوقع مشاتنا داخل رؤوس الكباري هذه الى أن تصل اليها الدبابات والأسلحة الثقيلة · وان فرض هذه القيود كان له فوائد متعددة · ان صغر حجم رأس الكوبري الى هذا الحد كان يعني تقصير الخط الدفاعي . وبالتالي زيادة نسبة تركيز أعداد أسلحتنا المضادة للدبابات لكل كيلومتر من خط المواجهة ·· وأن توقف المشاة عند هذا الخط كان يعطي لنا الفرصة لأن نشرك معها قواتنا المتمركزة غرب القناة في معركة صد هجوم العدو المضاد . وذلك بواسطة مدفعيتنا الميدانية ودباباتنا وصواريخنا المضادة للدبابات الخ · كذلك فإن توقف المشاة عند هذا الخط يجعلها تتمتع بالعمل تحت مظلة دفاعنا الجوي التي تكون ما تزال على بعد حوالي ١٠ كيلومترات غرب القناة لتبقى خارج مرمى مدفعية العدو الميدانية ·

---

(١) سعت س = ساعة بدء الهجوم ويتم التخطيط كله على اساسها . فاذا قلنا س + ٥ ساعة فأن ذلك يعني ٥ ساعات بعد بدء الهجوم . واذا قلنا س - ١٠ دقيقة فأن ذلك يعني ١٠ دقائق قبل بدء الهجوم .

(٢) لم يقم العدو بهجومه المضاد العام الا صباح يوم ٨ اكتوبر اي بعد ٢٤ ساعة من بدء الهجوم .

(٣) أثناء ادارة المعركه الفعلية تأخر سحب هذه الوحدات الفرعية من التشكيلات إلى شرق القناة . وذلك لمغالاة بعض القادة في الموقف . والتراخي في إعادة هذه الوحدات الفرعية إلى تشكيلاتها . وقد أثر ذلك تأثيرا كبيرا على قدرة تشكيلاتنا غرب القناه في صد هجمات العدو عندما تمكن من فتح الثغرة في منطقة الدفرسوار .

الخطة بدر

ـ كانت الخطوط العريضة لخطتنا الهجومية بعد أن أخذت صورتها النهائية ، وبعد أن تغير اسمها من « المآذن العالية » الى « بدر » (١) تتلخص فيما يلي :

١ ـ تقوم خمس فرق مشاة بعد تدعيم كل منها بلواء مدرع وعدد إضافي من الصواريخ مالوتكا المضادة للدبابات ـ والتي تسحب من التشكيلات الأخرى غير المشتركة في عملية العبور ـ باقتحام قناة السويس من خمس نقاط :

٢ ـ تقوم هذه الفرق بتدمير خط بارليف ، ثم تقوم بصد الهجوم المضاد المتوقع من العدو .

٣ ـ ما بين سعت س + ١٨ ساعة ، سعت س + ٢٤ ساعة تكون كل فرقة مشاة قد عمقت ووسعت رأس الكوبري الخاص بها لتصبح قاعدته حوالي ١٦ كم ، عمقه حوالي ٨ كم .

٤ ـ بحلول سعت س + ٤٨ ساعة تكون فرق المشاة داخل كل جيش ميداني قد سدّت الثغرات الموجودة بينها . واندمجت مع بعضها في رأس كوبري واحد لكل جيش . وبحلول سعت س + ٧٢ ساعة يكون كل من الجيشين الثاني والثالث قد وسع رأس الكوبري الخاص به بحيث يندمج الاثنان في رأس كوبري واحد يمتد شرق القناة على مسافة تتراوح بين ١٠ ـ ١٥ كم .

٥ ـ بعد الوصول الى هذا الخط تقوم الوحدات بالحفر واتخاذ أوضاع الدفاع .

٦ ـ يتم استخدام وحدات الابرار الجوي والبحري على نطاق واسع لعرقلة تقدم احتياطيات العدو من العمق وشل مراكز قياداته .

ـ ان قرارنا بخصوص عبور قناة السويس على مواجهة واسعة هو عقيدة ثابتة استقرت في تفكيرنا العسكري في مصر منذ عام ١٩٦٨ . وقد تولدت هذه العقيدة لدينا للأسباب الآتية :

١ ـ اذا نحن قمنا بتركيز هجومنا على مواجهة صغيرة ـ كما هو الحال في جميع عمليات العبور السابقة عبر التاريخ ـ فإن ذلك سوف يعرض قواتنا لضربات جوّية شديدة سواء أثناء مرحلة تجمعها في اتجاه الاختراق أو أثناء عملية عبورها الفعلي .

٢ ـ اذا ما استخدمنا فرق المشاة التي تقوم بالدفاع غرب القناة في القيام بالهجوم ، بحيث تقوم كل فرقة مشاة من مواقعها الدفاعية بعبور القناة من القطاعات التي في مواجهتها . فإن ذلك سوف يقدم لنا المزايا التالية :

أ ـ سوف تبقى القوات المكلفة بالهجوم في خنادقها التي تضمن لها الاختفاء والوقاية لأطول مدة ممكنة قبل أن تغادر هذه المواقع وهي في طريقها للهجوم .

---

(١) لم يطلق الاسم « بدر » على العملية الهجومية الا خلال شهر سبتمبر ٧٣ بعد ان تحدد يوم الهجوم ليكون ٦ اكتوبر الموافق ١٠ رمضان ١٣٩٣ هجرية .

ب ـ سوف نستفيد من التجهيز الهندسي الموجود في منطقة كل فرقةٍ لأغراض الدفاع للاستعانة به ضمن متطلبات التجهيز الهندسي الذي يستلزمه الهجوم . وبالتالي نوفر الكثير من أعمال التجهيز الهندسي ·

جـ ـ إن ذلك سيجعل أوضاع قواتنا في الهجوم تكاد تتطابق مع أوضاعها في الدفاع . وبالتالي لا يكون هناك حاجة لإجراء تحركات كبيرة بين قواتنا قبل الهجوم . مما قد يلفت نظر العدو فتضيع منا فرصة المفاجأة ·

٣ ـ اذا اختار العدو أن يقوم بتوزيع هجماته المضادة على طول المواجهة فإنه سوف يضطر الى توزيع مجهوداته وسوف تكون لدينا فرص ممتازة لصد هجماته الأرضية والجوية بواسطة دباباتنا وصواريخنا المضادة للدبابات وصواريخنا المضادة للطائرات المنتشرة على طول الجبهة · ولو أن العدو لجأ الى هذا الأسلوب فإن فرصته في نجاح هجماته المضادة تكاد تكون معدومة · (١) أما اذا قام بتركيز هجومه المضاد على قطاع واحد أو اثنين من قطاعات الاختراق فإنه قد يكون لديه فرصة أفضل في تدمير رأس كوبري لفرقة او فرقتين ـ بعد تحمله خسائر جسيمة ـ ولكن ذلك سوف يتركنا شرق القناة برؤوس كباري سليمة لعدد ثلاث فرق على الأقل ومن خلالُ هذه الفرق يكون في إمكاننا استعادة الموقف في القطاعين اللذين يكون العدو قد نجح في تدميرهما·

ـ في خلال شهر إبريل ٧٣ أخبرني وزير الحربية بأنه يرغب في تطوير هجومنا في الخطة لكي يشمل الاستيلاء على المضائق . فأعدت له ذكر المشكلات المتعلقة بهذا الموضوع ، وأنه لم يطرأ أي تغيير على الموقف منذ أن ناقشنا هذه المشكلات معا في نوفمبر ٧٧ · وبعد نقاش طويل أخبرني بأنه اذا علم السوريون بأن خطتنا هي احتلال ١٠ ـ ١٥ كم شرق القناة فانهم لن يوافقوا على دخول الحرب معنا . وأخبرته بأن بإمكاننا أن نقوم بهذه المرحلة وحدنا ، وأن نجاحنا سوف يشجع السوريين للانضمام إلينا في المراحل التالية . ولكنه قال ان هذا الرأي مرفوض سياسيا . وبعد نقاش طويل طلب إليَّ تجهيز خطة أخرى تشمل تطوير الهجوم بعد العبور الى المضائق . وأخبرني بأن هذه الخطة سوف تعرض على السوريين لإقناعهم بدخول الحرب . ولكنها لن تنفذ إلا في ظل ظروف مناسبة . ثم أضاف قائلا « فلنتصور مثلا أن العدو تحمل خسائر جسيمة في قواته الجوية ـ وهو عنصر التهديد الأساسي ـ وأنه قرر سحب قواته من سيناء . فهل سنتوقف نحن على مسافة ١٠ ـ ١٥ كم شرق القناة لأنه ليس لدينا خطة لمواجهة مثل هذا الموقف » ؟

ـ لقد كنت أشعر بالاشمئزاز من هذا الأسلوب الذي يتعامل به السياسيون المصريون مع إخواننا السوريين . ولكني لم أكن لأستطيع أن أبوح بذلك للسوريين · وقد ترددت كثيرا وأنا أكتب مذكراتي هذه . هل أحكي هذه القصة أم لا . وبعد صراع عنيف بيني وبين نفسي قررت بأن أقولها كلمة حق لوجه الله والوطن · ان الشعوب تتعلم من أخطائها . ومن حق الأجيال العربية القادمة أن تعرف الحقائق مهما كانت هذه الحقائق مخجلة ·

(١) لقد استخدم العدو هذا الأسلوب . ولذلك فإنه لم ينجح في تدمير أي رأس كوبري لأية فرقة مشاة ·

ـ قمنا بتجهيز الخطة الجديدة التي لم تكن الا الخطة « جرانيت ٢ » بعد إجراء بعض التعديلات الطفيفة · وبعد أن تم وضع هذه الخطة دمجت مع « الخطة بدر » . التي هي خطة العبور في خطة واحدة . أصبحنا نطلق على خطة العبور لفظ « المرحلة الأولى » وخطة التطوير لفظ « المرحلة الثانية » . ولكي نُعمِّق الفاصل بين المرحلتين فقد كنا عندما ننتقل من شرح المرحلة الأولى الى المرحلة الثانية نقول « وبعد وقفة تعبوية نقوم بالتطوير كذا كذا ... » إن التعبير العسكري « وقفة تعبوية » يعني التوقف إلى أن تتغير الظروف التي أدت الى هذا التوقف . وقد تكون الوقفة التعبوية عدة أسابيع وقد تكون عدة شهور أو اكثر · كنا نشرح ونناقش خطة العبور بالتفصيل الدقيق ثم نمر مرورا سريعا على المرحلة الثانية · لم أتوقع قط أن يطلب الينا تنفيذ هذه المرحلة . وكان يشاركني هذا الشعور قادة الجيوش ويتظاهر بذلك . على الأقل . وزير الحربية · (١)

ـ في خلال شهر سبتمبر ٧٣ قال لي أحمد اسماعيل « اننا سوف نقوم بالحرب فإذا سارت الأمور على ما يرام فان أحدا لن يهتم بتوجيه كلمة شكر لنا . أما إذا تطورت الأمور الى موقف سيء فانهم سيبحثون عن شخص يلقون عليه التبعة » لقد كان أحمد اسماعيل منزعجا وكان يخشى وقوع الهزيمة ويريد أن يؤمن نفسه ضد هذا الاحتمال · لقد طرد من قبل الرئيس عبد الناصر مرتين : المرة الأولى عقب حرب ١٩٦٧ حيث كان يشغل منصب رئيس أركان جبهة سيناء . والمرة الثانية في سبتمبر ١٩٦٩ حيث كان يشغل منصب رئيس أركان حرب القوات المسلحة وقد أثرت هاتان الحادثتان على نفسيته تأثيرا كبيرا . لقد أصبح رجلا يخشى المسؤولية . ويفضل أن يتلقى الأوامر ويخشى أن يصدرها . يفكر في احتمالات الهزيمة قبل أن يفكر في احتمالات النصر · قلت له « أنا شخصيا لا يهمني أن أتلقى كلمة شكر أو لا أتلقى . إذ أن سعادتي في إرضاء نفسي . وإني لا أخشى كلمة لوم . لأني متيقن بأننا سننتصر بإذن الله » · لم تطمئنه كثيرا كلماتي المتفائلة وقال إنه من الأفضل أن يصدر رئيس الجمهورية توجيها يحدد فيه واجب القوات المسلحة . حتى لا يكون هناك خلاف في المستقبل حول هذه الأمور . وانتهت مناقشتنا على أساس أنه سيطلب إلى الرئيس السادات إصدار هذا الأمر · وفي نهاية سبتمبر (قبل بدء العمليات بحوالي أسبوع) استدعاني الوزير الى مكتبه . وسلمني كتاباً لقراءته فأخذت في قراءته فإذا هو توجيه بتوقيع السادات . يحدد واجب القوات المسلحة في العمليات بشكل عام . ولكن هناك جملة واحدة لفتت نظري وهي « حسب إمكانيات القوات المسلحة » كانت هذه الجملة من الناحية النظرية تعني أن القيادة العامة للقوات المسلحة هي التي تملك القرار الأخير في تحديد ما هو ممكن وما هو غير

---

(١) إن هذه النقطة تحتاج الى تدقيق شديد وهناك بعض الآراء المتعارضة في هذا الموضوع ومنها ما يلي :

أ ـ يقول السادات في كتابه إنه رفض طلب الروس والإنجليز وقف اطلاق النار وأنه أخبر السفير الانجليزي . بأنه لن يوقف إطلاق النار قبل أن تحقق القوات أهدافها · (لقد كان يوم ١٣ اكتوبر أقصى ما وصلت اليه القوات المصرية سواء من ناحية الانتصارات أو من ناحية الأرض التي استولت عليها) ·

ب ـ السادات يقول اليوم إن هدف القوات المسلحة خلال حرب اكتوبر ٧٣ كان احتلال ١٠ كم شرق القناة فقط . ويدعي بأنه أخطر الرئيس حافظ الأسد بذلك في حين أن الرئيس حافظ الأسد أكد لي بأن السادات لم يبلغه مطلقا بهذا الموضوع ·

ممكن . لقد كان أحمد اسماعيل سعيدا بهذه الجملة . وإن كان تطور الأحداث فيما بعد قد أثبت أن الرئيس السادات كان أكثر ذكاء عندما كتب هذه الجملة . لأنها تعطيه حق التنصل النهائي من أي قرار تقوم به القوات المسلحة وهي تعلم أنه ليس في طاقتها . وبعد أن قرأت التوجيه قلت لأحمد اسماعيل ضاحكا « مبروك لقد حصلت على ما تريد » وأعدت له الكتاب لأنه كان باسمه . ولكن أحمد اسماعيل بطبيعته الحذرة أعاد الكتاب إليَّ مرة أخرى قائلا « أرجو ان توقع على هذا الكتاب بأخذ العلم » فأخرجت قلمي دون تردد وكتبت عليه « عُلم وسننتصر بإذن الله » ووقعت باسمي وتاريخ التوقيع على الوثيقة . ثم أعدته الى الوزير . هذه هي قصة التوجيه الاستراتيجي التي ذكرها الرئيس السادات في الصفحة رقم ٣٣١ من مذكراته . باسلوب روائي يقول فيه « كنت قبل ذلك في سبتمبر ١٩٧٣ قد أصدرت الأمر الاستراتيجي للقائد العام ووضعت فيه تصوري للهدف الاستراتيجي وقد كان هذا الأمر هو الأول من نوعه في تاريخ مصر الحديث » نعم لقد كان الأمر الأول من نوعه ولكن لماذا ؟ لأنه كانت هناك شكوك خفية - مهما حاول الطرفان إخفاءها - بين رئيس الدولة ووزير الحربية . وإن التناقض في اقوال السادات واضح في هذه النقطة كما هو واضح في نقاط أخرى كثيرة . ففي كتابه في الصفحة رقم ٣٣١ يقول إنه حرر التوجيه الاستراتيجي في سبتمبر ووقع أمر القتال في ٢ أكتوبر . في حين أن الصور الزنكوغرافية المنشورة في الكتاب نفسه - بعد استبعاد الأخطاء اللغوية - في صفحة ٤٤٣ . ٤٤٤ تقول إن تاريخ الوثيقتين هو أول اكتوبر . ٥ اكتوبر على التوالي . بماذا يفسر لنا السادات هذا التناقض الغريب في وثيقتين تاريخيتين يقول عنهما إنهما قمة العلم العسكري !!

إني أعلن للملأ بأن هاتين الوثيقتين مزورتان . ليس لأن الوثائق الرسمية عليها توقيعي الشخصي فحسب . بل لأن هذه الوثائق كتبت على أوراق يتناسب طولها وعرضها مع طول وعرض صفحات الكتاب الذي نشرت به مذكرات السادات .

الباب الثاني

تجهيز واعداد
القوات المسلحة للمعركة الهجومية

انشاء خطوط جديدة للقيادة والسيطرة

ـ ان السيطرة على قوات مسلحة قوامها حوالي مليون ضابط وجندي لهي عمل صعب للغاية . عندما شغلت منصب ر ا ح ق م م كان حجم القوات المسلحة حوالي ٨٠٠٠٠٠ . وقبل اندلاع حرب اكتوبر ٧٣ كانت القوات المسلحة قد بلغت ١٠٠٥٠٠٠٠ (مليونا وخمسين الفا) في الجيش العامل يضاف الى ذلك ١٥٠٠٠٠ كان قد تم تسريحهم وتنظيم استدعائهم خلال السنتين السابقتين للحرب . وبذلك وصل حجم القوات المسلحة الى ١٠٢٠٠٠٠٠ (مليون ومئتي الف ضابط وجندي) ، كان حوالي ٥٨ ٪ منهم لا ينخرط ضمن الوحدات الميدانية . ولا شك ان هذه النسبة تعتبر نسبة عالية اذا ما قورنت بالنسب السائدة في القوات المسلحة الاجنبية . ولكننا اضطررنا الى هذا الموقف نتيجة للعاملين التاليين .

١ ـ ان تفوق العدو الجوي الساحق حعل بامكانه توجيه جماعات منقولة جوا لتدمير وتخريب اهدافنا الحيوية المتناثرة في طول البلاد وعرضها . وان الانفرا ستركشر Infra Structure والأهداف الحيوية في مصر . هي أهداف مثالية لجماعات التخريب المعادية . فهناك مئات الكباري فوق النيل والرياحات والترع . وهناك خطوط انابيب المياه وخطوط انابيب البترول التي تمتد مئات الكيلومترات عبر الصحراء . وكذلك حزانات المياه والنفط ومحطات الضخ والتقوية ومحطات توليد الكهرباء الخ .

٢ ـ ان التوسع المستمر في حجم القوات المسلحة كان يفرض علينا زيادة طاقة المنشآت التعليمية حتى تستطيع ان تلبي مطالبنا المتزايدة في تدريب الكوادر المطلوبة لقواتنا المسلحة . ولا يمكن ان يتحقق ذلك الا بمزيد من تدعيم هذه المنشآت بالضباط وضباط الصف المعلمين والاداريين الذين يرفعون من طاقة هذه المنشآت .

ـ ان هيئة اركان الحرب العامة (هـ ا ح ع) هي جهاز مركب تركيبا غاية في التعقيد . انها تضم حوالي ٥٠٠٠ ضابط و ٢٠٠٠٠ من الرتب الاخرى . وعلى قمة هذا الجهاز يجلس ر ا ح ق م م وتحت امرته المباشرة ٤٠ ضابطا برتبة لواء . كل منهم على قمة فرع او تخصص او ادارة لمعاونة ر ا ح ق م م في السيطرة على القوات . ولتسهيل عملية السيطرة على تلك القوات ذات المليون جندي فقد تم تجميعها تحت ١٤ قيادة هي (البحرية ـ الطيران ـ الدفاع الجوي ـ الجيش الثاني ـ الجيش الثالث ـ قوات المظلات ـ قوات الصاعقة ـ منطقة البحر الاحمر ـ المنطقة الشمالية ـ المنطقة الغربية ـ المنطقة المركزية ـ المنطقة الوسطى ـ المنطقه الجنوبية ـ قطاع بورسعيد) . لقد تعودت في الماضي ان اخلق نوعا من الاتصال المباشر بيني وبين الرجال الذين اقودهم . لم اكن قط من ذلك الطراز من القادة الذين يستمعون الى تقارير مرؤوسيهم المباشرين ويعتمدون عليها اعتمادا كليا في اتخاذ قراراتهم . كنت استمع دائما الى تقارير المرؤوسين المباشرين ولكنني كنت في الوقت نفسه اكمل واتحقق من هذه التقارير عن طريق الاتصال المباشر مع المستويات الصغرى . فعندما كنت قائدا لكتيبة مظلات كنت ازور الضباط والجنود واتحدث معهم يوميا . وعندما اصبحت قائد لواء مشاة كنت ازور

الوحدات الصغرى في كل اسبوع مرة على الاقل · وعندما اصبحت قائدا للقوات الخـ ـة (التي كانت تضم قوات المظلات وقوات الصاعقة) كنت ازور كل وحدة فرعية بمعدل مرة كل اسبوع تقريبا · وعندما توليت قيادة منطقة البحر الاحمر العسكرية المترامية الاطراف ، والتي كانت مواجهتها حوالي ١٠٠٠ كيلومتر كنت ازور جميع رجالي بمعدل مرة كل شهر تقريبا · وخلال هذه الزيارات المستمرة كنت استطيع ان المس قدرات رجالي الحقيقية ، وكنت استطيع ان اعالج نقاط الضعف التي اكتشفها وكنت احقنهم بأفكاري وتعليماتي · وها انا ذا الآن ر ا ح ق م م · فكيف يمكنني ان احافظ على هذا الرباط التاريخي الذي يربطني دائما بجنودي ؟ كان من الواضح ان زيارة جميع الوحدات التابعة لي كما اعتدت فيما سبق ضرب من المحال ، وفي الوقت نفسه اذا انا اعتمدت على سلسلة القيادة التقليدية فأن التقارير التي ستعرض علي لا يمكن ان تجعلني احس بنبض الجنود وافكارهم وقدراتهم · كذلك فأني لن استطيع ان اضمن بأن الجنود يستقبلون تعليماتي بالحماس نفسه الذي اود ان أشعرهم به واستحثهم لتنفيذه · لقد كان بيني وبين كل جندي مقاتل سبع قيادات فلو ان احدى هذه القيادات السبع اهمل او اخطأ في العمل كموصّلٍ جيد بين رؤسائه ومرؤوسيه او بين مرؤوسيه ورؤسائه ـ وهذا احتمال لا يجب استبعاده ـ فأننا لن نضمن تنفيذ تعليماتنا بالاسلوب الذي نبتغيه · ولكي اتغلب على هذه المشكلة وبعد تفكير طويل قررت ان ادخل اسلوبا جديدا لكي اخلق اتصالا مباشرا بيني وبين الضباط والجنود يتناسب مع ظروف قواتنا المسلحة ·

ـ كانت الوسيلة الاولى هي عقد مؤتمر شهري تحت رئاستي وكان يحضر هذا المؤتمر جميع مساعديّ (اربعون ضابطا برتبة لواء) وجميع القادة الرئيسيين (١٤ قائدا) ومع كل منهم القادة المرؤوسون له مباشرة · وعلى سبيل المثال يحضر هذا المؤتمر قائد الجيش ومعه قادة الفرق التي تحت قيادته ، وهكذا كان عدد الحاضرين في هذا المؤتمر يتراوح ما بين ٩٠ الى ١٠٠ قائد ومدير · كان مؤتمرنا يمتد من الساعة التاسعة صباحا حتى الرابعة او الخامسة بعد الظهر يتحلله غداء خفيف نتناوله معا في مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة · لقد كنت حريصا كل الحرص على عقد هذا المؤتمر الشهري مهما كانت الظروف ومهما كانت مشاغلي نظرا لاقتناعي بضرورته وفائدته الكبيرة · وقد كان آخر مؤتمر شهري عقدته قبل بدء حرب اكتوبر ٧٣ هو المؤتمر رقم ٢٦ الذي عقد بتاريخ ٢٢ سبتمبر ٧٣ ، وكان ذلك قبل بدء الحرب باسبوعين فقط · وهناك تسجيل كامل لكل من هذه المؤتمرات يشمل جميع المواضيع التي نوقشت والقرارات التي اتخذت · لقد كنت اعرف من خبرتي السابقة كضابط ميداني انه يوجد دائما ازمة ثقة بين الضباط الميدانيين وضباط اركان الحرب في القيادات العليا ، فالضباط الميدانيون كانوا دائما ينعتون ضباط اركان الحرب بالبيروقراطية وعدم الواقعية وانهم دائماً يريدون أن يفرضوا سلطاتهم على الضباط الميدانيين بواسطة تعليمات سخيفة وغير قابلة للتنفيذ ، اما ضباط اركان الحرب فأنهم يتهمون الضباط الميدانيين بالاسراف الشديد والتبذير وعدم مراعاة التعليمات الفنية والادارية في استخدام المعدات مما يؤثر على كفاءتها وصلاحيتها . وان الضابط الميداني عندما يتلف سلاحه او معداته فأنه يرمي بها الى الخلف ويطالب بسرعة اصلاحها او صرف اخرى جديدة بدلا منها ، وان امكانيات الدولة لا تسمح لضباط

اركان الحرب بتلبية مثل هذا الاسراف والتبذير الذي يمارسه الضباط الميدانيون · كان واجبي وانا على قمة الجهازين ان اخلق جوا من الثقة بين المجموعتين حتى يتم التعاون بين الجميع بما فيه صالح القوات المسلحة · لقد كان هذا المؤتمر يتم باسلوب ديمقراطي سليم · كان اي قائد او مدير يعرض مشكلته ويناقش جميع جوانبها ثم ادعو الجانب الآخر الى الرد على وجهة نظره . ويشترك الحاضرون في ابداء الرأي ثم نتخذ القرار في النهاية بعد ان يكون الموضوع قد اشبع بحثا · ونتيجة لهذه اللقاءات اكتشف كل من الجانبين انه كان يغالي في عيوب الجانب الآخر فأخذ القادة الميدانيون يدركون اهمية القيود المفروضة عليهم . كما ان ضباط اركان الحرب والمديرين اصبحوا اكثر الماما وتجاوبا مع مطالب القادة الميدانيين · وفضلا عن هذا وذاك فأن هذه اللقاءات وتناول الغداء معا وتجاذب الحديث في فترات الراحة بعيدا عن الرسميات خلق جوا من الصداقة بين الطرفين مما كان له الاثر الاكبر في اذابة الثلوج التي كانت تفصل بين الطرفين · كانت هذه اللقاءات فرصة لحل معظم المشكلات التي تفرض علينا . اما المشكلات المعقدة التي كانت تحتاج الى دراسة مطولة فكنت اشكل لجنة مشتركة من الطرفين تقوم بدراستها وتعرض علينا ما توصلت اليه في مؤتمرنا التالي ·

- وعن طريق هذه المؤتمرات الشهرية امكنني ان اخلق اتصالا مباشرا بيني وبين مستويين من القيادة . ولكن هذا يعني انه ما زال هناك خمسة مستويات في القيادة تفصل بيني وبين الجندي المقاتل · ولخلق هذا الاتصال قررت ان اصدر توجيهات مكتوبة تصل الى مستوى قائد السرية (١) · وعن طريق هذه التوجيهات اصبح باستطاعتي ان اسمع صوتي الى ثلاثة مستويات قيادية اخرى ·

لم تكن هذه التوجيهات تصدر بطريقة دورية او باسلوب تقليدي . او يكتبها شخص متخصص ثم يوقع عليها ر ا ح ق م م لاعطائها الصورة الرسمية · لقد كنت اكتبها بنفسي واصدرها طبقا للظروف والاحداث · وان كل توجيه اصدرته كان وراءه قصة او حادث او أخطاء ارتكبت بواسطة بعضهم ولا اريد لها ان تتكرر من قبل الآخرين . لا بمجرد القول بأن هذا خطأ بل بتحليل اسباب الخطأ وتعليم الآخرين كيف يتصرفون في مثل هذه الظروف · وعن طريق هذه التوجيهات وضعت افكاري وبصماتي في عقول رجال القوات المسلحة . ليس بالكلام المنمق الانشائي ولكن بواسطة الكلمات العلمية الرزينة التي تصدر من ضابط مجرب الى اشبال يتمنى ان يكونوا افضل منه في حمل راية الحرب والحرية · وكنت عندما ازور مختلف القوات اسأل الضباط والجنود عما ورد في توجيهاتي وشيئا فشيئا وجدت ان الضباط الاصاغر والجنود قد ارتبطوا بي فكريا عن طريق هذه التوجيهات وانهم كانوا ينفذونها بدقة وحماس ·

لقد كان يوم ٨ اكتوبر ٧٣ من اسعد ايام حياتي وذلك عندما كنت ازور وحداتنا في شرق القناة وكان الضباط والجنود يهتفون ويصيحون كلما رأوني بينهم

---

(١) السرية هي وحدةفرعية يقودها ضابط برتبة نقيب ويتراوح الجنود الذين يعملون تحت قيادته ما بين ٥٠ ـ ١٠٠ ضابط صف وجندي حسب كل تخصص في القوات المسلحة ·

« عاش التوجيه رقم ٤١ » « لقد تبعنا تعليماتك في التوجيه رقم ٤١ بالحرف الواحد » الخ .(١)
وفي حلال الفترة ما بين يوليو ٧١ و سبتمبر ١٩٧٣ كنت قد أصدرت ٤٨ توجيها . وفي خلال الحرب اصدرت توجيهات اخرى كان اولها هو التوجيه رقم ٤٩ وكان عنوانه « خبرة الحرب في قتال المدرعات » وقد صدر يوم ١٥ اكتوبر بعد معركة الدبابات التي وقعت في اليوم السابق وخسرنا فيها ٢٥٠ دبابة . وقد كان آخر توجيه اصدرته قبل أن يعزلني السادات (٢) من منصبي هو التوجيه رقم ٥٣ الصادر بتاريخ ٣٠ نوفمبر ٧٣. لقد كانت هذه التوجيهات ذات فائدة كبيرة لتثقيف وتعليم القادة الأصاغر والجنود لأن الكثير منها كان يعالج التكتيكات الصغرى التي كانت تعتبر من نقط الضعف الرئيسية في قواتنا المسلحة .

- كما سبق ان قلت كانت توجيهاتي تصل الى مستوى قائد السرية وبذلك استطعت ان اخلق ارتباطا مباشرا بيني وبين خمس مستويات قيادية . ولكن كيف يمكنني ان اصل الى الجندي وضابط الصف وقائد الفصيلة . في القوات المسلحة يعتبر قائد السرية هو المعلم الاول للسرية ولكن في قواتنا ذات المليون رجل . كان لدينا اكثر من عشرة آلاف قائد سرية أو ما يعادله . ولا يمكن ان نضمن . مع التوسع الكبير والسريع في القوات المسلحة . ان جميع الافراد في هذا العدد الضخم هم من القادة والمعلمين الاكفاء . ان اي ضعف او تقصير من قائد السرية ينعكس مباشرة على الجنود . وهذه حقيقة نلمسها دائما في القوات المسلحة فاذا كان القائد جيدا فأن الوحدة تكون دائما جيدة . واذا كان القائد سيئا فأن الوحدة تكون دائما سيئة . ولمساعدة قائد السرية في مهمته قررت ان اصدر كتيبات صغيرة توزع على كل جندي تعالج بعض المواضيع التي تخص الجندي بصفة مباشرة . وفي خلال عملي ر ا ح ق م م اصدرت ٨ كتيبات . ستة منها قبل الحرب والاثنين الآخرين اصدرتهما بعد وقف اطلاق النار . وكانت الكتيبات الستة الاولى هي : دليل الجندي - دليل السائق - دليل نقاط المراقبة الجوية - التقاليد العسكرية - دليل التائهين في الصحراء - عقيدتنا الدينيه طريقنا للنصر . اما الكتيبان الاخران اللذان صدرا بعد وقف اطلاق النار فكان الاول هو دليل القادة الاصاغر لضباط المشاة والمشاة الميكانيكية صدر بتاريخ ٥ ديسمبر ٧٣ . وكان الثاني هو « دليل القادة الأصاغر في وحدات المدرعات » وقد قمت بمراجعته للمرة الثالثة والاخيرة ودفعته للطباعة يوم ١١ ديسمبر ٧٣ .

- لقد كانت هذه الكتيبات في حجم صغير يسمح بوضعه في الجيب حتى يستطيع الجندي ان يقرأه في الوقت الذي يحلو له . وقد قمنا بطبع مليون ومائتي الف نسخة من كتيب « عقيدتنا الدينية طريقنا للنصر » وكانت تعليماتي تنص على ان يحمله الجندي معه وهو في المعركة وكان يوزع على كل فرد من افراد الاحتياط عندما يذهب الى مراكز التعبئة . وقد حدث ان استولت اسرائيل على بعض نسخ هذا الكتيب الذي كان مع من وقعوا اسرى من رجالنا اثناء الحرب . فحاولت ان تسيء تفسير بعض فقراته وتدعي انني اصدرت تعليماتي

(١) - التوجيه رقم ٤١ هو التوجيه الذي ينظم عملية عبور قناة السويس بواسطة فرقة مشاة .

(٢) - تم عزلي من منصبي يوم ١٢ ديسمبر ٧٣ . وان كان السادات يدعي انه عزلني يوم ١٩ اكتوبر ١٩٧٣ .

الى الجنود· بقتل الاسرائيليين اذا وقعوا اسرى في ايدينا . وقاموا بحملة كبيرة ضدي . ثم قاموا بترجمة ممسوخة لبعض صفحات هذا الكتيب مما يجعل المعاني تختلط على القارىء · ولم يتحرك النظام المصري للرد على هذه التهم . وكأن الامر لا يعنيه . الى ان عينت سفيرا لمصر في لندن فقمت بصفتي الشخصية بتكذيب هذه الادعاءات الباطلة لأنها تتعارض مع ديننا وتقاليدنا العربية · لقد لعبت هذه الكتيبات دورا مهما في تثقيف الجنود والضباط الأصاغر وتوجيههم . ولكن مما لا شك فيه ان الكتيبين الأخيرين يعتبران ذات قيمة كبيرة جدا · لقد بينت فيهما ـ وعلى ضوء خبرة الحرب ـ كيف يمكن لقائد الفصيلة والسرية ان يتصرف في كثير من المشكلات التي تواجهه · لقد كان طبيعيا في قواتنا المسلحة المصرية ان نجد ضابطا برتبة ملازم او نقيب يتكلم بطلاقة وعلم غزير كيف يقاتل اللواء او كيف تقاتل الكتيبة ولكنه في الوقت نفسه لا يعرف كيف يقاتل بفصيلته او سريته اذا كان يعمل مستقلا بعيدا عن التشكيلات المتراصة للواء او الفرقة . فكانت هذه الكتيبات والكثير من التوجيهات التي اصدرتها خير علاج لهذا الموقف الخطير ·

(الفصل السادس)

تشكيل وحدات جديدة

ـ ان عملية بناء القوات المسلحة لم تتوقف قط منذ هزيمة يونيو ٦٧ حتى اكتوبر ٧٣ · عندما تسلمت منصب ر ا ح ق م م كانت القوات المسلحة تضم حوالي ٨٠٠٠٠٠ رجل (٣٦٠٠٠ ضابط و ٧٦٤٠٠٠ رتبة اخرى) وفي اكتوبر ٧٣ كانت القوات المسلحة قد وصلت الى ١,٢٠٠٠٠٠ رجل (٦٦٠٠٠ ضابط و ١,١٣٤٠٠٠ رتبة اخرى) ·

ان تجنيد وتدريب ٣٠٠٠٠ ضابط و ٣٧٠٠٠٠ من الرتب الاخرى في فترة تزيد قليلاً عن السنتين يعتبر عملاً صعباً وشاقاً . فكيف استطاعت مصر ان تقوم بهذا العمل الكبير ؟

ـ لقد كانت مشكلة الضباط هي مشكلة المشكلات · لقد كانت وحداتنا تشكو من النقص في الضباط بنسبة تتراوح بين ٣٠٪ و ٤٠٪ وكان اجمالي النقص العام في القوات المسلحة يصل الى حوالي ١٥٠٠٠ ضابط . فاذا اضفنا الى هذا الرقم ما نحتاجه من ضباط للوحدات الجديدة التي سوف تنشأ خلال العامين التاليين . فقد قدرنا هذا الرقم بحوالي ١٥٠٠٠ ضابط آخر ومعنى ذلك أنه يتحتم علينا لكي نستكمل مرتبات الوحدات من الضباط اعداد ٣٠٠٠٠ ضابط في خلال سنتين · وبحساب طاقة كلياتنا العسكرية المتخصصة في تدريب الضباط . اتضح لي ان اقصى طاقة تعمل بها هذه الكليات هو ٣٠٠٠ ضابط كل عام . وهذا يعني أننا نحتاج لعشر سنوات على الأقل اذا أردنا أن تحل هذه المشكلة بالوسائل التقليدية (١) · ومن ناحية اخرى فأنه لا يجوز السكوت على هذا الموقف . لأن العجز في كوادر الضباط يؤثر تأثيراً خطيراً على كفاءة القوات المسلحة · ان الضابط هو القائد والمعلم لجنوده . فمن الذي يعلّم الجندي

(١) اذا حسبنا الخسائر العادية في الضباط نتيجة الوفاة والاحالة على التقاعد خلال هذه السنوات العشر وضرورة تعويضهم فان هذا يعني أننا قد نحتاج الى حوالي ١٢ سنة ·

ومن الذي يقوده اذا لم يتواجد هذا الضابط ؟ لكي أجد مخرجاً لهذا الموقف قررت أن انشيء كوادر جديدة من الضباط يطلق عليها « ضابط حرب » هذا الضابط يتم انتقاؤه من بين الجنود المثقفين ويجري تدريبه تدريباً مركزاً لمدة ٤ ـ ٥ شهور في تخصص واحد بحيث يصبح على مستوى عال في تخصصه على ان تكون معلوماته العامة عن التخصصات الاخرى محدودة وبالقدر الذي يسمح له بالتعاون مع تلك التخصصات (١) ٠ ان تدريب هذا الضابط يهدف الى تأهيله لتولي وحدة صغرى وأن يبقى بها الى أن تنتهي الحرب فيتم تسريحه ٠ وعند البحث عن المثقفين من بين الجنود اتضح لي وجود ٢٥٠٠٠ جندي أو ضابط صف حائز على درجة جامعية ، فكان من البديهي أن يكون هؤلاء الجنود هم القاعدة التي يمكن أن ننتقي منها هؤلاء المرشحين للتأهيل لرتبة ضابط ٠ كنت متحمساً لهذا المشروع لأنه لم يكن يحل لنا مشكلة الضباط فحسب بل لأنه كان سوف يساعدنا على حل احدى مشكلات الضبط والربط ٠ لقد كان هؤلاء الجنود المثقفون دائمي الشجار مع قادتهم من الضباط الأصاغر الذين كانوا في كثير من الأحيان أقل منهم سناً وثقافة عامة ٠ وكانت المشكلات تزداد بين الطرفين اذا تصادف وجود سابق معرفة بين الضابط والجندي قبل الانخراط في الجندية ، سواء عن طريق المدرسة أو عن طريق الانتماء الى قرية واحدة أو حي واحد ٠

كان في اعتقادي أن الجنود المثقفين سيرحبون بهذه الخطوة ، ولكني فوجئت بعدم تحمسهم لهذا المشروع فقد كانت الغالبية منهم تفضل البقاء برتبة جندي أو ضابط صف ٠ كانوا يتصورون أن ترقيتهم لرتبة ضابط قد تربطهم بالقوات المسلحة فلا يسرحون من الخدمة عندما يحين أجل تسريح دورتهم ، وقد قمت باجراء عدة لقاءات معهم لكي أشرح لهم الموقف والدوافع لهذا المشروع ووعدتهم أن تسريح الضباط منهم لن يتأخر يوماً واحداً عن ميعاد تسريح الجنود من دفعته ٠ وبعد الكثير من التوعية أقبل الكثيرون منهم على التطوع وأمكن تأهيل وترقية ١٥٠٠٠ رجل منهم الى رتبة الملازم ٠ كما قمنا بتأهيل ١٠٠٠٠ آخرين من بين خريجي الجامعات الذين جندوا عام ٧١ و٧٢ ، وبذلك كان لدينا قبل يونيو ٧٣ « ٢٥٠٠٠ ضابط حرب » أضف الى ذلك ٥٠٠٠ ضابط عادي تم تدريبهم وتأهيلهم في الكليات العسكرية فأصبح اجمالي ما تم تأهيله وتدريبه خلال سنتين هو ٣٠٠٠٠ ضابط ٠ وقبل بدء العمليات في اكتوبر ٧٣ لم تكن القوات المسلحة قد استكملت كوادرها من الضباط فحسب بل وكان لدينا فائض يقدر بحوالي ١٪ ـ ٢٪ في كل تخصص لمقابلة الخسائر المحتملة في اثناء القتال ٠

ـ ان تجنيد الجندي وتأهيله هما عملية أقل صعوبة من مشكلة انتقاء وتأهيل الضباط ولكنها مع ذلك لم تكن عملية بسيطة ٠ لقد جنّدنا ما بين يونيو ٧١ ويونيو ٧٣ حوالي ٤٠٠٠٠٠ شاب ، حتى يمكننا أن نستكمل وحداتنا التي كانت قائمة فعلاً ولكي نواجه المتطلبات المتعلقة بانشاء وحدات جديدة ٠ ان مصر ذات الـ ٣٥ مليون كانت من الناحية الواقعية ، عاجزة عن امداد قواتها المسلحة سنوياً بحوالي ١٦٠٠٠٠ شاب ذي مستوى ثقافي وصحي

---

(١) ان التدريب العادي للضباط يشمل تأهيل الضابط لتولي قيادات متعددة ، ونتيجة لذلك فإنه يدرس اسلوب ادارة المعركة المشتركة ، مما يترتب عليه إجراء دراسة عامة لكل التخصصات قبل أن يتخصص بصفة نهائية في أحدها ٠

يتناسبان مع متطلبات القوات المسلحة . لقد كان الشبان الذين يصلون الى سن التجنيد سنوياً هو حوالي ٣٥٠،٠٠٠ (ثلاثمائة وخمسين ألفاً) ونظراً لانخفاض المستويين الثقافي والصحي بين المجندين لم نكن نستطيع أن نحصل من بينهم على اكثر من ١٢٠،٠٠٠ شاب ممن ينطبق عليهم الحد الأدنى من المستويات الثقافية والصحية ، وهكذا كانت احتياجاتنا الفعلية تفوق مواردنا بحوالي ٤٠،٠٠٠ رجل سنوياً . وأمام هذا الموقف وجدت نفسي مضطراً الى قبول مستويات أقل ثقافياً وطبياً رغم المعارضة الشديدة التي أثارها رجال الخدمات الطبية حول خفض مستوى اللياقة الطبية . كذلك حاولت أن أفتح مجال التطوع امام المرأة للإنضمام الى القوات المسلحة ولكن نظراً لأن مثل هذا القرار يعتبر من المواضيع الاجتماعية التي تهم كل أسرة فقد طرحت هذا الموضوع للمناقشة في أحد اجتماعاتي الشهرية فأثار اهتمام الجميع . وكانت الغالبية العظمى ضد أي اتجاه للتوسع في فتح الباب للمرأة للانضمام الى القوات المسلحة . وأخيراً استقر الرأي على ان نفتح باب التطوع أمام المرأة لكي تشغل وظائف السكرتارية على أن تقتصر على العمل في القواعد الخلفية وألا ترسل الى المناطق الأمامية أو المناطق النائية . وهكذا فتحنا باب التطوع للنساء في القوات المسلحة للقيام بأعمال السكرتارية واستقبلنا الفوج الأول منهن خلال عام ٧٣ وتخرجت الدفعة الأولى في نوفمبر ١٩٧٣ .

ـ وبإضافة ٣٠،٠٠٠ ضابط ، ٣٧٠،٠٠٠ رتبة أخرى الى القوات المسلحة كان في استطاعتنا أن ننشيء مئات الوحدات خلال العامين ما قبل اكتوبر ٧٣ . وانني لن أقوم بحصر هذه الوحدات وتعدادها نظراً لكثرتها ولكني سأذكر فقط بعضاً من هذه الوحدات التي ارتبط تشكيلها بخطة العبور ارتباطاً وثيقاً ، كاللواء البرمائي AMPHIBIOUS BRIGADE لقد بدأنا نفكر بإنشاء هذا اللواء في أواخر عام ١٩٧١ واتخذ قرار إنشائه في يناير ١٩٧٢ . لقد كان الغرض من انشاء هذا اللواء هو دفعه في عمق العدو عبر البحيرات أو البحر بمهمة شل مراكز قيادة العدو وتعطيل تقدم احتياطياته من العمق . لقد كنا نعلم أن المعديات التي ستقوم بنقل دباباتنا الى الشاطيء الآخر لن تكون جاهزة للعمل قبل سعت س + ٥ ساعة في حين ان اللواء البرمائي يستطيع أن يعبر البحيرات في أقل من ساعة بأعداد كبيرة من الدبابات والعربات مما يشكل تهديداً خطيراً لقيادات العدو وتحرك احتياطياته . لقد شكلنا هذا اللواء على غرار الوحدات الخاصة وزودناها بحوالي ٢٠ دبابة برمائية و٨٠ مركبة برمائية لنقل المشاه الميكانيكية MICV . وفي ١٥ يونيو ٧٢ أصدرت التوجيه رقم ١٦ الذي ينظم عمل هذا اللواء وكان هذا التوجيه ينظم الأسلوب الذي تعمل به الكتائب البرمائية عبر المسطحات المائية . وقد أتبعت هذا التوجيه ببيان عملي تم اجراؤه في ٢٨ أغسطس ٧٢ وبحلول اكتوبر ٧٢ كان اللواء قد تم تدريبه وقام بأول مشروع تدريبي ليلي في ليلة ٢٢ / ٢٣ اكتوبر ٧٢ . وفي خلال عام ١٩٧٣ استمر اللواء في تدريباته بأسلوب أكثر عنفاً ، وقد وصل مستواه الى الحد الذي جعله يستطيع أن يبقى بمركباته في الماء لمدة تصل الى ٦ ساعات متتالية . وفي ليلة ١٨ / ١٩ يوليو ٧٣ قررت أن اختبر كفاءة هذا اللواء بمشروع تدريبي يكون أكثر صعوبة من الواجب الذي سوف نكلفه به اثناء العمليات . وقد كان المشروع يشمل النقاط التالية :

١ ـ من منطقة تجمع قريبة من شاطىء البحر الأبيض تنزل كتائب اللواء الى الماء ليلاً ثم تسبح لمسافة ٣٠ كم ثم تخرج الى الشاطىء عند نقاط محددة وفي توقيتات محددة ٠

٢ ـ تتقدم بعد ذلك في العمق حيث تقوم بتدمير مواقع العدو كما تقوم بصد وعرقلة احتياطيات العدو المتقدمة من العمق ٠

ـ لقد كانت المهمة التدريبية لاختبار اللواء اكثر صعوبة من واجب العمليات ٠ لقد كان واجب العمليات يتضمن عبور اللواء مسطحاً مائياً يتراوح ما بين ٥ ـ ١٠ كم بينما كان المشروع التكتيكي يتطلب منه عبور ٣٠ كم . ولكني كنت دائماً وما زلت أؤمن بضرورة التدريب الشاق حتى لا يفاجأ الجنود بظروف لم يتهيأوا لمجابهتها ٠ لقد بقيت مع عناصر اللواء طوال الليل . وقد نجحت إحدى الكتائب في تنفيذ مهمتها بينما ضلّت الكتيبة الأخرى اتجاهها واستطاعت بصعوبة أن تصل الى الشاطىء في غير المكان المحدد لها بعد ان فقدت مركبتين وعشرة أفراد ٠ وفي صباح اليوم التالي تمكنا من انقاذ سبعة أفراد من العشرة المفقودين وثبت لدينا غرق الباقين ٠ وعلى الرغم من خسائرنا في الأفراد والمركبات فقد تعلمنا دروساً جديدة واكتسب الضباط والجنود ثقة أكبر بدباباتهم ومركباتهم ٠ وبعد أقل من ٨٠ يوماً عوضنا الله عن تلك الأرواح الثلاثة عوضاً كريماً ٠ لقد كان ثمن هذه الأرواح هو المجد والكبرياء لرجال اللواء البرمائي ٠ لقد عبر اللواء البحيرات المرة يوم ٦ اكتوبر ٧٣ في أقل من ساعة زمنية وكان معه ٢٠ دبابة ، ٨٠ مركبة برمائية . دون أية خسائر في المعدات أو الرجال ٠ وعندما تلقيت هذا الخبر السعيد وأنا في غرفة العمليات حوالي الساعة ١٥٠٠ يوم ٦ اكتوبر تذكرت الشهداء الثلاثة الذين فقدناهم في التدريب وصليت من أجلهم ٠

ـ لقد كان انشاء وحدات المهندسين يحظى لدينا دائماً بالأولوية ٠ ان عبور القناة هو في المقام الأول عملية مهندسين ٠ لقد كان يتحتم على المهندسين طبقاً للخطة أن يقوموا بتنفيذ المهام التالية :

١ ـ فتح ٧٠ ثغرة في الساتر الترابي على الجانب البعيد كل منها ١٥٠٠ م٣

٢ ـ انشاء ١٠ كباري ثقيلة لعبور الدبابات والمدافع والدبابات الثقيلة ٠

٣ ـ انشاء ٥ كباري خفيفة حتى يمكنها ان تجتذب نيران العدو . وبالتالي تخفف من هجوم العدو على الكباري الرئيسية ٠ كانت هذه الكباري تشبه الكباري الثقيلة تماماً ولكن حمولتها كانت أربعة أطنان فقط ٠

٤ ـ بناء ١٠ كباري اقتحام لعبور المشاة (١) ٠

٥ ـ تجهيز وتشغيل ٣٥ معدية ٠

٦ ـ تشغيل ٧٢٠ قارباً مطاطياً لعبور المشاة ٠

ـ وكانت جميع هذه المهام تتم تقريباً في وقت واحد فقد كنا نفترض ان يتم فتح هذه الثغرات خلال ٥ ـ ٧ ساعات وتبدأ المعديات بالعمل بمجرد اتمام فتح هذه الثغرات بينما يتم تركيب الكباري بعد ذلك بحوالي ساعتين ٠ وبالاضافة الى عظم حجم هذه الأعمال وقصر

---

(١) قامت ادارة المهمات ببناء هذه الكباري

الوقت المخصص لانجازها يجب ألا ننسى أن جميع هذه الأعمال كانت تتم تحت نيران العدو وهجماته المتكررة · لذلك كان من واجبنا أن نقوم بعملية حساب دقيقة نستطيع بها ان نحدد حجم الوحدات المطلوبة · ان عدد وحدات المهندسين التي ساهمت في عملية عبور القناة بطريق مباشر تصل الى حوالي ٣٥ كتيبة مهندسين من مختلف التخصصات · وان نجاح القوات المسلحة في تشكيل وتدريب وحدات المهندسين اللازمين لعملية العبور هو المفاجأة الكبرى في هذه الحرب لأن جميع دول العالم الصديقة منها والعدوة كانت تعتقد باستحالة التغلب على هذه المشكلات · ولقد سعدت كثيراً عندما قرأت مذكرات الجنرال اليعازر راح ق·م الاسرائيلية خلال حرب اكتوبر عندما تكلم عن هذه النقطة · قال اليعازر انه اثناء مناقشة على مستوى القيادة الاسرائيلية لدراسة احتمال عبور المصريين للقناة قال دايان وزير الحربية « لكي يعبر المصريون قناة السويس فإنه يلزمهم سلاح المهندسين الأميركي والسوفياتي مجتمعين لمساعدتهم في ذلك » · ان هذه شهادة نعتز ونفخر بها . وإني لا ألوم دايان على المبالغة ، لأني أعرف جيداً مدى المجهود الذي بذل لتحقيق هذه المفاجأة !

مشكلات العبور وكيف تم التغلب عليها (الفصل السابع)

ـ ان تحضير وتجهيز القوات المسلحة للمعركة الهجومية لم يكن قاصراً على انشاء وتدريب وحدات جديدة تقليدية · ان عبور قناة السويس يعتبر من العمليات العسكرية ذات الطابع الخاص · ان التنظيم العادي والتسليح العادي والعقائد العسكرية السائدة كل ذلك لم يكن ليقدم حلولاً لعملية العبور التي تواجهنا · لذلك كان يجب علينا أن نلجأ الى خيالنا وخبراتنا في جميع المجالات لكي نوجد حلولاً للمشكلات التي تواجهنا · لقد أدخلنا الكثير من التعديلات في تنظيمات بعض وحداتنا القائمة . كما قمنا بانشاء وحدات جديدة ذات تنظيم معيّن لكي تكون قادرة على القيام بمهام محددة · كذلك أدخلنا بعض المعدات الجديدة ضمن تنظيم وحداتنا . وكان بعض هذه المعدات من أحدث وأرقى المعدات المستخدمة في العالم وفي الوقت نفسه لجأنا الى بعض المعدات البدائية التي كانت تستخدم في العصور القديمة · وبينما كان كل ذلك يجري في وقت واحد كان علينا أن نختبر هذه التنظيمات الجديدة . وهذه المعدات والمهمات الجديدة وهذه العقائد الجديدة اختباراً ميدانياً تحت ظروف أقرب ما تكون الى الظروف الواقعية التي سوف تواجهنا · وقد أجرينا مئات التجارب وأدخلنا العديد من التعديلات على افكارنا وتنظيماتنا ومعداتنا · قبل أن نستقر على قرار نهائي في أي من هذه المواضيع ·

قناة السويس كمانع مائي

ـ لم تعد الأنهار والقنوات تشكل عائقاً كبيراً أمام الجيوش الحديثة بعد تطوير أسلحة القتال وادخال الدبابات والمركبات البرمائية والدبابات التي تستطيع الغوص في الماء والسير على قاع

المانع المائي ضمن تنظيم القوات البرية • لقد أصبح في مقدور القوات البرية أن تقتحم المانع المائي بالهجوم من الحركة وعلى مواجهة واسعة وذلك بأن تدفع القوات الرئيسية أمامها بمفرزة برمائية تقوم بأنشاء رأس كوبري ويتبعها المهندسون الذين ينشئون الكوبري الذي تعبر عليه القوات الرئيسية عند وصولها إلى المانع المائي • واذا كان ذلك ينطبق على جميع الموانع المائية فأنه لا ينطبق من قريب أو بعيد على قناة السويس حيث أنها مانع مائي من نوع فريد في طبيعته وقد أضاف اليها العدو علاوة على ذلك كثيراً من العوائق الصناعية مما جعلها تبدو في أعين الكثيرين من العسكريين مانعاً مائياً لا يمكن اقتحامه • ويمكن وصف قناة السويس كمانع مائي ، باختصار ، بالنقاط التالية :

١ ـ مانع مائي صناعي عرضه يتراوح ما بين ١٨٠ ـ ٢٠٠ متر • وأجنابها حادة الميل ومكسوة بالدبش والحجارة لمنع انهيار الأتربة والرمال الى القاع ، وهذا يجعل من الصعب على أية دبابة برمائية أن تعبرها إلا اذا تم نسف أكتاف الشاطىء وتجهيز منزل ومطلع تستطيع المركبة البرمائية أن تستخدمهما في النزول الى الماء والخروج منه • (الشكل رقم ١) •

٢ ـ قيام العدو بإنشاء سد ترابي على الضفة الشرقية للقناة وبارتفاع يصل في الاتجاهات المهمة الى ٢٠ متراً ، مما يجعل من المستحيل عبور أية مركبة برمائية الى الشاطىء الآخر الا بعد إزالة هذا السد • وقد عمل الإسرائيليون بجد في تعلية هذا السد وزحزحته الى القناة حتى أصبح ميل هذا السد الترابي يتقابل مع ميل شاطىء القناة ، أي أنه لم يكن هناك أي مصطبة أو كتف ظاهر لشاطىء القناة من ناحية العدو • وكان ميل هذا السد يتراوح بين ٤٥ ـ ٦٥ درجة طبقاً لطبيعة التربة في كل قطاع (الشكل رقم ٢) •

٣ ـ وعلى طول هذا السد الترابي بنى الإسرائيليون خطاً دفاعياً قوياً أطلق عليه خط بارليف BAR-LEV LINE وقد كان خط بارليف يتكون من ٣٥ حصناً تتراوح المسافة بين كل منها ما بين كيلومتر واحد في الاتجاهات المهمة و ٥ كيلومترات في الاتجاهات غير المهمة على طول القناة • أما في منطقة البحيرات فقد كانت هذه الحصون اكثر تباعداً إذ وصلت الى ١٠ ـ ١٥ كم بين كل حصن وآخر • كانت هذه الحصون مدفونة في الأرض وذات أسقف قوية تجعلها قادرة على أن تتحمل قصف المدفعية الثقيلة دون أن تتأثر بذلك • وكان يحيط بها حقول الغام وأسلاك كثيفة يمكن غمر القناة من مزاغل الدشم بنيران كثيفة ـ وما بين هذه الحصون كان هناك مرابض نيران للدبابات بمعدل مربض كل ١٠٠ متر • كان العدو لا يحتل هذه المرابض بصفة دائمة ، كان يحتلها فقط في حالات التوتر . وكان في استطاعة دبابات العدو أن تتحرك ما بين مربض وآخر وهي مستورة تماماً عن النظر والنيران من جانبنا • وكانت حصون خط بارليف لديها الاكتفاء الذاتي لمدة ٧ أيام ولديها وسائل اتصال جيدة مع قيادتها الخلفية • وأما القوات المخصصة لاحتلال خط بارليف فكانت لواء مشاة وثلاثة ألوية مدرعة • كان لواء المشاة (حوالي ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ رجل) يحتل الحصون بينما كانت الألوية المدرعة (٣٦٠ دبابة) تخصص حوالي ثلث قوتها للعمل كاحتياطيات قريبة تتمركز على مسافة ٥ ـ ٨ كيلومترات شرق القناة ، أما باقي المدرعات فكانت تتمركز على مسافة ٢٥ ـ ٣٠ كم شرق القناة • لقد قدرنا أنه لو أمكننا تحقيق المفاجأة التامة وبدأنا القتال دون أن يعدل العدو

الشكل رقم ١

رسم تخطيطي يبين الاكتاف الخرسانية لقناة السويس التي يتحتم نسفها لامكانية عبور المركبات البرمائية

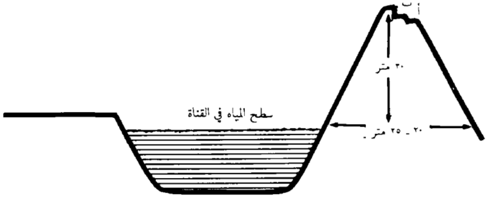


أ = الكتف الخرساني الذي كان يجب علينا نسفه في الجانب العربي للقناة

ب = الكتف الخرساني الذي كان يجب علينا نسفه في الجانب الشرقي للقناة

الشكل رقم ٢

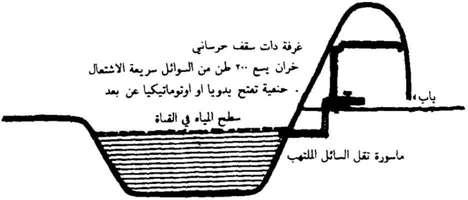
رسم تخطيطي يبين الساتر الترابي الذي بناه العدو على طول الشاطىء الشرقي لقناة السويس



أ = طريق على مقربة من قمة الساتر الترابي ويسمح لدبابات العدو من التحرك عليه دون ان نستطيع رؤيتها من الجانب العربي للقناة

ب = مصطبة من صمن مئات المصاطب التي تنتشر على طول الطريق أ بمعدل مصطبة كل حوالي ١٠٠ متر . وعندما تحتل الدبابة المعادية هذه المصطبة فأنها تكون مختفية تماما ولا يظهر منها سوى فوهة مدفعها . وتستطيع الدبابة ان تطلق من هذه المصطبة عدد من الطلقات ثم تختفي لكي تظهر على مصطبة اخرى بعد ذلك

الشكل رقم ٢
رسم تخطيطي يبين اسلوب العدو في اشعال النيران على سطح المياه



من أوضاعه فمن المنتظر أن يقوم العدو بهجمات مضادة ضد قواتنا العابرة بواسطة سرايا أو كتائب دبابات في خلال ١٥ ـ ٣٠ دقيقة من بدء الهجوم . وأن يقوم بهجوم مضاد بواسطة اللواءات المدرعة في حدود ساعتين · أما اذا شعر العدو بتحضيراتنا للهجوم فقد ينجح في احتلال الفراغات التي تفصل بين الحصون بواسطة دباباته وبذلك يمكنه أن يكبدنا خسائر كبيرة أثناء عملية العبور علاوة على إمكانية قيامه بهجمات مضادة على قواتنا التي تنجح في العبور بعد فترات تقل كثيراً عما سبق ذكره ·

٤ ـ كأن كل هذه الموانع والعوائق لم تكفِ لكي تبعث الطمأنينة في نفوس الإسرائيليين والرهبة في نفوس أعدائهم فأرادوا أن يبعثوا اليأس في نفوسنا فأدخلوا سلاحاً جديداً رهيباً هو النيران المشتعلة فوق سطح الماء لكي تحرق كل من يحاول عبور القناة · ولتنفيذ هذه الفكرة الجهنمية بنوا مستودعات ملؤوها بهذا السائل ووصلوا هذه المستودعات بأنابيب تنقل السائل إلى سطح الماء . ونظراً لأن كثافة هذا السائل هي أقل من كثافة الماء فأنه يطفو على سطح الماء . فإذا اشتعل بطريقة أوتوماتيكية أو بواسطة قنبلة فوسفورية تحول سطح الماء الى جحيم · ومع استمرار التغذية بالسائل تستمر النيران المشتعلة · (الشكل رقم ٣)

ـ تلك هي قناة السويس وهذا هو المانع المائي الذي كان علينا اقتحامه . وللتغلب على هذه المشكلة الكبيرة قمنا بتجزئتها الى مجموعة من المشكلات الأصغر حجماً . وأخذنا نعمل على حل كل مشكلة على حدة الى أن تم التغلب عليها جميعاً فكان العبور العظيم في اكتوبر ١٩٧٣.

فتح الثغرات في الساتر الترابي

كانت المشكلة الأولى والرئيسية هي فتح ثغرات في السد الترابي حتى يمكن من خلالها عبور دباباتنا وأسلحتنا الثقيلة سواء عبر المعديات أو الكباري · عندما شغلت منصب ر ا ح ق م م كانت العقيدة السائدة لفتح الثغرات في الساتر الترابي تتلخص فيما يلي :

١ ـ يقوم المهندسون بالعبور في قواربهم المطاطية بمجرد أن تتمكن موجات المشاة من تحقيق الحد الأدنى من الوقاية لهم ·

٢ ـ يقوم المهندسون بشق حفرة داخل السد الترابي مستخدمين في ذلك أدوات الحفر اليدوية (لاستحالة استخدام ادوات الحفر الميكانيكية نظراً لتهايل التربة) ثم تملأ هذه الحفر بالمتفجرات ويتم تفجيرها بعد أن ينسحب المهندسون الى مسافة ٢٠٠ متر بعيداً عن مكان التفجير · قد يبدو من الناحية النظرية أنه كلما عمق المهندسون الحفر داخل السد الترابي وكلما زادت كمية المتفجرات المدفونة في السد زادت كمية الأتربة المزاحة . أما من الناحية العملية فقد كان الموقف مختلفاً · كانت طبيعة التربة التي يتكون منها السد الترابي متهايلة . وكان ذلك يجعل من الصعب تعميق أي حفرة في جسم السد · كانت الأتربة والرمال على أجناب الحفرة تتهايل الى داخلها مع كل محاولةٍ لتعميقها وبالتالي فقد كانت المتفجرات التي نقوم بدفنها داخل السد ليست على عمق كافٍ يسمح بازاحة كمية كبيرة من الأتربة · كانت النتائج غير مشجعة وكانت كمية الأتربة المزاحة نتيجة التفجير تصل الى حوالي ٢٠٠ ـ ٣٠٠ متر

مكعب تاركة ما يقرب من ١٢٠٠ متر مكعب أخرى يجب علينا ازاحتها بواسطة العمل اليدوي والميكانيكي ·

٣ ـ يستأنف العمل اليدوي لتجهيز مطلع للبولدوزر BULLDOZER الذي يتم نقله على معدية ثم يبدأ البولدوزر في العمل لاستكمال عملية فتح الثغرة ·

ـ في خلال شهري مايو ويونيو ٧١ حضرت عدة بيانات عملية قامت ادارة المهندسين بتنظيمها لإظهار الاسلوب المتبع في فتح الثغرات في السد الترابي نهاراً أو ليلاً · كان يعيب هذا الاسلوب النقاط التالية :

١ ـ إن عملية التنسيق بين المهندسين الذين يقومون بالتفجير والمشاة التي تعبر أو التي عبرت وأصبحت على الشاطىء الآخر قد لا تسير على الوجه الأكمل مما قد يترتب عليه إصابة بعض جنودنا نتيجة هذه التفجيرات ·

٢ ـ إن تخصيص عدد كبير من المهندسين للقيام بأعمال الحفر اليدوي بعد عملية التفجير قد يترتب عليه زيادة خسائرنا في أفراد المهندسين فيما لو وقعت هذه المجموعة تحت نيران العدو المباشرة أو غير المباشرة ·

٣ ـ إن إرسال بولدوزر للعمل في استكمال فتح الثغرة مبكراً قد يعرضه للتدمير بواسطة نيران دبابات للعدو نظراً لكبر حجمه واضطراره للظهور في كثير من الأحيان على خط السماء · واذا تأخرنا في إرساله فسوف يتأخر فتح الثغرات وبالتالي يتأخر تشغيل المعديات وبناء الكباري وبالتالي تزداد فترة تعرض مشاتنا لهجمات العدو المضادة ·

٤ ـ كان فتح الثغرات بهذا الأسلوب يعتبر باهظ التكاليف في الافراد والمعدات والمواد فقد كان فتح الثغرة الواحدة يحتاج الى ٦٠ فرداً وبولدوزر و ٢٠٠ كجم من المتفجرات وعمل يستمر من ٥ ـ ٦ ساعات دون حساب لأي تدخل من العدو ·

ـ لم يكن أمامي الا أن أقبل العمل بهذا الحل الى أن نجد ما هو أفضل منه ، ولكنني أخبرت اللواء جمال علي مدير إدارة المهندسين بضرورة البحث والتفكير في أسلوب آخر لفتح هذه الثغرات · في خلال يونيو من العام نفسه أخبرني اللواء جمال علي أن أحد ضباط المهندسين يقترح فتح الثغرة في الساتر الترابي بأسلوب ضغط المياه وأنه قد مارس هذا العمل عندما كان يعمل في السد العالي وكانوا يفتتون الصخر بقوة اندفاع المياه · كانت الفكرة سهلة وبسيطة ولا ينقص الا تجربتها ، وقبل انتهاء شهر يونيو حضرت أول تجربة لاختبار هذه الفكرة · استخدم المهندسون في هذا البيان ثلاث مضخات مياه صغيرة انجليزية الصنع وكانت النتيجة رائعة · كان واضحاً أنه كلما زاد ضغط الماء زادت سرعة تهايل الرمال وبالتالي سرعة فتح الثغرة · وبعد عدة تجارب اتضح لنا أن كل متر مكعب من المياه يزيح متراً مكعباً من الرمال وان العدد المثالي في كل ثغرة هو خمس مضخات · وفي يوليو ٧١ تقرر ان يكون أسلوبنا في فتح الثغرات في الساتر الترابي هو أسلوب التجريف (ضغط المياه) وقررنا شراء ٣٠٠ مضخة مياه انجليزية وصل قسم منها قبل نهاية العام والقسم الباقي وصل في اوائل عام ٧٢ · وفي خلال عام ٧٢ قررنا شراء ١٥٠ مضخة أخرى ألمانية الصنع وأكثر قوة من المضخة الانجليزية · وبتخصيص ٣ مضخات انجليزية ومضختين ألمانيتين لكل ثغرة كان من الممكن ازاحة ١٥٠٠ متر

مكعب من الأتربة خلال ساعتين فقط ، وبعدد من الأفراد يتراوح بين ١٠ ـ ١٥ فرداً فقط · كان هذا حلاً رائعاً وسهلاً ويتلافى جميع العيوب التي كان يتسم بها الأسلوب السابق ، فشكراً للمهندس الشاب صاحب الاقتراح وشكراً لجميع رجال المهندسين الذين قاموا بتطوير الفكرة وتهذيبها الى أن أخذت لونها النهائي قبل حرب اكتوبر ٧٣ · ومن الأحداث الغريبة حقاً أنه على الرغم من عشرات التجارب التي أجريت بهذا الأسلوب خلال الأعوام ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ فإن الإسرائيليين لم يعرفوا اكتشافنا لهذا الأسلوب في فتح الثغرات في السد الترابي ، وقد تحققنا من ذلك عندما وقع في أيدينا أحد جواسيسهم قبل بدء الحرب بشهرين ·

التغلب على النيران المشتعلة

ـ كانت المشكلة الثانية التي علينا مجابهتها هي مشكلة النيران المشتعلة فوق سطح الماء في خلال شهر يونيو ٧١ حضرت بياناً عملياً عن أسلوب التغلب على هذه النيران المشتعلة ، وقد تم تنفيذ المشروع كما يلي :

١ ـ يقوم بعض الجنود الذين يلبسون ملابس واقية ضد الحريق بركوب أحد القوارب ومع كل منهم واحدة من سعف النخل (جريدة) ثم يبدأون بمهاجمة جزر النيران المشتعلة وضربها بالجريد فتنقسم عادة الجزيرة الكبيرة الى عدة جزر صغيرة ثم تتكرر العملية وهكذا ···

٢ ـ اقتُرح عليَّ خلال هذا البيان أن نستبدل القوارب المطاطية بمركبات برمائية وان تستبدل سعف النخل بمواد كيماوية أو بمعنى آخر تشكيل قوة مطافىء بحرية ·

ـ لم أقتنع بأنه يمكن اطفاء هذه النيران بسعف النخل · لقد كنا نستخدم في تجربتنا عشرة أطنان من السائل المشتعل ولكن يجب ان نتصور ماذا يمكن ان يحدث لو أن العدو قذف بخمسين طناً من هذا السائل ثم أخذ يغذيها باستمرار · لا شك أن النيران ستكون أكثر قوة واكثر تماسكاً بحيث لا تسمح بتواجد جزر عائمة من النيران يمكن لقواتنا المكلفة بالاطفاء أن تهاجمها واحدة بعد الأخرى · كما وأن تشكيل وحدات اطفاء بحرية سيشغلنا عن واجبنا الأصلي ، فبدلاً من أن نعبر ونقتحم فإن مجهودنا سوف يتحول الى عملية إطفاء حريق وبهذا يتحقق هدف العدو · وبعد دراسة الموضوع من جميع جوانبه قررت أن تكون عقيدتنا فيما يتعلق بهذه المشكلة هي كما يلي :

١ ـ يجب أن نحرم العدو من فرصة استخدام هذا السلاح · ان استخدام هذا السلاح يعتمد على ثلاثة أجزاء : خزانات تسع الواحدة منها ٢٠٠ طن من المواد المشتعلة ، انبوبة تصل ما بين هذه الخزانات وسطح مياه القناة ، ثم وسيلة سيطرة تشمل الفتح والإشعال · فلو أمكننا إفساد أي من هذه الأجزاء لفشل العدو في استخدام هذا السلاح · كانت الخزانات مدفونة دفناً جيداً في الرمال ومن المشكوك فيه إمكانية تدميرها بواسطة المدفعية · كانت الأنابيب التي تنقل السائل هي الأخرى مدفونة ومن الصعب الوصول اليها · ولكن فتحات هذه المواسير كان يمكن رؤيتها بوضوح من جانبنا · كانت فتحة هذه الأنابيب تختفي تحت سطح المياه عندما يكون هناك « مد » وتظهر فوق سطح المياه عندما يكون هناك « جزر » فلو أمكننا أن نسد هذه الفتحات

قبل بدء العمليات لفسدت خطة العدو في استخدام هذا السلاح تماماً ٠ لذلك يجب علينا كجزء من التخطيط أن نغلق هذه الفتحات وأن نضرب الخزانات بالمدفعية أثناء فترة تحضيرات المدفعية التي تسبق عملية الهجوم . وبالاضافة الى ذلك فأنه يمكننا إرسال جماعات تخريب لتدمير هذه الخزانات قبل المعركة وخلالها ٠

٢ ـ كان علينا عند انتخاب نقط العبور أن نختارها بحيث تكون فوق اتجاه التيار حيث أن هذا السائل المحترق يعوم مع التيار وبالتالي فأنه يعتبر عديم المفعول ضد أي قوات تعبر من فوق اتجاه التيار ٠

٣ ـ إذا حدث واضطررنا لانتخاب قطاع العبور بحيث يكون تحت التيار . ثم فشلت جميع محاولاتنا في إبطال مفعول هذا السلاح ونجح العدو في تشغيله فأننا نوقف عملية العبور الى أن ينتهي تأثير هذه النيران ٠ قد يتراوح الوقت اللازم لاحتراق هذا السائل بين ١٥ ـ ٣٠ دقيقة طبقاً لكمية السائل المسكوب . وليس أمامنا الا أن نتعامل معه كأنه أحد اسلحة القتال نحاول أن نتحاشاه اذا كان مؤثراً ونتجاهله إذا ضعف تأثيره . مثله في ذلك مثل منطقة مغمورة بنيران المدفعية . اذا كان الضرب كثيفاً ومؤثراً تحاشيناه واذا كان دون تركيز عبرنا المنطقة بخسائر طفيفة ٠

احمال جندي المشاة

ـ كان في تقديرنا ـ كما سبق أن قلت ـ أن تبدأ المعديات في العمل بعد حوالي ٥ ـ ٧ ساعات من بدء الهجوم وأن تبدأ الكباري في العمل بعد ذلك بحوالي ساعتين . ونتيجة لذلك فأن الدبابات والأسلحة الثقيلة لن تعبر الى الشاطىء الآخر بأعداد مؤثرة تسمح بتدعيم المشاة في قتالها الا بعد حوالي ١٢ ساعة من بدء عبور المشاة ٠ أما الوحدات والعناصر الادارية فأنها لن تصل الى وحدات المشاة الا بعد حوالي ١٨ ساعة من بدء الهجوم ٠ ان هذا الموقف يشبه الى حد ما موقف وحدات المظلات التي يتم انزالها في عمق العدو حيث تبقى هناك لمدة يوم أو يومين الى أن تتصل بها القوات الرئيسية الصديقة وهي في خلال هذه الفترة تعتمد اعتماداً كلياً ومصيريا على ما تستطيع حمله معها من أسلحة وعتاد وغذاء وماء ٠ وللحقيقة فأن موقف جندي المشاة المكلف بعبور القناة كان أصعب من موقف جندي المظلات الذي ينزل في العمق . لأن جندي العبور سيواجه بهجمات مضادة مدرعة بمجرد أن يضع قدمه على الشاطىء الآخر . لذلك كان يجب علينا أن نجهز هذا الجندي تجهيزاً يسمح له بمقابلة هذه التحديات التي تنتظره . ولتحقيق ذلك كان يجب على هذا الجندي ان يحمل معه عدداً كافياً من الأسلحة المضادة للدبابات ولاسيما الصواريخ مالوتكا AT GW حتى يمكنه أن يدمر الدبابات التي تهاجمه . وكان عليه أن يحمل الصواريخ المضادة للطائرات STRELLA (SAM7) حتى يمكنه أن يدمر الطائرات التي تهاجمه من ارتفاعات منخفضة . وكان عليه أن يحمل ما يكفيه من ذخيرة وطعام ومياه لمدة يوم كامل . وكان عليه علاوة على ذلك أن يحمل ألغاماً مضادة للدبابات حتى تساعده في الدفاع عن مواقعه المكتسبة ضد هجمات الدبابات ٠ كانت

المشكلة الرئيسية هي تحديد عدد ونوعية الأسلحة وكمية الذخائر التي يحملها جندي المشاة (المترجل) ، علماً بأن أقصى ما يستطيع الجندي المقاتل حمله هو ٢٥ كيلوجراماً . فكيف نحقق التوازن بين هذه الطلبات الضرورية جميعها ؟ هنا أطلقت شعار جنود المظلات بين الجنود المشاة المكلفين بالعبور « أقصى ما يمكن من السلاح والذخيرة . أقل ما يمكن من الاحتياجات الادارية الأخرى »

ـ كان يلزم كل جندي ٢ كجم من الطعام مع ٢,٥ لتر من المياه فأذا اضفنا الى ذلك وزن الحد الأدنى من الملابس والشدة الميدانية والخوذة فإن وزن جميع هذه الأصناف تصل الى حوالي ١٠ كجم وبذلك يتبقى لدينا ١٥ كجم لجميع أنواع الأسلحة والذخيرة والمعدات العسكرية . لم يكن هذا الموقف يشكل أية مشكلة بالنسبة لجندي المشاة العادي المسلح ببندقية أوتوماتيكية ومعها ٣٠٠ طلقة و ٢ قنبلة يدوية . حيث أن وزن جميع هذه الأصناف كان يقل عن ١٥ كجم . كانت المشكلة الحقيقية تكمن في الأحمال التي يتحتم على أطقم أسلحة الدعم حملها (المدفع عديم الارتداد ب ١٠ والمدفع عديم الارتداد ب ١١ والمالوتكا و RPG و STRELLA ومدافع الماكينة المتوسطة ٧,٦٢ مم ومدافع الماكينة الثقيلة ١٢,٧ مم وقواذف اللهب الخ) ان هذه الأسلحة ولو أنها تدخل تحت نطاق الأسلحة الخفيفة التي يمكن حملها فأن أوزانها اذا أضيف اليه الحد الأدنى من الذخيرة التي يجب أن ترافقها تصبح كبيرة وتجعل من المستحيل على طاقمها أن يتحمل وحده عبء حملها هي وذخيرتها . لذلك كان من الواجب علينا أن نوزع هذه الأحمال على باقي أفراد المشاة بطريقة تجمع بين عدالة التوزيع في الأحمال وسهولة الحصول على هذه الأحمال بطريقة لا تؤثر على كفاءة الاستخدام التكتيكي للسلاح وحيث أن عدالة التوزيع في الأحمال تتعارض مع كفاءة الاستخدام التكتيكي للسلاح والمهام المكلف بها كل جندي فقد قمنا بعمل كشوفات تفصيلية تشمل كشفاً خاصاً لكل جندي في فرقة المشاة طبقاً لوظيفته . وفي هذا الكشف حددنا ما يتحتم على كل جندي أن يحمل . وكانت الأحمال تتراوح بين ٢٣ كجم و ٣٠ كجم للفرد وفي أحوال نادرة كان يحمل بعض الجنود ما يزيد على ٣٠ كجم . (٦)

ـ لقد بدا واضحاً ان الشدة الميدانية (البل) التي كان معمولاً بها في القوات المسلحة في ذلك الوقت أصبحت لا تتناسب مع الظروف الجديدة . إن تثبيت الأحمال على جسم الجندي المقاتل هو موضوع بالغ الأهمية . إن هذه الأحمال اذا ما ثبتت بجسم الجندي بحيث تصبح وكأنها جزء من أعضائه فأنه يمكنه أن يتحرك بها في يسر وسهولة دون أن تعوق حركته أو تؤثر على كفاءته . أما اذا لم تثبت هذه الأحمال بطريقة جيدة فأنها سوف تؤثر تأثيراً كبيراً على أداء الجنود . وذلك علاوة على احتمال سقوط وفقد بعض هذه الأحمال دون أن يشعر بها

(١) لقد ساعدني في تحرير هذه الكشوفات خبرتي السابقة كضابط مظلات . فقد سبق لي ان جهزت هذه الكشوفات عن كل فرد في الكتيبة عندما كنت قائدا لكتيبة المظلات . ثم قمت بعمل هذه الكشوفات عن كل فرد في اللواء عندما كنت قائداً للقوات الخاصة . لذلك عندما بدأت في عمل الكشوفات الخاصة بالفرقة كان الجزء الأكبر من هذا العمل قد سبق انجازه ..

الجندي • وان الشدة الميدانية المثالية هي تلك التي تستطيع أن تستوعب جميع أحمال الجندي بطريقة جيدة ، ولكن الظروف التي خلقتها مشكلة عبور قناة السويس قد فرضت علينا ضرورة ابتكار شدة ميدانية تتناسب مع تلك الأحمال الخاصة • كان أمامنا عشرات الأحمال المختلفة وكان الحل المثالي هو ايجاد شدة خاصة لكل من هذه الأحمال ، ولكن ذلك كان كفيلاً بأن يخلق لنا مشكلات ادارية ضخمة • وقد قامت ادارة المهمات، بالكثير من التجارب حول هذا الموضوع الى إن توصلنا الى خمس عينات مختلفة بحيث تستطيع كل منها أن تخدم عدة أحمال • في ١٢ يوليو ٧٢ تمت الموافقة على هذه العينات وقبل نهاية اكتوبر ٧٢ كان قد تم تشغيل ٥٠٠٠٠ شدة ميدانية من هذه الأنواع الجديدة (١) •

ـ كذلك قمنا بتغيير مطرة المياه التي يحملها جنود العبور • كانت المطرة المستخدمة في القوات المسلحة تسع $\frac{3}{4}$ اللتر من المياه ، فاستبدلناها بأخرى تسع ٢,٥ لتر حتى يكون مع جندي العبور ما يكفيه من المياه لمدة يوم كامل (هذه الكمية هي الحد الأدنى من المياه التي يحتاج اليها الفرد) وقد أمكن إنتاج ٥٠٠٠٠ من هذه المطرات قبل نهاية عام ١٩٧١ •

عربة الجر اليدوي

ـ وعلى الرغم من الأحمال الثقيلة التي كلفنا جنود المشاة بحملها فأني لم أكن مطمئنا بالقدر الكافي على قدرة مشاتنا في الاستمرار في المعركة لمدة طويلة • لقد كانت الذخيرة التي يحملونها قليلة جداً ومن الممكن أن تستهلك في قتال عنيف خلال ساعة زمنية واحدة • وعلاوة على ذلك فأنهم لا يحملون ألغاماً أو كاشفات ألغام ، أو وسائل مواصلات كافية ، أو علامات إرشاد الخ • وكان الحل الأمثل لكل هذه المشكلات هو إدخال عربة جر يدوية يمكن جرها بواسطة فردين بعد تحميلها بحوالي ١٥٠ كجم من الذخائر أو المعدات العسكرية • كيف صنفنا وأدخلنا هذه العربة ضمن خطة عبور قناة السويس ؟ أنها قصة طريفة سوف أرويها للتاريخ •

ـ عندما عينت قائداً لمنطقة البحر الأحمر العسكرية في يناير ١٩٧٠ كان أول عمل قمت به هو دراسة العمليات العسكرية السابقة التي قام بها العدو في هذه المنطقة على الطبيعة • وكان من ضمن هذه العمليات قيام العدو بقصف ميناء سفاجة بالمدفعية ليلاً وذلك قبل أن أتولى قيادة منطقة البحر ببضعة شهور • عندما ذهبت الى سفاجه عاينت الحفر المتخلفة من قصف المدفعية فاتضح لي أنها لا بد أن تكون نتيجة قصف هاون من عيار ١٢٠ ملليمتر • وبحساب مدى الهاون ١٢٠ ، وأنسب الأماكن للهبوط بطائرة الهليوكوبتر قلت لنفسي « لو أني مكان العدو لنزلت في هذا المكان أو ذاك المكان » انتقلت الى المكانين الذي تصورت أن يكون العدو قد عمل من أي منهما ، فوجدت في أحدهما جميع الشواهد التي تؤكد صدق تخميني • لقد كانت بقايا ومخلفات القصف ما زالت في مكانها وبجوارها عربة صغيرة ذات أربع عجلات ، ولها

(١) قوات المشاة المترجلين المكلفين بالعبور طبقاً للخطة كان عددهم ٢٠٠٠ ضابط ، ٣٠٠٠٠ رتبة أخرى • وبذلك، أصبح لدينا من الشدات الميدانية ما يغطي مطالبنا ، بالأضافة الى احتياطي مخازن حوالي ٥٠ ٪ •

ذراع طويلة للجر وكان واضحاً ان طاقم الهاون الاسرائيلي قد نقل طلقات الهاون في هذه العربة الى مربض النيران الذي كان يبعد حوالي ٤٠٠ متر من مكان هبوط الطائرة · لقد اعجبت كثيراً بهذه العربة واخذتها معي عند عودتي الى مركز قيادتي · استدعيت رئيس الشؤون الفنية بالمنطقة وعرضت عليه العربة وقلت له « أريد أن تصنع لي ٦ عربات مثل هذه العربة » وبعد أن فحصها قال لي إنه يستطيع أن يصنع أفضل منها ولكن المشكلة الوحيدة هي العجلات حيث أن القوات المسلحة لا تستخدم عجلات من هذا النوع الصغير. ولكنه أضاف بأن أنسب العجلات التي يمكن استخدامها هي عجلات الدراجة النارية الإيطالية الصنع vespa · قام رئيس الشئون الفنية بشراء العجلات المطلوبة (٢٤ عجلة) من سوق الكانتو في القاهرة · لقد صممنا أن نصنع عربة جر أفضل من العربة الاسرائيلية وهكذا قمنا بعدة دراسات وتجارب ميدانية على العينتين الأوليين حتى يمكننا أن نحدد أنسب الأبعاد وأقصى الحمولة · وبعد عدة تجارب وجدنا أن أقصى حمولة يمكن جرها بواسطة فردين فوق أرض غير ممهدة ولمسافة ٥ كيلومترات هو ١٥٠ كجم · كما قمنا بتعديل في طولها حتى يمكن تحميل صواريخ القاذف الصاروخي جراد - ب الذي كان ضمن تسليحنا في منطقة البحر الأحمر. وكانت عملية حملها بواسطة الأفراد تعتبر مشكلة صعبة · وفي نهاية الأمر أصبح لدينا في منطقة البحر الأحمر ٦ عربات جر تستطيع الواحدة أن تحمل ١٥٠ كجم من الأسلحة والعتاد ويمكن جرها بواسطة فردين لمسافة ٥ كم عبر أرض غير ممهدة ·

- وبينما كنت أفكر في مشكلات عبور القناة وأنا ر ا ح ق م م تذكرت عربات الجر الست التي تركتها في البحر الأحمر · استدعيت اللواء جمال صدقي مدير ادارة المركبات في القوات المسلحة في ٢١ يوليو ١٩٧١ وعرضت عليه واحدة من هذه العربات وقلت له « أريد أن تصنع لي ١٠٠٠ عربة مثل هذه العربة » وبعد عدة أيام عاد اليَّ ليخبرني أنه لو اشترى جميع العجلات المتيسرة في السوق المحلي فإنه لن يستطيع أن يصنع أكثر من ١٠٠ عربة أما اذا اعطيته مهلة ٦ شهور فأنه سيكون قادراً على تصنيع جميع هذه العربات بعد أن يكون قد استورد العجلات المطلوبة من الخارج · وافقت على مهلة الشهور الستة ووفى اللواء جمال صدقي بوعده فكان لدينا خلال يناير ٧٢ الف عربة من هذا النوع · طلبت منه تصنيع ألف عربة أخرى فكانت جاهزة قبل أكتوبر ٧٢ ثم طلبت ألفاً ثالثاً فكانت جاهزة في ابريل ١٩٧٣ · وعندما اقتحمت مشاتنا قناة السويس في اكتوبر ٧٣ كانت تجر معها ٢٢٤٠ من هذه العربات محملة بذخائر والغام ومعدات عسكرية يبلغ وزنها ٣٣٦ طناً · شكراً للعدو الاسرائيلي صاحب الفكرة. وشكراً لجميع رجال ادارة المركبات الذين قاموا بتصنيع هذه العربة. لقد سبق لنا أن علمنا أن الرجل العادي يستطيع أن يحمل ١٥ كجم زيادة عما يحمله من طعام ومياه ومهمات عسكرية وهذا يعني أننا كنا سوف نحتاج الى ٢٢٤٠٠ (اثنين وعشرين ألفاً وربعمائة) من الحمالين غير المسلحين حتى يستطيعوا حمل ما قامت هذه العربات بنقله ·

---

(١) سوق تباع وتشترى فيه الأصناف القديمة .

تجهيز أفراد المشاة بمعدات خاصة

ـ لقد جهزنا جندي المشاة ايضا بالكثير من المعدات الحديثة . فبحلول يوليو ٧٢ كان قد تم تجهيز جميع وحداتنا من المشاة بأجهزة الرؤية الليلية ، فمنها ما كان يعمل بنظرية الاشعة تحت الحمراء ومنها ما كان يعمل بنظرية تقوية وتكبير ضوء النجوم Star Lighter والى جانب هذه الاجهزة الحديثة كان هناك اجهزة ومعدات بدائية وغاية في البساطة . ومن بين ذلك النظارات السوداء المعتمة وسلالم الحبال · فأما النظارات السوداء فهي مصنوعة من زجاج سميك معتم من نوع الزجاج الذي يستخدمه عمال لحام الاوكسيجين وذلك حتى يلبسه الأفراد عندما يستخدم العدو اشعة Zenon البالغة القوة في تعميتهم · ,قد تعلمنا هذا الدرس خلال حرب الاستنزاف عندما كنا نبعث برجال الصاعقة لاصطياد دبابات العدو . وبعد عدة لقاءات ناجحة استخدم العدو الضوء الباهر المركب على دباباته في شل ابصار جنودنا فكان ردنا على ذلك هو ان يلبس الجندي هذه النظارة ثم يوجه قذيفته الى مصدر الضوء فيدمره · اما سلم الحبال فهو يشبه السلالم المستخدمة في الوحدات البحرية . أجنابه من الحبال ولكن درجاته من الخشب ، يسهل طيه وحمله ثم فرده على السد الترابي وبذلك يستطيع جندي المشاة ان يتسلق الساتر الترابي دون ان تغوص قدماه في التراب ، كما وانه بوضع سلمين متجاورين نستطيع ان نجر مدافعنا وعربات الجر التي ترافقنا فوق هذا الساتر دون ان تغوص عجلاتها في الرمال ·

توقف المشاة انتظارا لوصول اسلحة الدعم

ـ والآن وبعد ان تم تجهيز جندي المشاة بأفضل الاسلحة والمعدات ، وبعد ان تم تحميله بأقصى ما يستطيع ان يحمل فقد زادت قدراته القتالية زيادة كبيرة واصبح خصما قويا وعنيدا للدبابة والطائرة ولكن بقي سؤال اخير « هل يستطيع ٣٢ ··· ضابط وجندي من المشاة يعبرون في ١٢ موجة على مدى ثلاث ساعات ان يتحدوا قوة العدو التي تتكون من ثلاثة الوية مدرعة ولواء مشاة متحصنة بخط بارليف وامامهم قناة السويس بعوائقها كلها ؟ واذا جاز لنا ان نتصور بأنهم قادرون على ذلك فهل في استطاعتهم بعد ذلك ان يصدوا الهجوم المضاد الكبير الذي حذر مدير المخابرات الحربية بأن العدو سوف يقوم به بعد ٦ ـ ٨ ساعات من بدء الهجوم ؟ لقد كانت حساباتنا تدعو الى الاطمئنان بأن مشاتنا اذا قاتلت بعناد فأنها تستطيع ان تهزم قوة العدو التكتيكية (لواء مشاة + ٣ الوية مدرعة) التي تدافع عن القناة · اما اذا دفع العدو باحتياطه التعبوي الذي قدرته ادارة مخابراتنا بأربعة الوية مدرعة واربعة الوية مشاة ميكانيكية بعد ٦ ـ ٨ ساعات من بدء الهجوم فأن الموقف يصبح جد خطير · لذلك كان لا بد من اتخاذ اجراءات معينة لمقابلة هذا الموقف · كان الاجراء الاول هو تقديم المعاونة بالنيران لقواتنا شرق القناة بجميع الاسلحة الثقيلة المتيسرة في غرب القناة ، اما الا. ؍اء الثاني فكان يتلخص في فرض قيود مشددة على سرعة تقدم المشاة وذلك لضمان وجودها دائما في

مدى المعاونة بالنيران من الضفة الغربية ولتقصير خطوطها الدفاعية . وبذلك تزداد امكانياتها في صد هجوم الدبابات ٠ وتطبيقا لذلك كان رأس الكوبري لكل فرقة مشاة يصل تدريجيا الى عمق ٥ كم وقاعدة ٨ كم بعد ٤ ساعات من بدء الهجوم ٠ وعند الوصول الى هذا الخط يجب على المشاة ان تتوقف الى ان تصلها اسلحة الدعم التي تعبر على المعديات والكباري والتي ينتظر ان تبدأ في الوصول حوالي س + ١٠ ساعة ٠ وبعد وصول اسلحة الدعم واعادة التنظيم تستأنف المشاة تقدمها بحيث يصبح رأس كوبري الفرقة ٨ كم في العمق و١٦ كم في القاعدة بحلول س + ١٨ ساعة واذا سارت الأمور طبقاً للسيناريو الذي تصورناه فأنه يمكن القول بأن معركة العبور تكون قد تأكدت بعد ١٨ ساعة من بدء الهجوم (١) ٠

السيطرة على عملية العبور

ـ ان عبور مانع مائي شبيه بقناة السويس هو عملية بالغة التعقيد وتحتاج الى اجراءات دقيقة وتفصيلية . واذا لم تتم هذه الاجراءات طبقا لنظام دقيق وتحت سيطرة حاسمة من الانضباط فأن العملية بأكملها قد تتحول الى فوضى عارمة ٠ لقد قسمنا وحدات المشاة المكلفة بالعبور الى مجموعتين ، المجموعة الاولى وهي مجموعة المترجلين الذين يقتحمون القناة في قوارب مطاطية ثم يعتمدون على ارجلهم في التحرك بعد وصولهم الى الشاطىء الآخر . اما المجموعة الثانية فتشمل الوحدات والاطقم ذات الاسلحة الثقيلة التي تنتظر على الجانب الغربي الى ان يتم فتح الممرات في السد الترابي وتشغيل المعديات والكباري ٠ كان العبور على المعديات والكباري لا يتم بالوحدات المتكاملة بل كان يتم تبعا لأهمية كل مركبة ومدى حاجة المشاة اليها ٠ ومن اجل ذلك تم تقسيم مركبات كل فرقة مشاة الى ٦ اسبقيات ٠

ـ كانت الاسبقية الاولى تشمل الدبابات وعربات القتال وعربات اللاسلكي والهاونات الثقيلة وعددا محدودا من العربات التي تنقل الذخيرة ٠ وتبلغ هذه المجموعة ٢٠٠ دبابة و ٧٥٠ مركبة ٠ وكانت الاسبقية الثانية تشمل وحدات المدفعية ووحدات الدفاع الجوي عددا اضافيا من العربات التي تحمل الذخيرة لكي يصل اجمالي الذخيرة التي مع المشاة المترجلة الى وحدة نارية ٠ وتبلغ هذه المجموعة ٧٠٠ مركبة ٠

اما الاسبقية الثالثة فكانت تشمل باقي العناصر الادارية التابعة لكتائب المشاة وكتائب المدفعية المضادة للطائرات وكان مجموع هذه الاسبقية ٦٠٠ مركبة ٠ وكانت الاسبقية الرابعة تتكون من الوحدات الادارية التي على مستوى الاولوية وتصل في مجموعها الى ٤٠٠ مركبة ٠ والاسبقية الخامسة تشمل الوحدات الادارية التي على مستوى الفرقة وتصل في مجموعها الى ٢٥٠ مركبة ٠ والاسبقية السادسة تشمل العربات المخصصة لركوب افراد المشاة الذين عبروا في

---

(١) ـ سوف نرى ان هذا السيناريو هو ما حدث فعلا ـ عدا ان هجوم العدو المضاد التعبوي الذي حذر مدير المخابرات الحربية من وقوعه بعد ٦ ـ ٨ ساعات لم يحدث ـ وبحلول صباح يوم ٧ اكتوبر ٧٣ كانت عملية العبور العظيم قد تمت بنجاح باهر ٠

القوارب وتبلغ هذه المجموعة ٨٠٠ مركبة . وقد كانت الاوامر صريحة بعدم السماح بعبور اية من عربات هذه المجموعة قبل مرور ٤٨ ساعة من بدء الهجوم .

- كانت هذه الاسبقيات تعني ان كل كتيبة مشاة تقوم بتقسيم مركباتها الى ٤ مجموعات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٦) وان كل مجموعة من تلك المجموعات عليها ان تقابل المجموعات ذات الاسبقية الواحدة في مكان محدد وفي وقت محدد وبترتيب معين ثم تسير على طريق معين الى معبر معين وفي وقت محدد وان تعبر بسرعة معينة . وبعد ان يتم عبورها فأنها تسلك طريقا محددا وتصل الى وحدتها الام في مكان معين وفي وقت معين . اما وحدات الدبابات والمدفعية فقد كانت أفضل حالا من وحدات المشاة حيث انها تقسم الى اسبقيتين فقط (١ و ٣ بالنسبة للدبابات و ٢ و ٣ بالنسبة للمدفعية) . ان عبور ٣٢٠٠٠ رجل في القوارب ، وعلى مدى ١٢ رحلة خلال ثلاث ساعات ثم تدعيمهم بعد ذلك بحوالي ١٠٠٠ دبابة و ١٣٥٠٠ مركبة خلال ٦ ساعات من بدء تشغيل المعديات والكباري بينما المعركة تدور على اشدها ، لهو عمل شاق يحتاج الى الكثير من المهارة ، والى قدر كبير من الانضباط ومستوى عال من السيطرة .

- ولتحقيق هذه السيطرة قمنا باتخاذ الاجراءات التالية :

١ - ترقم القوارب المخصصة لنقل المشاة بأرقام مسلسلة من اليمين الى اليسار داخل الفرقة من رقم ١ الى رقم ١٤٤ .

٢ - تحديد نقطة انطلاق كل قارب من ناحيتنا ونقطة وصوله الى الجانب الآخر بعلامة ارشاد كبيرة يمكن رؤيتها وتمييز رقمها نهارا او ليلا من الجانب الآخر . وذلك حتى يعرف كل قارب وجهته في الذهاب والعودة .

٣ - تم تخطيط طرق طولية تسلكها الوحدات في طريقها الى نقط العبور . واعطي لكل طريق رقم ولون مميز .

٤ - تم تخطيط طرق عرضية تربط بين الطرق الطولية واعطي لها اسماء أ . ب . ح .

٥ - قمنا برسم تخطيطي لمنطقة شرق القناة حتى عمق ٦ كم ، ورسمنا عليها خطوطا طولية تتقابل مع الخطوط الطولية التي في ناحيتنا ، وتحمل الرقم واللون نفسيهما .

٦ - تم تمييز كل وحدة ووحدة فرعية بعلامة مميزة توضع على خوذة الجندي .

٧ - تقوم وحدات الشرطة العسكرية التي تعبر مع المشاة بحمل علامات التمييز والفوانيس التي تمكنها من تحديد الطرق شرق القناة طبقا للمخطط الذي سبقت الاشارة اليه (البند ٥ عالية) وبالالوان المحددة نفسها .

٨ - قمنا بطبع علامات مميزة تحدد اسبقية العبور ، ويتم لصق هذه العلامة على زجاج العربات .

٩ - أعطي لكل مركبة رقم حككي (طباشيري) يحدد اسبقية عبورها داخل وحدتها .

١٠ - قمنا بصنع جداول تفصيلية تحدد الوقت الذي تخرج فيه عربات كل وحدة من منطقة التجمع والطريق الذي تسلكه والمعبر المحدد لها والتوقيت الذي تبدأ فيه بالعبور (جميع التوقيتات تم تقديرها على اساس ساعة الصفر مضافا اليها كذا ٠٠٠ دقيقة .

١١ ـ كان تلقين المعلومات يصل الى مستوى الجندي وسائق المركبة فقد كان كل فرد يعرف ما يخصه بالتفصيل ويترك الباقي لقائده · كان الجندي مثلا مطالبا منه ان يعرف رقم قاربه والافراد الذين يركبون معه في القارب وترتيب الركوب وترتيب النزول ومن هو الجندي الذي يكون على يمينه ومن هو الجندي الذي يكون على يساره اثناء ركوب القارب الخ · اما السائق فكان يجب عليه ان يعرف رقمه (الطباشيري) والوقت الذي يجب عليه ان يخرج فيه من حفرة الوقاية والطريق الذي يسلكه واسبقيته داخل رتل وحدته واسبقيته في العبور ورقم المعبر الذي يعبر عليه وسرعة العبور ثم رقم ولون الطريق الذي يسلكه بعد عبوره والاسم والعلامة المميزة للوحدة الفرعية التي سوف ينضم اليها الخ ...

١٢ ـ تم تشكيل قيادة خاصة للسيطرة على عملية العبور ·

ـ قد يتساءل القارىء ماذا يمكن ان يحدث لو تدخل العدو وانقلبت هذه التوقيتات رأسا على عقب ؟ أليس من الممكن ان يتحول هذا العبور المنظم الى فوضى عارمة ؟ وللاجابة على ذلك اود ان اوضح ان جميع توقيتاتنا قد ادخلت في حسابها مثل هذا التدخل . وان التوقيتات التي ذكرناها تزيد كثيرا عن التوقيتات التي امكن تحقيقها في التدريب · كما ان توقيتات العمليات حسبت على اساس حوالي ضعف التوقيتات التي يمكننا تحقيقها في التدريب نهارا وحوالي ٥٠ ٪ زيادة عن التوقيتات التي يمكننا تحقيقها في التدريب ليلا · وبالتالي فأن توقيتاتنا المحسوبة تستطيع ان تستوعب مثل هذا التدخل ما لم يتطور مثل هذا التدخل في بعض القطاعات الىّ اعمال غير متوقعة · ومع ذلك فلكي نقابل مثل هذا الاحتمال انشأنا قيادة خاصة لتنظيم عملية عبور وزودنا هذه القيادة بكل ما تحتاج اليه من امكانيات · وكان على قمة هذه القيادة في كل فرقة رئيس اركان الفرقة كما كان رئيس اركان كل جيش هو المسؤول الاول عن السيطرة على عملية العبور · كانت هذه القيادة تسيطر على ٤٠ نقطة عبور للمشاة في كل ١٨ قاربا و ٣٥ معبر معدية في كل ٢ ـ ٣ معدية و ١٥ كوبري · (١٠ ثقيل و ٥ خفيف) · ولكي تستطيع الوحدات الفرعية الوصول الى هذه النقط فأنه يتحتم عليها ان تمر في سلسلة من نقط المراجعة التي تملك سلطة السماح لها بالمرور او ايقافها وذلك طبقا لخطة العبور وسير العمليات · وقد اعطيت هذه القيادة سلطة التعديل في خطة العبور طبقا للموقف · فلو فرضنا مثلا انه تم تدمير احد الكباري تدميرا كبيراً وانه لن يمكن اصلاحه الا بعد بضع ساعات فأنه يمكن تحويل العبور الى كوبري آخر بالاسبقية نفسها التي كانت لها على الكوبري المدمر · وحتى نضمن السيطرة الكاملة على عملية العبور فقد خصصنا لهذه المهمة ٥٠٠ ضابط و ١٠٠٠ ضابط صف وجندي ومعهم ٥٠٠ جهاز لاسلكي و ٢٠٠ هاتف ميداني وما يزيد عن ٧٥٠ كيلومترا من اسلاك الهاتف الميدانية ·

ادخال عقائد جديدة

التصرف تجاه القنابل الزمنية

كانت العقيدة السائدة في القوات المسلحة عند التعامل مع القنابل التي لم تنفجر تتلخص في ان نقوم بأخلاء المنطقة من جميع الافراد ثم نتعامل مع القنبلة بعد ٢٤ ساعة سواء برفعها او تفجيرها · كان ذلك يعني ان القنبلة التي لا تنفجر تعتبر اكثر وابعد تأثيرا من القنبلة التي تنفجر فعلا · ان العدو في ظل هذه العقيدة يستطيع ان يسقط قنابل زمنية فوق الكباري وممرات الاقلاع في المطارات ضمن مجموعة اخرى من القنابل شديدة الانفجار فاذا اصاب هذه الاهداف اصابات مباشرة فأنه سوف يضمن ان اصلاح هذه الاهداف لن يبدأ الا بعد مرور ٢٤ ساعة . ولذا ما فشل في اصابة هذه الاهداف فأنه سوف يضمن ايضا تعطيل استخدام هذه الاهداف لمدة ٢٤ ساعة على الاقل · وتصحيحا لهذا الوضع اصدرت تعليماتي بتعديل هذه العقيدة لتكون كما يلي :

١ ـ القنابل التي لم تنفجر يتم التعامل معها بواسطة المهندسين فورا وفي اقصر وقت ممكن · كنت اعلم ان هذه القنبلة قد تكون قنبلة زمنية وانها قد تنفجر في اية لحظة طبقا للتوقيت الذي حدده العدو لها . ومع ذلك فأن من واجبنا ان نقبل هذه المخاطرة ·

٢ ـ اذا سقطت احدى القنابل اثناء المعركة بجوار احد الكباري ولم تنفجر فأن تدفق قواتنا عبر الكوبري يستمر كما لو انه لم يحدث شيء · مما لا شك فيه ان هناك احتمال ان تنفجر مثل هذه القنبلة قبل ان ينجح المهندسون في تأمينها . ولكن حتى لو حدث ذلك فأن خسائرنا في الافراد قد تتراوح ما بين ٥ ـ ٣٠ رجلا فاذا تصورنا انه خلال ساعة زمنية واحدة يمكن ان يعبر حوالي ٢٠٠ عربة قتال وقارنا بين تعطل عبور هذه القوة المقاتلة وبين احتمال ـ قد لا يحدث مطلقا ـ ان نخسر حياة عدد من الرجال اتضح لنا ان المخاطرة التي ركبناها هي مخاطرة محسوبة · انها الحرب وليس هناك حرب دون خسائر . وان واجب القادة في النهاية هو الاختيار بين اخف الضررين ·

٣ ـ اذا ما سقطت قنبلة زمنية على احد ممرات الطائرات في مطاراتنا العسكرية فأن الاقلاع والهبوط يستمران في المطارات طالما-ان ذلك لا يعوقهما عمليا . بينما يقوم المهندسون بابطال مفعول القنبلة ·

العبور نهاراً

ـ من العقائد الاخرى التي قمنا بتغييرها في القوات المسلحة هو استمرار العبور على الكباري نهارا · لقد كانت عقيدتنا حتى اوائل ١٩٧٣ تقضي بالا يتم العبور الا ليلا · وقبل

بزوغ الفجر نكون قد قمنا بفك الكباري واخفائها . ويستمر الحال على ذلك طوال النهار . فاذا جاء وقت العشاء (آخر ضوء) نبدأ بتركيب الكباري مرة اخرى لكي تعمل ليلا . وهكذا كان الهدف الأساسي من هذا الأجراء هو تلافي القصف الجوي المعادي ولكنني عندما بدأت باجراء الحسابات التفصيلية للعبور اتضح لي انه لن يمكننا طبقا لهذا الاسلوب اتمام العبور الا على مدى ثلاث ليالٍ . وهذا موقف خطير لا يمكن قبوله . لقد كان كل تفكيرنا قبل ان نتفق مع اخواننا السوريين هو ان نبدأ عملياتنا ليلا . ان ساعات الظلام بين العشاء والفجر هي تقريبا ٨ ساعات فاذا انقصنا من هذه المدة ٤ ساعات لتركيب وفك الكوبري فأن الوقت المتبقي للعبور يكون ٤ ساعات فقط . اما الليلة الاولى للهجوم فسوف تستنفد في فتح الممرات في السد الترابي الذي يحتاج الى ٥ - ٧ ساعات بعد بدء الهجوم . وبالتالي لن يكون هناك وقت لتركيب الكباري . وان معنى ذلك هو ان نبدأ في تركيب الكباري خلال الليلة الثانية ونستخدمها في احسن الظروف لمدة ٤ ساعات . ثم نستخدمها في الليلة الثالثة لمدة ٤ ساعات اخرى اي ان العبور يتم على مدى ثلاث ليال متتالية ، ان عبورا بهذا الاسلوب لا يمكن ان نضمن له النجاح . واعتبارا من منتصف عام ١٩٧٢ قررنا بأن يستمر عبور قواتنا على الكباري نهارا الى ان يتم عبور جميع القوات . هدا ويمكن الاقلال من تأثير القصف الجوي المعادي سلبيا عن طريق استخدام الدخان والكباري الهيكلية . وايجابيا عن طريق تقوية الدفاع الجوي عن الكباري .

تخصيص كوبريين لكل فرقة

ان تخصيص كوبريين لكل فرقة من فرق النسق الأول كان من أهم القرارات التي اتخذت خلال فترة التخطيط والتحضير للعمليات . لقد كانت خططنا حتى عام ١٩٧٢ هي أن نخصص كوبري واحداً لكل فرقة من فرق النسق الأول . ولكني عندما كنت أقوم بتجهيز « التوجيه رقم ٤١ » خلال الربع الأخير من عام ٧٢ اتضح لي أن تخصيص كوبري واحد للفرقة لن يكون كافياً . لقد كانت المعلومات المتيسرة لدينا في هذا الوقت هي أن العدو سوف يقوم بضربته المضادة التعبوية بعد ١٢ ساعة من بدء الهجوم .

كنا نتوقع أن يوجه العدو ضرباته الى ثلاثة رؤوس كباري من الخمسة التي قمنا بانشائها بمعدل ٢ - ٣ ألوية مدرعة في كل اتجاه،لذلك قمنا باجراء حساباتنا على اساس أن يكون لدى كل فرقة الأسلحة الكافية التي تمكنها من صد مثل هذا الهجوم . ولكن اتضح لنا أن كوبري واحداً لن يسمح بعبور جميع هذه الاسلحة في الوقت المناسب الذي يسمح لها بالاشتراك في معركة صد الهجوم المضاد لذلك كان لا بد لنا من تخصيص كوبريين لكل فرقة وهنا يجب أن نتوقف قليلاً حيث أن جميع الكباري الثقيلة التي كانت متيسرة لدينا بما في ذلك المتفق على استيراده هو ١٢ كوبري . لا شك ان استخدام عشرة كباري في اليوم الأول من الحرب بينما كل ما نملكه هو ١٢ فقط كان يعتبر نوعاً من المخاطرة . ولكنها كانت مخاطرة محسوبة . لقد كنت مقتنعاً بأنه كلما اسرعنا في العبور زادت فرصتنا في النجاح .

البحث في جميع المجالات

. قامت جميع هيئات وادارات القوات المسلحة بالعديد من البحوث التي كانت تهدف الى البحث عن الحلول للمشكلات التي تتعلق بالمعركة الهجومية بصفة عامة وبمعركة العبور بصفة خاصة · كانت هذه البحوث تتعلق بالتنظيم والتسليح والمعدات الفنية والادارية وما يرتديه الجندي من ملابس ومهمات وما يأكله أثناء المعركة الخ · كانت هذه البحوث تحاول أن تبتكر أسلحة ومعدات جديدة . أو أن تقوم بتحسين وتطوير الأداء بالنسبة للأسلحة والمعدات المتيسرة · وقد اشترك معنا في عدد من هذه البحوث وزارة البحث العلمي وبعض الادارات الحكومية الأخرى · وقد بلغ مجموع هذه البحوث ما بين يوليو ٧١ ويوليو ٧٣ أكثر من مائة بحث . ولعل أكثرها طموحا هو البحث الخاص بـ « الرجل الطائر » · وقد نجحت بعض هذه البحوث بينما فشل بعضها الآخر في التوصل الى حلول للمشكلات التي كانت تعالجها · وسوف أذكر هنا بعضاً من تلك البحوث التي تمت خلال السنتين اللتين سبقتا حرب اكتوبر ٧٣ ·

القاهر والظافر

- لقد قيل الكثير عن امتلاك مصر لصواريخ يطلق عليها اسم « القاهر » ويصل مداها الى حوالي ٢٠٠ كيلومتر أو أكثر · ويبدو أن السلطات المصرية كان يسعدها تشجيع هذه الأقوال وتغذيتها · وقد كان الصاروخ القاهر عنصراً دائماً في جميع الاستعراضات العسكرية المصرية قبل حرب ١٩٦٧ · وبعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ أخذ المصريون يتهامسون « أين القاهر ؟ هل استخدم أم لا في هذه الحرب ؟؟ » ولم يكن هناك أية اجابة على هذه التساؤلات الا الصمت الرهيب من السلطات المختصة جميعها ·

- وعندما استلمت أعمال ر ا ح ق م م لم يتطوع أحد ليخبرني بشيء عن « القاهر » أو « الظافر » ولكني تذكرتهما فجأة وأخذت أتقصى أخبارهما الى أن عرفت القصة بأكملها · لن أقص كيف بدأت الحكاية وكيف انفقت ملايين الجنيهات على هذا المشروع وكيف توقف وكيف ساهم الاعلام المصري في تزوير الحقائق وخداع شعب مصر . اني أترك ذلك كله للتاريخ . ولكني سأتكلم فقط عن الحالة التي وجدت فيها هذا السلاح وكيف حاولت أن استفيد بقدر ما استطيع من المجهود والمال اللذين انفقا فيه . لقد وجدت أن المشروع قد شطب نهائياً وتم توزيع الأفراد الذين كانوا يعملون فيه على وظائف الدولة المختلفة . أما « القاهر » و « الظافر » فكان هناك عدة صواريخ منهما ترقد راكده في المخازن · لقد كانت عيوبهما كثيرة وفوائدهما قليلة ولكني قررت أن أستفيد منهما بقدر ما تسمح به خصائصهما . وقد حضرت بياناً عملياً لاطلاق « القاهر » يوم ٣ . سبتمبر ١٩٧١ · لقد كانت قذيفته تزن ٢.٥ طن وتحدث حفرة في الأرض المتوسطة الصلابة بقطر ٢٧ متراً ١٢ متراً في العمق . وتبلغ كمية الأتربة

المزاحة حوالي ٢٣٠٠ متر مكعب · وكما يبدو فإن القوة التدميرية لهذا السلاح تعتبر رائعة ولكن كفاءة السلاح الميداني لا تقاس فقط بقوة التدمير فقد كانت هناك عيوب جوهرية في هذا السلاح تجعله أقرب ما يكون الى المقلاع أو المنجنيق اللذين كانا يستخدمان خلال القرون الوسطى · لقد كان كبير الحجم والوزن . اذا تحرك فإن مركبته تسير بسرعة ٨ ـ ١٠ كيلومترات في الساعة وعلى أرض ممهدة أو صلبة · واذا اطلق فإنه يطلق بالتوجيه العام حيث أنه ليس لديه أي وسيلة لتحديد الاتجاه سوى توجيه القاذف في اتجاه الهدف قبل تحميل المقذوف على القاذف · وان اقصى مدى يمكن أن يصل اليه هو ثمانية كيلومترات !! .. ولا يمكن التحكم في المسافة الا في حدود ضيقة وعن طريق رفع زاوية الاطلاق أو خفضها!! وفي أثناء التجربة اطلقنا ٤ مقذوفات بالاتجاه نفسه والزاوية نفسها فكانت نسبة الخطأ تصل الى ٨٠٠ متر · وعلى الرغم من ذلك كله فقد قررت أن أستهلك هذه الصواريخ خلال حرب اكتوبر وشكلت وحدة خاصة لهذا السلاح . وأطلقنا عليه اسم « التين » . ولم يكن في استطاعتنا طبعاً أن نستخدمه ضد أي هدف يقع شرق القناة مباشرة لأن عدم دقة السلاح قد يترتب عليها سقوط القذيفة على مواقعنا التي تقع غرب القناة ولا يفصلها عن مواقع العدو سوى ٢٠٠ متر فقط · ولم يكن في وسعنا أن نبعث به الى الجبهة قبل بدء العمليات حيث أنه لو حدث واكتشف العدو وجوده فقد يعتقد الاسرائيليون بناء على حجمه أنه قادر على ضرب تل أبيب . لذلك أجلنا تحركه حتى ليلة الهجوم أي أنه تحرك الى الجبهة خلال ليلة ٥ / ٦ اكتوبر ٧٣ ·

ـ لم تكن نتائج استخدامه طيبة ولكن كما سبق أن قلت لقد حصلنا عليه من بين الأصناف الراكدة ولم نكن لنخسر شيئاً نتيجة لاستخدامه · ولكني فوجئت بأن الرئيس السادات يعلن صباح يوم ٢٣ اكتوبر ٧٣ بأننا اطلقنا « القاهر » على العدو الذي يحتل منطقة الدفرسوار قبل وقف اطلاق النار مساء يوم ٢٢ اكتوبر ببضع دقائق . واني اعلن وأقرر بأن هذا الادعاء باطل ولم يحدث مطلقاً . ان كل ما حدث هو إطلاق ثلاث قذائف سوفياتية الصنع بواسطة R17E (١) وأني لأتعجب ! من الذين يريد السادات خداعهم ؟ أميركا أم اسرائيل أم شعب مصر ؟ ان من السذاجة أن يعتقد السادات أنه يستطيع ان يخدع أميركا أو اسرائيل بمثل هذا القول · ان امكانيات اميركا الاستطلاعية بواسطة الأقمار الصناعية وطائرات الاستطلاع التي تطير خارج مدى صواريخنا . ووسائل الاستطلاع الالكتروني . كل ذلك كفيل بأن يجعل مثل هذا الادعاء مثاراً للضحك .اذن فالمقصود هو شعب مصر الذي لا يسمع ولا يقرأ الا ما يقوله حاكم مصر · لا أعرف كيف سيرد السادات على هذه الكذبة وان كنت لا استبعد أن يرد عليها بأن يرتكب كذبة أخرى ·

ـ أما صاروخ الظافر فهو الأخ الأصغر للقاهر · لقد كان أصغر حجما وأقصر مدى وقد قامت الكلية الفنية العسكرية بتطويره بحيث يمكن اطلاق ٤ قذائف دفعة واحدة · لقد كان أكثر دقة من القاهر ولكنه مع ذلك لا يمكن اعتباره بين الاسلحة الدقيقة · لقد حضرت أيضاً بياناً

---

(١) يطلق عليه الغرب اسم "SCUD"

عملياً عن اطلاقه يوم ٢٣ سبتمبر ٧١ ، ثم حضرت عدة بيانات عملية أخرى لاطلاقه بعد ذلك وقررت استهلاك الموجود منه خلال حرب اكتوبر ٧٣ . وفعلاً تم تشكيل وحدة خاصة به وأعيدت تسميته لتكون « الزيتون » . وقمنا بدفعه الى الجبهة خلال الليالي الثلاث الأخيرة قبل المعركة . لقد كانت نتائجه في العمليات الحربية أفضل من أخيه القاهر . وكانت حرب اكتوبر هي الفرصة التي امكن بها اسدال الستار نهائياً على « القاهر » و « الظافر » أو طبقاً لاسميهما الجديدين « التين والزيتون » .

الحوامات Hovercrafts

- وفي مجال البحث عن المعدات الحديثة التي يمكن الاستفادة منها في عملية العبور فكرت في الحوامات Hovercrafts . استقبلت مندوب الشركة الانجليزية في مكتبي يوم ٢١ يونيو ٧٢ ولكني بعد أن درست معه خصائص جميع الأنواع المتيسرة لديهم لم أجد ان ايا منها يمكن أن يقدم حلولاً جذرية لما يجول بخاطري . كانت أكبر هذه الحوامات ذات حمولة ١٧ طناً وسرعة ٦٠ عقدة في الساعة . وأخيرا قلت لمندوب « الشركة » هل تستطيع أن تصنع لي حوامة ذات حمولة ٥٠ طناً ولا يهمني السرعة العالية فان ٣٠ عقدة تعتبر كافية انني اريد أن استخدمها لنقل الدبابات بحيث تستطيع الواحدة منها أن تنقل دبابة واحدة في كل مرة . أجاب مندوب الشركة بأنه يعتقد أن هذه المشكلة يمكن حلها فنياً . وأنه سيبحث الموضوع مع شركته ثم يخطرني بالنتيجة . وفي خلال سبتمبر من العام نفسه عاد اليَّ ليبلغني بأن الشركة قد قامت بصنع التصميم اللازم طبقاً للطلبات التي حددتها لهم . وأنه في استطاعة الشركة القيام بانتاج الحوامات المطلوبة . لم يكن ذلك فحسب . بل انه أحضر معه نموذجاً مصغراً لهذه الحوامة . لقد كان النموذج رائعاً ويحقق كل ما كنت أفكر فيه ولكن للأسف الشديد فأن ثمن خمس حوامات كنت أود الحصول عليها لم يكن متيسراً ولم استطع الحصول عليه وهكذا وضع المشروع على الرف . لقد كان هدفي هو أن استخدم هذه الحوامات في نقل عدد من الدبابات عبر بحيرة التمساح والبحيرات المرة . لقد عبرنا تلك البحيرات خلال حرب أكتوبر بواسطة الدبابات والمركبات البرمائية ولكن شتان ما بين الدبابة البرمائية ذات الدرع الخفيف والمدفع عيار ٧٦ مم والدبابة ت ٥٤ أو ت ٥٥ ذات المدفع ١٠٠ مم أو الدبابة ت ٦٢ ذات المدفع ١١٥ مم . لو اننا كنا نملك هذه الحوامات قبل حرب اكتوبر ٧٣ لأمكننا أن نزيد من عدد دباباتنا التي ندفع بها مؤخرة العدو وبالتالي كان من الممكن ان نحصل على نتائج أفضل . أني أقول هذه القصة لألفت النظر الى أن هذه الحوامات سوف تلعب دوراً هاماً في نقل الدبابات في حروب المستقبل .

كوبري مروان

اتصل بي اللواء طلاس ر ا ح ق م السورية خلال شهر مايو ٧٣ وأخبرني أن احد ضباط سلاح الهندسة في الجيش السوري قد أخطره بأن لديه أفكاراً جديدة فيما يتعلق بالكباري التي نقيمها على قناة السويس . وان هذه الكباري الجديدة يمكن أن توفر لنا الكثير من

الوقت ، وأنه على استعداد لارسال هذا الضابط الى مصر ليكون تحت تصرفنا لأية فترة زمنية كانت .رحبت بالفكرة حيث أن توفير ساعة زمنية واحدة كان يعني بالنسبة لنا عبور حوالي ١٠٠٠ دبابة أو ٢٠٠٠ مركبة ٠ استقبلت الرائد السوري المهندس مروان في مكتبي يوم ٣٠ مايو ٧٣ وحضر المقابلة كل من مدير ادارة المهندسين في القوات المسلحة والمدير العام لشركة التمساح التي كان عليها أن تقوم بصنع العينة الأولى من الكباري بعد الاستماع الى الفكرة ٠

ـ كانت فكرة المهندس مروان تعتمد على أساس أن يتفادى فتح ممرات في الساتر الترابي وذلك بأن يكون نصف الكوبري الذي من ناحية قواتنا عائماً على الماء ثم يرتفع النصف الآخر بحيث يستند طرفه البعيد على قمة الساتر الترابي ٠ ونظراً لارتفاع الساتر الترابي الى حوالي ٢٠ متراً كما سبق ان ذكرنا فقد كان هذا يعني أن زاوية ميل الجزء المعلق من الكوبري ستكون كبيرة اذا بدأ الجزء المعلق بالارتفاع داخل السدس الأخير من القناة . اما اذا بدأ الجزء المعلق بالارتفاع عن سطح المياه قبل ذلك فسوف تقل زاوية الارتفاع ولكن مقابل التضحية بقوة تحمل الكوبري وثباته ٠ لم يتحمس مهندسونا للفكرة وأثاروا الكثير من نقاط التشكيك ولو أنهم اعترفوا بأنه من الممكن تنفيذها هندسياً .وأنا ايضاً كنت أرى أن تطبيق الفكرة سوف يخلق لنا الكثير من المشكلات من وجهة نظر العمليات ٠ ان عبور كوبري بهذا الميل سوف يحتاج الى تدريب خاص ومستوى عال في قيادة المركبات قد يكون من الصعب توفره بين جميع السائقين ٠ ماذا يحدث لو أن احدى الدبابات أو العربات الثقيلة تراجعت للخلف فصدمت ودمرت المركبة التي خلفها ؟ ماذا يحدث لو أن الجزء المعلق من الكوبري دمر بواسطة العدو ؟ ان اصلاح الكوبري العائم باستبدال جزء بآخر يتم في سهولة ويسر أما بالنسبة للكوبري المعلق فان الوضع يختلف ٠ كما وان فرصة العدو في اصابة الكوبري المعلق أو المركبة التي تعبر عليه . أفضل بكثير من فرصة اصابة المركبة وهي تعبر على الكوبري العائم (انظر شكل رقم ٤) ٠

ـ وعلى الرغم من هذه المشكلات كلها فقد وافقت على أن نقوم بعمل عينة للكوبري وبعد عمل العينة حضرت اجراء تجربتها ولكن النتائج لم تكن مشجعة ٠ اقترح المهندس مروان أن نرسي طرف الكوبري على نقطة متوسطة من الساتر الترابي ثم ترسل بولدوزر الى الشاطىء الآخر يقوم بالعمل في الساتر الترابي الى أن يخفض ارتفاعه الى مستوى معقول يستقر عليه طرف الكوبري ثم نبدأ بالعبور فوق الكوبري ٠ كان هذا التعديل الجديد يزيد العملية تعقيداً ومع ذلك تركت المهندس مروان في تجاربه كنوع من استمرار الدراسة وكعمل من اعمال الخداع (١) كانت آخر تجربة حضرتها عن كوبري مروان ، يوم ٢٣ سبتمبر ٧٣ . وبعد حضور هذه التجربة طلب مني الرائد مروان أن يعود الى بلاده فوافقت بعد أن شكرته على المجهودات الضخمة التي بذلها خلال أربعة شهور متتالية ٠ وعلى الرغم من أن كوبري مروان لم يكتب له

---

(١) كان ميعاد الحرب قد تحدد في اواخر اغسطس وكان واضحا حتى يفرض نجاح الفكرة أن عامل الوقت لن يسمح باستخدامها لعدم توفر الوقت اللازم لانتاج الكباري المطلوبة وتدريب السائقين ٠

النجاح الا أن القصة تدل على أن العقول المصرية والسورية لم تتوان عن التعاون معاً لحل المشكلات التي تعترضها مهما كانت التحديات والتضحيات ·

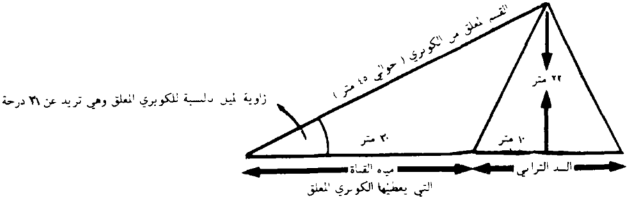
الاستشعار من بعد

ـ في خلال شهر مايو ٧٣ وصلني خطاب من الدكتور عبد الهادي الاستاذ المصري في جامعة أوكلاهوما في الولايات المتحدة . وفي هذا الخطاب ابلغني الدكتور عبد الهادي أنه يريد أن يطلعني على نظام جديد يمكن بمقتضاه اكتشاف أية معادن أو مياه تحت سطح الأرض بموجب معدات خاصة يتم تركيبها في الطائرات وأنه يعتقد أنه من الممكن أن نستفيد من تطبيق هذه النظرية في النواحي العسكرية . كما اخطرني بأنه قد سبق له أن أرسل عدة خطابات الى العديد من المسؤولين لعرض هذا الموضوع ولكن لم يستجب اليه أحد·وفي خلال أيام كان الدكتور عبد الهادي في مكتبي يشرح لي النظرية الجديدة التي قال أن شركات البترول تستخدمها الآن في البحث عن حقول البترول · ان النظرية تعتمد أساساً على أن كل مادة لها درجة حرارة تختلف عن درجة حرارة المواد الاخرى التي تتواجد معها في المحيط نفسه · ونتيجة لذلك فان المياه الجوفية أو النفط في باطن الأرض تكون درجة حرارتها مختلفة عن درجة حرارة الارض التي تحيط بها · كذلك فان الدبابة أو العربة اذا وضعت داخل جراج فان درجة حرارتها تكون مختلفة عن درجة حرارة حوائط وسقف الجراج · وتطبيقاً لهذه النظرية فأنه اذا أمكن قياس درجات حرارة هذه الأجسام على شكل نبضات تلتقطها أجهزة الطائرة فإنه يمكن تسجيل هذه النبضات وتفسيرها على شكل صورة . اذا كان الفرق في درجات الحرارة بين الجسم الذي نرغب في اكتشافه وبين الأجسام التي تحيط به تزيد عن ٠,٢ من الدرجة المئوية · وقد أطلعني على احدى المجلات العلمية وكان بها مقاله عن الدول التي تستخدم هذه النظرية وكانت اسرائيل من بين تلك الدول · لقد كان كلام الدكتور عبد الهادي واضحاً ومنطقياً ولم يكن ينقصني الا التجربة العملية لكي نتحقق مما يقول فوافق على ذلك · وفي اثناء مناقشاتنا علمت منه أن هناك أجهزة للالتقاط وهي أجهزة سهلة وبسيطة وهي معه حالياً في مصر أما أجهزة التفسير فهي أجهزة معقدة ثقيلة ولا تتواجد معه ولذلك يجب أن يرسل الأفلام الملتقطة الى الجامعة في اوكلاهوما لتفسيرها وهنا كانت المشكلة · كنا في مصر في ذلك الوقت سواء على المستوى الشعبي أم على المستوى الرسمي لا نفرق بين أميركا واسرائيل فكل سر تعرفه أميركا عنا نفترض بطريقة أوتوماتيكية أنه قد انتقل الى العدو . أبديت شكوكي وتخوفي من هذه النقطة فأراد أن يطمئنني بأن انتحب مكان التصوير لأغراض التجربة بحيث يكون بعيداً عن أي هدف عسكري . وبعد أن أقتنع بالتجربة فإننا نعمل على تدبير أجهزة التفسير الخاصة بنا . وبالتالي يصبح لدينا جهاز مستقل للالتقاط والتفسير . فوافقت على ذلك ·

ـ بعد هذه المقابلة استدعيت بعض مساعدي لبحث الموضوع معهم ولكني فوجئت بمدير ادارة المخابرات الحربية يقول لي « لقد فوجئت عندما علمت بأن سيادتكم قد قابلتم الدكتور

عبد الهادي . أنه معروف لدينا بأنه عميل لوكالة المخابرات الأمريكية "CIA" (١) سألته اذا كان لديه أية اتهامات محددة يمكن أن يوجهها اليه فأفاد بالنفي فقلت له « لحسن الحظ فإن أخلاقي وطباعي تختلف عن طبيعة رجال الخدمة السرية . اني أتعامل مع كل وطني على أنه رجل شريف الى أن يثبت العكس . أما انتم فانكم تتشككون في كل فرد الى أن يثبت العكس . أنا لا اعتقد ان الدكتور عبد الهادي هو جاسوس لمجرد أنه اميركي الميول والاتجاهات» وفي النهاية اتفقنا على أن نسير في اجراء التجربة مع اتخاذ الاجراءات التي تضمن عدم تسرب المعلومات .

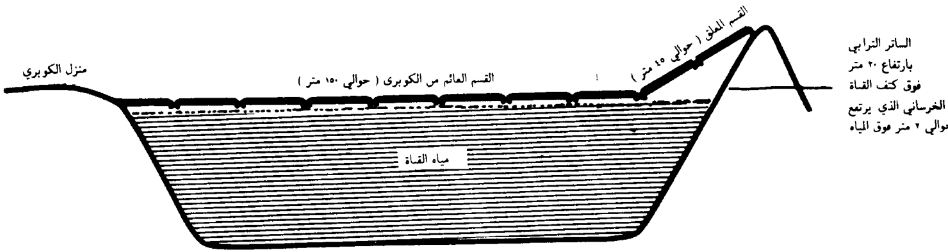
- في يوم ١٦ يونيو ٧٣ استقبلت الدكتور عبد الهادي مرة أخرى بحضور كل من اللواء ابراهيم عبد الفتاح واللواء مصطفى كمال حيث تم الاتفاق معه على الاجراءات الخاصة بالتجربة . وهكذا خصصنا إحدى الطائرات وخصصنا القطاع الذي يتم تصويره ليلاً . وتمت التجربة وجاءت نتائج تفسير الفيلم رائعة وتدل على سلامة النظرية في التطبيق العملي . كان الوقت يقترب بسرعة من موعد حرب اكتوبر ولم استطع تمصير جهاز الاستشعار من بُعْد قبل الحرب . ولكني نجحت في وضع النواة التي آمل ان تنمو وتكبر على مر الأيام (٢) .



(١) ليتني أعرف راي مدير ادارة المخابرات السابق الآن وبعد مرور ٥ سنوات على هذا اللقاء .

(٢) قامت مصر بعد حرب اكتوبر ٧٣ . وبمساعدة الدكتور عبد الهادي نفسه بانشاء المركز الخاص بالاستشعار من بعد .

الشكل رقم ٤
رسم تخطيطي يبين فكرة كوبري مروان



ـ في ذات يوم من عام ١٩٧٣ استدعيت رئيس هيئة الشؤون المالية في القوات المسلحة وسألته عن تكاليف انشاء وادامة كل وحدة من وحدات القوات المسلحة . ولكنه اخبرني بأنه لا توجد أجابة حاضرة وسريعة على هذا السؤال . فأن تحضيره يحتاج الى مجهود ووقت طويلين . لماذا ؟ لأن ميزانية القوات المسلحة يتم تحضيرها على أساس الصنف وليس على اساس الوحدة المتكاملة . أي أن هناك ميزانية للتسليح وميزانية للمركبات وميزانية للمباني والمعسكرات وميزانية للملابس وهكذا . وحيث أن كل وحدة هي في الواقع خليط من كل هذا فانه للاجابة على سؤالي يجب أن يأخذ كل وحدة ويقوم بتحليلها الى تلك العناصر ثم يقوم باجراء حساب التكاليف لكل عنصر من هذه العناصر داخل الوحدة الواحدة . ثم يقوم بتجميع حساب تكاليف هذه العناصر لكي يحصل على الرقم الاجمالي لحساب تكاليف الوحدة . قلت له « كيف يمكنني ان أفاضل بين لواء صواريخ مضادة للطائرات وبين سرب من المقاتلات اذا لم أكن على علم بمعرفة تكاليف انشاء وتكاليف ادامة كل منهما حتى تكون الافضلية على اساس ثمن التأثير "Cost effectiveness" أجاب بأنه يقدر أهمية هذا الموضوع وأنه سوف يقوم بتشكيل مجموعة عمل لتنفيذ هذه المهمة ولكنه حذر مقدماً من أن ذلك سوف يحتاج الى وقت طويل وأنه لا يستطيع أن يضمن الدقة التامة لهذه التقديرات . وكخطوة مبدئية طلبت معرفة نسب توزيع الميزانية العسكرية على أوجه الانفاق الرئيسية .

ـ اتضح لي أن ميزانية القوات المسلحة عن عام ٧٣ كانت موزعة طبقاً لما يلي :

رواتب وأجور وايواء	٦٨ ٪
تسليح	١٣ ٪
صيانة أسلحة ومعدات	٩ ٪
تحصينات	٦ ٪
أصناف أخرى متنوعة	٤ ٪
	١٠٠ ٪

ـ في البلاد المتطورة وحيث لا يكون هناك أية قيود على شراء السلاح يبدأ تسليح القوات المسلحة بالقرار الذي تتخذه الدولة من حيث تحديد المبالغ المخصصة لشؤون الدفاع . وعلى أثر ذلك يشرع المختصون بشؤون الدفاع في بحث أفضل الطرق لاستخدام هذه الاعتمادات المالية . ومع أن القرار الأول هو قرار سياسي في المقام الأول والقرار الثاني هو قرار عسكري في المقام الأول فإن صانعي القرار في كلتا الحالتين يتأثرون بالحوار الذي يجري بين الطرفين قبل اتخاذ هذه القرارات . هذا ما يحدث في البلاد المتطورة . أما في البلاد التي مازالت في مرحلة التطوير أو بكلمة أعم في دول العالم الثالث فان الموقف ليس بهذه السهولة . إن سوق السلاح تسيطر عليها الكتلتان الكبيرتان وهما الكتلة الشرقية والكتلة الغربية . وان قرار كل من اميركا أو الاتحاد السوفياتي امداد احدى دول العالم الثالث بالسلاح يخضع لعوامل كثيرة

أهمها الحفاظ على توازن القوى بين مصالح الدولتين العظميين في المنطقة . التقدم الفني والتكنولوجي ومدى القدرة على استيعاب الأسلحة المتقدمة . مقدرة الدولة على دفع ثمن السلاح . ومدى التزام الدولة التي تشتري السلاح بالخط السياسي الذي لا يتعارض مع مصالح الدولة المصدرة له . وهكذا فإن صانعي القرار في دول العالم الثالث ليس لديهم الكلمة الاخيرة في تحديد واختيار السلاح الذي يريدونه .

- وإذا قارنا أوجه الانفاق في ميزانيتنا العسكرية عام ٧٣ بمثيلاتها في الدول الغربية فاننا نجد تبايناً واضحاً . فعلى الرغم من انخفاض الرواتب والأجور التي يحصل عليها الجندي المصري والضابط المصري وعلى الرغم من مستوى المعيشة المتواضع جداً الذي توفره القوات المسلحة لرجالها فان تكاليف الرجال وحدهم تشكل ٦٨ ٪ من اعتمادات الدفاع مقابل ٥٠ ٪ في كل من الولايات المتحدة وبريطانيا (١) . ان أول ما يتبادر الى الذهن نتيجة لهذه الأرقام هو أننا نستخدم عدداً أكثر من الأفراد لتشغيل معداتنا الحديثة . وأننا ما زلنا نعتمد على الجندي المسلح بالبندقية أكثر من اعتمادنا على الأسلحة المتقدمة والالكترونية . ولا شك أن هناك نصيباً كبيراً من الحقيقة في هذا القول ولكن هناك أيضاً عوامل أخرى كثيرة لا مجال لبحثها الآن .

- في مساء يوم ٢٦ أغسطس ٧٣ كنت مدعواً على العشاء في فندق ميناهاوس من قبل السيد حسين الشافعي . كان السيد حسين الشافعي يقوم بأعمال رئيس الجمهورية بالنيابة - نظراً لوجود الرئيس السادات خارج القطر - وكان يقيم مأدبة عشاء على شرف الرئيس معمر القذافي الذي كان قد حضر فجأة الى القاهرة في اليوم السابق . كان يجلس بجواري الدكتور حجازي نائب رئيس الوزراء ووزير الاقتصاد(٢). تحدثت مع الدكتور حجازي بخصوص مناقشتي مع رئيس هيئة الشؤون المالية بالقوات المسلحة بغرض تحديد تكاليف انشاء وادامة كل وحدة من وحدات القوات المسلحة . وسألته اذا كان يستطيع مساعدتنا في هذا الموضوع . ما إن سمع الدكتور حجازي كلامي عن هذا الموضوع حتى قفز فرحاً وقال « سوف أقدم مساعدتي في هذا الموضوع ليس بصفتي وزيراً للاقتصاد والمالية ولكني بصفتي الدكتور حجازي الذي حصل على شهادة الدكتوراه في الموضوع نفسه الذي تحدثني عنه وتطلب مساعدتي فيه . لقد حاولت أنا نفسي أن أفعل ما تريده أنت الآن فيما يتعلق بالميزانية المدنية ولكني لم أنجح . إن تنفيذ هذا الموضوع يحتاج الى انضباط شديد . وأنا لم أستطع أن أفرض هذا الانضباط على الجهات المدنية . أما في القوات المسلحة فان فرصتنا في النجاح ستكون أفضل بكثير . ان الانضباط موجود وعلاوة على ذلك فإن رئيس أركان حرب القوات المسلحة يؤيد هذا المشروع ويسانده . لقد نجح ماكنمارا في تعديل ميزانية الدفاع في القوات المسلحة بالأسلوب الذي تطلبه أنت الآن . واني أعتقد أن بإمكاننا أن نحقق في مصر ما استطاع ماكنمارا أن يحققه في أميركا » .

- كان الدكتور حجازي شديد التحمس لهذا الموضوع واتفقنا على ان نتقابل بعد عودته من

(١) في أوائل الستينات كانت هذه النسبة ٤٠٪ في بريطانيا . ٣٠٪ في الولايات المتحدة .
(٢) عين رئيسا للوزراء في عام ١٩٧٤ .

رحلة الى الخارج كان يزمع القيام بها . وذلك لمناقشة التفاصيل والاتفاق على الخطوط العريضة التي سوف تتبع لدراسة هذا الموضوع · لقد كانت تلك المأدبة بعد يومين فقط من انهاء المؤتمر المشترك بين القيادة العسكرية المصرية والسورية والتي تم الاتفاق فيها على تحديد يوم الهجوم وكنا فقط في انتظار تصديق الرئيس السادات والرئيس حافظ الأسد · كانت عجلة الحرب قد بدأت في الدوران وكان واضحاً انه لن يتسع الوقت لاجراء هذه الدراسات · وعدت الدكتور حجازي بأني سأتصل به مرة ثانية بعد عودته من الخارج ولكني لم أفعل ذلك فقد كنت مشغولاً بوضع اللمسات الأخيرة للمعركة الهجومية التي بدأت في ٦ أكتوبر ·

(الفصل العاشر)

تطور الدفاع الجوي في مصر

انهيار الدفاع الجوي عام ١٩٦٩

ـ لقد بدأنا ببناء القوات المسلحة المصرية بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ بجد وحماس شديدين · وبحلول سبتمبر ٦٨ كانت قواتنا البرية قد وصلت الى مستوى يسمح لها بتحدي الوجود الاسرائيلي شرق القناة . وهكذا بدأت حرب الاستنزاف · لقد كان الهدف العسكري من هذه الحرب هو رفع معنويات جنودنا التي اهتزت نتيجة هزيمة ٦٧ النكراء . وفي الوقت نفسه إرهاق العدو وتكبيده أكبر ما يمكن من الخسائر في الأرواح · وقد كان اسلوبنا في ذلك هو قصف مواقع العدو شرق القناة بالمدفعية وإرسال الدوريات عبر الشاطىء الآخر للقيام بأعمال الكمائن والإغارة ليلاً · كان العبء الأكبر من أعمال الكمائن والإغارة يقع على عاتق رجال الصاعقة . وكانت عملياتهم ناجحة في كثير من الأحوال . وحتى بالنسبة للعمليات التي فشلت فقد تعلمنا منها الكثير من الدروس التي ساعدتنا فيما بعد · ولكن القيادة العامة للقوات المسلحة قررت ايقاف هذه العمليات بعد ان قامت اسرائيل بدفع جماعات التخريب المنقولة جواً الى أعماق مصر وقامت بنسف بعض الأهداف الحيوية ومنها محطة كهرباء نجع حمادي · وبعد توقف دام حوالي أربعة شهور استؤنفت حرب الاستنزاف مرة أخرى في مارس ٦٩ ورد العدو على ذلك بتصعيد عمليات اغارته على أهدافنا في العمق ·

ـ وفي خلال يوليو ٦٩ دفع العدو بقواته الجوية في معارك الاستنزاف وقام بتدمير دفاعنا الجوي في القطاع الشمالي من القناة وبذلك فتح ثغرة واسعة في خط الدفاع الجوي ما بين بورسعيد شمالاً والاسماعيلية جنوباً . وأصبح في استطاعته أن يعبر بطيرانه خلال هذه الثغرة الى قلب الدلتا · وفي صباح ٩ سبتمبر عبرت قوة اسرائيلية خليج السويس وأنزلت ١٠ دبابات وعدداً من عربات القتال الأخرى في منطقة الزعفرانة حيث قامت هذه القوة تحت حماية الطائرات الإسرائيلية بمهاجمة وتدمير بعض أهدافنا الأرضية الموجودة في المنطقة ثم انسحبت دون أي تدخل من قواتنا الجوية أو البحرية حيث أن طيران العدو كان يسيطر على سماء المنطقة طول فترة الإغارة · لقد كانت هذه الإغارة دليلاً ساطعاً على مدى ما يستطيع ان

يفعله العدو في ظل سيطرة جوية كاملة · لقد اختار العدو منطقة الزعفرانة لهذه العملية بعناية فائقة · لقد كانت هذه المنطقة من وجهة نظر القيادة العامة للقوات المسلحة ذات أهمية ثانوية . وبالتالي فان القوات التي خصصت لها كانت قليلة ومنتشرة وضعيفة التسليح · لقد كان واجبهم الأساسي هو المراقبة والعمل ضد جماعات التخريب الصغيرة التي تتسلل الى المنطقة ولكن ليس لقتال قوة مدرعة · لقد كان لديهم بعض الأسلحة المضادة للدبابات التي يصل أقصى مداها الى ٦٠٠ متر بينما كانت دبابات العدو تستطيع أن تدمر هذه الأسلحة وهي على مسافة ٢٠٠٠ متر دون أن يكون في ذلك أية مغامرة ·

ـ وقد بلغت مشكلة الدفاع الجوي في مصر أقصاها عندما كثف العدو غاراته في العمق فدمر دفاعنا الجوي ثم بدأ يوجه غاراته على الأهداف المدنية من مصانع وكباري ومدارس الخ · ولكي يستعرض العدو امكانياته وسيطرته الجوية قام بعملية فريدة في نوعها غريبة في طبيعتها . اذ قام بعملية إغارة على محطة رادار في منطقة البحر الأحمر ثم قام بفك الجهاز وتحميله في إحدى طائرات الهليوكوبتر وعاد به من حيث أتى · وبنهاية عام ١٩٦٩ كان دفاعنا الجوي قد انهار تماماً وأصبحت سماء مصر مفتوحة أمام الطائرات الاسرائيلية تمرح فيها كيف تشاء وحيث تشاء ·

عناصر الدفاع الجوي

ـ إن أي نظام للدفاع الجوي المتكامل يجب أن يشتمل على أربعة عناصر رئيسية . ودونها فأن هذا النظام يعتبر نظاماً هيكلياً يسهل اختراقه وتدميره جزءاً جزءاً إلى أن يتم الإجهاز عليه نهائياً بواسطة الخصم · وأول هذه العناصر هو اكتشاف ومتابعة الطائرات المعادية على مسافة بعيدة تسمح لوسائل الدفاع الجوي الإيجابي والسلبي أن تتخذ الاجراءات المناسبة لمقابلة الطائرات المغيرة · والعنصر الثاني هو توفر طائرة مقاتلة تكون في مستوى أفضل من الطائرات المغيرة أو على أقل تقدير في مستواها حتى يمكنها أن تعترض الطائرات المغيرة وتشتبك معها وتطاردها الى خارج الحدود · أما العنصر الثالث فهو شبكة متكاملة من الصواريخ المضادة للطائرات التي تقوم بالدفاع الثابت عن الأهداف الحيوية مثال ذلك المطارات والسدود والكباري والمناطق الصناعية والمناطق المأهولة بالسكان الخ · وإن شبكة الصواريخ هذه يجب أن تكون في تطور مستمر يتمشى مع تطور طائرات العدو وقذائفه جو ـ أرض ASM · إن أية شبكة دفاع جوي حديثة يمكن أن تصبح عديمة القيمة بمجرد حصول العدو على نوع متطور من القذائف جو ـ أرض · وعلى سبيل المثال فإن شبكة الدفاع الجوي المصري التي كانت تعتبر من أكفأ شبكات الدفاع الجوي في العالم في اكتوبر ٧٣ . والتي كان في استطاعتها أن تصيب أهدافها وهي على مسافة حوالي ٢٠٠٠٠ متر قد أصبحت الآن عديمة القيمة تماماً بعد أن امتلكت اسرائيل القذائف جو ـ أرض الأميركية Condor وبعد أن طورت القذيفة الإسرائيلية GABRIEL لكي تطلق من الجو وبعد أن قررت اسرائيل تصنيع القذيفة LOZ محلياً في اسرائيل على أن تكون في خدمة جيشها في أوائل

الثمانينات . وتعتبر هذه القذيفة الأخيرة أفضل من القذيفتين السابقتين حيث أن مداها يصل الى ٨٠ كم. ان طائرات اسرائيل تستطيع ان تدمر شبكة الصواريخ المصرية بالقذائف Gabriel من مسافة ٤٠ كم أو بواسطة القذائف CONDOR من مسافة ٦٠ كم أو بواسطة القذائف LOZ من مسافة ٨٠ كم دون أن تعطي الفرصة لشبكة الصواريخ المصرية أن تطلق قذيفة واحدة . أما العنصر الرابع من عناصر الدفاع الجوي فهو الأجهزة الالكترونية . وإن اكتشاف طائرات العدو المغيرة يعتمد على الأجهزة الالكترونية . وإن القذائف جو - جو AAM و القذائف جو - أرض ASM التي تطلقها الطائرات على أهدافها تعتمد على الأجهزة الالكترونية . وإن القذائف التي تطلق من الأرض الى الجو SAM على الطائرات المغيرة تعتمد أيضاً على الأجهزة الألكترونية . وان التقدم العلمي ليس له حدود يتوقف عندها . إن أي جهاز الكتروني يمكن ابطال مفعوله بإجراء الكتروني مضاد وهذا الاجراء الالكتروني المضاد يمكن إبطال مفعوله بإجراء مضاد للمضاد وهذا الاجراء المضاد للمضاد يمكن أبطاله مرة أخرى بإجراء مضاد للمضاد المضاد وهكذا دواليك . لذلك فإن نجاح واستمرار أي دفاع جوي يتوقف على ارتباطه الوثيق بالتقدم التكنولوجي والتطوير المستمر في الأجهزة الالكترونية المستخدمة .

- إن الدفاع الجوي هو عملية باهظة التكاليف ولكنه لا يملك أنصاف الحلول فإما أن يكون هناك دفاع جوي متكامل ودائم التطور بحيث يستطيع أن يتمشى مع تطور القوات الجوية المعادية . وإما أن توفر الدولة أموالها ومجهودها وتبني سياستها على أساس أنه ليس لديها دفاع جوي . إنه من الغباء والإسفاف ان تنفق مئات الملايين على دفاع جوي يستطيع العدو أن يدمره دون أن يخسر طائرة واحدة ودون أن تكون هناك أي فرصة لرجال الدفاع الجوي أن يطلقوا مقذوفاً واحداً .

السوفيات يشاركون في الدفاع الجوي

- في نهاية ديسمبر ١٩٦٩ استطاع الرئيس جمال عبد الناصر بواقعيته وحسه المرهف أن يلم بهذه الحقائق . لقد أدرك جمال عبد الناصر أن دفاعنا الجوي يخوض معركة غير متكافئة ضد عدو يتفوق تفوقاً ساحقاً في امكانياته . كان جمال عبد الناصر يعرف أن رجال الدفاع الجوي في مصر لم يكن ينقصهم الشجاعة أو الرغبة في الفداء . بل كان ينقصهم السلاح الذي يستطيعون به أن يواجهوا هذه الهجمات الضارية . لذلك سافر عبد الناصر الى موسكو في يناير ٧٠ لكي يطلب العون من الروس . لكي يشاركوا بقواتهم في الدفاع الجوي عن مصر . وقد استجاب الاتحاد السوفياتي لطلب عبد الناصر وبدأت الامدادات الروسية تصل إلى مصر خلال فبراير ومارس في سرية تامة . وبحلول شهر ابريل كانت الوحدات السوفياتية قد أصبحت جاهزة للقيام بمهامها القتالية . كانت هذه الوحدات تشمل جميع العناصر الرئيسية الأربعة في الدفاع الجوي . وكان معها معدات حديثة لم يسبق لمصر أن حصلت عليها (١) . كان

---

(١) كانت العناصر السوفياتية تقوم بتشغيل عدد من الرادارات ، ٨٠ طائرة ميج ٢١ ، ٢٧ كتيبة صواريخ SAM وحدات الكترونية متعددة ، ٤ طائرة ميج ٢٥ للقيام بأعمال الاستطلاع وكان مجموع القوات الروسية في مصر حوالي ٦٠٠٠ رجل .

معها الرادارات ، والطائرات ، والصواريخ المضادة للطائرات SAM ومن بينها SAM 6 والوحدات الالكترونية . وفي يوم ١٨ ابريل ٧٠ عرف العالم بوجود قوات سوفياتية في مصر ، وذلك بعد أن قام بعض الطيارين السوفيات بمطاردة بعض الطائرات الاسرائيلية المغيرة حتى خارج الحدود . وقد كانت جميع محادثاتهم اللاسلكية اثناء هذه العملية تتم باللغة الروسية . وبعد هذا التاريخ أوقفت اسرائيل غاراتها في العمق وبذلك أعطت الفرصة لعناصر الدفاع الجوي المصري التي كانت قد أنهكت تماماً لكي تعيد بناء نفسها من جديد . لقد قام العدو ما بين يناير وابريل ١٩٧٠ بالعديد من الغارات بلغ في مجموعها ٣٣٠٠ طلعة ، وأسقط خلالها ٨٨٠٠ طن من المتفجرات . وفي أواخر يونيو ٧٠ تحركت كتائب الصواريخ SAM المصرية بوثبات من العمق وفي اتجاه الجبهة . وفي خلال الأسبوع الأول من شهر يوليو ٧٠ تمكنا من اسقاط ١٠ طائرات معادية سقط سبع منها فوق أرضنا . وان هذا الأسبوع يطلق عليه الآن « اسبوع تساقط الطائرات » . وقد أصبح عيداً سنوياً لوحدات الدفاع الجوي المصري . إن يوم ٣٠ يونيو ٧٠ الذي تم فيه إسقاط أول طائرتين من طراز F4 بواسطة صواريخنا SAM يعتبر يوماً مشهوداً في حياتنا . إنه يعلن بعث الحياة من جديد في دفاعنا الجوي ويمثل فتحاً جديداً لعصر الصراع بين القذيفة SAM وبين الطائرة . لقد كان الصراع بين الطائرة والقذيفة صراعاً مريراً خلال حرب اكتوبر دون أن يستطيع أي منهما أن يدعي بأن له التفوق على الآخر . ففي بعض الأحيان انتصرت الطائرة ودمرت أو أبطلت بعض قواعد الصواريخ . وفي أحيان أخرى انتصرت قواعد الصواريخ ودمرت الطائرات المغيرة وقد كانت الأجهزة الالكترونية التي يستخدمها كل من الطرفين هي العامل الحاسم في تحديد نتائج المعركة . وسوف يستمر الصراع في الحروب القادمة بين الطائرة والقذيفة ولن يستطيع أي منهما أن يلغي وجود الطرف الآخر . ليس هناك اجابة مطلقة تحدد من سينتصر ومن سينهزم . سينتصر من يملك الأفضل نوعاً . ستنتصرالطائرة اذا سلحت بقذائف جو - أرض ASM أبعد مدى من قذائف SAM وكانت تملك أجهزة الكترونية تستطيع بها أن تُبطل عمل الأجهزة الالكترونية المعادية عموماً والتي تساعد في توجيه القذائف SAM بصفة خاصة . وستنتصر القذائف SAM على الطائرات المعادية اذا كانت هذه الطائرات غير مسلحة بقذائف جو - أرض ASM ذات مدى يزيد عن مدى القذائف أرض - جو SAM واذا كان لدى الدفاع الجوي أجهزة الكترونية تستطيع أن تبطل مفعول الأجهزة الالكترونية المعادية سواء الايجابي منها أو السلبي .

تطور قواتنا الجوية بعد هزيمة يونيو ٦٧

- كانت خسائرنا في الطيارين خلال حرب يونيو ٦٧ قليلة حيث اننا خسرنا قواتنا الجوية في هذه الحرب بينما كانت ما تزال رابضة على أرض المطارات ، مما وضعنا في موقف يسمح لنا بإعادة بناء قواتنا الجوية في وقت أسرع مما لو كنا قد فقدنا الكثير من طيارينا . ومع ذلك فلم يكن من السهل إعادة بناء قواتنا الجوية بشكل يسمح لها باللحاق بمستوى قوات العدو أو تضييق الفجوة بين القوات الجوية الإسرائيلية والقوات الجوية المصرية . كانت القوات

الجوية الإسرائيلية تسبقنا بعشر سنوات على الأقل . كان طيارونا أقل عدداً وأقل خبرة . ان خلق الطيار الكفء هو عمل أكثر صعوبة من شراء الطائرة . ان خلق الطيار المقاتل يحتاج الى ٥ سنوات على الاقل . ثم يحتاج بعد ذلك الى ٥ سنوات اخرى لكي يصل الى قمة كفاءته . في خلال عام ١٩٧١ كان عدد الطائرات ميج ٢١ التي لدينا تزيد عن عدد الطيارين . وذلك علاوة على قيام الروس بتشغيل ٨٠ طائرة ميج ٢١ مصرية بطيارين سوفيات .

- لقد بدأت عملية إعادة بناء القوات الجوية في الأسابيع الأولى بعد هزيمة ٦٧ تحت ظروف بالغة الصعوبة - لقد كان على الطيارين القدامى أن يكونوا على استعداد دائم للاقلاع بطائراتهم كواجب من واجبات الدفاع الجوي . وكان عليهم في الوقت نفسه أن يقوموا ببعض الرحلات التدريبية لتدريب أنفسهم أو لتدريب الطيارين الجدد . ونتيجة لإرهاقهم زادت نسبة الحوادث بينهم اثناء التدريب زيادة كبيرة مما اضطر القيادة العامة الى التخفيف من الواجبات الملقاة على عاتقهم سواء بالنسبة لواجب العمليات أو بالنسبة لساعات التدريب . وبينما كانت قواتنا الجوية تمر بهذه الظروف الصعبة كانت القوات الجوية المعادية تتطور تحت ظروف مؤاتية بل ومثالية . لقد كانوا في وضع يسمح لهم بالاطمئنان وعدم الخوف من أية هجمة جوية معادية وبالتالي فلم يكن هناك ضغوط على طياريهم للقيام بأعمال المناوبة المستمرة في الدفاع الجوي . لقد كان لديهم الخبرة والفن ولديهم الوقت اللازم لممارسة التدرب وتدريب طيارين جدد وبالإضافة الى ذلك كله كان لديهم الطائرة الفضلى والأسلحة الفضلى والأجهزة الالكترونية الفضلى . وتحت هذه التحديات كلها بدأت القيادة العامة للقوات المسلحة في إعادة بناء القوات الجوية منذ الأسابيع الأولى لهزيمة يونيو ٦٧ . كان البناء يتم في جميع الاتجاهات استعداداً للمعركة التالية : كان تدريب الطيارين يجري على قدم وساق . كانت القواعد الجوية يجري بناؤها في أماكن متفرقة من القطر . كانت الملاجىء الخرسانية تبنى في القواعد لحماية الطائرات والطيارين من أي هجوم جوي مفاجىء . كانت عملية الدفاع الجوي والأرضي عن المطارات في تطور مستمر . كانت المجهودات تبذل في كل اتجاه لإعادة بناء قواتنا الجوية .

المهندسون وتأمين الدفاع الجوي

- ان تطوير وبناء الدفاع الجوي في مصر قد ألقى بمشكلات ومسؤوليات جديدة على عاتق المهندسين . فقد قاموا ما بين عام ٦٨ وعام ٧٣ بأعمال ضخمة لصالح الدفاع لجوي . إذ بنوا للقوات الجوية حوالي ٥٠٠ ملجأ من ملاجىء الطائرات في حوالي ٢٠ قاعدة جوية عسكرية وذلك علاوة على ملاجىء الطيارين وغرف العمليات والمستشفيات وجميع الخدمات الأخرى داخل تلك القواعد الجوية . أما قوات الدفاع الجوي فقد حظيت بالنصيب الأكبر من مجهودات المهندسين حيث تم بناء المئات من مواقع الصواريخ أرض - جو SAM ومهدت مئات الكيلو مترات من الطرق لربط هذه الشبكة داخلياً وخارجياً . أما القوات البحرية والقوات البرية فقد كانت متطلباتها من الدفاع الجوي أقل بكثير من متطلبات القوات الجوية وقوات الدفاع الجوي حيث أنها كانت تعتمد أساساً على الملاجىء الخفيفة . إن

من الصعوبة بمكان حصر الأعمال الهندسية التفصيلية التي قام بها المهندسون لتأمين القوات المسلحة المصرية ضد الهجمات الجوية المعادية بين ٦٧ ـ ٧٣ . ولكن من الممكن تصورها من حجم الأعمال التالية التي تم تنفيذها خلال هذه الفترة :

١٣٠ مليون متر مكعب من أعمال الردم والحفر
٣ مليون متر مكعب من الخراسانة
٢٠٠٠ كيلو متر من الطرق
١٠٠,٠٠٠ ملجأ من الملاجيء الخفيفة ٢ × ٤ أمتار أو ما يعادلها .

سحب الوحدات السوفياتية وأثره على الدفاع الجوي

ـ بحلول منتصف عام ١٩٧٢ كان من الممكن القول بأن الدفاع الجوي قد وصل الى مستوى مقبول . وفجأة وقع ما لم يكن في الحسبان عندما قرر الرئيس السادات دون أن يستشر أحداً من رجال القوات المسلحة طرد جميع الوحدات السوفياتية في مصر في يوليو ٧٢ . كانت جميع الوحدات الروسية التي في مصر هي وحدات تقوم بواجب الدفاع الجوي . كان السوفيات يقومون بتشغيل ٣٠ ٪ من الطائرات ميج ٢١ التي تقوم بالدفاع الجوي وكانوا يقومون بتشغيل ٣٠ ٪ من كتائب الصواريخ أرض ـ جو SAM . كما كانوا يقومون بتشغيل الغالبية العظمى من الوحدات الالكترونية وكانت بعض المعدات الالكترونية ممتلكات سوفياتية متطورة لم يوافق السوفيات على بيعها لنا على اعتبار أنها على درجة عالية من السرية . وهكذا غادرت هذه المعدات الالكترونية مصر مع الوحدات السوفياتية . لقد أثر قرار سحب هذه القوات السوفياتية على قدراتنا في الدفاع الجوي تأثيراً كبيراً ومع ذلك كان من الواجب علينا أن نعمل بجد لتخفيف هذا الأثر بقدر المستطاع . لقد استطاعت قوات الدفاع الجوي (أقصد وحدات الصواريخ أرض ـ جو SAM) أن تهيء الأفراد المدربين اللازمين لتشغيل كتائب الصواريخ التي كان يقوم الروس بتشغيلها وذلك بحلول نهاية ٧٢ . أما القوات الجوية فقد عانت مرة أخرى من المشكلة القديمة وهي زيادة عدد الطائرات عن عدد الطيارين . وقد دفعني هذا الموقف لأن أطلب من كوريا الشمالية أن تمدنا بعدد من الطيارين المدربين على قيادة طائرات الميج ٢١ فاستجابت لهذا الطلب وأرسلت لنا ٢٠ طياراً وصلوا الى مصر في شهر يوليو ٧٣ . ولهذا الموضوع قصة .

الطيارون الكوريون في مصر

ـ في خلال مارس ٧٣ كان نائب رئيس جمهورية كوريا الديمقراطية في زيارة رسمية لمصر . وكان يرافقه في الزيارة الجنرال زانج زونج Zang Zong نائب وزير الدفاع الكوري . الذي أبدى رغبته في أن يزور جبهة قناة السويس . وفي يوم ٦ مارس توجهت معه الى الجبهة وفي خلال الرحلة أخذنا نتناقش ونتبادل الرأي في المواضيع العسكرية . وقد تحدثت له عن متاعبنا بخصوص إعداد الطيارين وأن لدينا ميج ٢١ أكثر مما نستطيع

تشغيلها . ولا سيما بعد أن سحب السوفيات حوالي ١٠٠ طيار كانوا يقومون بتشغيل ٧٥ طائرة . ثم انتهزت الفرصة وقلت له « ترى هل يمكنكم أن تمدونا بعدد من طياري الميج ٢١ ؟ إن ذلك سيكون ذا فائدة مشتركة للطرفين . من ناحيتنا فانكم ستحلون لنا مشكلة النقص في الطيارين وتسهمون في الدفاع الجوي . ومن ناحيتكم فإن طياريكم سيكتسبون خبرة قتالية ميدانية لأن الاسرائيليين يستخدمون الطائرات نفسها ويتبعون التكتيكات ذاتها التي ينتظر من عدوكم المنتظر في المنطقة أن يستخدمها ويتبعها » . سألني ما هو عدد الطيارين الذين نحتاج إليهم . فقلت له . إننا لا نتوقع منكم أن تملؤوا الفراغ الذي تركه السوفيات ولو أنكم أرسلتم سربا واحدا لكان كافيا . واذا احتاج الأمر مستقبلا لإرسال سرب آخر فإنه يمكن بحث ذلك فيما بعد . كنا نتناقش كجنديين ولكن كنا نعلم جيدا أن هذا الموضوع يحتاج إلى قرار سياسي من الطرفين . وقد وعد كل منا الآخر أن يبذل جهده في إقناع الجانب السياسي عنده لاتخاذ القرار المطلوب .

ـ لم أجد أنا أية صعوبة في إقناع وزير الحربية ولكنه أخبرني بأنه سوف يستأذن أولا رئيس الجمهورية . وبعد ذلك بعدة أيام وافق الرئيس السادات على الفكرة وجلست أنتظر الرد الكوري . بعد حوالي أسبوعين من رحيل الوفد الكوري عاد الجنرال زانج زونج مرة أخرى إلى مصر وأحبرني بأن الرئيس الكوري Kim Il Song وافق هو الآخر . ولكنهم يدعونني إلى زيارة رسمية إلى كوريا لمعاينة الطيارين بنفسي قبل إرسالهم الى مصر . وفي يوم ٣ ابريل ٧٣ بدأت رحلتي الى Piong Yang .

ـ كانت رحلتي تمر بشنغهاي في الصين نظرا لعدم وجود أية خطوط جوية مباشرة الى بيونج يانج . ولذلك قررت الحكومة الصينية مشكورة أن تستضيفني لمدة ثلاثة أيام قبل أن أصل الى بيونج يانج يوم ٦ ابريل . لم تكن زيارتي للصين زيارة رسمية ومع ذلك فقد احتفى الجانب الصيني بي وبالوفد المرافق لي احتفاء كبيرا . فقد أقام رئيس أركان حرب القوات المسلحة الصينية حمل عشاء على شرفي تبادلنا خلاله الآراء حول بعض المواضيع العسكرية والسياسية . كما نظمت لي بعض الرحلات الترفيهية . فقمت بزيارة سور الصين العظيم في أقصى الشمال . وزرت الملاجىء العديدة التي أعدتها الصين لمقاومة أي هجوم نووي . كما زرت أنفاق مترو بكين الجديد والعديد من المتاحف . إن البساطة والاعتماد على النفس وانكار الذات التي لمستها في الشعب الصيني وفي قيادته السياسية خلال إقامتي القصيرة في الصين ستبقى دائما من الذكريات الحية التي لا يستطيع الزمن أن يمحوها من الذاكرة .

ـ أستقبلت في بيونج يانج استقبالا حماسيا وأحيطت الزيارة بهالة كبيرة من التكريم والتشريف . كنت أينما دهبت ـ سواء أكان مؤسسة عسكرية أو مصنعا في مغارة داخل الجبل الخ ـ فإني كنت أقابل بآلاف من الناس يرحبون ويغنون ويلوحون بالأعلام . وبعد هذا الاستقبال الحار يبدأ الافراد باستعراض حبراتهم وفنهم الذي كان يزيدني إثارة . وفي إحدى الزيارات حضرت بيانا عمليا عن ضرب نار تقوم به وحدة من وحدات الحرس الوطني المكلفة بأعمال الدفاع الجوي . كانت الوحدة جميعها من الشابات الصغيرات . كن صغيرات الحجم حتى اعتقدت أنهن دون الخامسة عشرة ولكن قيل لي إنهن في الثامنة عشرة أو اكثر . كانت نتائج تدريبهن ممتازة . وعندما قمت بتفقدهن بعد انتهاء المشروع التدريبي

قلت لهن « إنني أشكركن على ما أظهرتنه من كفاءة في ضرب النار وليس عندي ما أستطيع أن أعبر عن تقديري سوى أن أهديكنّ تلك « البيريه » التي ألبسها » ثم خلعت « البيريه » القرمزية الخاصة برجال المظلات والتي كنت ألبسها أثناء الزيارة وسلمتها الى قائدة الوحدة ·

ـ هناك الكثير مما يمكن أن يقال عن كوريا الشمالية وعن رئيسها Kim Il Song · إن ما أمكن تحقيقه خلال السنوات العشرين الماضية في هذه البلاد يعتبر شيئا من الصعب تصديقه · إنهم لم يعيدوا بناء بلادهم فقط بعد أن هدمتها الحرب الأهلية . بل استطاعوا أن يعتمدوا على أنفسهم في كل شيء · انهم أصبحوا قادرين على انتاج الغالبية العظمى مما يحتاجون إليه عسكريا ومدنيا · انهم ينتجون الدبابة والمدفع والجرار والماكينة الخ · واذا كانت الصين بمواردها الطبيعية الهائلة وبعدد سكانها الكبير قد استطاعت أن تعتمد على نفسها في تطوير نفسها دون عون خارجي من الدول المتقدمة . (١) فان كوريا الشمالية التي كان تعدادها ١٥ مليون نسمة فقط تعتبر مثالا فريدا لما يمكن أن تقوم به دولة صغيرة من عمل نحو تطوير نفسها دون الاعتماد على أي عون خارجي . إن الشعب الكوري بأكمله قد نظم وكأنه في ثكنة عسكرية كبيرة · ففي الساعة السابعة صباحا ترى التلاميذ الصغار وهم يحملون الرفوش وأدوات الحفر الصغيرة التي تتناسب مع أحجامهم وهم يغنون أثناء سيرهم الى منطقة العمل التي سوف يعملون فيها · ان كل فرد في الدولة سواء أكان كبيرا أم صغيرا يتحتم عليه أن يؤدي ساعات محددة من العمل اليدوي لمصلحة الدولة ،دون أجر · وتطبيقا لذلك فإن رصف الطرق وصيانتها وإنشاء الأنفاق والملاجىء . الى غير ذلك من المنافع العامة . يتم انشاؤها طبقا لجدول عمل ينظم هذا المجهود البشري الضخم · وقد استفاد الكوريون من طبيعة بلادهم الجبلية ومن وفرة الأيدي العاملة في بناء الأنفاق الواقية من القنابل الذرية . وقد نقلوا إلى هذه الأنفاق مصانعهم وحتى مطاراتهم . فقد شاهدت أكثر من مصنع في بطن الجبل كما شاهدت مطارا كاملا لا يظهر منه سوى ممر الإقلاع . أما جميع المنشآت الأخرى فقد كانت في باطن الجبل . لقد كان عملا رائعا يدعو الى الانبهار حقا ·

ـ عندما قابلت الرئيس Kim Il Song قلت له « سيادة الرئيس اذا قامت حرب نووية فأخشى أن يدمر العالم بأجمعه وألا يبقى سوى كوريا الديمقراطية » ضحك الرئيس وقال « أسمع يا سيادة الفريق · أنا أعرف تماما أنني لا أستطيع أن أتحدى الاميركيين في الجو . لذلك فإن الحل الوحيد الباقي هو تلافي ضرباتهم الجوية ببناء الأنفاق ثم بعد ذلك نقوم بغمر سمائنا بنيران المدافع والرشاشات » · (٢)

ـ قمت بالتفتيش ومعاينة الطيارين الذين تقرر سفرهم الى مصر . لقد كانوا من الطيارين ذوي الخبرة الجيدة وكان الكثيرون منهم لديه ما يزيد عن ٢٠٠٠ ساعة طيران · تم الاتفاق

---

(١) لقد بدأت الصين اعتبارا من عام ٧٨ تنشد التكنولوجيا الغربية . وذلك رغبة في إسراع الخطى نحو تطوير نفسها . وإن اميركا وحلفاءها الغربيين يشجعون ويباركون هذا الاتجاه رغبة منهم في خلق عنصر تهديد على الحدود الشرقية السوفياتية ·

(٢) انا شخصيا لا اتفق معه في الراي . بانه يمكن تحقيق دفاع جوي إيجابي بهذا الاسلوب . ولكن مما لا شك فيه أن توزيع أعداد كبيرة من هذه الاسلحة في جميع أراضي الجمهورية يمكن ان يكون مصدر مضايقة كبيرة للطائرات المغيرة . ويمكن القول ان هذه النيران تعتبر نيران إزعاج Karrassing fire

على أن تـصرف لهم مرتبات بالجنيه المصري تتطابق تماما مع رواتب الطيارين المصريين . وقد وعدت الرئيس كيم ال سونج بأني شخصيا سأشرف على راحتهم وأننا لن نزج بهم في معركة داخل اسرائيل أو فوق الأراضي التي تحتلها اسرائيل . وأن عملهم سيقتصر على الدفاع الجوي عن العمق ـ وقد طلبت من الرئيس الكوري أن يبعث لنا ببعض الخبراء في الأنفاق حتى يمكننا الاستفادة من خبراتهم فوافق على ذلك · وعدت الى مصر يوم ١٥ ابريل بعد رحلة من أمتع الرحلات التي قمت بها ·

ـ وبمجرد عودتي الى القاهرة قمت بتشكيل مجموعة من المهندسين ليكونوا نواة لفرع جديد في الهندسة يطلق عليه « فرع الأنفاق » وفي أول مايو وصل الفريق الكوري من خبراء الأنفاق حيث مكث في مصر لمدة ثمانية أيام قام خلالها باجراء دراسات ميدانية مع فريق المهندسين المصريين · وعندما زارني الوفد للتحية قبل العودة الى بلاده قال لي رئيسه : « إن رئيس مجموعة المهندسين المصريين لديه خبرة نظرية ممتازة في الأنفاق ولكن تنقصه الخبرة العملية » كانت الدراسات والتوجيهات التي قدمها خبراء الانفاق الكوريون مفيدة للغاية . وبعد سفرهم مباشرة قمت بتشكيل مجموعة عمل هدفها وضع التصميم الخاص ببناء مطار في بطن الجبل · كنت ألتقي هذه المجموعة مرة كل أسبوع أو كل اسبوعين لأناقشهم فيما أمكن التوصل اليه . وعندما قامت حرب أكتوبر ٧٣ كانت المجموعة ما زالت تعمل في رسم المشروع ووضع تفصيلاته ، وكنا قد أحرزنا تقدما كبيرا في هذا الصدد · كنت أحرص على الاجتماع الدوري بهذه المجموعة لسببين : السبب الأول هو اهتمامي بالموضوع والسبب الثاني هو لون من ألوان الخداع بأن الحرب ليست وشيكة الوقوع . إذ لا يمكن لأحد أن يتصور أن يضيع ر ا ح ق م م جزءاً من وقته لوضع تصميم مطار قد يحتاج إنشاؤه إلى خمس سنوات بينما تكون الحرب وشيكة الوقوع · كان من ضمن مجموعة العمل هذه أحد ضباط فرع العلميات في قيادة القوات الجوية · وعندما شاهده اللواء حسني مبارك مشغولا في جمع المعلومات وصنع الرسومات وكان ذلك قبل بدء العمليات بأقل من اسبوعين . نهره وقال له أليس عندك ما هو أهم من ذلك . فرد عليه قائلا إن الفريق الشاذلي هو الذي طلب منه ذلك ، فتعجب حسني مبارك وقال له سوف أسأل رئيس الأركان لأتحقق مما تقول ـ وعندما قابلني حسني مبارك بعد ذلك بيومين حكى لي القصة وضحكنا نحن الاثنين ·.

• ـ في أوائل يونيو ٧٣ بدأ الطيارون الكوريون بالوصول وقد اكتمل تشكيل السرب الذي يعملون به خلال شهر يوليو · وفي ١٥ أغسطس أذاع راديو اسرائيل أن هناك طيارين كوريين في مصر ، فاتصل بي الدكتور أشرف غربال المستشار الصحفي لرئيس الجمهورية وسألني عن صحة الخبر ، فأخبرته بأن الخبر صحيح ولكن إذاعته او عدم إذاعته هو قرار سياسي ولا سيما أن هناك دولة أجنبية أخرى يجب استطلاع رأيها قبل إعلانه · والآن وبعد مرور خمس سنوات على هذه القصة وبعد أن عاد الكوريون وأصبح تدعيمهم لنا وقت الحرب جزءاً من التاريخ ، فقد قررت أن أحكي القصة بكاملها حتى يعرف شعب مصر كل من وقفوا معه وقت الشدة · إن أميركا وإسرائيل والاتحاد السوفياتي يعلمون حقائق الدعم الكوري · إن الطيارين أثناء تدريبهم اليومي يتحدثون باللاسلكي باللغة الكورية مع أعضاء التشكيل ومع الموجهين

الأرضيين . وفي استطاعة أية إدارة مخابرات أجنبية ان تسجل هذه المحادثات . واذا كان كل من يهمهم الأمر يعرفون . فلماذا نخفي هذه الحقائق عن شعب مصر وعن الشعب العربي ؟

- إن التجريدة الكورية التي أرسلتها كوريا الشمالية الى مصر تعتبر من أصغر التجريدات التي أرسلتها دولة الى دولة صديقة أخرى في تاريخ الحروب . لقد كان عدد هذه التجريدة ٢٠ طيارا ، ٨ موجهين جويين ، ٥ مترجمين ، ٣ عناصر للقيادة والسيطرة ، طبيباً . طباخا . كانت القاعدة التي خدموا بها تضم ٣٠٠٠ مصري . وكان المصريون يديرون شبكات الرادار والدفاع الجوي والدفاع الأرضي عن القاعدة وجميع الشؤون الادارية الخاصة بالسرب . وقد زرت تلك القاعدة عدة مرات لأتأكد من عدم وجود مشكلات ولكني كنت دائما أجد أن كل شيء يسير على ما يرام . كانت العلاقة بين الكوريين والمصريين تسير على أحسن ما يرام . كان الكوريون بالنسبة لرجالنا شخصيات غريبة . وكان الطيارون يعتمدون على أنفسهم في كل شيء . انهم ينظفون أماكن سكنهم بأنفسهم ويشغلون أنفسهم دائما بشيء ما . فأحدهم إما أن يكون في مهمة تدريبية او أنه يقوم بالدراسة أو بأعمال رياضية . ليس لديهم أي وقت للفراغ . وليست لديهم أية متاعب ادارية يشكون منها . وقد وقع اشتباكان أو ثلاثة بين الطيارين الكوريين والإسرائيليين قبل حرب أكتوبر . ووقع الكثير خلال الحرب نفسها .

نصب كمين دفاع جوي لطائرة اسرائيلية

- إن اسرائيل لم تحترم قط أي قرار لوقف اطلاق النار فيما يتعلق بإستخدام قواتها الجوية . انهم كانوا يودون أن يذكروننا دائماً بتفوقهم الجوي فكانوا يتعمدون دائماً ان يخترقوا مجالنا الجوي . كانوا ينتخبون قطاعات اختراقهم بعناية فائقة بحيث يتفادون دائماً الدخول ضمن مرمى نيران صواريخنا المضادة للطائرات . وبالتالي فقد كانوا دائماً يدخلون ويخرجون دون أن ينالوا أي عقاب . وقد ضقت ذرعاً بهذه اللعبة وقررت أن ألقنهم درساً في ذلك.

- لقد كانت مواقع صواريخنا أرض - جو تقع إلى حوالي ١٥ - ٢٠ كم غرب القناة لكي تكون خارج مرمى مدفعية نيران العدو . وقد كان ذلك يحد من مدى قدرتنا على إسقاط الطائرات التي تطير شرق القناة . وكان العدو يقوم بعملية استطلاع ألكتروني بصفة دورية بواسطة طائرة ستراتوكروزر محملة بأجهزة الكترونية بالغة الدقة والحساسية . كانت هذه الطائرة ترصد وتحدد جميع مواقع صواريخنا ، راداراتنا وأجهزتنا الالكترونية وهي تطير على ارتفاع متوسط في خط موازٍ للقناة وشرقها بحوالي ٣ كم . وكانت بذلك تضمن أن تكون خارج مدى صواريخنا . وباتفاق سري بيني وبين اللواء محمد على فهمي قائد الدفاع الجوي قررنا أن ننصب كمينا لهذه الطائرة . وذلك بأن ننقل ليلا إحدى كتائب الصواريخ إلى موقع متقدم يقع غرب القناة بحوالي ٥ كم ، ثم يقتنص الطائرة الاسرائيلية عند مرورها المعتاد . تم تجهيز الكمين واتصل بي اللواء محمد علي فهمي يوم ١٦ سبتمبر ليؤكد جاهزيته لتنفيذ المهمة ويطلب التصديق النهائي على تنفيذ المهمة فصدقتها له . وفي تمام الساعة ١٥١١ يوم ١٧ سبتمبر ٧١ كانت طائرة الإستطلاع الالكتروني ، ذلك الهدف الثمين ، قد أصبحت أشلاء صغيرة متناثرة

جنوب البحيرات · (١) انسحب الكمين بسرعة بعد إسقاط الطائرة المعادية . وأخذت أعد العدة لمقابلة الانتقام المنتظر من العدو فرفعت درجات الاستعداد في القوات الجوية والدفاع الجوي وبعض عناصر القوات الأرضية والبحرية ·

ـ كان رد فعل العدو سريعا وفوريا فقد جاء في اليوم التالي مباشرة . أي في يوم ١٨ سبتمبر . ولكن كان واضحا أن رد العدو يتميز بالعصبية وسوء التقدير · لقد قامت طائراته بإطلاق قذائفها جو ـ أرض A S M من طراز شرايك shrike من مسافة ١٠ كم شرق القناة على مواقع راداراتنا التي كانت حوالي ٢٠ كم غرب القناة فلم تتمكن أية قذيفة من الوصول إلى هدفها. لقد كان واضحاً أن الطيارين كانوا يخشون الاقتراب من القناة الى مسافة تقل عن ١٠ كم خوفا من وجود كمين اخر فكان ذلك في حدّ ذاته يعتبر نصراً لنا . كما وأن استخدامه للقذائف shrike كانت فرصة جيدة لتدريب قو اتنا · كنا نعلم أن العدو لديه هذه القذائف وكانت لدينا خطط لمقاومتها . وكنا ننتظر الفرصة لتجربة هذا الأسلوب في مقاومة القذائف « شرايك » فأعطانا العدو هذه الفرصة مما أكد لنا نجاح الأسلوب الذي كنا قد اعددناه لذلك ·

العدو ينصب لنا كمينا جويا

ـ في يوم ١٣ يونيو ٧٢ وفي تمام الساعة ١٦١٩ اخترقت طائرتان إسرائيليتان من طراز فانتوم مجالنا الجوي في منطقة رأس العش وتوغلت في اتجاه الدلتا . وأقلعت طائرتان مصريتان من طرار ميج ٢١ من مطار المنصورة لاعتراض الطائرتين الاسرائيليتين · هربت الطائرتان المعاديتان في اتجاه البحر بينما استمرت طائرتانا في مطاردتهما · وفجأة وقعت طائرتانا في الكمين الجوي الذي أعد لهما والذي لعبت فيه الطائرتان المعاديتان دور الطعم لسحبهما الى منطقة الكمين · وفي الوقت الذي اكتشف فيه القائد المناوب وجود الكمين المعادي على شبكة الرادار كان الوقت قد فات لتحزيرهما أو لتدعيمهما · دفعنا ثماني طائرات ميج ٢١ أخرى لتعزيز طائرتينا السابقتين ولكن العدو كان قد أسقطهما وغادر المكان قبل وصول تعزيزاتنا الى المنطقة ·

ـ ان هذه القصة تبين المشكلات التي تعترض المسؤولين عن الدفاع الجوي · إن العدو يستطيع دائما أن يخترق أجواءنا . فاذا لم نقم باعتراضه فإنه سيزداد غرورا وصلفا . واذا نحن أردنا أن نقوم باعتراضه بسرعة فإننا ندفع بطيارينا الى السماء دون أية خطة لمقابلة خصم قد خطط وجهز وأعد لكل شيء عدته · ولتلافي وقوع مثل هذه الأحداث مرة أخرى أصدرت تعليمات جديدة تنظم الخطوات التي تتبع في حالة الاختراقات الجوية المعادية . وكانت هذه التعليمات تشمل النقاط الأساسية التالية :

١ ـ تتخذ طائراتنا أوضاعها على شكل مظلات جوية في المناطق السابق تحديدها ·
٢ ـ يتم تقويم الموقف بهدوء وتفكير بدلا من مجرد مطادرة طائرات العدو دون أية خطة ·
٣ ـ لا يسمح بالدخول في معركة جوية من موقف غير متكافيء ·

---

(١) لم يعلن العدو على إسقاطنا لإحدى طائراته . ولم نعلنه نحن ايضا بطبيعة الحال .

ـ وقد أراد العدو أن يكرر الأسلوب نفسه بعد ذلك بيومين فقام باختراقات على طول منطقة البحر الأحمر بعد ظهر يوم ١٥ يونيو . ولكن تعليماتي السابقة كانت نافذة . ولم تبتلع قواتنا الجوية الطعم الذي كان يعرض عليها .

دفاعنا الجوي يسيطر على سماء القناة

ـ في يوم ٢٤ يوليو ٧٢ حاول العدو أن يستفيد من الأنباء الخاصة بطرد الخبراء السوفيات من مصر . فاقترب بطائراته من القناة بأكثر مما كان يسمح به لنفسه في الماضي فأسقطنا له في الساعة ١٦٤٥ من هذا اليوم إحدى طائراته التي كانت تطير على مسافة ١٠ كيلومترات شرق القناة . ومنذ ذلك الحين . أصبح لا يقترب بطائراته الى مسافة تقل عن ١٤ كم من القناة . وفي يوم ١٠ اكتوبر ٧٢ حاول أن يكسر هذه القاعدة فاقترب بأحد تشكيلاته من القناة فأطلقنا عليه قذيفتي أرض ـ جو . فطاشت إحداهما وأسقطت الثانية إحدى الطائرات . كان يبدو ان العدو يحاول اختيار اسلوب جديد في الهجوم لانه حاول في الوقت نفسه أن يعوق عن العمل راداراتنا المخصصة للإنذار وراداراتنا المخصصة لإدارة النيران . لقد كانت فرصة تدريبة لكلا الطرفين .

ـ وفي يوم ٢٨ يونيو ٧٣ حاول العدو الطيران مرة أخرى فوق المنطقة غير المسموح بها . فأسقطنا له في الساعة ١٦١٢ إحدى طائراته ومنذ ذلك الوقت وحتى حرب اكتوبر في العام نفسه لم يحاول طيران العدو قط أن يقترب الى القناة مسافة تقل عن عشرة كيلومترات . لقد فرضنا سيطرتنا الجوية فوق هذه الشقة من الأرض بواسطة صواريخنا أرض ـ جو . وهكذا مهدنا الظروف لعملية العبور التي كنا نعد لها .

(الفصل الحادي عشر)

موقف القوات البحرية

ـ لم تتحمل قواتنا البحرية خسائر تذكر خلال حرب يونيو ٦٧ وبعد أقل من أربعة شهور من وقف أطلاق النار خلال تلك الحرب قامت قواتنا البحرية بتوجيه ضربة قوية الى القوات البحرية الاسرائيلية وذلك بإغراقها المدمرة إيلات . لقد كانت إيلات تقوم بأعمال الدورية على السواحل الشمالية لسيناء المواجهة لبور سعيد . وكانت خلال مهمتها تقترب أحيانا حتى مسافة ٦.٥ أميال من بور سعيد . وقد صدرت الأوامر الى سرب بحري من زوارق الصواريخ بإغراق هذه السفينة اذا تجاوزت حدود ١٢ ميلاً . وفي يوم ٢١ اكتوبر ٦٧ قامت السفينة باختراقها المعهود فظل سرب الصواريخ صامتاً الى أن أصبحت على مسافة ٩ أميال فأطلق عليها مقذوفين سطح ـ سطح S S M فأغرقها . ويعتبر هذا التاريخ ذا أهمية كبيرة في تطور الحروب البحرية بصفة عامة وفي تاريخ بحريتنا المصرية بصفة خاصة . فعلى الرغم من أن القوارب كومار والقذيفتين اللتين استخدمتا في إغراق إيلات كانت جميعها سوفياتية الصنع إلا أن المصريين كانوا اول من يستخدم هذه الصواريخ في الحروب البحرية في تاريخ العالم .

ـ لقد أحدث إغراق إيلات . وهي قطعة بحرية كبيرة بواسطة قارب صغير . تغييرا كبيرا في تصور المفكرين بالنسبة للحروب البحرية القادمة . وقد كان التأثير كبيرا في اسرائيل

نفسها . فمنذ هذا التاريخ أخذت اسرائيل تبني قواتها على أساس أن القوارب الصغيرة السريعة والمسلحة بالصواريخ سطح ـ سطح هي أساس القوة الضاربة البحرية الاسرائيلية ٠ وقد بدأت اسرائيل بشراء ١٢ قاربا من طراز سعر SAAR من فرنسا وسلحته بصواريخ جبرييل التي قامت بتصنيعها محليا ٠ وفي الوقت نفسه بدأوا ببناء نوع جديد من القوارب السريعة في ترسانة حيفا . وأطلقوا عليه اسم Reshef ٠ وقد قامت اسرائيل بتدشين أول قارب من هذا النوع يوم ١٩ فبراير ٧٣ . ومنذ ذلك التاريخ وهي مستمرة في بناء هذه القوارب بمعدل قاربين في كل عام ، وبنهاية عام ٧٨ أصبح لديها ١٢ قاربا من هذا النوع ٠ وقد تم تطوير القذيفة جبرييل SSM بحيث يصل مداها الى ٤٠ ميلاً وسلح بها كل من القوارب سعر . ريشيف ٠ والقارب ريشيف حمولته ٤١٥ طناً ويحمل ٧ قذائف جبرييل . ومداه ١٥٠٠ ميل . وأقصى سرعة له هي ٣٢ عقدة في الساعة . وطاقمه ٤٥ رجلاً ٠ وقد قامت اسرائيل أيضا ببناء قوارب أخرى صغيرة حمولة أحدها ٣٥ طناً وطاقمه ٦ أفراد وأطلقوا عليه اسم الدبور Dabur ٠ وان قارب الدبور يتم تجهيزه لأغراض مختلفة . فمنها ما يجهز بأنابيب لإطلاق الطوربيد . ومنها ما يجهز بالرشاشات ٠ ومن مزايا هذه القوارب أنها صممت على أساس امكانية نقلها برا . وهكذا فإن اسرائيل تستطيع نقلها من البحر الأبيض الى البحر الأحمر والعكس باستخدام ناقلات برية ٠ (١)

ـ على الرغم من قوارب سعر التي اشترتها اسرائيل من فرنسا وعلى الرغم أيضا من خطة إسرائيل لبناء القوارب فقد كانت قواتنا البحرية متفوقة على القوات البحرية الاسرائيلية من حيث الكم والكيف خلال الفترة ما بين ٦٧ ـ ٧٣ . ولكن نظرا للتفوق الجوي الاسرائيلي فقد أصبحت قواتنا البحرية عاجزة عن الحركة بل وأحيانا كنا عاجزين عن توفير الحماية الجوية لها ، وهي داخل موانئها ٠ ومن هنا فلم تكن هناك حاجة ماسة لتطوير وتدعيم قواتنا البحرية ٠ ما الفائدة التي يمكن أن نحسبها من زيادة قدرة قواتنا البحرية في الكم والكيف اذا كانت هذه القوات لا تستطيع أن تعمل في ظل تفوق جوي مضاد ؟ ان النظرة الواعية من وجهة نظر مصر هي التركيز أولا على الدفاع الجوي والقوات الجوية قبل الانتقال الى مرحلة تقوية القوات البحرية ٠ ونتيجة لهذا التفكير المنطقي فإن القوات البحرية المصرية لم تتطور خلال تلك الفترة إلا نادراً وبالنسبة فقط لبعض المعدات التكميلية ٠ ولا أعتقد أنه من الحكمة العمل على تطوير القوات البحرية الآن إلا بعد حل مشكلة الدفاع الجوي ٠ لقد كنا حتى اكتوبر ٧٣ نستطيع أن نتحرك ليلا حيث يقل تأثير القوات الجوية المعادية . أما بالنسبة لحروب المستقبل فإن القوات الجوية الاسرائيلية تستطيع أن تحرم قواتنا البحرية حتى من التحرك ليلا ٠ إن الطائرات الاسرائيلية طراز F4 ، كفير ، F16 المسلحة بقذائف جو ـ أرض ASM تستطيع ان تصيب أية سفينة معادية نهارا أو ليلاً وهي على مسافة ١١٠ كم اذا استخدمت قذيفة هاربون Harpoon . من مسافة ٦٠ ـ ٨٠ كم اذا استخدمت Condor الاميركية أو قذيفة Loz الإسرائيلية ٠ وليس هناك من وسيلة لمقابلة هذا التهديد سوى

(١) كان ذلك على اساس إغلاق قناة السويس في وجه السفن الإسرائيلية .

باعتراض الطائرات المعادية وأسقاطها قبل أن تصبح مقذوفاتها جو ـ سطح في مدى قطعنا البحرية (حوالي ١١٠ كم) ونظرا لضيق الرقعة التي تفصل اسرائيل عن مصر فإن هذا الوضع لا يمكن أن يتحقق الا اذا حصلت مصر على السيطرة الجوية . وهذا سوف يعيدنا مرة أخرى الى أن تقوية الدفاع الجوي والقوات الجوية يجب ان تأتي في المقام الأول قبل التفكير في تقوية وتطوير القوات البحرية .

(الفصل الثاني عشر)

تطوير خطة التعبئة العامة

ـ يمكن القول أن خطة التعبئة العامة في مصر حتى منتصف ١٩٧٢ كانت تعتبر من أسوأ خطط التعبئة في العالم، وأني لا القي اللوم في ذلك على أحد . وذلك لعدة أسباب : السبب الأول هو عدم توفر السلاح . لقد كان السلاح دائما من القلة بحيث لا يكاد يكفي احتياجات القوات العاملة . وتحت هذه الظروف فأن بناء جيش كبير من الاحتياطي دون أن يكون لدى الدولة السلاح الذي تستطيع أن تسلح به هذا الجيش ، يعتبر مجهودا ضائعا . اما السبب الثاني فهو اضطرارنا في مصر ـ نتيجة للسيطرة الجوية للعدو ـ الى الاحتفاظ بقوات أرضية كبيرة في الجيش العامل وذلك لحماية أهدافنا المتعددة في العمق ضد جماعات العدو المنقولة جوا أو المنقولة بحرا ـ ونتيجة لهذا فإنه لا يمكننا ـ كما هو الحال في اسرائيل مثلا ـ أن نحتفظ بنسبة قليلة من قواتنا المسلحة في الجيش العامل وأن نبقي الجزء الأكبر من قواتنا المسلحة في الاحتياط . في اسرائيل تمثل القوات العاملة حوالي ٣٠ ـ ٤٠ ٪ من حجم قواتها المسلحة وتستطيع أن تعبىء قواتها المسلحة الآن (١٩٧٨) في خلال ٢٤ ساعة ولكن تعتمد على قواتها الجوية المتفوقة في ستر وحماية عملية التعبئة العامة اذا ما فوجئت بهجوم مباغت كما حدث خلال حرب اكتوبر ٧٣ . أما بالنسبة الى مصر فنظرا لضعف قواتها الجوية فإنها اذا ما فوجئت بهجوم مباغت وكان حوالي ٦٠ ٪ من قواتها المسلحة في الاحتياط فقد تجد نفسها في موقف صعب للغاية وقد يتم حسم المعركة قبل أن تكتمل التعبئة . اما السبب الثالث الذي دعا المصريين الى عدم الاهتمام الكبير بموضوع التعبئة ، فهو القرار الخاص بإيقاف النقل الى الاحتياط (عدم تسريح الجنود عند قيامهم بإتمام مدة الخدمة الالزامية) اعتبارا من عام ١٩٦٧ واستمرار سريان هذا الأمر حتى منتصف يونيو ١٩٧٢ وبالتالي فقد اختفى العنصر الأساسي لتكوين القوات الاحتياطية

ـ عندما وصلت قواتنا المسلحة العاملة خلال النصف الاول من عام ٧٢ الى حوالي مليون رجل بدأت الحكومة تطالب بضرورة تسريح جزء من القوات المسلحة ممن طالت مدة تجنيدهم التي وصل بعضها الى ما يزيد عن ٦ سنوات ، وكانت الحكومة ترمي من وراء ذلك الى ثلاثة أهداف . كان الهدف الأول هو التوفير والهدف الثاني هو الاستفادة من الكثير من عناصر المثقفين المجندين في القوات المسلحة . فقد كان من بينهم الكثيرون من الأطباء والمهندسين والمعلمين الخ ممن تحتاج اليهم الدولة سواء للخدمة داخل مصر او لإعارتهم للدول العربية التي كانت بحاجة ماسة الى خدماتهم . (١) أما الهدف الثالث فقد كان يرمي الى

---

(١) على سبيل المثال كان عدد المهندسين في جمهورية مصر العربية في ذلك الوقت هو ٢٠٠٠٠ مهندس ، كان يعمل نصفهم في القوات المسلحة .

رفع معنويات المجندين ـ ولا سيما خريجي الجامعات ـ الذين طالت مدة خدمتهم دون أن يعرفوا متى سوف تنتهي ٠ كان الكثيرون منهم يتوقون الى ان يبنوا مستقبلهم أو يؤسسوا أسراً وكانوا يؤجلون ذلك عاما بعد عام . والآن أصبحوا يقولون لنا بصراحة « متى ؟ حددوا لنا تاريخ انتهاء خدمتنا في القوات المسلحة حتى نستطيع أن نرتب حياتنا » وهكذا اتخذ القرار خلال شهر يونيو ٧٢ بأن نقوم بتسريح ٣٠٠٠٠ رجل من القوات المسلحة في اول يوليو ٠

ـ في ظل هذه الظروف الجديدة وجدت نفسي مضطرا لدراسة خطط التعبئة في مصر وفي البلاد الأخرى المشهورة بكفاءة خطط تعبئتها وهي السويد وسويسرا وإسرائيل ٠ وقد اتضح لي أن خطة التعبئة المصرية مليئة بالعيوب ويمكن تلخيص العيوب الرئيسية فيما يلي :

١ ـ كان تسجيل البيانات سيئاً للغاية وكان نتيجة ذلك التسجيل السيء أنه عندما يستدعى أحد جنود الاحتياط فإنه كثيرا ما يطلب اليه العمل في وظيفة لم يؤهل لها وأن يستخدم سلاحا لم يسبق له أن تدرب عليه ٠

٢ ـ كانت تذاكر التسجيل وحفظها وبالتالي استدعاء جندي الاحتياط يتم على أساس مكان ميلاد الشخص ولا يجدد طبقا لمكان سكن الفرد بعد تسريحه من الخدمة . وبالتالي فلم يكن من السهل العثور على الفرد والاتصال به لاستدعائه ٠

٣ ـ لم تستخدم الأجهزة الحديثة مثل العقل الألكتروني (الكومبيوترز Computors) بل كانت التعبئة تتم بواسطة الاعمال اليدوية وهو عمل شاق ويحتاج الى وقت طويل ونتيجة لذلك وتحت ضغط عامل الوقت كان يتم الاستدعاء بأعداد أقل مما هو مطلوب بالنسبة لبعض التخصصات وبأعداد أكثر مما هو مطلوب بالنسبة لتخصصات أخرى ٠

٤ ـ كانت خطة التعبئة المصرية ـ نظرا لعدم حبك أطرافها ـ تعتمد على المركزية الشديدة ٠ فقد كان على كل جندي احتياطي أن يصل الى مركز التعبئة في القاهرة حيث تصرف له البندقية كسلاح شخصي وتصرف له مهماته العسكرية ثم يرحل بعد ذلك الى مراكز تدريب الأسلحة المختلفة (مشاة ـ مدرعات ـ مدفعية الخ) وبعد قضاء فترة تدريب مركزة في مراكز التدريب هذه يتم ترحيله الى الوحدة التي سيخدم فيها (١) وهكذا يجد الفرد نفسه في وحدة لا يعرف فيها أحداً ولا يربطه بها أي نوع من الحب أو الذكريات ٠ انه غريب بين مجموعة من الغرباء ٠

٥ ـ كان الضباط العاملون الذين يشكلون كوادر هذه الوحدات الاحتياطية ينتخبون من أضعف المستويات . وكانت الغالبية العظمى منهم من الضباط المشاغبين أو ذوي المستوى الضعيف في التدريب أو الانضباط العسكري ممن لفظتهم وحداتهم رغبة في التخلص منهم ٠ وهكذا فإن هؤلاء الضباط يذهبون الى تلك الوحدات الاحتياطية بقلوب كسيرة وبمعنويات منخفضة فيضيفون مشكلات جديدة لهذه الوحدات بدلا من العمل على حل مشكلاتها ٠

---

(١) إن هذا الاسلوب هو الأسلوب نفسه المتبع عند التجنيد مع فارق هو اختصار وضغط المدة اللازمة للتحضير والتدريب قبل الانضمام الى الوحدة التي سيعمل فيها ٠ ففي حالة التجنيد لأول مرة تمتد هذه الفترة الى ٦ ـ ٩ شهور . أما في حالة الاستدعاء للخدمة في الاحتياط فأنه يتم ضغط هذه الفترة الى حوالي ٣٠ يوما ٠

ـ وبعد دراسة خطة التعبئة السويسرية استبعدتها لسببين : السبب الأول هو ان الحكومة السويسرية تسمح للجندي المسرّح بأن يحتفظ بملابسه وسلاحه الشخصي في مسكنه . وهذا موضوع لا يمكن ان تسمح به القيادة السياسية المصرية ـ أما السبب الثاني فهو أن الاغلبية العظمى في القوات البرية السويسرية نتيجة لطبيعة أرضها الجبلية هي من جنود المشاة الذين يمثلون أسهل المشكلات في موضوع التعبئة . وبدراسة تفاصيل خطة التعبئة الإسرائيلية اتضح لي انها تعتمد أساسا على أسلوب التعبئة السويدية بعد إدخال بعض التعديلات إليها لكي تتمشى مع طبيعة اسرائيل العدوانية .

كانت خطة التعبئة السويدية تعكس الفكر العسكري السويدي . كانت خطة التعبئة تخدم خطة دفاعية ثابتة . إن جميع الأسلحة الثقيلة من دبابات ومدافع وعربات الخ في مخازن متفرقة في المناطق التي سوف تعمل فيها طبقاً للخطة . وإن جميع الأفراد الذين سيقومون بتشغيل هذه الأسلحة يعيشون فعلاً في المناطق التي سيعملون فيها وعلى مسافات قريبة من أماكن تخزين الأسلحة والمعدات التي سوف يقومون بتشغيلها . ويجري باستمرار تعديل أفراد الوحدة طبقاً لانتقال الفرد من مكان لآخر . فلو فرضنا مثلاً أن شخصاً ما كان يعمل في شمال البلاد وكان بالتالي ينتمي الى وحدة ستعمل في الشمال . ثم نقل هذا الفرد إقامته الدائمة الى الجنوب فأنه يتم نقله من كشوفات وحدته في الشمال إلى وحدة قريبة من مقر عمله . ومما لا شك فيه أن هذا الأسلوب يعتبر أسلوباً رائعاً في كثير من مظاهره . إنه يخفض وقت التعبئة الى أقل وقت ممكن ويخفف الضغط على وسائل المواصلات المطلوبة لنقل كل فرد من مكان إقامته الى وحدته . إن معظم أفراد الوحدة يعرفون بعضهم بعضاً لأنهم جميعاً يعيشون بصفة دائمة في منطقة واحدة . إن من الممكن استدعاءهم سنويا للتدريب في يسر وسهولة نظراً لقرب الأفراد من مكان الاستدعاء كما أنه يمكن توقيت الاستدعاء في التوقيتات المناسبة بحيث لا يؤثر على الإنتاج (١) . وأخيراً فإن هذا الأسلوب يثبت في أذهان الأفراد بأنه لا يقاتل في سبيل وطنه فقط بل انه يدافع أيضاً عن كيانه الشخصي . إنه يدافع عن منزله وعن أسرته وأرضه . واذا اكتسحها العدو فإنه سوف يخسر كل شيء . وبالتالي فإنه يكون أكثر حماساً وأكثر إقبالاً على الفداء . وعلى الرغم من هده المزايا كلها فإن خطة التعبئة السويدية كان بها بعض العيوب . إذ تنقصها المرونة وتظهر بوضوح خطة البلاد الدفاعية مما يمكن العدو المهاجم من استغلال نقاط الضعف في الخطة الدفاعية .

ـ وبعد هذه الدراسات قررت أن تكون خطة تعبئتنا تعتمد أساساً على بعض أفكار الخطة السويدية مع إدخال بعض التعديلات التي تتمشى مع ظروفنا الحربية والسياسية والاقتصادية . لم يكن من الممكن أن تتم التعبئة جغرافياً وان يدافع كل فرد في إقليمه لأن الهجمة الصهيونية التي تتعرض لها مصر تأتي من اتجاه سيناء ولذلك يجب علينا أن نحشد جميع مواردنا في هذا الاتجاه . أما بخصوص إنشاء الوحدات الاحتياطية فقد رأيت أن من

---

(١) على سبيل المثال لا يتم الاستدعاء لأغراض التدريب السنوي في أوقات جني محصول زراعي في منطقة ما . وبالتالي فإن تواريخ الاستدعاء يمكن ان تختلف ما بين منطقة واخرى .

الأفضل أن تشكل هذه الوحدات من دفعات متعددة على مدى ٩ سنوات وهي المدة التي يحددها قانون التجنيد المصري للخدمة في الاحتياط أي أن حجم القوات الاحتياطية في نهاية ٩ سنوات من بدء تنفيذ الخطة يصل الى ما يعادل حجم المسرَّحين في خلال ٩ سنوات أي ما يعادل حوالي ١,٥ مليون رجل . ثم يجري بعد ذلك تغيير ٩/٨ هذه القوة سنوياً وذلك بإنهاء خدمة القدامى نهائياً من الخدمة في وحدات الاحتياط على أن يحل محلهم عناصر جديدة من الجنود المسرَّحين حديثاً من الخدمة في القوات العاملة ٠ وكمرحلة انتقالية تسبق تشكيل الوحدات الاحتياطية وجدنا أنه يمكن للوحدات العاملة أن تعمل بنسبة استكمال ٨٥ ـ ٩٠ ٪ من مرتباتها من الأفراد بعد نقل بعض أفرادها إلى الاحتياط . أي أنه في حالة نقل عدد من أفراد وحدة من وحدات الجيش العامل . الى الاحتياط فإن هذه الوحدة العاملة تحتفظ بوظائف هؤلاء المجندين المنقولين إلى الاحتياط شاغرة طالما كان هذا النقص يتراوح ما بين ١٠ ـ ١٥ ٪ من قوة الوحدة في كل تخصص ٠ وعند التعبئة يعود الفرد الى وحدته التي كان يعمل بها والى وظيفته التي كان يشغلها . وكأنه كان في إجازة طويلة من الوحدة ٠

ـ وتطبيقاً لهذه الأفكار الجديدة اتخذنا الإجراءات التالية :

١ ـ قمنا بإدخال تعديلات جوهرية في أسلوب التسجيل بحيث أمكن به تلافي جميع العيوب السابقة ٠

٢ ـ أدخلنا نظام الماكينة والكومبيوترز ووضعنا البرامج التي تخدم جميع مطالبنا ٠ وبذلك أصبح بامكاننا أن نستدعي أي عدد محدد نطلبه . سواء أكان ذلك طبقاً للوظيفة أم طبقاً للوحدة أو تاريخ التجنيد أو التخصص أو السلاح الخ ..

٣ ـ افتتحنا ١٠٠ مركز تعبئة (الهدف النهائي هو إنشاء ٣٥٠ ـ ٤٠٠ مركز تعبئة بحيث يتوفر مركز واحد لخدمة كل تجمع سكاني يبلغ ١٠٠,٠٠٠ نسمة . وبحيث لا تزيد المسافة بين المركز وبين أبعد منطقة يخدمها عن ١٠ كيلو مترات أيهما أفضل) ٠

٤ ـ عندما ينقل أي فرد إلى الاحتياط فإنه يذهب الى مركز التعبئة المخصص له حيث يقوم بتسليم مهماته العسكرية وينهي جميع علاقاته بالقوات المسلحة ٠

٥ ـ يتم إستدعاء الفرد عن طريق مركز التعبئة وفي هذه الحالة يتوجه الفرد إلى المركز حيث يستلم مهماته العسكرية ويترك ملابسه المدنية ثم يسافر فوراً الى وحدته طبقاً لما يلي :

أ ـ خلال المرحلة الانتقالية فإنه يتوجه مباشرة الى وحدته الأصلية في القوات العاملة حيث يستلم العمل نفسه الذي كان يقوم به قبل النقل الى الاحتياط ٠

ب ـ بعد أن تنتهي الفترة الانتقالية فإنه ينتقل من مركز التعبئة الى منطقة حشد الوحدة . حيث تكون الأسلحة والمعدات الخاصة بالوحدة الاحتياطية في التخزين . ويتم تشكيل الوحدة في هذا المكان قبل أن تتحرك لتنفيذ واجبها في العمليات ٠ ويلاحظ هنا ان نظامنا يختلف عن الأسلوب السويدي الذي يعتمد أساساً على التعبئة جغرافياً في حين اننا نجمع بين الأساس الجغرافي واتجاه العمليات المستقبلة ٠ فقد أخذنا بالمبدأ الجغرافي فيما يتعلق بالفرد وأخذنا بمبدأ اتجاه العمليات بالنسبة للأسلحة والمعدات

الثقيلة ، لأن نقل الفرد أسهل بكثير من نقل الأسلحة والمعدات ولا سيما الثقيل منها ·

ـ وبمحض الصدفة كان رئيس أركان حرب القوات المسلحة السويدية في زيارة خاصة لمصر في أواخر شهر يونيو فلما علمت بوجوده دعوته للغذاء يوم ٢٦ يونيو ٧٢ في نادي الضباط · وفي أثناء تناول الغذاء تحدثت معه عن أسلوب التعبئة في السويد وأني قد قرأته وأعجبت به ولكن هناك بعض التساؤلات التي أريد أن استطلعها والتمست منه الموافقة على أن أرسل ضابطين مصريين إلى السويد لأجراء دراسة ميدانية على هذا الأسلوب ولاستيضاح النقط التي ما زالت خافية علينا · اعتذر ر ا ح ق م السويدية بأدب جم وقال إنه يخشى إن هو قبل ذلك ان يكون هذا التصرف خرقاً لموقف السويد الحيادي الذي تحرص عليه كل الحرص · وقد سارعت بالاعتذار له لأنني فاتحته في هذا الموضوع ورجوته بأن يعتبر الموضوع منتهياً · وفي ٤ أغسطس من العام نفسه وصلني منه كتاب من السويد مرفق بمطبوعات كثيرة عن نظام التعبئة في السويد ، يعلمني فيه بأنه يوافق على حضور ضابطين مصريين لاستكمال الدراسة الميدانية في السويد لمدة أسبوعين · قمنا بدراسة المطبوعات الجديدة بعناية وأعلنت عن مسابقة لاختيار هذين الضابطين وفي ١٤ أكتوبر ٧٢ أقلعا إلى استوكهلم · وبعد عودتهما ناقشتهما فيما شاهداه ورأياه فازددت يقيناً بأننا كنا نسير في الاتجاه السليم ·

ـ تم تطبيق الخطة الجديدة للتعبئة على كل من ينقل الى الاحتياط اعتباراً من شهر يونيو ١٩٧٢ ، وكان عددهم ٣٠٠٠٠ (١) ، ولكن للأسف لم نتمكن من تطبيق هذا النظام على تلك الدفعات بنسبة ١٠٠ ٪ نظراً لأننا لم نتمكن من انشاء مراكز التعبئة المائة التي كنا نريد إنشاءها قبل أول يوليو ٧٢ أما الدفعات التالية فقد تم تطبيق النظام الجديد عليها ١٠٠ ٪ ، ولتصحيح وضع دفعة يونيو ٧٢ قمنا باستدعائها في الفترة ما بين ٥ ـ ١٠ اكتوبر ٧٢ وتم تصحيح أوضاعها طبقاً للنظام الجديد · كان إجمالي المسرّحين من دفعة يونيو ٧٢ ودفعة ديسمبر ٧٢ ودفعة يونيو ٧٣ حوالي ١٠٠٠٠٠ رجل وأصبح في إمكاننا استدعاء هذا العدد الضخم وإشراكه في القتال في فترة تتراوح بين ٢٤ ـ ٤٨ ساعة فقط !

ـ لقد نجحت الخطة الجديدة للتعبئة نجاحاً عظيماً · لقد كنت أتصور أنه قد يلزمنا ٤٨ ساعة لاستكمال التعبئة ولكن التجارب المتكررة التي أجريتها خلال عام ٧٣ لاختيار الخطة قد أثبتت أن نسبة كبيرة من الأفراد تتراوح بين ٧٠ ـ ٨٠ ٪ تصل في اليوم الأول · كان افراد الاحتياط يشعرون بالسعادة لذهابهم الى وحداتهم القديمة · وكان ضباط وجنود وحدتهم يقابلونهم بالموسيقى والعناق وفيما بين يناير ٧٣ وسبتمبر ٧٣ قمت بتنفيذ ٢٢ عملية استدعاء ، بعضها كان لبضعة أيام وأطولها كان لمدة أسبوعين · كانت العملية تتم في يسر وسهولة فإذا أعلنا أن الاستدعاء لثلاثة أيام التزمنا بثلاثة أيام واذا أعلنا أن الأستدعاء لمدة أسبوع واحد التزمنا بما وعدنا به ، وهكذا تولدت الثقة بين الجميع ، وأصبحت فترات الاستدعاء هذه فرصة طيبة لتدريب جهاز التعبئة وإعادة تدريب وصقل جنود الاحتياط . والأهم من ذلك كله تعود العدو على عمليات التعبئة لأغراض التدريب دون أن يشعر بالقلق ·

(١) كانت هذه أول دفعة تنقل إلى الاحتياط أعتباراً من يونيو ١٩٦٧ ·

وفي يوم ٢٧ سبتمبر بدأنا عملية التعبئة الحقيقية بطلب إستدعاء ٧٠٠٠٠ رجل ، وفي يوم ٣٠ سبتمبر طلبنا استدعاء ٥٠٠٠٠ رجل آخر ولكي نخدع العناصر العميلة التي تراقب أعمالنا قمنا بتسريح ٢٠٠٠٠ رجل يوم ٤ أكتوبر من الدفعة الأولى التي استدعيناها يوم ٢٧ سبتمبر . وهكذا سارت الأمور في يسر وسهولة وابتلع العدو الطعم الذي كنا نقوم بإعداده منذ مدة طويلة وفوجىء بالحرب يوم ٦ أكتوبر دون أن يشعر بتعبئة ١٠٠،٠٠٠ رجل ٠ والآن يجب أن نتساءل « لو لم يكن لدينا هذا الأسلوب المحكم في التعبئة هل كان من الممكن أن نستدعي هذا العدد الضخم من الأفراد دون أن يشعر العدو وبالتالي تضيع منا المفاجأة التي لعبت دوراً هاماً في تحقيق نجاح عبور قناة السويس ؟ » ٠

(الفصل الثالث عشر)

تدريب القوات

التدريب العام والخاص

- بالإضافة الى مسؤولية ر ا ح ق م م بصفة عامة عن مستوى التدريب في القوات المسلحة فهو مسؤول بصفة خاصة عن تدريب القيادات التي تليه مباشرة (١) ٠ وابتداء من هزيمة يونيو ٦٧ أعطي الاسم الكودي « تحرير » متبوعاً برقم لكل مشروع يقوم به ر ا ح ق م م لتدريب أية من تلك القيادات سواء أكانت مجتمعة أو كان المشروع يخص إحداها ٠ وقد كان أول مشروع أتولى إدارته بموجب منصبي هو « تحرير ١٨ » الذي بدأ في ٢١ مايو ٧١ وكان آخرها هو « تحرير ٣٥ » الذي بدأ في ٢٤ يونيو ٧٣ وهذا يعني أنني قمت بإدارة ١٨ مشروعاً تدريبياً لهذه القيادات خلال ٢٥ شهراً ٠ كان كل مشروع يستغرق حوالي ٣ ـ ٦ أيام وكان يفترض مواقف من المنتظر أن يواجهها القادة خلال الحرب الفعلية ٠ كنت أعيش هذه الفترة بين القوات والقيادات وأقطع صلتي بالأعمال الروتينية الكثيرة التي كانت تفرضها عليّ واجبات وظيفتي ٠ كنت أشعر بالسعادة العظيمة خلال تلك الأيام لأني كنت أعيش الحياة التي أحببتها دائماً وهي حياة الضابط الميداني وأتخلص ولو مؤقتاً من الأعباء الروتينية المتعددة ٠

- لقد كنت دائماً واحداً من القادة الميدانيين الذين يهتمون اهتماماً كبيراً بالتكتيكات الصغرى ٠ إن أفضل الخطط ليس من الممكن تنفيذها إذا عجز الجندي أو الضابط الصغير عن تنفيذ الجزء الخاص به ٠ لذلك فإن كل قائد ـ مهما كان حجم القوات التي تحت قيادته ـ يجب ألا يفقد الاتصال بينه وبين الجندي الفرد الذي هو أساس القوات المسلحة ٠ إنه هو الحجر الذي يمكن به ان نبني أضخم بناء إذا صلح الجوهر ولا نستطيع أن نبني به أي شيء إذا كان الجوهر سيئاً ٠ وان هؤلاء القادة الذين إذا علت مراتبهم اعتمدوا على القادة المرؤوسين واكتفوا بقيادة قواتهم عن طريق الهاتف والخريطة هم أعجز أنواع القادة ٠ كنت عن طريق زياراتي الكثيرة للوحدات وحديثي مع الجنود وتوجيه بعض الأسئلة اليهم أستطيع أن ألمس نقاط الضعف لديهم وبالتالي أتخذ الإجراءات اللازمة لإصلاحها ٠ وللتغلب على نقاط الضعف هذه أصدرت ٨ كتيبات . ٥٣ توجيهاً خلال فترة عملي ر ا ح ق م م ٠

(١) يبلغ عددها ١٤ قيادة تشمل القوات الجوية والقوات البحرية وقوات الدفاع الجوي والجيوش الميدانية وقيادات المناطق العسكرية وقيادات المظلات والصاعقة ٠

ـ ان التجربة العملية هي الحكم الفصل في صلاحية أية فكرة · ولم يحدث قط أن اعتمدنا أي سلاح جديد أو فكرة جديدة دون أن يمرا في مرحلتين . كانت المرحلة الأولى هي اختبار السلاح أو المعدة أو الفكرة وتكرار هذه التجارب عدة مرات واجراء الكثير من التعديلات بغرض الوصول الى أفضل النتائج قبل أن نعتمدها بصفة نهائية · أما المرحلة الثانية فهي قيامنا باجراء بيان عملي تدعو اليه مئات من المختصين لحضور التجربة لتعليمهم الأسلوب الصحيح لهذا الاستخدام · وقد حضرت مئات التجارب ومئات البيانات العملية التي كانت تجري تحت ظروف مشابهة لما ينتظر أن نقابله خلال العمليات الحربية · وفيما يلي بعض المواضيع الهامة التي قمنا بعمل الكثير من التجارب عليها والكثير من البيانات العملية (١) :

١ ـ فتح الممرات في السد الترابي . بناء الكباري وتشغيل المعديات نهاراً وليلاً (اعوام ٧١ . ٧٢ . ٧٣) ·

٢ ـ تأثير النيران العائمة على العبور (الاعوام ٧١ . ٧٢) ·

٣ ـ كتيبة مشاة تقوم باقتحام مانع مائي في القوارب وتتسلق الساتر الترابي ومعها أسلحتها ومعداتها (الاعوام ٧١ . ٧٢ . ٧٣) ·

٤ ـ أثر المدفعية المتوسطة والهاونات الثقيلة على التحصينات الشبيهة بخط بارليف (الأعوام ٧١ . ٧٢ . ٧٣) ·

٥ ـ اختبار وتطوير القاهر والظافر (الأعوام ٧١ . ٧٢) ·

٦ ـ كتيبة برمائية ولواء برمائي يعبر مسطحاً مائياً (الاعوام ٧٢ . ٧٣) ·

٧ ـ استخدام أجهزة الرؤية الليلية تحت الحمراء . ضوء النجوم . الزينون . الأنوار الكاشفة (لأعوام ٧٢ . ٧٣) ·

٨ ـ استخدام أشعة الليزر في تقدير المسافة · وقد تمت هذه التجربة قبل بدء العمليات ببضعة شهور ولم نتمكن من إدخال هذا الأسلوب في دباباتنا قبل بدء القتال في أكتوبر ٧٣ ·

٩ ـ القاذفات 16 تقوم باطلاق قذائف على أهداف من بعد ١٠٠ كم (مايو ٧٣) ·

التدريب بالمغامرة Adventure Training

ـ التدريب بالمغامرة هو اصطلاح معروف في بعض الجيوش الغربية ولا سيما القوات البريطانية . ولكنه موضوع لم يكن معروفاً في القوات المسلحة المصرية . الى أن أدخلت هذا الأسلوب التدريبي في قواتنا المسلحة خلال عام ١٩٧٢ · وكان قد سبق لي أن تعلمت هذا الأسلوب عندما كنت ملحقاً عسكرياً في لندن خلال الأعوام ٦١ ـ ٦٣ وتتلخص فكرة هذا النوع من التدريب في النقاط التالية :

---

(١) هناك عشرات من التجارب الأخرى . كتركيب مدفع ١٠٠ مم على الدبابة ت ٣٤ وتركيب أسلحة أخرى على عربات جنزير او جيب · كذلك تعديلات في الاسلحة أو المعدات الفنية أو المهمات الخ ·

١ ـ قيام القادة الأصاغر مع جنودهم ببعض الرحلات بعيداً عن وحداتهم وقادتهم يولد فيهم روح الاعتماد على النفس والابتكار واتخاذ القرارات ٠

٢ ـ ان التحرك خارج الثكنات العسكرية أو المعسكرات المستديمة سوف يولد نوعاً من الألفة بين الضابط وجنوده ويساعد على إظهار الأخلاق الحقيقية التي قد تبقى كامنة أو مختفية في ظل التجمعات الكبيرة ٠

٣ ـ إن هذه الرحلات يجب أن تكون محببة للنفس وليست جافة فهي تجمع ما بين التدريب والترفيه مثل زيارة جهات نائية بها بعض الآثار أو زيارة بعض المناطق السياحية والترفيهية ٠

ـ أصدرت توجيهاً ينظم هذا النوع من التدريب وبموجبه أصبح من حق الوحدة القائمة بهذا النوع من التدريب أن تستخدم الحملة العسكرية وأن يُصرف لها التعيينات والإسعافات الأولية ٠ وكان على قائد كل فصيلة تقوم بهذا النوع من التدريب أن يقدم تقريراً مكتوباً عن الرحلة وأن تمنح مكافآت تشجيعية لأفضل تقرير يقدم في كل تشكيل ٠ ولكي أعطي أهمية كبيرة لهذا المشروع أعلنت بأنني شخصياً سأطلع على تقارير الدفعة الأولى التي تقوم بهذا النوع من التدريب ٠ وكان أفضل التقارير التي قدمت إليّ هو تقرير الملازم أول عاطف عبد الباقي السيد . وقد طلبت حضوره إلى مكتبي يوم ٢٥ سبتمبر ٧٣ ومعه قائد فرقته حيث شكرته وقدمت له جائزة على تقريره ٠

(الفصل الرابع عشر)

رفع الروح المعنوية للقوات المسلحة

الروح المعنوية بعد هزيمة يونيو ٦٧ :

ان رفع الروح المعنوية لجيش مهزوم هو عملية شاقة ولاسيما اذا كانت أسباب الهزيمة غير معروفة ٠ لم تكن الحقائق عن أسباب هزيمة يونيو ٦٧ معروفة للشعب المصري فقد كان الشعب حائراً بين ما يسمعه من أقوال متناقضة كانت القيادة السياسية تلقي باللوم على القيادة العامة للقوات المسلحة بينما كانت القيادة العامة للقوات المسلحة تشيع سراً ان القيادة السياسية هي المسؤولة عن الهزيمة لأنها حرمت على القيادة العسكرية القيام بتوجيه الضربة الاولى وترتب على ذلك قيام اسرائيل بتوجيه الضربة الاولى وتدمير قواتنا الجوية٠ ومن وجهة نظري فأني اعتقد أن قواتنا المسلحة كانت سوف تهزم في عام ٦٧ حتى لو قامت بتوجيه الضربة الاولى ٠ لقد أخطأت القيادة السياسية والقيادة العامة للقوات المسلحة كلتاهما في حسا باتهما ٠

ـ وبينما كان الشعب المصري حائراً بين الآراء المتعارضة حول أسباب الهزيمة لم يجد صورة يعبر بها عن سخطه سوى أن يلقي باللوم على كل رجل عسكري يراه ٠ كان الناس يستهزئون وينكتون على كل رجل يمر في الطريق العام مرتدياً ملابس عسكرية ٠ وكانت الهزيمة قد أثرت في الروح المعنوية للجنود فجاءت هذه الاستهزاءات من الشعب لتزيدها هبوطاً ٠ وفي ظل هذه الظروف القاسية أخذت القيادة العامة الجديدة للقوات المسلحة على عاتقها رفع الروح المعنوية للرجال ما بين يونيو ٦٧ واكتوبر ٧٣ ٠ لقد كانت معركة رأس

العش التي دارت يوم أول يوليو ٦٧ هي أول عمل عسكري يعيد الثقة الى النفوس . سواء على مستوى القوات المسلحة أو على مستوى الشعب ٠ ففي هذه المعركة قام رجال الصاعقة المصريون باعتراض قوة اسرائيلية كانت تتقدم شمالاً في اتجاه بورفؤاد لاحتلالها فهزموها واضطروها للفرار ٠ وبعد أكثر من ثلاثة أشهر وعلى وجه التحديد بتاريخ ٢١ أكتوبر ٦٧ قام رجال البحرية المصرية بإغراق المدمرة الاسرائيلية ايلات التي كانت تقوم بأعمال الدورية أمام بورسعيد ٠ ثم بدأت حرب الاستنزاف في سبتمبر ٦٨ وما صاحب ذلك من عمليات عبور جريئة قام بها رجال الصاعقة حيث نصبوا الكمائن وأثاروا الذعر بين صفوف الاسرائيليين واستعادت القوات المسلحة ثقتها الكاملة بنفسها في يونيو ١٩٧٠ عندما نجحت قوات الدفاع الجوي في اسقاط عشر طائرات اسرائيلية خلال الاسبوع الأول من شهر يوليو عام ١٩٧٠ ٠

العناصر الأساسية لارتفاع الروح المعنوية

- عندما توليت منصب ر ا ح ق م م في مايو ٧١ كانت الروح المعنوية للقوات المسلحة جيدة ومع ذلك فقد كان هناك الكثير مما يمكن عمله في هذا المجال . كان اسلوبي في رفع معنويات الجنود يعتمد على ثلاثة عناصر : العنصر الأول هو المعرفة . والعنصر الثاني هو الإلمام بالقدرات الحقيقية للفرد . أما العنصر الثالث فهو أن يكتسب القادة ثقة جنودهم ...

العلم والمعرفة

- ان العلم والمعرفة لا حدود لهما فكلما ازداد الشخص معرفة ازداد إلمامه بما يمكن أن يفعله عندما تعترضه المشكلات ٠ وعلى سبيل المثال فإن أي سلاح مهما كان حديثاً فأنه لا يمكن أن يكون خلواً من بعض نقاط الضعف فلو استطاع الفرد أن يعرف نقاط القوة ونقاط الضعف لكل سلاح من اسلحة العدو فأنه يستطيع بهذه المعرفة أن يتحاشى نقاط القوة وان يهاجم نقاط الضعف . وبالتالي فإنه يستطيع ان يحقق أفضل النتائج ٠ وينطبق ذلك على أسلوب العدو في القتال وعلى مواضيع أخرى كثيرة ٠ ولتحقيق هذا الهدف اتخذت الخطوات التالية :

١ - إجراء ٢٦ مؤتمراً شهرياً مع القادة حتى مستوى قائد الفرقة ٠

٢ - اجراء ١٨ « مشروع تحرير » لتدريب القيادات على المشكلات التي ينتظر أن تواجههم أثناء العمليات ٠

٣ - اصدار ٥٣ توجيها ثم توزيع الجزء الأكبر منها حتى مستوى سرية ٠

٤ - اصدار ٨ كتيبات توزع على مستوى الجنود ٠

٥ - تنظيم مئات البيانات العملية توضح للقادة والجنود الأسلوب الصحيح للتغلب على مشكلة معينة ٠

٦ - أصدرت تعليمات الى هيئة البحوث العسكرية في القوات المسلحة لكي تصدر نشرة شهرية عن أحدث المخترعات الحربية وأن توزع هذه النشرة حتى مستوى كل وحده ٠

تقويم القدرات الذاتية

- « رحم الله امرأ عرف قدر نفسه » هذا هو العنصر الثاني من عناصر القوة والروح المعنوية - ما من أحد يستطيع أن يفعل كل شيء ٠ ان كل شخص له قدرات محدودة يقف عاجزاً اذا حاول اجتيازها . وان تكليف الفرد بما لا يطيق هو خطأ بليغ . لأنه سوف يفشل

في تحقيق ما يطلب منه وسوف يؤثر هذا الفشل على روحه المعنوية · قال تعالى : « لا يكلف الله نفساً الا وسعها » · فكيف ننسى نحن البشر هذه النصيحة الربانية · ان المبالغة في القدرات هي غرور قاتل . وان التقليل المتعمد من القدرات الحقيقية هو تصرف سيء أيضاً · لذلك يجب أن نقدر انفسنا وجنودنا وطاقاتنا حق قدرها اذا أردنا النجاح في اعمالنا · ومن هنا فقد كنت دائماً أشجع الصراحة والمنافسة الحرة والنقد الذاتي حتى يمكننا أن نعرف الحقائق والقدرات وان ما كان يدور خلال المؤتمرات الشهرية من مناقشات يوضح لنا كيف كانت الآراء المتضاربة تتصارع بحثاً عن الحقيقة وبحثاً عن معرفة حقيقة القدرات سواء بالنسبة لنا أو بالنسبة للعدو · واذا كنت قد نجحت في خلق هذا الشعور بالمسؤولية في جميع القيادات المرؤوسة في القوات المسلحة . فإنني لم أستطع أن أحقق ما أصبو اليه بالنسبة للقيادات السياسية · وقد كان ذلك من الأسباب الرئيسية للخلاف الذي دار بيني من ناحية . وبين كل من رئيس الجمهورية ووزير الحربية من الناحية الأخرى كما سوف نرى في الباب السابع من هذا الكتاب ·

الثقة بين الرئيس والمرؤوس

- ان القائد لا يستطيع أن يكتسب ثقة جنوده بمجرد الشعارات البراقة أو عن طريق اصدار التعليمات والتوجيهات والنداءات · ان هذه الثقة يمكن الحصول عليها فقط عن طريق القدوة الحسنة والعلاقات المتبادلة التي أساسها الصراحة واحترام الذات · ان القائد يستطيع ان يكتسب جنوده اذا توفرت فيه الصفات التي تجتذب الجندي وأهم هذه الصفات هي المعرفة . والشجاعة . والخشونة . والصدق في القول . والعدل بين المرؤوسين . وعدم المحاباة على أساس القرابة والصداقة . ان الجندي لا يهتم بما يسمع فهو يعلم بغريزته بأن ليس كل ما يقال حقيقة . ولكنه يرى ويحس بما يدور حوله · أنه لمن السذاجة أن يطلب القائد من جنوده التقشف بينما هو يعيش عيشة مرفهة · أنهم سيسمعون . وأدبا سيسكتون . ولكنهم فيما بينهم سينتقدون ويستهزئون · لقد حاولت طوال مدة خدمتي في القوات المسلحة أن أغرس المثل العليا في نفوس الضباط والجنود · فعندما كنت قائداً لمنطقة البحر الأحمر العسكرية ٧٠ - ٧١ كنت أسكن في ملجأ ٢ متر × ٤ متر · لقد كان في استطاعتي أن أسكن في ڤيلا جميلة ولكني فضلت أن اعيش في المستوى نفسه الذي يعيش فيه ضابط برتبة ملازم أو نقيب في القوات المسلحة · لم يحدث قط أن اشتكى لي أحد الضباط أو الجنود من الحياة الشاقة التي يعيشونها لأنهم كانوا يرون بأعينهم كيف أعيش وكيف أشاركهم حياتهم · ·

- وعندما توليت منصب ر ا ح ق م م حاولت أن أثبت المثل العليا التي كنت أؤمن بها في جميع أرجاء القوات المسلحة لكي أخلق جو الثقة بين الجنود والقادة · لم أكن أهتم في ذلك بشخصي لأن خدمتي في القوات المسلحة لمدة ٣٠ سنة سابقة كانت كافية لكي يعرف الضباط والجنود أخلاقي ومبادئي . فكثيرون منهم إما أن يكونوا قد خدموا تحت قيادتي أو سمعوا من بعض زملائهم الذين خدموا تحت قيادتي · كان همي أن أخلق روح الثقة هذه بين القادة على مختلف المستويات وبين الجنود وبصفة أساسية بين آلاف الضباط الأصاغر وبين جنودهم ·

ومن بين الاجراءات التي اتخذتها في هذا الاتجاه موضوع « التدريب بالمغامرة » الذي سبق الحديث عنه وكذلك إعادة ادخال الرياضة والمنافسات الرياضية في القوات المسلحة بعد أن كانت قد أوقفت منذ يوليو ١٩٦٧ · واعتباراً من يناير عام ١٩٧٢ بدأت المنافسات الرياضية بين ١٤ قيادة عسكرية رئيسية في ٧ ألعاب أي أنه طوال العام تتم ١٣٧ مقابلة رياضية · وقد استقبل القادة والجنود هذه المناقشات بحماس شديد وحققت أكثر من هدف فقد حطمت الحواجز بين الضباط والجنود . وخلقت روح الفريق **esprit de corps** . وبالاضافة الى ذلك فقد كانت توفر مناسبة ترفيهية لآلاف الضباط والجنود الذين يحضرونها لتشجيع فرقهم الرياضية · لم تتوقف المنافسات الرياضية خلال عام ٧٣ بل ازدادت عدد الالعاب التي يجري عليها التنافر وازدادت العلاقة بين الضباط والجنود عمقاً ·

بنك الدم الاشتراكي

- كانت مصارف الدم في القوات المسلحة تعتمد في الحصول على الدم على المتطوعين من الجنود والمدنيين لقاء أجر معلوم مقابل كل زجاجة دم · وكان من الطبيعي ألا يلجأ الى ذلك الا الجندي الفقير الذي يضطر الى أن يبيع دمه لقاء ما يحصل عليه من أجر · لقد شعرت بالخجل واللاإنسانية عندما علمت مصادفة بهذا الوضع . وفي عام ٧٣ بينما كنت أبحث موضوع تخزين احتياطي الدم قبل دخول المعركة أصدرت أوامري بالغاء هذا النظام فوراً وفرضت على كل ضابط وجندي دون الأربعين من العمر أن يتبرع بزجاجتين من الدم مرة واحدة خلال فترة خدمته في القوات المسلحة اذا ما كانت حالته الصحية والطبية تسمح بذلك , لقد كانت حساباتي قبل اصدار هذا الأمر تثبت أن هذه الكمية ليست كافية لتغطية احتياجاتنا الاعتيادية فقط بل إنها تكفي ايضاً لخلق احتياطي من « الدم » يكفي ويزيد عن كل ما قد نحتاجه خلال المعركة · وحيث أن الدم الطازج يجب أن يحول الى بلازما بعد مضي ٣٠ يوماً فقد كان كل ما هو مطلوب منا هو أن نحصل على الدم يومياً وطبقاً لجدول زمني دقيق على مدار السنة . وهذا ما فعلناه . فقد اصدرت « التوجيه رقم ٣٩ » وكان عنوانه هو « القوات المسلحة لا تبيع دماءها وإنما تضحي به من أجل الوطن » ومع أن التوجيه كان يفرض التبرع على كل من هو دون الـ ٤٠ سنة ومع أنني كنت في الخمسين من عمري . فقد قررت . طبقاً لمبادئي التي تلزمني بأن اشارك رجالي في كل شيء . أن افتتح الحملة بأن تبرعت بزجاجتين من دمي يوم ٣١ مارس ١٩٧٣ · وقبل أن نبدأ عملياتنا في ٦ أكتوبر كان لدينا ٢٠٠٠٠ زجاجة من الدم كاحتياطي عمليات ·

- ان الروح المعنوية للجندي هي محصلة لمئات العوامل الكبيرة التي لا مجال لذكرها الآن ولكنني أود أن أركز بصفة خاصة على العناصر التي سبق أن ذكرتها وهي المعرفة والالمام بالقدرات والقدوة الحسنة · يجب أن يعلم كل جندي بقدراته الحقيقية لا أكثر ولا أقل . يجب أن يكون فخوراً في حدود قدراته الحقيقية لا قدرات أجداده واسلافه · ان التفاخر بأن آباءنا قد بنوا الأهرام منذ أكثر من ٥ آلاف سنة شيء جميل اذا كان ذلك مقروناً بالتفاخر بقدراتنا الحالية · ان التفاخر بأننا عبرنا قناة السويس في اكتوبر ٧٣ شيء عظيم ولكن بشرط

ألا تكون قوتنا العسكرية اليوم في ٧٨ أقل مما كانت عليه منذ ٥ سنوات · ان من يتكلم عن الماضي فقط دون الحاضر هم الضعفاء الذين يريدون أن يعيشوا في أحلام الماضي ولا يستطيعون أن يحسنوا حاضرهم ومستقبلهم · إن القدوة الحسنة هي أساس النجاح · ان الجندي المصري اذا وجد القدوة الحسنة فإنه يستطيع أن يحقق العجائب وقد بذلنا الكثير قبل حرب اكتوبر لخلق هذه القدوة الحسنة على جميع المستويات ، ولقد اثبتت الحرب أن مجهوداتنا في هذا الاتجاه قد حققت نجاحاً كبيراً فقد قاتل الجندي المصري كما لم يقاتل من قبل في تاريخه الحديث ، قاتل بشجاعة وروح معنوية عالية وأعاد الى الأذهان قول رسول الله « اذا فتح الله عليكم بمصر فإتخذوا منها جنداً كثيفا فإن بها خير اجناد الأرض » ·

الباب الثالث

السَادات وصَادقٌ وأنـا

اكتوبر ٧٠ حتى مايو ٧١

مؤتمر الرئيس في ديسمبر ٧٠

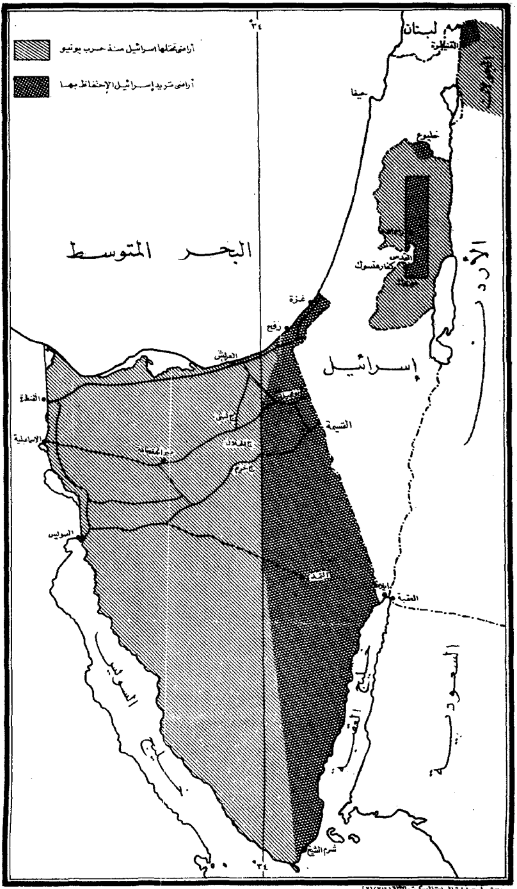
- بعد أن تم انتخاب السادات رئيساً للجمهورية في ١٤ أكتوبر ٧٠ دعا إلى اجتماع مع قادة القوات المسلحة يوم ١٩ أكتوبر . وفي هذا الأجتماع أثنى على المرحوم جمال عبد الناصر . ووعدنا بأنه سيسير على هدى خطواته . وفي ٣٠ ديسمبر من العام نفسه حضر اجتماعاً آخر مع القادة . ولكن في هذا الاجتماع كان المتكلم الرئيسي هو الفريق محمد فوزي وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة . وقد استعرض الفريق فوزي في تقريره موقف القوات المسلحة المصرية وقدراتها القتالية . وبعد أن أتم الفريق فوزي قراءة تقريره تكلم الرئيس السادات فأكد أنه لن يكون هناك تمديد لوقف إطلاق النار عندما ينتهي أجله في ٤ فبراير ٧١ . وطلب الينا أن نكون على أهبة الاستعداد لاستئناف العمليات العسكرية بالأسلحة التي في أيدينا (١) . وكان مما قاله السادات « لا تصدقوا الدعاية الأميركية والإسرائيلية التي تقول إن علاقتنا مع الاتحاد السوفياتي سيئة . إنهم يريدونها كذلك ولكنها ليست كما يتمنون » .

مؤتمر الرئيس مارس ٧١

- في ٢٣ مارس ١٩٧١ عقد الرئيس مؤتمراً عاماً للضباط وقد طُلب إليْ أن أحضر معي ٤ ضباط من مختلف الرتب من منطقة البحر الأحمر العسكرية لحضور هذا المؤتمر . وقد بدأ الرئيس حديثه بشرح الأسباب التي دعته الى تمديد فترة وقف إطلاق النار التي انتهت في ٤ فبراير الماضي فقال « إن جهود مصر الديبلوماسية قد نجحت في عزل إسرائيل عن العالم فقد تم عزلها عن أميركا وبريطانيا ودول أوروبا الغربية وأسبانيا وإيران » وعن موقف اسرائيل قال السادات « لأول مرة تعترف اسرائيل في وثيقة رسمية أرسلتها الى السكرتير العام للأمم المتحدة بتاريخ ٢١ فبراير ٧١ بأنها لن تنسحب إلى خطوط ٤ يونيو ٦٧ وبذلك وضحت نواياها أمام العالم أجمع » وعن علاقاتنا مع أميركا قال « نحن لا نثق بأميركا فقد وعدتنا كثيراً ولكنها لم تف بوعودها . وقد أخطرت نيكسون بأننا لا نثق بوعود أميركا ولكننا على استعداد لأن نثق بالأفعال » وعن المعركة مع اسرائيل قال السادات « إن المعركة القادمة هي معركة شعب وليست معركة القوات المسلحة ويجب علينا أن نحصل على التوازن الدقيق بين مزايا بدء المعركة الآن وبين مزايا الانتظار . وإني أعدكم بأننا لن نقدم ميعاد المعركة يوماً واحداً ولن نؤخرها يوماً واحداً عن توقيتها الصحيح » . وفي خلال قيام الرئيس بإلقاء كلمته وزع على الحاضرين خريطة تبين الأراضي التي تريد اسرائيل أن تحتفظ بها . والأراضي التي هي مستعدة لإعادتها الى العرب . وقد علق الرئيس على هذه الخريطة وهو يستثير حماس الضباط « هل تريدون أن تقبلوا هذا الهوان ؟ » وكان الرد حماسياً من الجميع « لا لا لن يكون هذا »

(١) لقد وافق السادات بعد ذلك على تمديد وقف اطلاق النار . ما الذي جرى خلال تلك الأسابيع الخمسة لكي يغير سياسته ؟

خريطة إسرائيل حسب تقديراتها



(١) نرجو من القارىء ان يقارن بين هذه الخريطة وبين الخريطة التي وقع السادات بموجبها معاهدة الصلح مع اسرائيل في 26 مارس 1979 .

ـ وفي حديثه عن علاقة مصر بالدول العربية هاجم السادات بعنف جميع الدول العربية وحص بهجومه الرئيس هواري بومدين الذي قال عنه « إن الرئيس هواري بومدين قد باع نفسه للأميركيين لا سياسياً فحسب بل واقتصادياً · لقد وقع أخيراً مع الشركات الأميركية عقداً يضمن إمداد أميركا بالبترول والغاز السائل لعشرات السنين وبذلك سوف يصبح اقتصاد بلده معتمداً اعتماداً كلياً على أميركا » ·

مؤتمر وزير الحربية إبريل ٧١

ـ في يوم ١٨ إبريل ٧١ اجتمع المجلس الأعلى للقوات المسلحة تحت رئاسة الفريق فوزي · لم تكن وظيفتي التي أشغلها كقائد لمنطقة البحر الأحمر العسكرية تؤهلني لعضوية هذا المجلس . ولكنني دعيت لحضور هذا المؤتمر · وقد كان الموضوع الرئيسي لهذا المؤتمر هو بحث موضوع « اتحاد الجمهوريات العربية » وقد بدأ الفريق فوزي حديثه بمقدمة مُفادها عدم علمه المسبق بهذا الإعلان وأنه علم به رسمياً حوالي الساعة الواحدة صباحاً أي قبل إذاعته في الصحف بخمس ساعات فقط وتساءل عن الفوائد التي يمكن أن نجنيها من هذا الاتحاد ولا سيما أن علاقتنا الحالية مع سوريا طيبة جداً وأخطرنا بأنه يوجد اتفاق سري بين مصر وسوريا تم في نوفمبر ٧٠ وبموجبه فإن وزير الحربية المصري أصبحت له سلطة قيادة القوات السورية أيضاً · كما أخطرنا بأنه لا يوافق على الحل المقترح بانسحاب اسرائيل الجزئي من الضفة الشرقية (١) · ثم أنهى حديثه قائلاً إن آراء الفريق صادق (الذي كان يشغل منصب ر ا ح ق م م في ذلك الوقت) متفقة تماماً مع آرائه وأنه طلب حضورنا لكي يستمع إلى وجهة نظرنا في هذا الموضوع ·

ـ كان المؤتمر يضم ١٦ ضابطاً بالاضافة الى سكرتير المجلس الذي يقوم بإجراء التسجيل الرسمي دون أن يطلب إليه إبداء الرأي · كان ترتيبي في سلم الأقدمية بين الحاضرين هو الثاني عشر . وعلى الرغم من أن هناك تقليداً عسكرياً هو أن يستمع لرأي الضابط الأحدث قبل الضابط الأقدم حتى لا يتأثر الضابط الأحدث برأي من هو أقدم منه أو من هو رئيسه فقد خالف الفريق فوزي هذا التقليد عندما أعلن رأيه قبل أن يستمع الى أقوالنا ثم خالفه مرة أخرى عندما بدأ بالاستماع لرأي الأقدم قبل الأحدث ثم خالفه مرة ثالثة عندما تخطى الفريق صادق وسأل من يليه في الأقدمية وذلك ليقنع الجميع أن الفريق صادق متفق معه في الرأي تماماً كما سبق أن قال · هاجم المتحدثون الذين سبقوني جميعهم انضمام مصر إلى هذا الاتحاد وبذلك كانت معركة التصويت قد حسمت . فلو أنني والأربعة الذين من بعدي عارضنا هذا الاتفاق فإن ذلك لم يكن ليغير من الأمر شيئاً · وعندما جاء دوري في الكلام أيدت الاتحاد وفندت الأسباب المختلفة التي اعتمد عليها الآخرون في معارضتهم له . وشرحت لهم المواد الخاصة بالاتحاد وخرجت بخلاصة وهي « اذا لم يكن هناك نفع لمصر من هذا الاتحاد فانه ليس هناك أي غرم ولذلك فإني أباركه » ·

---

(١) كان في هذا القول إشارة خفية بأن السادات في اتصالاته السرية مع روجرز وزير الخارجية الأميركي قد وافق على انسحاب إسرائيلي جزئي من الضفة الشرقية للقناة ·

ـ كان تصرفي هذا تصرفاً يمليه المبدأ والاقتناع ، وإن كان يبدو في أعين بعضهم نوعاً من الجهل بأصول اللعبة السياسية . لقد كان الجميع في مصر وفي خارج مصر يعلمون أن الرئيس السادات هو رئيس لا سلطات له وأن السلطة الحقيقية كانت في أيدي اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي . وقد لَمّحَ الفريق فوزي في حديثه معنا إلى أن الجهات السياسية العليا ترفض هذه الاتفاقية وأنه بعد أن ينتهي من اجتماعه معنا فإنه سوف يتوجه لحضور اجتماع سياسي على أعلى مستوى ، وأنه سوف يقوم بإبلاغ هذه الجهات السياسية برأي القوات المسلحة . ومع هذه الأيضاحات كلّها ومع وقوف غالبية القادة في القوات المسلحة ضد هذا الاتحاد فقد اخترت أن أقف الى جانب ما أعتقد أنه الحق مهما سبب ذلك لي من مشكلات .

وبينما كنت أقوم بشرح وجهة نظري هاجمني أحد الأعضاء القدامى . ولكن الوزير تدخل وطلب منه عدم مقاطعتي . لقد كانت لفتة كريمة من الوزير ولكنها لم تغير من الحقيقة وهي أني قد أخترت أن أسير في الطريق الصعب ، ولكنه كان طريقا أعتقد أنه كان في صالح مصر . بعد أن انهيت حديثي تكلم الأربعة الآخرون فعارضوا الاتفاقية . كان الفريق فوزي سعيداً بهذه النتيجة وقد عقب قائلاً « والآن فإنني أستطيع القول بأنكم جميعاً فيما عدا اللواء الشاذلي تعارضون هذا الاتحاد . وسوف أنقل خلاصة رأيكم هذا إلى الاجتماع السياسي المهم الذي سوف أذهب الآن لحضوره » وفي هذه اللحظة تدخل العضو نفسه الذي هاجمني وقال « إننا لم نسمع رأي السيد رئيس الأركان ، ونود أن نعرف رأيه قبل أن نتصرف من هذا المكان » نظر الوزير إلى الفريق صادق وطلب اليه ان يبدي رأيه . تكلم الفريق صادق بحذر شديد . إن طبيعة الشك التي تولدت عند الفريق صادق عندما كان مديراً للمخابرات الحربية قد لازمته عندما أصبح ر ا ح ق م م كما ظلت تلازمه وهو وزير للحربية كما سنرى فيما بعد . قال الفريق صادق « إني قلق من نقطتين رئيسيتين : النقطة الأولى هي قيام الاتحاد السوفياتي بتأييد هذا الاتحاد وهذا عمل غير منطقي يثير الشكوك . والنقطة الثانية هي انضمام سوريا إلى الاتحاد بعد التجربة المريرة التي مررنا بها في عام ١٩٥٨ ثم انفصمت عراها في ١٩٦١ . ولولا هاتان النقطتان لكنت من المؤيدين لهذا الاتحاد » فرد عليه العضو نفسه الذي طلب منه أن يبدي رأيه قائلاً « إننا نريد إجابة صريحة بنعم أو لا على الاتحاد في صورته المعروضة » فرد الفريق صادق بأنه يعارض الاتحاد . وهكذا انتهت المناقشات بأن أصبح ١٥ عضواً في المجلس الأعلى يعارضون الاتحاد وعضو واحد فقط هو الذي يؤيده ، وهو أنا . علماً بأني لم أكن عضواً دائماً في المجلس .

ـ سافرت صباح اليوم التالي إلى مقر عملي في البحر الأحمر ولكني أخذت أعد نفسي لأسوأ الاحتمالات . كان الصراع على السلطة في مصر قد أصبح يتخذ شكلاً حاداً . في ٢ مايو أذيع بيان بأن الرئيس السادات أقال السيد علي صبري من وظيفته كنائب لرئيس الجمهورية وكذلك من جميع مناصبه الأخرى . وفي يوم ١٠ مايو استدعيت الى القاهرة لحضور مؤتمر برئاسة السيد الوزير تقرر عقده صباح اليوم التالي ، ولكن عندما ذهبت الى الاجتماع اتضح أن رئيس الجمهورية هو الذي سيرأس الاجتماع . كان هذا هو الاجتماع الرابع الذي يعقده الرئيس السادات مع قادة القوات المسلحة منذ انتخابه رئيساً للجمهورية في أكتوبر الماضي

مؤتمر الرئيس ١١ مايو ٧١

ـ كان اجتماع السادات يوم ١١ مايو ٧١ مختلفاً عن جميع اجتماعاته السابقة كانت لهجته تنم عن التحدي لخصومه السياسيين وكان يتكلم بثقة أكبر · كان يستخدم كلمة « أنا » كثيراً بعد أن كان في جميع محادثاته السابقة يستخدم كلمة « نحن » مشيراً بذلك الى القيادة الجماعية ·

ـ كان قد أخطرنا في اجتماع ٢٣ مارس بأن قرار تمديد وقف إطلاق النار في ٥ فبراير ٧١ قد اقترن بتقديم مبادرة مصرية ، ولكنه لم يوضح لنا تفاصيل هذه المبادرة (١) · وفي هذا المؤتمر أخطرنا بالأقوال التالية :

١ ـ إعادة فتح قناة السويس ، وانسحاب اسرائيل الى ما هو شرق العريش وتتم هذه المرحلة خلال فترة ٦ شهور ·

٢ ـ تبدأ المرحلة الثانية مباشرة ويتم خلالها الانسحاب الاسرائيلي الكامل (٢) ·

٣ ـ أثناء مقابلتي الأخيرة منذ أيام مع المستر روجرز فإني أخبرته بأن شروطي لإعادة فتح القناة ليست قابلة للتفاوض وأنه يجب أن تعبر قواتنا القناة وتقيم خطاً دفاعياً في الشرق لتأمين حرية الملاحة بالقناة . وأن فترة وقف اطلاق النار لإتمام المرحلة الثانية تكون فترة محددة · وقد علق روجرز على ذلك قائلاً « لا أحد يمكنه أن يطلب من مصر أكثر من ذلك · لقد ذهبتم الى أبعد ما تستطيعون ! » (٣) ·

---

(١) يدعي السادات في مذكراته (الصفحة رقم ٣٠٠) بأنه لم يستشر أحداً من القيادة السياسية · وأنه فاجأهم بها عندما أعلنها أمام البرلمان يوم ٤ فبراير ٧٠ · ويقول السيد علي صبري في مذكراته التي نشرت في مجلة ٢٣ يوليو (العدد ١٤ بتاريخ ٤ يونيو ٧٩) إن السادات عرض هذه المبادرة على مجلس الدفاع القومي يوم ٢ فبراير ولم يوافق المجلس عليها وأن السادات قرر إعلانها رغم ذلك على الرغم من المحاولات المكثفة التي بذلها أعضاء القيادة السياسية لثنيه عن اعلانها ، وأن هذه المحاولات استمرت حتى في بهو مجلس الشعب قبل ميعاد إلقاء الرئيس خطابه بدقائق ·

(٢) يلاحظ أن الرئيس عند ذكره كلمة الانسحاب الكامل لم يوضح ما اذا كان يخبىء في صدره أنه يعني الانسحاب من سيناء فقط ، أم الانسحاب من جميع الأراضي العربية ، ولكن طبقاً للمفهوم السائد في ذلك الوقت فإن معنى كلمة الانسحاب الكامل كانت تعني الانسحاب من جميع الأراضي العربية التي احتلت في يونيو ١٩٦٧ · والآن وبعد أكثر من ٦ سنوات من هذا اللقاء يتساءل المرء عما اذا كانت اتفاقية كامب ديفيد ١٧ سبتمبر ٧٨ هي أفكار السادات نفسها في مايو ٧١ ·

(٣) تعرف رحلة روجرز إلى كل من مصر واسرائيل خلال مايو ٧١ « مشروع روجرز للسلام رقم ٣ » ومن المعروف الآن أن السادات وافق على كل ما طلب منه ، ولكن المسز مائير لم تعطِ أي رد إيجابي ، وكل ما عاد به روجرز إلى واشنطن هو وعد من المسز مائير بأنهم سيقومون بالدراسة !

ـ كان « مشروع روجرز للسلام رقم ١ » هو دعوة كل من اسرائيل ومصر والأردن للتفاوض غير المباشر تحت اشراف كل من أميركا والاتحاد السوفياتي · ولكن الاتحاد السوفياتي رفض الانضمام الى هذه المبادرة فقام روجرز بإرسالها للاطراف الثلاثة في ٢٨ اكتوبر ١٩٦٩ · رفض جمال عبد الناصر هذه الخطوة ووصف أميركا بأنها العدو رقم ١ للعرب · كذلك رفضت المسز مائير هذه المبادرة على أساس أنه لا يجوز أن تشارك أو تسهم الدولتان العظميان في المفاوضات · وأن المفاوضات يجب أن تكون مباشرة بين إسرائيل والعرب ·

ـ كان « مشروع روجرز للسلام رقم ٢ » هو المشروع الذي تقدم به في ١٩ يونيو ٧٠ والذي كان يدعو الى وقف إطلاق النار لمدة ٩٠ يوماً على أن يتم خلالها مفاوضات غير مباشرة بين مصر وإسرائيل والأردن · وقبل عبد الناصر المبادرة واضطرت اسرائيل التي كانت تصر على المفاوضات المباشرة إلى قبول المشروع بعد أن أخذت طائراتها تتساقط بواسطة دفاعنا الجوي خلال الأسبوع الأول من شهر يوليو ٧٠ ·

٤ ـ طلبت من روجرز إجابة محددة عن سؤالي « هل أميركا تؤيد اسرائيل في احتلال أراضينا أم أنها تضمن سلامة اسرائيل داخل حدودها فقط ؟ » وقد سلمت روجرز مذكرة مكتوبة تتضمن جميع هذه التفاصيل ·

٥ ـ بعد عودة سيسكو (١) من إسرائيل أخطرني بأنهم في إسرائيل يثيرون النقاط التالية :

أ ـ بعد إعادة فتح القناة هل سيسمح للسفن الإسرائيلية بعبور القناة أم أن ذلك لن يكون إلا بعد انسحابها الكامل ·

ب ـ إن مدى انسحابهم شرق القناة يتوقف على طول مدة وقف إطلاق النار ، فكلما طالت هذه الفترة زادت إسرائيل من المساحة التي تنسحب منها ·

حـ ـ إنهم لا يوافقون مطلقاً على عبور قواتنا شرق القناة ·

د ـ إنهم يطالبون بتخفيف قواتنا غرب القناة ·

هـ ـ إنهم يرفضون إعطاء أي تعهد بالانسحاب الى حدود ٤ يونيو ٦٧ ·

و ـ إن أي اتفاق يتم التوصل اليه لا يكون نافذاً الا بعد أن يوافق عليه البرلمان الاسرائيلي ·

٦ ـ تكلم الرئيس مرة أخرى عن علاقاتنا مع الاتحاد السوفياتي فقال إنها ممتازة وأن الاتحاد السوفياتي يقوم ببناء مشروعات صناعية في مصر قيمتها ٤٦٠ مليون دولار وأن هذا سيمكننا من بناء القاعدة الاقتصادية التي هي أساس الاستقلال السياسي ·

٧ ـ أشاد الرئيس السادات بالدور الذي تقوم به القوات المسلحة في تدعيم السياسة الخارجية · وذكر أن أميركا ما كانت لتتحرك وترسل روجرز الى القاهرة لو لم تكن تعلم بأن قوتنا العسكرية قد أصبحت قادرة على تحدي الغرور الإسرائيلي ومصممة على استعادة موقفها القيادي بين الدول العربية · ثم تحدث عن اهتمامه بالقوات الجوية حتى يمكننا أن نتحدى السيطرة الجوية الإسرائيلية فقال في هذا المجال : « إنني لن أنام وأنا مطمئن البال إلا بعد أن يكون لدينا ١٠٠٠ طيار · »

تعييني رئيساً لأركان حرب القوات المسلحة المصرية

ـ عدت الى البحر الأحمر يوم ١٢ مايو ٧١ ، ولكن الأحداث بدأت تتحرك بسرعة مذهلة ، ففي يوم ١٣ مايو أعلن عن استقالة الغالبية العظمى من أعضاء اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي وكذلك عدد من الوزراء بما فيهم وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة ، وتبع ذلك أيضاً استقالة عدد من أعضاء اللجنة المركزية ، وبدا الموقف وكأنه انهيار سياسي · وفي ١٥ مايو قام السادات بانقلاب عسكري ضد خصومه السياسيين واشترك في هذا الانقلاب كل من اللواء الليثي ناصف قائد الحرس الجمهوري والفريق محمد صادق رئيس أركان حرب القوات المسلحة ، وكان الرجل الثالث من رجال الانقلاب هو السيد ممدوح سالم وهو ضابط بوليس قضى معظم خدمته في المباحث العامة وكان آخر منصب شغله قبل الاشتراك في انقلاب

---

(١) أحد معاوني المستر روجرز والذي رافقه في زيارته الى مصر ثم الى اسرائيل ·

السادات هو محافظ الاسكندرية . قام اللواء الليثي ناصف قائد الحرس الجمهوري وتحت قيادته لواء مدرع ولواء مشاة بالدور الرئيسي في الانقلاب بينما لعب الفريق صادق ر ا ح ق م م دور المؤيد للانقلاب . أما ممدوح سالم فكانت مسؤوليته تنحصر في السيطرة على المباحث السرية والبوليس . وتجميع المعلومات عن خصوم السادات السياسيين .

ـ ما زال هناك الكثير من الأسرار حول انقلاب السادات في ١٥ مايو ٧١ كيف تم ؟ لماذا وكيف سكت ١٤ قائداً عسكرياً اشتركوا مع وزير الحربية في التصويت يوم ١٨ ابريل ٧١ ضد مشروع الاتحاد الذي كان في الحقيقة تصويتاً ضد رئيس الجمهورية . لقد قام السادات بالتخلص من الفريق صادق في اكتوبر ٧٢ ، وهو الآن في مصر لا يستطيع أن يغادرها ولا يستطيع أن يتكلم . أما الفريق الليثي ناصف قد مات في حادث غامض في لندن ٣٠ أغسطس ٧٣ . أما ممدوح سالم وهو الأقل خطراً لأنه لا يملك القوة العسكرية التي تشكل خطراً على النظام فقد عين وزيراً للداخلية ثم بعد ذلك رئيساً للوزارة في ابريل ٧٥ . ثم لفظه السادات بعد أن حقق أهدافه منه ، وكان ذلك في أوائل اكتوبر ٧٨ ، وبذلك تم التخلص نهائياً من كل من عاونوه في انقلاب عام ١٩٧١ .

ـ في يوم ١٦ مايو عدت مرة أخرى إلى القاهرة التي كنت فيها منذ ثلاثة أيام لأستلم منصبي الجديد كرئيس لأركان حرب القوات المسلحة المصرية . متخطياً بذلك أكثر من ٣٠ ضابطاً يسبقونني في الأقدمية العامة . قد يعتقد بعضهم أن هذا التعيين جاء بناء على موقفي في مؤتمر المجلس الأعلى للقوات المسلحة الذي انعقد في ١٨ ابريل ٧٨ . ولو أخذنا بهذا التفسير لكان منطقياً ان يقوم السادات بالتخلص من جميع الأعضاء الأربعة عشر الذين وقفوا ضده لكي يأمن شرهم ولكن هذا لم يحدث ! وإن كل ما حدث هو أن الشخص الذي هاجم الفريق صادق مرتين خلال هذا المؤتمر قد تم نقله من القوات المسلحة إلى وظيفة مدنية وكان واضحاً أن الفريق صادق وليس رئيس الجمهورية هو الذي وراء هذا النقل . وفي يوم ١٧ مايو قابلت رئيس الجمهورية في منزله بالجيزة برفقة الفريق صادق حيث أشاد بما يعرفه عني من قدرات وإمكانيات وانضباط عسكري وأنه يثق بي ثقة كبيرة . ثم أخذنا نتجاذب الحديث نحن الثلاثة في أمور تخص القوات المسلحة لمدة ساعتين تقريباً . انصرفت بعدها لأبدأ مرحلة من العمل المضني الجاد لإعداد القوات المسلحة للحرب كما جاء في البابين الأول والثاني من هذا الكتاب وكما سوف يجيء ذكره في حينه في الأبواب القادمة .

يونيو ٧١ ـ مارس ٧٢

مؤتمر الرئيس ٣ يونيو ٧١

ـ في يوم ٣ يونيو ٧١ اجتمع المجلس الأعلى للقوات المسلحة برئاسة الرئيس السادات · وقد بدأ الرئيس المؤتمر بشرح ما دعاه بالمؤامرة التي كانت تريد أن تتخلص منه ، وخص بالذكر كلاً من الفريق فوزي وأمين هويدي ، وشعراوي جمعة ، وسامي شرف ، ومجدي حسنين · وبعد ذلك انتقل الى خط السياسة الخارجية فقال « إن استراتيجيتنا يجب أن تكون واضحة لكم ، وهي تتلخص في نقطتين ، النقطة الأولى هي الحفاظ على علاقتنا مع السوفيات والتمسك بها حتى يمكننا بناء الدولة الحديثة اقتصادياً وعسكرياً ، إن الحركة الصهيونية هي هجمة صليبية وسوف تستمر عشرات السنين وإن صداقتنا مع الاتحاد السوفياتي هي التي سوف تساعدنا في التصدي لهذه الهجمة · أما النقطة الثانية فهي الوحدة العربية · إننا ملتزمون بهذين الهدفين ونسير قدماً في اتجاههما » · وفي تعليقه على زيارة الرئيس بودجورني (١) قال « لم يحدث مطلقاً أن حاول بودجورني أو أي من أعضاء الوفد السوفياتي التدخل في شؤوننا الداخلية · ولكن في لقاء خاص بيني وبين الرئيس بودجورني ، سألني لماذا اخترت هذا الوقت بالذات لطرد علي صبري ، فقلت له لقد رأيت أن أعجل بذلك قبل حضور روجرز الى القاهرة ، حتى لا يفسر طردي لعلي صبري إذا ما تم بعد زيارة روجرز أن ذلك هو ثمن صفقة أميركية · وقد رد علي بودجورني قائلاً ، « إنهم في القيادة السوفياتية تصوروا هذا التفسير نفسه » ·

ـ ورداً على سؤال بخصوص التنظيم الطليعي أجاب الرئيس « لقد كانت فكرة جمال عبد الناصر في هذا الموضوع هي انشاء تنظيم من العناصر القيادية الشابة دون أن تعرف أسماؤهم حتى لا يكونوا هدفاً لهجوم عناصر مضادة من داخل الاتحاد الاشتراكي أو من خارجه ممن تستبد بهم الغيرة والحقد · وقد كانت هذه العناصر تنتخب من القاعدة حتى القمة · وقد استغلت بعض العناصر التي كانت تريد أن ترث جمال عبد الناصر هذا التنظيم لكي تفرض سيطرتها على الشعب فدربتهم عسكرياً وهيأت وخزنت السلاح اللازم لاستخدامه في الوقت المناسب ، ولحسن الحظ تمكنا من وضع يدنا على السلاح قبل توزيعه عليهم ·

ـ ورداً على سؤال يتعلق بالشائعات الدائرة حول مطالبة الروس بقواعد عسكرية في مصر أجاب الرئيس ، « هذا غير حقيقي · أنا لا أعطي قواعد لأحد · وبهذه المناسبة أود أن أقول لكم إنه أثناء زيارة روجرز الأخيرة فإني أخبرته بأنني سأنشىء أكاديمية جوية وأني سأستعين بالروس لإنشائها وأنني لن أستطيع النوم قبل أن يصبح لدينا ١٠٠٠ طيار مدرب · قلت له ذلك · إن الأميركان يعلمون جيداً أننا أصحاب الكلمة في أرضنا · وقد أخبرت روجرز أيضاً

---

(١) كان الرئيس بودجورني رئيس الاتحاد السوفياتي قد زار مصر خلال الفترة ما بين ٢٥ ـ ٢٨ مايو ٧١ وتم التوقيع خلال هذه الزيارة على معاهدة صداقة بين الدولتين مدتها خمسة عشر عاماً (قام السادات بالغاء هذه المعاهدة في مارس ٧٦) ·

بأنه إذا فرض علينا الاحتلال الاسرائيلي فإنني سأعيد التفكير في كلمة عدم الانحياز » ٠

- ورداً على سؤال خاص بالنواقص التعبوية التي تؤثر على المعركة الهجومية قال الرئيس « إنكم مطالبون بالعمل في حدود الإمكانيات المتاحة لكم ٠ لو إنكم عبرتم القناة وأخليتم عشرة سنتيمترات فقط شرق القناة ، وأقول ذلك طبعاً للمبالغة ، فإن ذلك سوف يغير الموقف السياسي دولياً وعربياً ٠

- كنت أقوم بزيارة الوحدات البحرية في الإسكندرية خلال يومي ٦ و ٧ يوليو وكان يرافقني في هذه الزيارة عدد من كبار القادة الذين هم أعضاء في المجلس الأعلى للقوات المسلحة ، وقد انتهزت فرصة تواجدنا في الاسكندرية لأعرض عليهم أفكاري فيما يتعلق بالمعركة الهجومية المحدودة ، وذلك قبل انعقاد المجلس بصفة رسمية يوم ٨ يوليو في القاهرة ٠ اجتمعنا ظهر يوم ٧ يوليو في الكلية البحرية وشرحت لهم أفكاري عن الحرب المحدودة (١) ٠ اجتمع المجلس بكامل هيئته في القاهرة برئاسة السيد الوزير يوم ٨ يوليو الساعة ١٩٠٠ واستمر حتى منتصف الليل ، وقد ظهر بصفة علنية ولأول مرة التصادم الفكري بيني وبين الفريق صادق بخصوص شكل المعركة الهجومية ٠ كنت أرى أن تخضع الخطة للإمكانيات المتاحة بينما كان الفريق صادق يرى أن نضع الخطة على أساس تحرير الأرض بكاملها - دون التقيد بالامكانيات المتيسرة - ثم نعمل بعد ذلك على تدبير الإمكانيات المطلوبة ، وذلك كما سبق أن بينت بالتفصيل في الباب الأول ٠

مؤتمر الرئيس ٤ نوفمبر ٧١

- في يوم ٤ نوفمبر ٧١ عقد مؤتمر برئاسة السيد الرئيس حضره كل من الفريق صادق وأنا واللواء عبد القادر حسن واللواء بغدادي واللواء محمد علي فهمي واللواء الليثي ناصف والجنرال اوكينيف OKENEV كبير المستشارين السوفيات ٠ وقد أمتد المؤتمر من الساعة التاسعة مساء حتى الواحدة بعد منتصف الليل ، ودار فيه ما يلي :

١ - أدلى الرئيس بما يلي :

أ - اجتمعت أمس بمجلس الأمن القومي وسوف تعبأ جميع موارد الدولة لأغراض المعركة ٠

ب - سوف أعلن يوم الخميس القادم ١١ نوفمبر سحب مبادرتي لفتح قناة السويس التي كنت قد اعلنتها في ٤ فبراير الماضي تحت شروط خاصة ٠

جـ - قال موجهاً كلامه الى الجنرال اوكينيف « لعلمك ، فقد أرسلت إلى أميركا أخطرهم بأننا سندخل سيناء حتى لو بالبنادق فقط » ٠

---

(١) سبق ذكر تفاصيل المعركة المحدودة في الباب الأول ٠ وهي الخطة التي تعتمد على الإمكانيات الفعلية لا الإمكانيات الفرضية ٠

د ـ أعلن نفسي منذ الآن قائداً عاماً للقوات المسلحة (١) وعليه يجري تخصيص مكتب لي في القيادة (٢) ٠

٢ ـ أدلى الجنرال أوكينيف بما يلي :

أ ـ ستصل الطائرات 16 - TU ومعها الأطقم اللازمة لتدريب الطيارين والملاحين المصريين فوراً (٣) ٠

ب ـ إن المارشال جريشكو ـ وزير الدفاع في الاتحاد السوفياتي ـ يطالب بأن يتم تدريب فوج الكوادرات (سام ٦) في الاتحاد السوفياتي حيث أن تسهيلات التدريب لهذا الفوج ليست متيسرة في مصر (٤) ٠

جـ ـ لقد وصلني من الاتحاد السوفياتي صور عن سيناء التقطتها الأقمار الصناعية السوفياتية وإني أضعها تحت تصرف القيادة المصرية ٠

مؤتمر الرئيس ١٩ نوفمبر ٧١

ـ في يوم ١٩ نوفمبر ٧١ عقد الرئيس مؤتمراً في قاعدة انشاص الجوية ، حضره كل من الفريق صادق وأنا واللواء بغدادي واللواء حسني مبارك واللواء الليثي ناصف والسفير السوفياتي في مصر والجنرال أوكينيف ، وقد دار خلال هذا المؤتمر الحديث التالي :

الرئيس :

وصلني بيرجس (٥) أول أمس وقد قلت له إن خبرتي السابقة معكم تجعلني لا أثق بكم ٠ إنكم تحاولون تحويل مبادرتي إلى معنى لم أقصده إطلاقاً وبحيث تصبح لصالح إسرائيل ، لقد سبق لهم أن سألوني (يقصد الأميركيين) : إذا سارت عملية الانسحاب طبقاً لمبادرتي فهل يمكن تمديد فترة وقف اطلاق النار ؟ فأجبتهم بأن ذلك ممكن ويمكننا أن نمدد هذه الفترة ثلاثة شهور فثلاثة شهور لمدة أقصاها سنة ٠ ولكني سحبت ذلك كله في مقابلتي أول أمس ٠ وقد سألني بيرجس « هل أقوم بإبلاغ واشنطن بأنك لا تثق بنا وأنك لن تتفاهم معنا إلا بعد أن ترد اسرائيل على مذكرة يارنج بالايجاب ؟ » ٠ فقلت له نعم ٠ وقد أخبرني هو بأنه علم أنه قد وصلتنا طائرات قادرة على إطلاق صواريخ أسرع من الصوت وأنها مصممة أساساً لضرب

---

(١) تنص المادة ١٥٠ من الدستور على أن رئيس الجمهورية هو القائد الأعلى للقوات المسلحة وهي وظيفة شرفية يقصد بها توجيه السياسة العليا ـ أما القائد العام للقوات المسلحة فهو المسؤول عن القيادة والمشكلات اليومية للقوات المسلحة ، ولا بد أن يكون شخصاً متفرغاً لهذا العمل وحده ٠ وان السادات بهذا التصرف وهذا القرار الذي اتخذه تحت ستار الإعداد للمعركة ، يكون قد قام بانقلاب عسكري ثان بهدف وضع القوات المسلحة تحت سيطرته الكاملة ٠

(٢) تم تخصيص جناح suite للرئيس في الدور الأول من وزارة الحربية ونظراً لأن الرئيس مريض القلب فقد جرى إنشاء مصعد كهربائي خاص ٠ ولم يحدث قط أن استخدم الرئيس هذا الجناح بعد ذلك كله ٠

(٣) أخطرني الجنرال أوكينيف في اليوم التالي بأن الطائرات ستبدأ في الوصول طبقا للجدول التالي :

٥ / ١١	٦ / ١١	١١ / ١١	٢١ / ١١	٢٥ / ١١	٢٧ / ١١	المجموع
٢	١	٢	٢	١	٢	١٠

(٤) طلب الجانب المصري تدبير إمكانيات التدريب في مصر ، ولكن الجنرال أوكينيف أثار عدة مشكلات بخصوص هذا الموضوع ٠ وانتهى الأمر بأن قال إنه سيبلغ موسكو ٠ وفي اليوم التالي أبلغني بأن الجانب السوفياتي يعتذر عن عدم إمكان تدريب الفوج في مصر ٠

(٥) مساعد وزير الخارجية الأميركي ٠

السفن الحربية وأن ذلك يقلق حكومة واشنطن لأنه يدخل ضمن حساب توازن القوى بينهم وبين الاتحاد السوفياتي . أخبرته بأنني لن أعلن الحرب على أميركا ولكن يجب أن تعرفوا أن ضرب العمق عندي سيقابل بضرب العمق الإسرائيلي . قلت له أيضاً يجب أن تخجلوا من أنفسكم . وذكرها الرئيس مرة أخرى باللغة الإنجليزية you should be ashamed of yourself لهذا القلق الذي تشعرون به . انكم تعطون إسرائيل الفانتوم التي تستطيع بها أن تضرب بالعمق عندي ، ثم تقولون إنكم تشعرون بالقلق عندما أستطيع أن أحصل على السلاح الذي يمكنني من ضرب العمق الاسرائيلي .

اللواء بغدادي :

لقد علمت من رئيس المستشارين في القوات الجوية أن سرعة هذه الصواريخ هي ١٢٠٠ كم في الساعة . وفي اعتقادي أنه ما لم تكن سرعتها تعادل ضعف سرعة الصوت فإن هذه الصواريخ تكون عديمة القيمة .

الجنرال أوكينيف :

هذه معلومات غير صحيحة . ثم شرح بعد ذلك أنواع الصواريخ التي تقرر إمدادنا بها وخصائص كل منها . وإني أعتذر للقارىء عن عدم إمكان اذاعة هذه المعلومات .

الرئيس :

إني أقبل تفسير الجنرال أوكينيف .

الجنرال أوكينيف :

إن المشكلة الحقيقية هي تدريب الملاحين . إن كل ملاح يحتاج الى ٥٠٠ ساعة تدريب .

الرئيس :

لقد استدعى الأميركيون الجنرال دايان لزيارة أميركا ولا شك أنهم سيطلعونه على معلوماتهم عن الطائرة TU-16 حاملة الصواريخ . وأخشى أن يقوم العدو بضربة مفاجئة ليسبقنا بالهجوم لذلك فإني أطلب من الجانب السوفياتي أن يستطلع لنا سيناء بواسطة الطائرات M - 500 (١) وأن يقوم أيضاً باستطلاع اسرائيل نفسها بواسطة الأقمار الصناعية .

اللواء بغدادي :

إن الخمسين طائرة ميج ٢١ MF التي قيل إنها ستصل الينا خلال عام ٧١ تحتاج الى ٣ شهور للتركيب . كذلك فإن ورش عمره (تجديد المحركات واصلاحها بعد فترة تشغيل معينة كما هو الحال في محركات العربات) محركات الطائرات التي يقوم السوفيات بإنشائها في مصر لم يتم الانتهاء منها . وإني أرجو السرعة في إنهاء هذه المواضيع .

الرئيس :

أطلب من السيد السفير إبلاغ الزعماء السوفيات بسرعة ترحيل ما اتفقنا عليه . وإحاطتي بمواعيد وصول هذه الإمدادات . كذلك أطلب سرعة تشغيل مصنع الطائرات وورش العمرة .

(١) ميج ٢٥ .

- لقد كان يوم ١٩ نوفمبر ٧١ يوافق اليوم الثاني من أيام عيد الفطر المبارك . وبعد انتهاء المؤتمر رافقت السيد الرئيس في زيارته للقوات المسلحة فاجتمع برجال القوات الجوية والقوات الخاصة في اليوم نفسه ثم انطلقنا الى الإسماعيلية حيث قضينا الليلة هناك والتقينا برجال الجيش الثاني . ثم انطلقنا في صباح اليوم التالي الى الجنوب حيث التقى الرئيس برجال الجيش الثالث . ثم عدنا الى القاهرة في مساء يوم ٢٠ نوفمبر .

- وفي خلال الفترة ما بين ٢١ نوفمبر وحتى نهاية الشهر كان مجهودي الرئيسي موجها للقيام بالتزاماتي تجاه الجامعة العربية بصفتي الأمين العسكري المساعد لها . فبموجب هذا المنصب كنت أقوم بأعمال رئيس الهيئة الاستشارية العسكرية التي تتكون من رؤساء أركان حرب الجيوش العربية وأقوم بأعمال السكرتارية لمجلس الدفاع المشترك العربي الذي يتكون من وزراء الخارجية والدفاع في الدول العربية - وقد كان رؤساء أركان الحرب القوات المسلحة في الدول العربية سوف يبدأ وصولهم الى القاهرة اعتباراً من ٢١ نوفمبر وتنتهي اجتماعاتهم في ٢٦ نوفمبر ثم يبدأ بعد ذلك اجتماع مجلس الدفاع المشترك في الفترة ما بين ٢٧ - ٣٠ نوفمبر (١) .

مؤتمر الرئيس ٢ يناير ٧٢

- انعقد المجلس الأعلى للقوات المسلحة برئاسة الرئيس السادات يوم ٢ يناير ٧٢ . وفيما يلي أهم ما جرى خلال هذا المؤتمر :

الرئيس :

« ان اميركا تدعم اسرائيل بكل شيء في حين ان الاتحاد السوفياتي لم يمدنا بما وعدني به في اكتوبر الماضي . ان الاتفاقية التي وقّع عليها اللواء عبد القادر حسن مؤخراً في موسكو لم تشمل الأصناف كلها التي وعدني بها القادة السوفيات .

ان اميركا لن تقوم بممارسة أي ضغط على اسرائيل وانهم يقولون ان الدور الذي يقومون به هو (استخدم الرئيس الكلمة الانجليزية catalist) عامل مساعد فقط .

ان اندلاع الحرب الهندية الباكستانية تجعلني أراجع جميع حساباتي . حيث ان الحرب بين الهند وباكستان لم تنته بل انها في الحقيقة قد بدأت(٢) .

- طلب الرئيس بعد ذلك الاستماع الى تقارير القادة فكانت كما يلي :

- لواء محمد علي فهمي (قائد الدفاع الجوي) .

إن مشكلتي هو انه مطلوب مني ان اقاتل في معركة هجومية بأسلحة دفاعية .

- محمود فهمي (قائد القوات البحرية) .

---

(١) سوف نذكر هذه الاجتماعات بالتفصيل في الباب السادس من هذا الكتاب .

(٢) ان الحرب كانت قد توقفت عسكرياً باجتياح الهند باكستان الشرقية واعلان دولة بنجلاديش ، فإن الرئيس كان يقصد ان الصراع بين روسيا وأميركا قد بدأ ، وسيحتدم في هذه المنطقة من العالم .

ـ « يجب ان نمارس الضغط على الاتحاد السوفياتي · يجب ان نغلق الموانيء المصرية في وجه الاسطول الروسي ، ويمكن ان يتم ذلك بالتدريج شيئاً فشيئاً الى ان يتم المنع نهائياً اذا لم يستجيبوا لمطالبنا » ·

ـ اللواء بغدادي (قائد القوات الجوية)

« احتاج الى طائرات ردع تستطيع ان تصل الى عمق اسرائيل » ·

اللواء علي عبد الخبير (قائد المنطقة المركزية)

« هناك نواقص كثيرة في القوات المسلحة بالنسبة للمعركة الهجومية ، أهمها ضعف الطيران ، النقص في الحركة ، النقص في وسائل المواصلات ، اسلوب فتح الثغرات في حقول الألغام » ·

ـ اللواء سعيد الماحي (قائد المدفعية)

« يجب ان نقوم بعمل ما في حدود امكانياتنا » ·

ـ الفريق الشاذلي ·

« على الرغم من النواقص كلها فإن القوات المسلحة قادرة على القيام بعملية هجومية محدودة ، يجب ان يقوم سيادة الرئيس بالاتصال بالجانب السوفياتي ومعرفة موقفهم في حالة قيامنا بعملية هجومية، حيث ان لديهم قوات كبيرة في مصر· ان لديهم لواءين « طائرات قتال » وفرقة دفاع جوي ، وهم يسيطرون على امكانيات الحرب الالكترونية · ويجب ان نعلم كقادة هل سيشترك معنا السوفيات أم لا · وفي حالة اشتراكهم فيجب ان نعلم حدود هذا الاشتراك حتى يمكن ان يكون تخطيطنا سليماً » ·

ـ الفريق صادق ·

« اننا جميعاً على استعداد للقتال الفوري ولكن يجب ان يكون النصر مضموناً · ان البلاد لا تتحمل ما هو اقل من النصر · اننا سنقوم باستكمال النواقص من الكتلة الغربية وسأخطر سيادتكم بمجرد الانتهاء من ذلك » ·

قصة الضباب

ـ لا شك ان السادات قد شعر بالارتياح العظيم عندما سمع باندلاع الحرب الهندية الباكستانية في ٣ ديسمبر ١٩٧١ ، اذ انه لا يمكن ان يعترف بخطئه ، وهو دائماً يبحث عن شخص او سبب ليحمله مسؤولية الخطأ · لقد قضى طوال عام ٧١ وهو يدق طبول الحرب ويقول ان عام ٧١ هو « عام الحسم » ان سلماً أو حرباً · وها قد انتهى عام ٧١ دون أي حسم · وقد بدأ الشعب المصري الذي يمارس الديمقراطية فقط من خلال النكتة يطلق النكات ومن بين هذه النكات نكتة تقول ، « ان الرئيس قد اصدر قراراً جمهورياً باعتبار عام ٧٢ امتداداً لعام ٧١ ، ومحرم مطلقاً على أي فرد ان يستخدم الرقم ٧٢ » وكان على السادات ان يرد على هذه النكات وان يجد المبرر لعدم قيامنا بالهجوم على اسرائيل خلال عام ٧١ ، فلم يجد سبباً الا الحرب الهندية الباكستانية وحكاية « الضباب » ·

ـ ففي خطاب له في يناير ٧٢ ، ولكي يبرر للشعب المصري والشعب العربي اسباب عدم

قيامنا بالخرب عام ٧١ . ابتكر قصة « الضباب » ثم انتقل الى قصة الحرب الهندية الباكستانية (١) · وعن قصة الضباب قال السادات :

« لقد أمر جمال القوات الجوية ذات يوم بأن تقصف قوات العدو المتمركزة شرق القناة · فلما ذهبت طائراتنا الى المنطقة وجدت ان هناك ضباباً كثيفاً يغطي المنطقة ويحجب الرؤية فعادت الى قواعدها دون ان تنفذ المهمة التي اعطيت لها · أمر جمال بأن تقوم القوات الجوية بتنفيذ المهمة بعد ساعة او ساعتين يكون فيها الضباب قد انقشع من فوق المنطقة . ولكن قواتنا لم تتمكن من تنفيذ المهمة للمرة الثانية لأنها وجدت أن الضباب كان ما زال موجوداً · أمر جمال بتكرار العملية للمرة الثالثة ولكن طائراتنا عادت للمرة الثالثة دون ان تستطيع تنفيذ المهمة . وهنا قال جمال خلاص بأه يمكن ربنا مش عاوز اننا نقوم بهذه الضربة » وبعد هذه القصة المثيرة عن الضباب انتقل السادات الى قصة الحرب الهندية الباكستانية وقارن بينها وبين « الضباب » الذي منع جمال عبد الناصر من تنفيذ الغارة الجوية على المواقع الاسرائيلية . وخلص من ذلك الى انه لولا قيام الحرب الهندية الباكستانية لقامت الحرب عام ٧١ ولكان عام ٧١ هو عام الحسم كما سبق ان قال ·

لقد أخطأ الرئيس السادات عندما اعتقد ان الشعب المصري يستطيع ان يبتلع ويهضم قصة الضباب · وعلى العكس من ذلك فقد جعل الشعب المصري من قصة الضباب مادة جديدة للنكتة والسخرية ·

اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة

- في يوم ١٨ مارس ٧٢ اجتمع المجلس الأعلى للقوات المسلحة برئاسة الفريق صـــادق حيث أبلغنا بما يلي :

١ ـ هناك شائعات تقول ان هناك خلافاً بين الفريق صادق والسيد عزيز صدقي (٢) وهذا غير صحيح ·

٢ ـ هناك شائعات بأن الفريق صادق على خلاف مع الاتحاد السوفياتي · وهذا غير صحيح ، حيث ان الخلاف هو خلاف مبادىء ·

٣ ـ هناك شائعة بأن القواعد البحرية في مرسى مطروح والاسكندرية قد وضعت تحت سيطرة السوفيات وهذا غير صحيح ·

---

(١) يلاحظ ان السادات بدأ عمله كرئيس جمهورية عام ١٩٧٠ بأن انحنى امام تمثال جمال عبد الناصر ليعلن للمصريين جميعاً انه مخلص وأمين لخط جمال عبد الناصر .

وطوال اعوام ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ كان يبرر أي عمل يقوم به بأن جمال عبد الناصر كان يريد ذلك حتى يستطيع ان يضمن سكوت الشعب وقبوله لما يقول .

وفي خلال عام ٧٤ ، ٧٥ بدأ يوجه وسائل اعلامه لمهاجمة جمال عبد الناصر ، وفي الوقت نفسه يعلن رسمياً بأنه يشارك جمال عبد الناصر في مسؤولياته جميعها .

واعتباراً من ٧٦ بدأ هو نفسه يهاجم جمال عبد الناصر هجوماً شديداً ويتنصل من كل مسؤولية خلال حكمه ، وتوج ذلك بمذكراته التي نشرها عام ٧٨ والتي ملأها بالهجوم على عبد الناصر واعفاء نفسه من كل مسؤولية عن أخطائه .

(٢) كان عزيز صدقي يشغل منصب رئيس الوزراء وكان معروفاً عنه انه من دعاة التعاون مع الاتحاد السوفياتي ·

٤ ـ لقد عاد الفريق عبد القادر من موسكو دون ان يوقع على الاتفاقية الجديدة حيث ان الروس طلبوا ان ندفع ثمن الطائرات TU 22 والدبابات T 62 والذخيرة بالعملة الصعبة وبالثمن الكامل وبالتالي فأن الطائرة TU 22 يصبح ثمنها ٥,٦ مليون روبل والدبابة ت ٦٢ ٢٥٠,٠٠٠ روبل ، وقد رفض الجانب المصري التوقيع على الاتفاقية بهذه الشروط وبالتالي فأن هذه الاصناف لن تحضر (١) .

ـ في غياب الديمقراطية فأن الشائعة هي السلاح الوحيد الذي يستطيع بواسطته الشعب ان يعبر عن رأيه · ولكن في كثير من الأحيان فأن القيادة السياسية تعمد هي نفسها الى خلق وترويج بعض الشائعات لكي تخدم غرضاً معيّناً · وفي اعتقادي ان ما ذكره الفريق صادق من شائعات في اجتماع المجلس الأعلى يوم ١٨ مارس هو من هذا النوع من الشائعات التي فجرها لكي يخلق العداوة بين افراد القوات المسلحة وبين الاتحاد السوفياتي ولكي يظهر وكأنه هو الذي يحمي مصر من تيار الشيوعية · ان الفريق صادق يكره الشيوعية كراهية شديدة وهذا أمر يخصه وليس لأحد أن يحاسبه على ذلك ، ولكن عداوته للشيوعية قد اعمت بصيرته فأصبح لا يفرق بين الشيوعية كمذهب ايديولوجي والاتحاد السوفياتي كدولة عظمى تقوم بامدادنا بالسلاح الذي يمكننا من تحرير أرضنا المحتلة · كان كل من يدعو الى تصفية الجو وتحسين العلاقات مع الاتحاد السوفياتي من اجل مصر هو عدو شخصي للفريق صادق ، بل وقد يذهب الى أبعد من ذلك فيتهمه بالانتماء الى الشيوعية والعمالة للاتحاد السوفياتي · لذلك فإن ما قاله صادق في هذا المؤتمر كان في الواقع هجوماً على عزيز صدقي وليس نفياً لهذه الشائعة ·

ـ ولنفرض أنني اخطأت في تحليلي هذا وان صادق لم يخلق هذه الشائعات . وانما وصلت اليه عن طريق استطلاع الرأي الذي يجري في القوات المسلحة من وقت لآخر بطريقة دورية ، فإن هذه الشائعات لا يمكن النظر اليها بجدية نظراً للأسلوب الخاطيء الذي تتبعه القوات المسلحة المصرية للحصول على هذه المعلومات · ليس سراً ان ادارة المخابرات الحربية لديها مندوبون غير معروفين في كل وحدة من وحدات القوات المسلحة وأن هؤلاء الأفراد يقومون بإبلاغ ادارة المخابرات سراً بكل ما يرون وما يسمعون · فلو فرضنا مثلاً ان مندوباً واحداً من ضمن آلاف الوحدات سمع شائعة كهذه فانها تسجّل ضمن الشائعات الدائرة سواء كانت نسبتها واحداً في الألف أو كانت من تأليف شخص واحد · ان هذا الأسلوب هو اهدار للفكر البشري لأنه لا يمكن لجميع البشر ان يتفقوا على كل شيء . وان المناقشة الحرة وتسجيل الآراء في اسئلة محددة ثم القيام باحصائيات شريفة عن هذه الاجابات هي الأسلوب العلمي الصحيح لاستطلاع الرأي · وقد هاجمت هذا الأسلوب في أحد مؤتمراتي الشهرية وأوضحت ان مثل هذه التقارير التي تقدمها ادارة المخابرات الحربية للسيد رئيس الجمهورية وللسيد الوزير

---

(١) كان الجانب السوفياتي منذ ايام ناصر يبيع لنا الاسلحة بنصف ثمنها ويتنازل عن النصف الثاني · كما وان النصف الذي نقوم بدفعه كنا نقوم بدفعه بالجنيه المصري وبالتقسيط بسعر فائدة ٢٪ · ويبدأ الدفع بعد استلامنا الأصناف وبعد فترة أمهال طويلة ·

لا تمثل الرأي العام الحقيقي في القوات المسلحة . وقد شعر جميع القادة الذين حضروا المؤتمر بسعادة غامرة وأنا ادلي بهذا القول وأيدوني تأييداً مطلقاً في كل ما قلته . ولكني مع ذلك لم استطع ان أصلح هذا الاسلوب الغريب في استطلاع الرأي ، لأن ادارة المخابرات الحربية كانت تخضع لوزير الحربية مباشرة وعلاقة ر ا ح ق م م بها تنحصر في الفرع الخاص باستطلاع العدو . أما فرع الأمن وتقارير الادارة بخصوص أمن القوات المسلحة فكانت ترفع الى رئيس الجمهورية والى وزير الحربية واذا ارسلت صورة الى ر ا ح ق م م فهي للعلم فقط . والغريب هنا ان هذا النظام استمر ايضاً بعد عزل الفريق صادق وتعيين الفريق احمد اسماعيل بدلاً منه في اكتوبر ١٩٧٢ .

- ان ادارة المخابرات الحربية في مصر هي جزء من النظام المصري . انها أحد الاجهزة الثلاثة التي يعتمد عليها الحاكم في مصر لكي يسيطر على افراد الشعب . هناك هيئة المخابرات العامة التي تتبع رئيس الجمهورية مباشرة وهناك المباحث العامة التي تتبع وزير الداخلية ثم هناك ادارة المخابرات الحربية التابعة لوزير الحربية ، وتقوم كل من هذه الجهات الثلاث بارسال تقرير شهري - اذا لم يكن هناك ما يستدعي ارسال تقرير خاص - الى رئيس الجمهورية ، ومن هنا يظهر التنافس بين الثلاثة . ان كلاً منها يعتقد انه كلما كان التقرير اكثر تفصيلاً كان ذلك شاهداً على مدى اخلاص الادارة للنظام ، كما انها تخشى ان تسقط خبراً او شائعة قد تظهر في تقارير الادارتين الأخريين فيكون ذلك اتهاماً لها بأنها تغض الطرف عن شيء معين لسبب تريد اخفاءه عن رئيس الجمهورية . ومن هنا كان الصراع المهني بين الاجهزة الثلاثة . ويتم ذلك كله بتشجيع من رئيس الجمهورية الذي يرى ان تنافس تلك الاجهزة الثلاثة سوف يضمن له عدم قيام اي منها بأي عمل انقلابي ضده .

- في صباح يوم ١٩ مارس اجتمعت مع السيد الوزير والجنرال اوكينيف حيث عرض علينا صوراً التقطت بواسطة الأقمار الصناعية السوفياتية . وقد ارسلت هذه الصور مع مندوب خاص من الاتحاد السوفياتي حتى يمكننا ان نتطلع عليها ونستخرج منها كل ما نريد من معلومات بشرط واحد وهو ألا نعيد تصويرها أو نأخذ فيلماً عنها . وبعد ان اطّلعنا على الصور انسحب المندوب السوفياتي الذي كان يحمل هذه الصور ومعه أحد ضباطنا لنقل المعلومات من الخريطة .

- بعد ذلك انضم الينا الفريق عبد القادر حسن ودار الحديث كما يلي:

الجنرال اوكينيف : - لقد قابلت أمس انا والسفير السوفياتي الرئيس السادات وعرضنا عليه هذه الصور الجوية .

- ان الرئيس أخطرنا بأنه هو الذي قال لرئيس الوزراء السيد عزيز صدقي بأن يتم الدفع بالعملة الصعبة .

- ان الرئيس قال : « اننا مستعدون للدفع كاملاً وبالعملة الحرة بالنسبة للطائرات ميج ٢١ والطائرات 500 - M ولكن ليس بالنسبة للطائرات TU 22 لأنها قاذفة فقط وتحتاج الى

حماية واننا سنستعيض عنها بسربي ليتننج من السعودية . سرب ليتننج من الكويت وأننا سنرسل الطيارين المصريين للتدرب على هذه الطائرات في الاسبوع القادم (١) » .

- بخصوص الدبابات ت ٦٢ قال الرئيس « اننا نحتاج الى هذه الدبابات ولكنها غالية جداً وهناك مشكلات بخصوص قيام ليبيا بدفع ثمنها » .

- وافق الرئيس على ان تقوم مصر بدفع ثمن الذخيرة بالعملة الصعبة .

- وافق الرئيس على استلام ١٢ كتيبة صواريخ فقط من الاصدقاء بدلاً من ١٨ كتيبة كما ورد في خطاب وزير الحربية المصري الى وزير الدفاع السوفياتي (٢) . وقد لمّح الجنرال اوكينيف بأن سحب هذه الكتائب الآن قد يؤثر على محادثات بريجنيف - نيكسون التي كان مقرراً عقدها في موسكو في شهر مايو القادم .

الفريق صادق : « ليس لديَّ علم بهذه المواضيع وسوف أتصل بالسيد الرئيس وأقوم بتنفيذ ما يأمر به » .

انسحب الجنرال اوكينيف بعد ذلك وبقيت أنا والوزير والفريق عبد القادر حسن وقد أتصل الوزير بالرئيس هاتفياً في حضورنا وأبلغه بما سمعه من الجنرال اوكينيف . فأيّد الرئيس كل ما قاله الجنرال اوكينيف فيما عدا موضوع الذخيرة فقد قال الرئيس : « ان ما اقصده بالدفع بالعملة الصعبة بالنسبة للذخيرة هو ما يدفع لقاء توسيع خط الانتاج المصري للذخيرة وليس ثمن الذخيرة نفسها » .

وبعد هذه المحادثة الهاتفية غادر السيد الوزير مكتبه الى مطار القاهرة حيث استقل الطائرة الى السعودية .

- كانت الساعة حوالي العاشرة والنصف من صباح الأحد ١٩ مارس عندما غادر السيد الوزير مبنى الوزارة متجهاً الى السعودية . وبينما أنا منهمك في اتخاذ الاجراءات والترتيبات التي تتعلق باستلام ١٢ كتيبة صواريخ من الأطقم السوفياتية اتصل بي مكتب الرئيس وأخبرني بأن أحضر فوراً لمقابلة الرئيس في منزله بالجيزة وأن احضر معي الفريق عبد القادر حسن المختص بالاتفاقيات السوفياتية المصرية والذي كان قد وصل من الاتحاد السوفياتي في اليوم السابق . وفي الساعة ١٢٣٠ كنا في منزل الرئيس حيث كان معه السيد حافظ اسماعيل مستشار الرئيس لشؤون الأمن القومي .

- قام الفريق عبد القادر حسن بشرح تقريره بخصوص رحلته الأخيرة واستمع اليه الرئيس دون ان يوجه اليه أي سؤال ودون ان يعلق على التقرير بطريق مباشر ولكنه علق عليه بطريق غير مباشر . لقد علم الرئيس ان صادق قد اتخذ من تقرير عبد القادر حسن ذريعة

---

(١) انظر تفاصيل الموضوع الخاص بالطائرات ليتننج في الباب السادس .

(٢) كان السوفيات يقومون بتشغيل كتائب صواريخ مصرية « سام » لعدم توفر الافراد المصريين المدربين . وبعد ان تم تدريب الأفراد اللازمين لتشغيل هذه الكتائب طلبت القيادة المسلحة المصرية الاستغناء عن الأطقم السوفياتية . وهكذا أرسل وزير الحربية كتاباً الى زميله السوفياتي يخطره فيه بالاستغناء عن الأطقم السوفياتية التي تقوم بتشغيل ١٨ كتيبة صواريخ سام .

لكي يهاجم الاتحاد السوفياتي ، وها هوذا السادات يريد ان يستمع الى تقرير عبد القادر حسن لكي يستخدمه ذريعة للدفاع عن الاتحاد السوفياتي ٠ ويتلخص ما قاله الرئيس فيما يلي :

أ ـ ان صداقتنا مع الاتحاد السوفياتي هي خط استراتيجي يجب المحافظة عليه لأنه الورقة الوحيدة التي نلعب بها ٠

ب ـ ان المعلومات التي نوقشت أمس على مستوى المجلس الأعلى للقوات المسلحة يجب ألا تنقل الى أي مستوى أقل من ذلك ٠

حـ ـ اننا لن نعطي قواعد للسوفيات ولكننا سنقدم لهم التسهيلات فقط ٠

ـ وقد أحضر الرئيس امامنا شخصاً قال انه ضابط بوليس وان احد اقاربه ضابط في القوات المسلحة وأن قريبه هذا أخطره بأن المخابرات الحربية كانت تستطلع رأي القوات المسلحة حول ما يطلبه الروس من قواعد بحرية وحول ما يطلبونه بأن يتم دفع ثمن السلاح بالعملة الصعبة (١) ٠

ـ بعد ذلك خرج عبد القادر حسن وبقيت أنا لمناقشة بعض المواضيع الأخرى مع السيد الرئيس ٠

(الفصل السابع عشر)

قصة الخلاف بيني وبين صادق

أعمدة السلطة الثلاثة

ـ لقد كانت القوات المسلحة المصرية هي أداة التغيير في ثورة ٢٣ يوليو عام ٥٢ ٠ وقد كانت الثورة تعتبر ولاء القوات المسلحة من أهم اهدافها . وقد كان تعيين عبد الحكيم عامر قائداً عاماً للقوات المسلحة يهدف في المقام الأول الى تأمين القوات المسلحة وضمان ولائها ٠

كانت وظيفة القائد العام للقوات المسلحة هي وظيفة جديدة خلقتها الثورة . وهي وظيفة غير موجودة اطلاقاً لا في التنظيم الغربي ولا في التنظيم الشرقي حيث يعتبر ر ا ح ق م م في كل من الكتلتين الشرقية والغربية هو قمة الجهاز العسكري ويتبع وزير الحربية الذي يمثل القيادة السياسية ٠ اما في مصر فان ادخال هذا النظام قد خلق تنازعاً على السلطات وأضاع المسؤولية بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية . فبينما لا يوجد خلاف حول شخصية ر ا ح ق م من حيث كونه رجلاً عسكرياً فهناك جدل كبير حول شخصية وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة ٠ هل هو رجل عسكري أم مدني ؟ هل أي خطأ يرتكبه يعتبر خطأ للقيادة السياسية أم لا ؟ هل اي قرار يتخذه يعتبر هو مسؤولاً عنه كقائد عسكري أم أن مسؤوليته تتوقف عند القرار السياسي ؟

---

(١) هذا يبيّن اهتمام النظام المصري بوجود تنافس بين اجهزة المخابرات الثلاثة في الدولة حتى يمكنه ان يضرب واحداً بالآخر ٠

ـ وفي سبيل ان يضمن عبد الحكيم عامر ولاء القوات المسلحة جعل ثلاث ادارات تتبع له تبعية مباشرة بحيث لا يكون لرئيس اركان حرب القوات المسلحة أي سلطات عليها ، اللهم الا من ناحية الشكل فقط وهذه الادارات هي ادارة المخابرات الحربية ، ادارة شؤون الضباط ، وهيئة الشؤون المالية . انه عن طريق ادارة المخابرات الحربية يستطيع ان يحدد من هم الموالون ومن هم الساخطون . وهو عن طريق ادارة شؤون الضباط يستطيع ان يقصر القيادات والمناصب الحساسة على الموالية له ، وعن طريق الهيئة المالية والحسابات السرية يستطيع أن يغدق عطاءه على المخلصين والتابعين . وبعد ذهاب المشير عامر حل محله الفريق فوزي فحافظ على التراث وقنّنه . كان عبد الحكيم عامر يستمد قوته وسلطاته من الشرعية الثورية بحكم انتمائه الى الثورة وكونه عضواً بارزاً في مجلس قيادة الثورة ، فلم يكن في حاجة الى قانون او قرار جمهوري يحدد له سلطاته ، بل العكس هو الصحيح فمنذ اوائل الستينات كان قد اصبح في استطاعته ان يتحدى سلطات رئيس الجمهورية . فلما ورث الفريق محمد فوزي هذا المنصب لم يكن يطمع في تحدي سلطات رئيس الجمهورية ، ولكنه كان يطمع في كل ما هو دون ذلك فاستصدر من رئيس الجمهورية قراراً جمهورياً يعطي له سلطات ضخمة وكانت جميع هذه السلطات طبعاً على حساب سلطات ر ا ح ق م ، وبذلك أصبح الفريق محمد فوزي يمارس سلطاته طبقاً لقرار جمهوري . ثم جاء من بعده الفريق محمد صادق فوجد هذه السلطات فبدأ يمارسها بالاسلوب نفسه الذي كان يمارسها به عبد الحكيم عامر ومحمد فوزي .

لقد كان هذا هو الوضع عندما تسلمت عملي ر ا ح ق م . وجدت نفسي مُبعداً تماماً عن تلك الادارات الثلاث . لم تكن لديَّ أية رغبة في أن اقحم نفسي في مشكلات السلطة فقد كان أمامي مجالات كثيرة للعمل يمكن ان تستنفد طاقاتي كلها ، ولكن تتابع الأحداث جرفني لكي أجد نفسي في قلب المشكلة .

ـ كنت أجلس في أحد الأيام في نادي هليوبوليس الرياضي ومعي أحد الضباط القدامى الذي كان قد ترك القوات المسلحة في أوائل الخمسينات وعيّن في وزارة الخارجية ووصل الى درجة سفير بها ، ثم تقاعد بعد ذلك . لشتكى لي بأنه لا يستطيع الحصول على تأشيرة خروج من مصر إلا اذا حصل على موافقة من القوات المسلحة لأنه كان ضابطاً يوماً من الأيام ، على الرغم من انه ترك القوات المسلحة منذ اكثر من ١٨ عاماً . تعجبت من هذه الأوامر التعسفية ووعدته بأن أبحث الموضوع . طلبت مدير المخابرات الحربية وبحثت معه الموقف فأتضح ان ما قاله السيد السفير كان صحيحاً . فطلبت اليه الغاء هذه التعليمات ولكنه طلب مني بأدب أن أبحث الموضوع مع السيد الوزير . بحثت الموضوع مع السيد الوزير فوجدته يرى ضرورة الإبقاء على هذا النظام (١) ! لماذا ؟ لأن بعض الضباط القدامى مقيدون في القائمة السوداء التي بموجبها لا يصرح لهم بمغادرة البلاد . قلت له « لماذا لا

(١) لو أن الفريق محمد صادق فكر أنه في يوم من الأيام سوف يتقاعد وأنه لن يستطيع أن يغادر مصر دون تصريح من وزير الحربية الذي في السلطة لاقتنع بكلامي وألغى هذا النظام .

ترسلون القائمة السوداء الى ادارة الجوازات وبذلك تعفون آلاف الضباط غير المقيدين في القائمة السوداء من تلك القيود البيروقراطية ؟ » « لأننا لا نريد ان يعرف من هو في القائمة السوداء أنه مقيد عندنا في القائمة السوداء وذلك لأغراض الأمن ! » ولعلم القاريء فإن الاصطلاح « لأغراض الأمن » هو الاصطلاح الذي يمكن به إنهاء أية مناقشة ، وتحت ستار هذا الاصطلاح تتعاظم سلطة الحاكم ومعاونيه في النظم الاوتوقراطية . وتمتهن الديموقراطية وتنتهك الحرمات. أي أمن هذا ؟ كيف تحافظ اسرائيل على أمنها وهي في الوقت نفسه تمارس الديموقراطية وتحترم حرية الفرد اليهودي الى أبعد الحدود !!

ـ كانت ادارة شؤون الضباط في وضع مختلف فقد كنت بحكم وظيفتي أعتبر رئيساً للجنة شؤون الضباط التي تتكون من حوالي ١٥ ضابطاً من رتبة لواء وتختص هذه اللجنة بالنظر في شؤون الضباط من ترقية وطرد وعقاب ولكنها لا تختص بشؤون التعيين في وظائف القيادة او النقل من وظيفة الى أخرى حيث ان ذلك يتم بتعليمات مباشرة من الوزير الى مدير ادارة شؤون الضباط . كنا نجتمع في هذه اللجنة في المساء وكان اجتماعنا يمتد الى ما بعد منتصف الليل لعدة ليال متتالية لكي نقوم بهذا العمل بما يرضي الله والضمير . كنا نستمع الى جميع الآراء ثم نجري التصويت ، ويكون القرار دائماً طبقاً لقرار الأغلبية . وبعد هذا العناء كله كان يتحتم عرض قرار اللجنة على السيد الوزير . كنت أظن ان تصديق الوزير هو أمر شكلي اذ لا يعقل أن يبحث الوزير في خلال خمس دقائق ما قام به ١٥ ضابطاً كبيراً في ثلاثين ساعة عمل (أي ٤٥٠ رجل ساعة) !! ولكني كنت مخطئاً في تصوري ! ان الوزير يقوم بشطب أي قرار لا يعجبه ويضع بدلاً منه قراره هو ! فاذا ناقشته في ذلك فإنه يقول « أنا أعرف هذا الضابط أكثر منكم » قلت له « لماذا اذن أضيع وقتي ووقت ١٤ جنرالاً معي في عمل يمكن ان يشطب بجرة قلم منك ؟ لماذا لا تقوم أنت بالعمل كله وتعفينا من هذا العناء ؟ » .

ـ لقد كان صادق هو أحد رجال الانقلاب الذي قام به السادات في مايو ٧١ ، وكانت هذه الصفة بالاضافة الى كونه وزيراً للحربية وقائداً عاماً للقوات المسلحة تعطيه سلطات واسعة على المستويين السياسي والعسكري . كان الجميع يعرفون قوة صادق بما فيهم انا طبعاً ، ولكنه مع ذلك ، كبشر كان أحياناً يحب ان يستعرض هذه القوة . وفي ساعة من ساعات التجلي كنت في مكتبه اتناقش معه في بعض الموضوعات قبل سفره الى السعودية في طائرة بوينج خاصة تنتظره في المطار ، فأخرج من جيبه كتاباً ناولني اياه وقال لي اقرأ ، كان الكتاب في ظرف غير مغلق وهو معنون بإسم الملك فيصل ، وموقّع من قبل الرئيس السادات . وفيه يقول السادات للملك فيصل ؛ « ان الفريق صادق هو موضع ثقتي الكاملة . أن أي شيء يقوله أو يعد به هو باسمي . تستطيع أن تتكلم وتتعامل معه كما لو كنت تتعامل معي » (١) .

---

(١) يا للعجب ! ويا لسخرية القدر ! بعد عام واحد وبالذات في نوفمبر ٧٢ اتهم السادات الفريق صادق أمامي وأمام ممدوح سالم ووصفه بأنه « عميل للملك فيصل ! » .

ـ قاتل الله السلطة التي تجمح بصاحبها فتدمره ٠ لقد أخذت سلطات صادق تتعاظم يوماً بعد يوم حتى دمرته ٠ لقد ارتكب صادق أخطاء من سبقوه نفسها ٠ إنه يبطش بأي ضابط يعترض طريقه ويغدق العطاء على من يسير في ركابه ٠ ويضيق صدره إذا سمع رأياً يختلف عن رأيه ٠ لقد بدأت السلطة تجمح به في أواخر عام ١٩٧١ وبدأ الخلاف بيني وبينه يظهر ولم نكن قد عملنا معاً سوى ستة أشهر ٠ لقد كان صادق صديقاً عزيزاً لي منذ أيام شبابنا ٠ وأنا ما زلت أحبه وأقدره ٠ إني أختلف معه في كثير من الآراء ولكني ما زلت أعتقد أنه عنصر وطني يمكن أن يخطىء ، وإني أقف بجانبه ضد الاتهامات الباطلة التي يوجهها اليه السادات دون أن يعطيه الفرصة للدفاع عن نفسه ٠ إن كل ما ألوم به صادق هو أنه خضع للسلطة فجمحت به حتى أصبح لا يطيق أن يسمع رأياً يخالف رأيه ٠ إنه الضعف الإنساني ٠ لم يكن صادق أول هؤلاء ولن يكون قطعاً آخرهم ، إني أشعر أن من واجبي أن أظهر هذه الحقائق عسى أن يستفيد منها بعضهم فلا يقعوا في الخطأ نفسه الذي وقع فيه أسلافهم ٠

الخلاف اثناء اجتماع مجلس الدفاع المشترك

ـ وقع أول تصادم بيني وبين صادق في أواخر نوفمبر ٧١ خلال فترة انعقاد مجلس الدفاع العربي المشترك (١) ٠ كنت أعرض مشروعاً جديداً على المجلس بصفتي الأمين المساعد العسكري للجامعة العربية ، بينما كان هو يحضر الاجتماع مندوباً عن مصر بصفته وزيراً للحربية ٠ لم يعجبه الخط الذي كنت أسير فيه فجاء يلومني خلال فترة الاستراحة بين الجلسات ويطلب اليّ تغيير المسار لكي يتفق مع وجهة نظره فرفضت قائلاً « انك كوزير للحربية في مصر تستطيع أن تصدر اليّ التوجيهات بصفتي ر ا ح ق م م أما بصفتي الأمين العام المساعد العسكري للجامعة العربية فإنه ليس من حقك أن تصدر إليّ أية توجيهات ، إنك تمثل مصر وتستطيع أن تتكلم باسم مصر كيفما تشاء ويستمع اليك الآخرون ويناقشونك أما أنا فإنني أتكلم باسم جميع رؤساء أركان حرب القوات المسلحة العربية » فرد غاضباً بنبرة لا تخلو من التهديد « ولكنك تعلم أن وظيفتك كأمين عسكري مساعد للجامعة العربية هي نتيجة لكونك ر ا ح ق م م » فأجبت « نعم أعرف ذلك ولكني لن اساوم على حريتي في العمل كأمين مساعد للاحتفاظ بوظيفتي ر ا ح ق م م وهذه الحقيقة يجب أن تعرفها جيداً » ٠

الخلاف حول سلطات ر ا ح ق م م

حاول صادق أن يتوسع في سلطاته في شؤون القوات المسلحة ، كما لو أنه ليس هناك من يشغل منصب ر ا ح ق م م ، وكان عليّ أن أقف ضده ٠

كان يعتقد أنه بصفته وزيراً للحربية وقائداً عاماً للقوات المسلحة فإنه هو وحده الذي له سلطة اتخاذ القرار وأنه يتحتم عليّ أن أخطره بكل شيء والا أتخذ أي قرار ، قلت له « إنك

(١) التفاصيل في الباب السادس ٠

تريدني أن أقوم بأعمال مدير مكتب وليس ر ا ح ق م م وهذا ما لا أقبله ! » · فما كان منه الا أن أخرج من مكتبه القرار الجمهوري الذي استصدره سلفه الفريق فوزي وقال لي « تفضل وأقرأ هذا القرار وأنت تعرف أني أعمل في حدود سلطاتي ! » لقد كان القرار غامضاً في بعض النواحي ولكنه كان على العموم يعطي سلطات واسعة للقائد العام للقوات المسلحة الذي قام هو نفسه بتحريره والتصديق عليه من رئيس الجمهورية دون أية دراسة من الأجهزة الفنية المتخصصة . ان هذا هو واحد من الدروس التي يجب ان نتعلمها في مصر من اخطاء الماضي · « عندما يكون شخص ما في السلطة فأنه يقوم باستصدار قانون او قرار جمهوري يخدم اغراضه ويقنن تصرفاته » ·

ـ ولإصلاح هذا الوضع بالنسبة للأجيال القادمة دعوت لجنة لدراسة هذا الموضوع وكانت هذه اللجنة تتكون من اللواء عمر جوهر رئيس هيئة التنظيم واللواء محمد عبد الغني الجمسي رئيس هيئة العمليات وآخرين · وقد كان رأي الجميع دون استثناء هو أن تكون هناك شخصية سياسية هي شخص وزير الحربية وتختص باتخاذ القرار السياسي والقرار الاستراتيجي . أما جميع القرارات ما دون ذلك بما في ذلك ادارة العمليات الحربية والسيطرة والادارة اليومية للقوات المسلحة فإنها تكون من اختصاص وظيفة عسكرية هي رئيس أركان حرب القوات المسلحة · وحتى لا يكون هناك أي إحراج لأحد . اقترحت أن يطبق هذا النظام بعد تغيير كل من وزير الحربية الحالي ورئيس أركان الحرب الحالي حتى لا يتهمني أحد بأنني أبحث عن السلطة · عرضت هذه الاقتراحات على الوزير فرفضها ·

الخلاف حول توزيع الدبابات ت ٦٢

ـ في خلال المفاوضات بين مصر والسوفيات خلال فبراير ٧٢ وافق الجانب السوفياتي على امدادنا بعدد من الدبابات ت ٦٢ · وفي يوم ٢٦ فبراير اجتمعت لجنة برئاسة الوزير لبحث طريقة استيعاب وتنظيم هذه الدبابات · لقد كان رأي الوزير ومعه رئيس هيئة العمليات ورئيس هيئة التنظيم هو أن نسلم هذه الدبابات الى اللواءين المدرعين المستقلين . وأن تحل الدبابات ت ٥٤ و ت ٥٥ التي كانت أصلاً ضمن تنظيم هذين اللواءين محل الدبابات ت ٣٤ في التشكيلات الأخرى · أما أنا فقد عارضت هذا الرأي وطالبت بتسليم الدبابات ت ٦٢ الى الفرقتين المدرعتين بدلاً من اللواءين المستقلين · وقد بنيت رأيي على أساس أن وجود هذه الدبابة القوية ذات المدفع ١١٥ مم ضمن الفرق المدرعة وفي احتياط القوات المسلحة يجعلنا قادرين على توجيه ضربة قوية وحاسمة في الاتجاه الذي قد يظهر لنا أثناء المعركة (١) · أما توزيعها على الألوية المدرعة المستقلة · فسوف يترتب عليه أن نستخدم هذه الألوية في المراحل الأولى من المعركة وفي اتجاهات قد لا تكون ذات أهمية كبيرة · وقد وافقني الفريق عبد القادر حسن على هذا الرأي ·

---

(١) ترى ماذا كان يمكن ان يحدث خلال معركة الثغرة لو أنه أخذ بالاقتراح الذي قدمته .

ـ وفي اليوم التالي اجتمعنا مرة أخرى لبحث الموضوع نفسه ولكن في هذه المرة بعد أن انضم الينا الجنرال أوكينيف وبعض المستشارين السوفيات • قام السيد الوزير بصفته رئيساً للمؤتمر يطلب رأي الحاضرين واحداً بعد الآخر • أيد الجمسي وعمر جوهر رأيهم السابق وعدل عبد القادر حسن رأيه لكي ينضم اليهم • أما أنا فقد قمت بتأكيد رأيي الذي اعلنته في اليوم السابق . وبذلك أصبحت المعارض الوحيد لوجهة نظر الوزير • استمعنا بعد ذلك الى رأي المستشارين فكانوا جميعاً ذوي رأي واحد يتطابق مع وجهة نظري • وهنا علق الوزير موجها كلامه الى كبير المستشارين بأسلوب لا يخلو من الغمز واللمز « أرى أنك تتفق تماماً مع الفريق الشاذلي » • (١)

ـ وقد عرفت فيما بعد أن السبب الحقيقي الذي دفع صادق للوقوف ضد اقتراحي هو أنه كان يشك في ولاء العميد عادل سوكه الذي كان قائداً لإحدى الفرق المدرعة • وان تسليم ١٠٠ دبابة جديدة ت ٦٢ اليه قد يخل بالتوازن الأمني الداخلي الذي تضعه القيادة السياسية المصرية دوماً في مقدمة المتطلبات العسكرية للمعركة • وهكذا اتخذ الوزير القرار بتسليم الدبابات ت ٦٢ الى كل من اللواء المدرع ١٥ واللواء المدرع ٢٥ المستقلين •

موضوع اللواء عبد الرؤوف

ـ كان يوم ٢٠ ابريل ٧٢ هو قمة الخلاف بيني وبين الفريق صادق . وذلك عندما اتخذ صادق اجراء تعسفياً ضد اللواء عبد الرؤوف • كان اللواء عبد الرؤوف يعمل في تصفية أعمال القيادة العربية الموحدة • وكان البند الثامن من قرارات مجلس الدفاع المشترك في دورته الثانية عشرة التي انعقدت في القاهرة ما بين ٢٧ ـ ٣٠ نوفمبر ٧١ ينص على « تخصيص مبلغ مليون ونصف مليون جنيه استرليني من الرصيد المتبقي لدى القيادة العربية الموحدة لشراء لنشي مساحة على أن تقوم جمهورية مصر العربية بتدبير الفنيين اللازمين لتشغيل هذين اللنشين وعلى أن تلتزم بعملية المسح الهيدروغرافي لجميع السواحل العربية طبقاً للأسبقية التي يضعها مجلس الدفاع المشترك » لقد وافقت جميع الدول العربية بالاجماع ـ بما فيها مصر ـ على هذه القرارات وكنت بحكم وظيفتي كأمين مساعد عسكري للجامعة العربية مسؤولاً عن تنفيذ هذا القرار • وبعد القيام بالدراسات الأولية قررت . إرسال اللواء عبد الرؤوف الى لندن للقيام بالاجراءات النهائية والتوقيع على العقود اللازمة • وفي يوم سفر اللواء عبد الرؤوف قام الفريق صادق باجراء تعسفي عنيف ضده أثناء قيامه بتنفيذ هذه المهمة •

ـ لقد أمر صادق رجال مخابراته بإيقافه في المطار أثناء تحركه في اتجاه الطائرة وعومل في المطار معاملة غير كريمة وكأنه طفل هارب؟!! لقد كان خطأ كبير من صادق لا يليق بجمهورية مصر العربية ؛ إنني لم أرغب في اثارة هذا الموضوع على المستوى العربي حينذاك

---

(١) ان هذا الموضوع وكثير غيره يوضح لنا ضيق الافق فيما يتعلق بحرية الراي في مصر • إن اي شخص حر يبدي رأيا قد يتطابق أحيانا مع راي أميركي او رأي سوفياتي • فهل أي اتفاق في الرأي مع احدى الدولتين العظميين يعني العمالة ؟ لو أخذنا بهذا الرأي لاصبح المصريين كلهم عملاء !! اما عملاء للسوفيات او عملاء للأميركيين !! وهذا شيء محزن حقا •

خوفاً من أن يؤثر ذلك على العلاقات والتعاون التي يربط مصر بصفتها الدولة المضيفة لمنظمات جامعة الدول العربية بباقي الدول العربية . أما الآن وبعد أن مضى أكثر من سبع سنوات على هذا الحادث فإن من حق الدول العربية أن تعرف هذه الحقيقة حتى تعمل على ضمان عدم تكرار مثل هذه الحوادث في المستقبل ـ لذلك فأني اثير السؤال التالي أمام العرب كلهم :

ـ « هل من حق السلطات المصرية أن تتخذ اجراءات تعسفية ضد المصريين الذين يعملون في الجامعة العربية بطريقة تمنعهم من تنفيذ قرارات اتخذتها الجامعة العربية ومنظماتها المختلفة ؟ اذا كانت الاجابة من الناحية النظرية هي « لا » فما هي الضمانات التي تكفلها الجامعة العربية لموظفيها حتى يمكنهم أن يحتفظوا بحريتهم في العمل وعدم خضوعهم للارهاب الذي قد تمارسه السلطات المصرية ضدهم كما حدث للواء عبد الرؤوف ؟ »

ـ لقد قضيت نهار يوم ٢٠ ابريل ٧٢ في الجيش الثالث حيث كانت الفرقة الرابعة المدرعة تقوم باجراء مشروع تدريبي . وعندما وصلت الى مكتبي حوالي الساعة ١٧٣٠ علمت بالحادث المحزن الخاص باللواء عبد الرؤوف . وفي الساعة ٢٠٠٠ قابلت الوزير في مكتبه . لقد كانت مقابلة صاخبة . وقد قلت له « لا يمكن أن تسير الأمور بهذا الشكل . يجب أن نقابل رئيس الجمهورية ليحكم بيننا » وعندما قلت له ذلك ثار غضبه وكأن عقربا قد لدغه وصاح قائلاً « فكرة كويسة . لازم نروح لرئيس الجمهورية . سوف أقول لرئيس الجمهورية يجب أن يختار يا أنا يا سعد الشاذلي في القوات المسلحة ! » كانت الساعة حوالي التاسعة من مساء يوم الخميس عندما غادرت مكتب الوزير بأمل أن نقابل الرئيس يوم السبت التالي .

ـ ان صادق الرجل القوي الذي لم يكن ليخشى رئيس الجمهورية لم يضيع الوقت سُدى فأصدر أمراً بعزل اللواء عبد الرؤوف من منصبه وعين اللواء طلعت حسن علي بدلاً منه . وتحت مختلف اساليب القهر والتهديد أرغم اللواء عبد الرؤوف على ارسال برقية الى لندن لاسترجاع الأموال التي حولها البنك الأهلي المصري لتكون تحت تصرف اللواء عبد الرؤوف واللجنة المرافقة له . وهكذا خلال يوم الجمعة ـ وهو عطلة رسمية ـ أتم صادق تنفيذ ما يريده . وعند عرض الموضوع على الرئيس فإنه سوف يجد نفسه أمام الأمر الواقع fait accompli

ـ في تمام الساعة ١١٣٠ من يوم ٢٣ ابريل ذهبت أنا وصادق الى منزل الرئيس في الجيزة . وفي حضور صادق أخبرت الرئيس بكل شيء.أخبرته بقصة اللواء عبد الرؤوف . أخبرته بقصة توزيع الدبابات ت ٦٢ . اخبرته كيف ينفرد صادق بالسلطة في المخابرات الحربية وشؤون الضباط وأضفت قائلا : « سيادة الرئيس . تحت هذه الظروف حيث لا سلطان لي على ادارة المخابرات الحربية ولا على ادارة شؤون الضباط فإني لا يمكن أن أكون مسؤولاً عن أمن القوات المسلحة » (١) كان دفاع الفريق صادق لتبرير تصرفاته ضعيفاً من وجهة نظري على الأقل . فيما يتعلق بقصة اللواء عبد الرؤوف ذكر بأن المبالغ المحولة الى لندن كان من

---

(١) قبل مرور ستة اشهر على هذا اللقاء وقعت محاولة انقلاب فاشلة بواسطة النقيب علي حسني عيد . ولا بد أن الرئيس تذكر في ذلك اليوم ما سبق أن حذرت منه يوم ٢٣ إبريل .

الممكن صرفها من البنك بتوقيع واحد هو توقيع اللواء عبد الرؤوف وان ذلك يعطيه الحق في التصرف في هذه الأموال كأنها أمواله الشخصية وأضاف قائلاً « اننا نعرف في ادارة المخابرات الكثير عن اللواء عبد الرؤوف مما لا يعرفه الفريق الشاذلي (١) . لقد أمرت يا سيادة الرئيس باجراء تحقيق في هذا الموضوع وسأعرضه عليكم خلال أيام ». وفيما يتعلق بادارة المخابرات تكلم بغموض وعدم تحديد فقال انه يوافق على أن يقوم بإخطاري بما يجري في ادارة المخابرات . ولكن هذا لا يعني بالضرورة أنه يتحتم عليه أن يأخذ رأيي في كل شيء حيث أن هذا يعني فرض حدود على حريته في العمل . وفيما يتعلق بإدارة شؤون الضباط قال أن من حقه اعتماد قرارات لجنة شؤون الضباط وأنه لم يمارس حقه في تعديل هذه القرارات الا مرة أو مرتين (٢) . رددت عليه « ان المسألة مسألة مبدأ . اذا كان لك أن تنقض قرار لجنة مكونة من ١٥ ضابطا كبيراً فيجب أن يكون هناك أسباب قوية . أسباب أقوى من مجرد معرفتك الشخصية لهذا الضابط . ان مستقبل الضباط يجب الا يترك في يد شخص واحد ! » وعلى الرغم من شعوري بأن ما أقوله كان منطقياً فقد حاول صادق أن يستخدمه ضدي وصاح قائلاً « شوف يا سيادة الريس . سعد الشاذلي عايز يحرمني من سلطاتي !! » (٣) وفيما يتعلق بقصة الدبابات ت ٦٢ اتهمني صادق بأني أقف دائماً ضده وفي صف المستشارين السوفيات . لقد مكثنا مع الرئيس حوالي ثلاث ساعات ولم يتخذ الرئيس أي قرار حاسم بخصوص الموضوع . كل ما قاله هو بعض النصائح العامة . قال موجهاً كلامه لصادق « لا يا محمد . لازم تقول لسعد على كل حاجة في المخابرات وتستشيره في تعيينات وتنقلات الضباط . الراجل مشترك في المسؤولية ! » وقال موجهاً كلامه لي « شوف يا سعد لازم تاخد بالك . الروس حيخدعوك . كل الناس بتكرههم . حايحاولوا يستغلوك . حتكون انت الخسران ! » كان واضحاً من كلام الرئيس أن صادق نجح في أن يزرع الشكوك في نفسه على اعتبار أني صديق للروس . ولكني رددت بحدة « سيادة الرئيس اذا تصادف وكانت آرائي أحياناً متطابقة مع آراء الروس فليس معنى ذلك أني أتعاون معهم ضد أي شخص . إني أقول دائماً وبصراحة ما أعتقد أنه الحق وأنه في مصلحة بلادي بصرف النظر عما إذا كان ذلك يتمشى مع إنسان ما أو يتعارض معه » وهنا علق الرئيس قائلاً « إني أعرف أنك رجل وطني وأنك لا يمكن أن تقوم بعمل ضد وطنك ولكني أخشى أن يخدعوك وأن يجروك الى الاتجاه الخاطىء » . وهكذا غادرنا منزل الرئيس دون أن تحل أية مشكلة . سارت الأمور في هدوء ويسر لمدة أسابيع قليلة ثم ارتدت مرة ثانية إلى طبيعتها السابقة (٤)

---

(١) أسلوب المخابرات الغامض للبطش بأعداء من بيده السلطة .

(٢) الحقيقة أكثر من ذلك .

(٣) لم يكن الرئيس راغباً في الأخذ بوجهة نظري وإن لم يعلن ذلك صراحة لأنه هو نفسه يمارس سلطات دكتاتورية ويستطيع أن ينقض أي قرار يتخذه معاونوه ومرؤوسوه .

(٤) في يوم ٢٢ إبريل ٧٢ أصدر الرئيس السادات قراراً بتعيين اللواء حسني مبارك قائدا للقوات الجوية بدلاً من اللواء بغدادي . وفي الساعة ١٩٠٠ ابلغت كلاً منهما بهذا القرار . على الرغم من أنني كنت مع الرئيس في حوالي الساعة ١٥٠٠ من اليوم نفسه ولم أعلم بهذا الخبر إلا حوالي الساعة ١٩٠٠ .

- ولكي يثبت الفريق صادق أن اللواء عبد الرؤوف لم يكن أهلاً لكي يؤتمن على ما يقرب من مليون جنيه استرليني ، فإنه أمر بتشكيل لجنة تحقيق لبحث أية مخالفات مالية يكون قد ارتكبها أثناء قيامه بعمله كرئيس أركان بالنيابة للقيادة العربية الموحدة . وكان رئيس هذه اللجنة هو اللواء طلعت حسن علي الذي عينه صادق ليحل محل اللواء عبد الرؤوف (١) . كان قرار مجلس التحقيق مخيباً للآمال فقد وجه اللوم إلى اللواء عبد الرؤوف لارتكابه بعض الأخطاء المالية التافهة مثال ذلك استخدامه الهاتف الرسمي في مكالمة خاصة مع ابنته في اميركا دون أن يدفع ثمنها وأنه قام بشراء قلم حبر من الأموال العربية لا المصرية - لاستعماله الخاص وغير ذلك من المخالفات التافهة (٢) .

- ومع أنني شخصياً لا أؤيد أية مخالفة سواء أكانت كبيرة أم صغيرة فإنني أود أن أعلن أن هناك أخطاء جسيمة ترتكب يومياً من قبل كبار الشخصيات المصرية . أخطاء تزيد في جسامتها مئات المرات عن تلك الأخطاء التي نسبت الى اللواء عبد الرؤوف . ما قيمة مكالمة هاتفية الى أميركا اذا قورنت بهاتف خاص ذي خط خاص إلى جميع بلاد غرب أوروبا ؟ ما قيمة ثمن قلم حبر اذا قورن باستخدام طائرة تملكها الدولة وتتسع لأكثر من ١٠٠ راكب من قبل فرد واحد في تنقلاته وأحيانا لزوجته وأولاده ؟ لماذا عندما يسافر بعض المصريين للخارج والى لندن بالذات يصرف لبعضهم بدل سفر يومي ١٠ جنيهات استرلينية بينما بعض المحظيين يكون لهم حساب مفتوح . وينفق بعضهم حوالي مئتي جنيه إسترليني في اليوم ؟ هناك الكثير من المخالفات المالية ولكن لم يأت بعد وقت الحساب . عموما فإن هذا هو المنطق السائد في مصر .. منطق القوة . عندما يكون الشخص في السلطة فإن كل ما يقوم به من عمل هو صحيح وقانوني فإذا سقط فإن من في السلطة يستطيع دائما ان يبحث وان يستخرج الكثير من هذه الأخطاء . لقد حاكم السادات وشوّه سمعة الكثيرين ممن خدموا في عهد عبد الناصر . وها هم أولا رجاله يرتكبون أضعاف أضعاف ما نسب الى رجال عبد الناصر . ألا يعلم هؤلاء الناس ان عجلة الزمن تدور دون توقف وأنه سيأتي اليوم الذي يحاسبون فيه ؟!

---

(١) من الملاحظ ان الرئيس السادات لم يتحمس كثيرا لموضوع اللواء عبد الرؤوف أثناء مقابلتي له ، مما قد يوحي بان الفريق صادق قد اتصل به قبل مقابلتنا الرسمية واخبره ببعض المعلومات . ولا يستبعد ان يكون قد اخبره ايضا بطريقة ما بقراره الخاص بإيقافه وتعيين اللواء طلعت حسن على بدلا منه ، ولكن الى أن يتكلم الفريق صادق فانه لا يمكن التاكد من ذلك .

(٢) بعد تشكيل مجلس التحقيق فاتحت الرئيس مرة اخرى في موضوع اللواء عبد الرؤوف ، ولكنني وجدت انه يريد ان يغلق الموضوع .

ابريل ٧٢ ـ اكتوبر ٧٢

وأخيراً تم التوقيع على الصفقة

ـ في يوم ٢٧ ابريل سافر الرئيس الى موسكو للمرة الثانية خلال فترة أقل من ثلاثة شهور (١) وعاد في ١٠ مايو فكانت بذلك أطول زيارة قضاها في الاتحاد السوفياتي ٠ وفي ١٤ مايو ـ أي بعد عودة الرئيس السادات بأربعة أيام فقط ـ وصل المارشال جريشكو ٠ وفي اليوم نفسه قام المارشال جريشكو والسفير السوفياتي في الساعة السابعة مساء بزيارة السيد الرئيس . ولم يحضر هذه الزيارة أي من الفريق صادق وزير الحربية أو السيد مراد غالب وزير الخارجية ٠ لقد كانت الترتيبات تقضي بأن المارشال جريشكو ستستمر زيارته للرئيس لمدة ساعة يقوم بعدها بزيارة مجاملة للفريق صادق في منزله ثم يحضر الوزيران الى نادي الضباط بالزمالك لحضور حفل العشاء الذي يقام على شرف المارشال جريشكو ٠ ولكن زيارة المارشال جريشكو للرئيس امتدت حتى الساعة الحادية عشرة . وعندما وصل المارشال أخيرا الى منزل صادق بادره قائلاً « ليس لديّ شيء أعطيه لك لقد أخذ الرئيس كل ما كان في جيوبي » ورد عليه صادق « أرجو ان يكون الرئيس قد أخذ من جيوبك كل ما نريده » وفي خلال حفل العشاء تم الاتفاق علي ان يقوم الفريق عبد القادر حسن بالتوقيع صباح اليوم التالي على الاتفاقية ٠

ـ وفي صباح اليوم التالي كنت مع الفريق صادق في مكتبه ننتظر زيارة مجاملة يقوم بها المارشال جريشكو الى السيد الوزير . فسألته عن الاصناف التي تم الاتفاق عليها فأقسم يمينا مغلظا بأنه لا يعرف ٠ واستدعينا الفريق عبد القادر حسن الذي كان مجتمعاً مع الجانب السوفياتي لسؤاله فقال أن الجانب السوفياتي يعرض :

١٦ طائرة سو ١٧
٨ كتيبة بيتشورا (سام ٣)
١ فوج كوادرات يتم تسليمه عام ٧٣
٢٠٠ دبابة ت٦٢ يتم توريد نصفها خلال عام ٧٢ والنصف الباقي خلال عام ٧٣ ٠
ـ قطع غيار مختلفة ٠

سألت الفريق عبد القادر حسن عن الأثمان فقال إنه لم يصل معهم بعد الى هده النقطة . ولكنه سيقوم باخطارنا عندما يعرف هو ذلك ٠ بعد خروج الفريق عبد القادر حسن قلت لصادق « لماذا لا تتصل بالرئيس لتسأله عما تم الاتفاق عليه وتخطر به عبد القادر حسن ان لم تفعل ذلك فأنك تترك عبد القادر حسن في موقف صعب للغاية » وهنا طلب

---

(١) زيارات الرئيس السادات للاتحاد السوفياتي .

الأولى	أول مارس ٧١
الثانية	١١ أكتوبر ٧١
الثالثة	٢ فبراير ٧٢
الرابعة	٢٧ إبريل ٧٢

الوزير الرئيس هاتفياً • وفي اثناء المكالمة حاول صادق ان يلفت نظري الى ما يقوله السادات على الطرف الآخر وذلك بأنه تعمد تكرار ما يقوله السادات : « لا تناقش الأسعار • لا تناقش توقيتات التوريد • فيما يتعلق بالدبابات لقد اتفقنا ان يتم توريد ٦٠ دبابة خلال شهر يونيو ، ٦٠ دبابة خلال ٧٢ ، ٨٠ خلال ٧٣ ، فوج الكوادرات يتم توريده خلال ٧٢ » • وبعد انتهاء الحديث التفت اليّ وقال « لقد سمعت المحادثة • انك الشاهد الوحيد أمام الله وامام التاريخ سوف أوقّع الاتفاقية دون مناقشة الأسعار ودون مناقشة توقيتات التوريد • ومع ذلك فإني سوف أمارس بعض الضغط بغرض الحصول على جميع الأصناف قبل نهاية عام ٧٢ . ولكن اذا لم يوافق الجانب السوفياتي فسوف أوقّع على الاتفاقية » • فقلت له « تأكد من أنني أقول الصدق دائماً » وبعد خروجي من مكتب الوزير قمت بتسجيل ما دار من حديث في مذكرتي الخاصة •

- انني لا اعرف ماذا دار بين السادات والقيادة السياسية السوفياتية خلال زيارته الأخيرة . ولكني أتصور أنه قال لهم وسمع منهم أن صادق هو العقبة الكؤود في سبيل تحسين العلاقات بين روسيا ومصر . ولا أستبعد أن يكون قد وعدهم بأنه سيطرده • وإن قيام السادات باستبعاد صادق من المفاوضات الخاصة بالصفقة الأخيرة كان الغرض منه هو ان يثبت للجانب السوفياتي بأنه هو وحده الرجل القوي في مصر • ومن ناحية الاتحاد السوفياتي فإنه كان يرمي الى الوصول الى اتفاق مع مصر حول هذه الصفقة ، حتى يمكنه أن يحضر مؤتمر القمة بريجنيف - نيكسون ، الذي كان مزمعاً عقده في موسكو في ٢٠ مايو ٧٢ ، من موقع قوة •

مؤتمر الرئيس في القناطر الخيرية ٦ يونيو ٧٢

- في ٦ يونيو ٧٢ اجتمعنا في استراحة الرئيس في القناطر الخيرية • كان اجتماعاً مصغراً ولا يشمل سوى الدائرة الصغرى من اعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة • وقد حضر هذا المؤتمر كل من : صادق ، الشاذلي ، محمد علي فهمي ، محمود علي فهمي ، المسيري (١) ، محرز ، الجمسي ، علي عبد الخبير ، عمر جوهر ، حسن الجريدلي (للسكرتارية) • وبناء على تكليف من صادق أخذ الجمسي يقرأ تقريراً عن موقف القوات المسلحة تم اعداده خلال فترة زيارتي للعراق (٢٦ مايو - ٢ يونيو) كما أشير ايضاً الى تقرير أعده اللواء احمد اسماعيل بصفته مدير المخابرات العامة وفيه يؤكد ان القوات المسلحة ليست في وضع يسمح لها بالقيام بعملية هجومية • وبعد ذلك فتح باب المناقشة طبقاً لما يلي :

الرئيس - يجب ان نفرق بين رجال السياسة ورجال الحرب ويجب ان تركزوا على المعركة القادمة • أنا والفريق صادق يشاركني الرأي بأنه يجب ألا نعمل الا بعد تكوين قوة الردع أي أن يكون عندنا طيران يستطيع ان يضرب عمق العدو (٢) ولكن يجب ان نفكر « ما هو العمل اذا اضطرنا الموقف السياسي الى بدء المعركة قبل الانتهاء من بناء قوة الردع ؟ » •

---

(١) اللواء المسيري مندوبا عن القوات الجوية بدلا من الفريق حسني مبارك •

(٢) هذا اللقاء مسجل وهو يثبت بوضوح ان السادات لم يكن ينوي الدخول في حرب نوفمبر ٧٢ ، لأن قوة الطيران الرادعة لا يمكن بناؤها في خمسة شهور •

الشاذلي : ان ما ورد في التقرير حقائق لا يمكن انكارها أو المجادلة في صحتها . ولكن السؤال الآن هو : « ما العمل ؟ ما هو الممكن عمله ؟ » ان ربط المعركة بإعداد القوات الجوية المصرية يعني تأجيل المعركة سنوات أخرى لا يعلم أحد مداها . ان الفجوة التي بين القوات الجوية الاسرائيلية والقوات الجوية المصرية تميل الى الاتساع لا الى الضيق . ان الاستراتيجية الأميركية المعلنة والمنفذة في المنطقة هي الابقاء على اسرائيل قوية بحيث تكون قواتها أكثر قوة من القوات الجوية للدول العربية مجتمعة . اننا لم نحصل بعد على طائرة ردع يمكن مقارنتها بطائرات الفانتوم التي يملكها العدو . وحتى لو حصلنا الآن على طائرة مماثلة فإن قدرتنا على استيعاب هذه الطائرة سيحتاج الى فترة طويلة تكون اسرائيل قد حصلت خلالها على طائرة اخرى اكثر تقدماً . وهكذا فإني لا أرى أملا في اغلاق او تضييق الفجوة التي بيننا وبين اسرائيل في القوات الجوية في المستقبل القريب . لذلك فإني أرى انه يجب علينا ان نخطط لمعركة هجومية محدودة في ظل تفوق جوي معادٍ . ويمكننا ان نعتمد في تحدينا للتفوق الجوي خلال تلك المعركة على الصواريخ المضادة للطائرات سام .

المسيري : اوافق تماماً على كل ما قاله الفريق الشاذلي .

الرئيس (مازحاً) :

- والله يا مسيري اذا ما كنتم تحاربوا كويس لأربطك في شجرة في الجنينة دي واشنقك كمان .

رحلة صادق الى موسكو يونيو ٧٢

- سافر الفريق صادق الى الاتحاد السوفياتي في الفترة ما بين ٨ - ١٣ يونيو ٧٢ . وفي يوم ٢٠ يونيو دعا الوزير الى مؤتمر مصغّر حضره بالاضافة الى الوزير ، أنا وقائد القوات الجوية وقائد الدفاع الجوي وقائد البحرية وقائد الجيش الثاني وقائد الجيش الثالث ومدير ادارة المخابرات الحربية . وقد افتتح صادق المؤتمر بأن طلب الى مدير المخابرات أن يقرأ تقريراً كان قد سبق اعداده . وقد جاء في التقرير ان وفداً من الصحفيين السوفيات قد زار بعض الوحدات الميدانية وكان يوجه الاسئلة الآتية « ان اسرائيل لديها اسلحة حديثة ومتقدمة . وعندما نقوم بإمدادكم بأسلحة متقدمة فانكم تكتشفون ان اسرائيل قد أصبح لديها أسلحة اكثر تقدماً فتطلبون منا اسلحة أخرى اكثر تقدماً وهكذا . ان الفجوة بينكم وبين اسرائيل قد تبقى كما هي بل قد تزيد . فهل يعني هذا أنكم لن تقاتلوا لتحرير أرضكم ؟ لماذا يقاتل الفيتناميون أميركا بالأسلحة نفسها التي معكم . يقاتلون الرأس أما انتم فتواجهون الذنب ؟ » . وهنا علق الفريق صادق قائلاً « ان هذا هو نفس كلام سعد الشاذلي ! (١) .

---

(١) بعد انهاء المؤتمر حضر الى مكتبي كل من اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثاني واللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث ، وكلاهما لم يحضر مؤتمر الرئيس في القناطر الخيرية يوم ٦ يونيو ٧٢ (صفحة ١٩٢) . سألاني ماذا يقصد الوزير بتعليقه « هذا هو نفس كلام سعد الشاذلي » فذكرت لهم ما دار في مؤتمر القناطر الخيرية ورأيي بخصوص عدم ربط توقيت المعركة بإغلاق الفجوة بين قواتنا الجوية وقوات إسرائيل الجوية !! واني ألفت نظر القارىء الى ما ورد في كتاب السادات الى القيادة السوفياتية في اغسطس ٧٢ (صفحة ٤٣٢ من كتاب السادات) حيث ذكر وجهة نظري الخاصة نفسها بازدياد الفجوة اتساعاً بين قواتنا الجوية وقوات العدو الجوية

الوزير : شرح الوزير تفاصيل زيارته وتتلخص اقواله بما يلي :

١ - رأي المارشال جريشكو :

أ - يجب تجهيز القوات المسلحة والدولة والشعب لمعركة طويلة الأمد .

ب - يجب أن تحصلوا على ما تحتاجون اليه من اسلحة هجومية بالأعداد التي تطلبونها لضمان كسب المعركة (١) .

٢ - رأي الرفيق بريجنيف :

أ - ان الموقف الداخلي في مصر غير مستقر . ما زال هناك أفراد من الجيل القديم يحاولون ارجاع الماضي . هناك في مصر من ينظر الى الشرق ولكن هناك ايضاً من ينظر الى الغرب .

ب - ان الموقف في الشرق الاوسط بالغ التعقيد . ان اسرائيل تعرض حلولاً لا يمكن قبولها من قبل مصر ولا يمكن قبولها من قبلنا .

جـ - اننا نؤمن بأن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة ، واننا متضامنون معكم ونؤيدكم في نضالكم .

د - يجب أن نعمل معاً في المحافل الدولية اعتماداً على قرار مجلس الأمن ٢٤٢ .

هـ - ان تحرير الأرض يتطلب أولاً بناء الجيش الدفاعي لمنع العدو من توسيع رقعة الأرض التي يحتلها وبعد ذلك يجري بناء الجيش الهجومي الذي يقوم بتحرير الأرض . ولكن قبل بناء الجيش الهجومي يجب التأكد مما اذا كان هذا الجيش سيحارب أم لا ؟ فقد لا يحارب الجيش بعد هذا كله (٢) .

و - ان الابقاء على المستشارين السوفيات في مصر هو ضرورة دولية (٣) .

ز - لن نقوم بعقد اتفاقية مع اميركا على حساب مصر .

ح - أنت من واجبك (الكلام موجه الى صادق) تحرير الأرض ومساعدة اصدقاءكم في سوريا .

٣ - انطباع الفريق صادق :

انتقل صادق بعد ذلك الى ذكر انطباعاته عن هذه الزيارة فقال :

---

(١) يلاحظ أن هذا التصريح يتعارض مع تصاريحهم السابقة ولكنه يتمشى مع وجهة نظر الفريق صادق . وان واجب الأمانة يفرض علي أن اكتب ما ذكره الفريق صادق . ان الروس كانوا يتهموننا دائما بأننا نبالغ في طلباتنا من الأسلحة . واني اتعجب كيف يمكن للمارشال جريشكو يقول «يجب أن تحصلوا على ما تحتاجون اليه من اسلحة هجومية بالأعداد التي تطلبونها !! »

(٢) يلاحظ أن اقوال بريجنيف تتعارض مع الاقوال المنسوبة الى المارشال جريشكو . ولكن هذه الأقوال قد تثير التساؤل عن نتائج مؤتمر قمة بريجنيف - نيكسون الذي انعقد في ٢٠ مايو السابق والذي اتفق فيه على تهدئة الموقف في الشرق الأوسط . هل كان هدف كل من جريشكو وبريجنيف تأجيل المعركة وان كان كل منهما قد استخدم الفاظاً مختلفة ؟

(٣) ان هذا الكلام من بريجنيف قبل شهر من قيام السادات بطرد المستشارين والوحدات السوفياتية من مصر يعني أن السوفيات كانوا يعلمون بما يدور في ذهن السادات وما يقوم بالتحضير له !!

أ ـ ان السوفيات مهتمون جداً بالجبهة الداخلية . بل انهم طلبوا تنحية الاشخاص الذين تتعارض سياستهم مع الاتجاه السوفياتي ·

ب ـ انه لا تغيير في السياسة السوفياتية بعد مؤتمر قمة بريجنيف ـ نيكسون ·

جـ ـ ان السوفيات يريدون تهدئة الموقف في المنطقة الى ان ينجح نيكسون في الانتخابات في نوفمبر القادم . وبعد نجاحه فإنهم سوف يماطلون في امدادنا بالسلاح لتمييع القضية . وبأمل الوصول الى حل سلمي للقضية ·

تأمين الأهداف الحيوية ضد العمليات الارهابية

ـ عند بحث الاجراءات المضادة التي نتخذها في مواجهة العمليات الارهابية كان هناك اقتراح بأن تقوم القوات المسلحة بالتعاون مع البوليس في توفير الحماية للأهداف المدنية · وقد اوضحت أنه يكاد يكون من المستحيل تدبير القوات اللازمة لتوفير الحماية لجميع الأهداف · سوف نكون ضعفاء في كل مكان · اننا لا نستطيع أن نحمي جميع الفنادق والمدارس والنوادي ودور السينما ومكاتب الحكومة وآلافاً غيرها من الأهداف · ولمقابلة هذا التهديد فإنه يحب أن نوفر قدراً من الدفاع الذاتي لكل هدف من هذه الأهداف مع الاحتفاظ بقوة خفيفة الحركة يمكن دفعها فوراً الى المكان الذي يكون هدفا للهجوم ·

ـ ولتحقيق هذه الفكرة فإن ذلك يتطلب توزيع بعض الأسلحة على المدنيين الذين يعملون في تلك الأماكن . ولكن هذه الفكرة كانت مرفوضة تماماً لأنها كما يقول رجال الأمن تعرض الأمن الداخلي للخطر · وكحل بديل اقترحت ان يسمح لضباط القوات المسلحة ان يحملوا اسلحتهم معهم اينما ذهبوا . وان هذا الاجراء سيوفر لنا بصفة مستديمة حوالي ١٠٠٠٠ رجل مسلح خارج المعسكرات منتشرين في طول البلاد وعرضها · فإذا وقع اعتداء على أي هدف من اهدافنا المدنية فإن هؤلاء الرجال المسلحين يستطيعون القيام بما يستطيعون القيام به الى ان تصل اليهم النجدة من القوة الاحتياطية المخصصة لنجدة هذا الهدف · وعندما عرضت هذه الفكرة على الوزير في ٣ يونيو ٧٢ أخبرني بأنه سيقوم بإبلاغ ذلك الى الرئيس ·

ـ في ٥ يوليو ٧٢ . أي بعد فترة امتدت أكثر من شهر تصورت خلالها أن الاقتراح قد رفض . أخطرني الوزير بأن الرئيس قد وافق على ان يسمح للضباط بحمل السلاح خارج معسكراتهم . والآن فإن المرء ليتساءل ما الذي دفع الرئيس الى أن يتردد طوال هذه المدة ؟ هل هناك علاقة ما بين هذا القرار وقرار طرد المستشارين والوحدات السوفياتية الذي كان قد بدأ يتبلور في رأس السادات ؟ (١) ·

---

(١) يقول حسنين هيكل في كتابه « الطريق الى رمضان » ان السادات اخبر السيد محمود فوزي نائب رئيس الجمهورية يوم ٦ يوليو بطريق عابر بانه يفكر في طرد السوفيات من مصر ·

يدعي السادات في كتابه البحث عن الذات (صفحة ٣١٢) بانه اخطر السفير السوفياتي بقراره بطرد السوفيات يوم ٦ يوليو · والسادات يناقض نفسه بنفسه في مذكراته . فقد نشر في الصفحة ٤٢٤ ما يدعي انها صورة زنكوغرافية عن الكتاب الذي أرسله الى بريجنيف . وهذه الصورة الزنكوغرافيه تؤكد ان السادات استقبل السفير السوفياتي يوم ٨ يوليو · ما الذي يريد السادات ان يخفيه او يتستر عليه ؟ ان جميع الوثائق الرسمية تؤكد أنه اتخذ القرار يوم ٨ يوليو ومع ذلك فهو يصر على ان يدعي أنه اتخذ القرار يوم ٦ يوليو · ترى هل هناك علاقه بين هذا التاريخ وبين زيارة شخصية كبيرة له ؟! سوف نتكلم على هذا الموضوع بالتفصيل في الباب الخامس الفصل الثامن عشر .

- في حوالي الساعة ١٨٤٥ يوم ١٢ أكتوبر ٧٢ رن جرس الهاتف في منزلي وكان المتكلم هو الفريق سعد الدين الشريف كبير الياوران بالنيابة . أخطرني الفريق بأن عدداً من الدبابات قد دخلت القاهرة وانها تعصي أوامر الشرطة العسكرية . وقال ان هذا الموقف يهدد أمن وسلامة الرئيس ويشكل خطورة على موكب الرئيس المزمع تحركه الليلة لحضور اجتماع مجلس الأمة الاتحادي في مصر الجديدة . كما أخبرني بأنه اخطر الفريق صادق بهذا الحادث قبل ان يتصل بي مباشرة . تحركت فوراً الى مكتبي حيث علمت ان الشرطة العسكرية قد قبضت على قائد تلك القوة وأخذته الى قيادة المنطقة المركزية فتحركت على الفور الى هناك حيث وجدت الفريق صادق قد حضر قبلي بدقائق . وبعد أقل من نصف ساعة حضر اللواء عبد الخبير قائد المنطقة العسكرية المركزية . وقد ظهر أن قائد القوة الذي قبضت عليه الشرطة العسكرية هو النقيب علي حسني عيد وهو قائد سرية مشاة ميكانيكية ضمن لواء مدرع يتمركز شرق القاهرة بحوالي ٢٠ كيلومتراً .

- تتلخص رواية النقيب عيد فيما يلي : « لقد كانت سريتي مكلفة بواجب القضاء على أية جماعات منقولة جواً قد يقوم العدو بإسقاطها في المنطقة . وقد رأيت أن اقوم بتدريب رجالي على تنفيذ المهمة التي كلفنا بها ولاختبار مدى كفاءتهم في تنفيذها . وفي الساعة ١٤٠٠ بدأ المشروع التدريبي وبعد الانتهاء من التدريب فكرت في ان نقوم بإقامة صلاة المغرب في جامع الحسين بالقاهرة . وعند وصولنا الى الجامع تركنا عرباتنا في ميدان الحسين وتركنا الجامع حيث صلينا وبعد الإنتهاء من الصلاة فوجئنا بالشرطة العسكرية تحيط بنا وتقبض علينا » .

- كان الفريق صادق يتولى التحقيق بنفسه بينما كنت أنا واللواء علي عبد الخبير نستمع الى أقوال النقيب المذكور والشهود ونتدخل من وقت لآخر لتوجيه سؤال او لاستيضاح نقطة غامضة (١) . لقد كانت قصة النقيب عيد غير منطقية وليس هناك من اجابة مقبولة للعديد من الاسئلة . لماذا اشرك النقيب عيد معه افراداً ومركبات أخرى من الكتيبة ومع انهم ليسوا ضمن تنظيم السرية التي يقودها هو ؟ لماذا لم يخطر قائد كتيبته مسبقاً بأنه ينوي القيام بإجراء مثل هذا المشروع حتى يمكن اتخاذ اجراءات الأمن الداخلي المعتادة ؟ لماذا لم يمتثل لأوامر الشرطة العسكرية التي تقف على مدخل مدينة القاهرة لمنع أية قوات مسلحة من دخول القاهرة الا اذا كان ذلك طبقاً لتصديق كتابي مسبق ومبلغة صورة منه الى الشرطة العسكرية ؟

هل من المعتاد أن يذهب المرء الى الجامع راكباً دبابة أو عربة قتال مدرعة ؟

---

(١) من سخرية القدر ان يقبض على اللواء علي عبد الخبير نفسه بعد شهر من هذا الحادث بتهمة تدبير انقلاب ضد السادات . وما هو أشد سخرية أن الأهداف التي كان ينادي بها علي عبد الخبير في نوفمبر ٧٢ والتي حوكم من أجلها وسجن وهي « إنقاذ مصر » هي نفسها التي نادى بها السادات عام ٧٨ وهي التي تؤيدها وتهلل لها وسائل الاعلام المصرية ! ما هو الخطا وما هو الصواب ؟ اني استطيع ان أميز بينهما ولكنني اشفق على شباب مصر ، انه سوف يتمزق ويضيع .

ـ ومن اقوال ضباط الصف والجنود أتضح ان النقيب عيد أخطر أفراد كتيبته بأنه سيقوم بمشروع تدريب ، وانه تحرك من منطقة تجمّعه في ١٣ عربة قتال مدرعة مجنزرة (٦ مركبات من سريته ، و٦ مركبات من باقي سرايا الكتيبة) وبعد أن غادر منطقة معسكرات هاكستب تحوّل الى طريق القاهرة ثم مرّ خلال نقطة الشرطة التي عند مدخل القاهرة (علامة الكيلو ١٤,٥) بالقوة وقد استطاعت ٧ مركبات ان تتبعه ولكن الخمس الأخريات امتثلت لأوامر الشرطة وتوقفت عند هذه النقطة ٠ اندفع النقيب عيد داخل شوارع القاهرة بتلك المركبات السبع بسرعة عالية وأخذ يصدر باللاسلكي أوامر وتعليمات غير واضحة وبعض الآيات القرآنية ٠ بدأ الشك يخامر نفوس بعضهم فتوقفت أربع مركبات أخرى في منتصف الطريق داخل شوارع القاهرة وهي لا تدري ماذا تفعل ٠ وصل النقيب ومعه ثلاث مركبات الى ميدان سيدنا الحسين حيث ترجلوا ودخلوا المسجد للصلاة ٠

ـ في اثناء استجواب النقيب كان يظهر شيئاً من عدم الاتزان والتعصب الديني ويتهم المجتمع المصري بأنه نسي الله ونسي دينه ، وكان يتوقف عن الاجابة في كثير من الأحيان لكي يتمتم بآيات من القرآن الكريم ٠ وبعد انتهاء التحقيق أخطرني صادق بأنه سوف يقوم بإبلاغ نتيجة التحقيق بنفسه الى الرئيس ٠ أعلن بعد ذلك أن النقيب عيد مجنون وأرسل للمستشفى ، وبالتالي لم يحاكم على هذه المغامرة المثيرة ٠

لقد قام الرئيس السادات بطرد الفريق صادق بعد أسبوعين من هذا الحادث ٠ ومهما قال الرئيس في اسباب هذا الطرد فإن مغامرة النقيب عيد لا بد وانها كانت أحد الأسباب الرئيسية ٠ وقد أكد لي هذا الشعور ما قاله لي السادات بعد ذلك بأنه لم يصدق ما قاله له صادق بأن النقيب عيد هو شخص مريض وغير متزن العقل (١) ٠

مؤتمر الرئيس يوم ٢٤ أكتوبر ٧٢

ـ كان يوم ٢٤ أكتوبر ٧٢ يوماً حافلاً بالأحداث السريعة والمتلاحقة ، فقد بدأت في الساعة التاسعة من صباح هذا اليوم مؤتمري الشهري المعتاد ولكنني فوجئت بأن الوزير يطلب الاجتماع بي وبأعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة في الساعة الثانية عشرة مما اضطرني الى إنهاء مؤتمري حوالي الساعة ١١٣٠ ٠ كان الهدف من مؤتمر الوزير هو الاستماع الى رأي القادة عن الموقف العسكري وذلك قبل حضورنااجتماعاً آخر في الساعة ٢٠٣٠ من اليوم نفسه بمنزل الرئيس بالجيزة ٠ تكلم كل من أعضاء المجلس عن موقف قواته وعن المتاعب والمشكلات التي

---

(١) يدعي السادات ان السبب الرئيسي لطرد صادق هو ان صادق لم يكن يرغب في دخول الحرب عام ٧٢ ، ولكن من يطلع على محضر مؤتمر القناطر في ٦ يونيو ٧٢ ، يعرف تماما ان السادات هو الآخر لم يكن يرغب في دخول الحرب عام ٧٢ ٠

ـ لقد كان هناك صراع خفي على السلطة بين الرئيس السادات و صادق وكان السادات ينتظر الفرصة للتخلص منه ٠ ولا شك انه أخذ يعذ نفسه خلال عام ٧٢ لهذا اليوم ، وربما كان تعيين حسني مبارك قائدا للقوات الجوية هو إحدى الخطوات على هذا الطريق ٠

ـ كانت مغامرة النقيب عيد هي الضوء الأحمر الذي دفع السادات أن يعجل بضرب صادق ٠

ما زالت تواجهه · وفي نهاية الحديث علق الوزير كما يلي « إن كل ما أريده هو ان يقوم كل منكم بإعطاء صورة حقيقية عن موقف قواته أمام الرئيس هذا المساء · إن الرئيس يعتقد أنني أبالغ في ذكر المشكلات ولذلك فإنه يريد أن يسمعها منكم شخصياً » فأجاب الجميع بأنهم سيفعلون ذلك وأن ما قالوه أمام الوزير سوف يقولونه أمام الرئيس ·

د - لقد بدأنا نتوافد على منزل الرئيس بالجيزة اعتباراً من الساعة ٢٠٣٠ وبدأ الاجتماع في الساعة التاسعة مساء وامتد حتى منتصف الليل · وقد بدأ الرئيس باستعراض الموقف وتطور العلاقات بينه وبين السوفيات منذ توليه الحكم وحتى هذا التاريخ . وكان أهم ما جاء في حديثه هو ما يلي :

١ - إن رحلاتي الى الاتحاد السوفياتي في مارس ٧١ ، اكتوبر ٧١ ، فبراير ٧٢ ، كانت بناء على طلبي أما رحلتي في ابريل ٧٢ فكانت بناء على طلب القيادة السياسية السوفياتية ·

٢ - أخطرت القيادة السوفياتية في إبريل ٧٢ بأن القضية لن تتحرك سياسياً إلا اذا أمكن تحركها عسكرياً · إن اعداد الهند للقيام بحربها ضد الباكستان قد استغرق منكم ستة شهور ويمكنكم أيضاً أن تفعلوا الأمر نفسه مع مصر · إني أتفق معكم على العمل على إعادة انتخاب نيكسون في انتخابات الرئاسة الأميركية القادمة في نوفمبر ٧٢ حيث أنه سيكون أفضل من رئيس جديد يصل الى الحكم وتحكم تصرفاته رغبته بالبقاء في الحكم لفترة ثانية (١) ·

٣ - عندما حضر المارشال جريشكو في مايو ٧٢ أرسلت معه كتاباً إلى القيادة السياسية السوفياتية طلبت فيه تزويدنا بطائرات ميج ٢٥ ومعدات وأجهزة الحرب الألكترونية · وقد أخبرتهم بصراحة بأنني لا أقبل بقاء أية وحدات سوفياتية في مصر ليست تحت القيادة المصرية ·

٤ - في يوم ٦ يوليو قيل لي إن السفير السوفياتي يطلب مقابلتي . ولكني حددت يوم الزيارة ليكون يوم ٨ يوليو . وعند مقابلتي للسفير وجدت أن الرسالة لم تتعرض للرد على رسالتي المرسلة لهم · وبعد انتهاء السفير من قراءة الرسالة قلت له ان الرسالة مرفوضة ثم ابلغته بقراري الخاص بانهاء عمل المستشارين والوحدات السوفياتية في مصر(٢)

٥ - قبل اعلان قراري في ١٧ يوليو ٧٢ أرسلت عزيز صدقي - رئيس الوزراء الى موسكو ليشرح لهم الموقف وليعرض عليهم اصدار بيان مشترك حول هذا الموضوع ولكنهم لم يوافقوا · قالوا ان السادات اتخذ هذا القرار من جانب واحد لذلك فإن الاعلان ايضاً يجب أن يكون من جانب واحد · لقد كانوا يظنون أنني لا أعني ما أقول ولكن عزيز صدقي أكد لهم اننا جادون في تنفيذ ذلك ·

---

(١) قياساً على مفهوم السادات للعمالة والخيانة ، لا بد أن نيكسون رئيس الولايات المتحدة رجل خائن وعميل للاتحاد السوفياتي ، لأن الاتحاد السوفياتي يفضل بقاءه ·

(٢) تسجيلات هذا المؤتمر تؤكد مرة أخرى بأن قرار الرئيس بالاستغناء عن المستشارين السوفيات قد اتخذ يوم ٨ يوليو وليس يوم ٦ يوليو ٧٢ كما يحاول السادات الآن أن يدعي ·

٦ - بعد الاجتماع بنيكسون في موسكو مايو ٧٢ وصل الروس والأميركيون الى وفاق بل عناق وانتهت الحرب الباردة نهائيا ، وينتظر ان يستمر هذا الوفاق لمدة عشرين سنة علي الأقل . وكان ذلك أحد الأسباب الرئيسية لكي اتخذ قراراتي في يوليو ٧٢ حتى أقف على أرض صلبة . ومنذ ذلك التاريخ اتصل بي الأميركيون والانجليز والفرنسيون والا يطاليون . القضية ابتدأت تتحرك لأننا أصبحنا أولياء أمور انفسنا (١) .

٧ - حاول الروس الاتصال بي مرة أخرى في ٣١ يوليو ٧٢ . ولكنني تعمدت أن امكث شهراً قبل أن ارد عليهم في ٣١ أغسطس ٧٢ (٢) .

٨ - تدخل الرئيس حافظ الأسد لتحسين العلاقات بين مصر والاتحاد السوفياتي وسافر سرأ الى الاتحاد السوفياتي فوجد من الاتحاد السوفياتي استعداداً طيباً لتحسين العلاقات . سافر على أثر ذلك عزيز صدقي الى موسكو ودخل معهم في مناقشات عنيفة أكدوا بعدها أن سياستهم تجاه مصر لم ولن تتغير على الرغم من قرار السيد الرئيس بإنهاء عمل المستشارين الروس في مصر . وكانت حصيلة هذه الزيارة هي ادخال الروس في الفورمة حتى تكون علاقتهم معنا في المرحلة القادمة على أساس عدم التدخل في شؤوننا وقد وعدوا عزيز صدقي بإمدادنا بالأسلحة التالية :

- سرب ميج ٢٣ في الربع الثالث من عام ٧٣
- سرب سوخوي ٢٠ في الربع الثالث من عام ٧٣
- وحدة صواريخ سطح سطح SSM مداه ٣٠٠ كيلومتر ويتم ابلاغنا في أوائل ٧٣ عن تواريخ التوريد .

٩ - ويمكنني أن الخص الموقف العام على ضوء ما سبق بأن اميركا حاولت أن تقوم بتحوير مبادرتي لكي تصبح حلاً جزئياً يشمل انسحاب اسرائيل وعبور قواتنا للقناة على أن يخضع الانسحاب الكامل لمرحلة أخرى من المفاوضات . لقد اخبرت الفريق صادق منذ الصيف الماضي بأنه يجب أن تتحرك القضية عسكرياً قبل أن ندخل الجولة الثانية مع اسرائيل بعد الانتخابات الأميركية . وان ذلك يعتبر قراراً أبلغكم به وليس لأخذ رأيكم . حيث أن هذا الموقف يعتبر اختباراً للقوات المسلحة . واذا لم نقم بعمل عسكري قبل نهاية هذا العام فإن القضية سوف تنتهي ويفقد المصريون والعرب ثقتهم بأنفسهم .

١٠ - تكلم الرئيس بعد ذلك عن التصنيع العسكري . وعن ضرورة تصنيع الطائرة المقاتلة والحوامة والزوارق والعربات المجنزرة وأجهزة الحرب الالكترونية واتهم من سبقوه بالسمه

---

(١) ما هي طبيعة هذه الاتصالات ؟ هل هي بخصوص توريد أسلحة غربية ؟ ام هي بخصوص السعي لحل سلمي ؟ إن السادات لم يوضح ذلك ولكن كل هذا يوضح حقيقة يريد اخفاءها وهي أنه لم يكن راغبا في دخول المعركة حقا في خلال عام ٧٢ .

(٢) لم يذكر الرئيس محتويات أية من الرسالتين ولكنه نشر كتابه إليهم المؤرخ في ٣١ أغسطس ٧٢ في كتابه في الصفحات ٤١٩ - ٤٣٥ وهو استعراض للعلاقات المصرية السوفياتية منذ توليه الحكم في مصر .

لأنهم لم يفهموا قيمة الجنزير في حرب الصحراء ولم يشتروا العربات المجنزرة التي كانت تباع بعد الحرب الثانية بتراب الفلوس (١) .

١١ ـ عندما تكلم الرئيس عن موقف السوفيات من المعركة كان كلامه متناقضا . ففي بعض الأحيان قال أن الاتفاق الودي بين روسيا وأميركا هو اساس الاستراتيجية السوفياتية لمدة ٢٠ ـ ٢٥ سنة وأنهم لذلك لا يرغبون في قيام حرب جديدة بيننا وبين اسرائيل حيث أن ذلك قد يجرهم الى نوع من التدخل والاشتراك . ولذلك فإنهم يفضلون الوصول الى حل سلمي للمشكلة . وفي أحيان أخرى قال أن السوفيات ليس لديهم الثقة بعزمنا على القتال وأنهم لذلك يترددون في امدادنا بالسلاح . وقد علق الرئيس على هذه النقطة قائلاً « كان الروس فيما مضى يشيرون الينا بأسلوب خفي بأنه يجب علينا أن نبدأ القتال أما هذه المرة فقد قالوها بصراحة لعزيز صدقي . قالوا له لو أننا في مثل موقفكم لقاتلنا لتحرير أرضنا حتى لو لم يكن لدينا سوى البنادق ! وأني واثق أنهم كانوا يودون لو أنهم قالوا أكثر من ذلك لأني اعرف ما قاله الرئيس بودجورني عنا في تركيا بعد هزيمة ٦٧ . » وفي مناسبة ثالثة قال الرئيس : ان الروس قد أخطروا عزيز صدقي خلال زيارته الأخيرة بأن علاقاتهم معنا والتزامهم بأمدادنا بالسلاح لن يتأثرا نتيجة الاتفاق الودي الذي عقد بينهم وبين أميركا .

ـ وبعد هذا الاستعراض للموقف فتح باب المناقشة والأسئلة .

الجمسي :

ما هو موقف سوريا وليبيا من المعركة ؟

الرئيس :

الرئيس حافظ الأسد سيشترك معنا عن قناعة . أنه مقتنع تماماً بأن أي عمل نقوم به سوف يكون أفضل مما نحن فيه الآن مهما كانت التضحيات . سوف يسافر الفريق صادق قريباً الى سوريا للتنسيق بين الجهتين (٢) أما ليبيا فإنها تضع ما لديها كله للمعركة . ان ليبيا لديها خمسون طائرة ميراج حاهز منها للمعركة سرب واحد وكذلك عندها ٢٤ مدفع ١٥٥ مم ذاتي الحركة و ١٠٠ عربة مدرعة لنقل المشاة وعدد من الهاونات ١٢٠ مم المحملة على عربات جنزير .

عبد المنعم واصل :

ان التدريب والروح المعنوية على مستوى عال . ولكن يجب أن نعلم أنه اذا قمنا بالهجوم

---

(١) كلام يقوله السادات بغرض التسجيل فقط . أمات الحقيقة فإنه لم يفعل شيئاً في مجال التصنيع فبينما تنتج اسرائيل طائرة مقاتلة سرعتها ٢،٣ ماخ تحاول مصر أن تصنع طائرة تدريب . وبينما تنتج إسرائيل الدبابة فإن السادات يتعاقد على انشاء مصنع عربات جيب . لقد كانت مصر قبل اكتوبر ٧٣ تملك حوالي ٤٠٠٠ مركبة مجنزرة ما بين دبابة ومدفع ذاتي الحركة وعربة قتال مدرعة وليس بين كل هذا العدد مركبة مجنزرة واحدة من مخلفات الحرب العالمية الثانية . هل يستطيع السادات أن يذكر لنا كم عدد المجنزرات التي أضافها للقوات المسلحة في خلال السنوات الخمس الماضية ؟ ما أسهل الاتهام إذا غابت لغة الأرقام !

(٢) قام الرئيس بعزل الفريق صادق بعد أقل من ٤٨ ساعة من هذا المؤتمر .

في ظل الأوضاع الحالية فيجب علينا أن نتوقع خسائر كبيرة . ان الساتر الترابي الذي اقامه العدو على الضفة الشرقية قد اصبح متصلاً وبارتفاع يصل في بعض اجزائه الى ٢٠ متراً · ان العدو يراني ويكشف موقعي لمسافة طويلة وأنا لا أراه ولا اعرف ما يدور خلف هذا الساتر · وتحت هذه الظروف فإنه يستطيع أن يحدث خسائر كبيرة في قواتنا المهاجمة · يجب أن نزيد من ارتفاع الساتر الترابي من ناحيتنا حتى يصل الى ارتفاع ساتر العدو أو يزيد وبذلك نستطيع أن نكشف العدو ونحرمه من فرصة التدخل ضد قواتنا المهاجمة ·

الشاذلي :

سيادة الرئيس . هل ستقوم سيادتكم بتحرك عربي لتعبئة القوى العربية أم أن المعركة ستكون قاصرة على دول الاتحاد ؟

الرئيس :

ستكون المعركة مصرية أساساً . وسوف يقف العرب موقف المتفرج (١) في البداية . ولكنهم سوف يجدون أنفسهم في موقف صعب أمام شعوبهم فيضطروا في النهاية الى أن يغيروا من موقفهم ·

الوزير :

يجب أن نأخذ في حسابنا امكانية العدو الضرب في العمق · وأنه من المحتمل جداً أن تقوم اسرائيل بتشجيع من الولايات المتحدة . وآخرين لا أريد تسميتهم . بهجوم مفاجيء على مصر · انهم جميعاً يتآمرون على مصر بهدف تدمير قواتها المسلحة التي تشكل تهديداً خطيراً لاسرائيل ·

الرئيس :

اني أوافق تماماً . قد تبدأ اسرائيل ضربتها قبل ٧ نوفمبر القادم . وفي هذه الحالة سوف ينسى العالم المشكلة الأصلية ويبدأ في الحديث عن وقف اطلاق النار ·

علي عبد الخبير :

ان القوات المسلحة لم يتم تدعيمها بأية أسلحة جديدة تزيد من قدراتها الهجومية . بل العكس هو الصحيح · ان الاستهلاك العادي في اسلحتنا يجعل قوتنا في تناقض وليس في تزايد · ان ضعف قواتنا الجوية ما زال كما هو . الا تكفي هذه العوامل الهامة كلها لكي نفكر جيداً قبل أن نقرر الدخول في حرب نتحمل فيها خسائر جسيمة ؟

الرئيس :

لو أنني اجريت حساباتي على هذا الاساس لما اتخذت قراري بطرد الروس في ٨ يوليو ان المشكلة الآن هي "To be or not to be" (٢) يجب الا نلقي باللوم كله على الروس ·

---

(١) في خلال زيارتي لرؤساء الدول العربية تم الاتفاق على إشراك بعض وحدات من هذه الدول في المعركة . لم يكن يدري بهذا الاتفاق أحد من الحاضرين في هذا المؤتمر سوى الرئيس والوزير · وعندما وجهت إلى الرئيس هذا السؤال فقد كنت أقصد أن أذكره بأن الوقت قد حان لكي نطلب إلى تلك الدول إرسال تلك القوات · ولكن عندما أجاب الرئيس بتلك الاجابة لم أشأ أن أناقش معه هذا الموضوع وسط هذا الجمع الكبير وفضلت أن أؤجل مناقشة هذا الموضوع معه إلى حين آخر ·

(٢) قالها الرئيس بالانجليزية ومعناها « نكون أو لا نكون » ·

لقد قام الروس ، بإمدادنا باسلحة مكنتنا من تسليح جيشين ميدانيين ، بصرف النظر عن أنهم هم الذين يختارون السلاح الذي يمدوننا به .

علي عبد الخبير :

اذا كنا نقول « نكون أو لا نكون » فإنه يجب علينا أن نعبىء مواردنا وامكانياتنا كلها للمجهودالحربي كما تفعل الدول الأخرى عندما تقرر الدخول في حرب .

الرئيس :

ان تعبئة موارد الدولة للمجهود الحربي هي مسؤوليتي وليست مسؤوليتك . الكثير من الناس لا يصدقون أنه سيكون هناك حرب . واذا بقينا كما نحن الآن فسوف تنهار الجبهة الداخلية . يجب أن نقبل المخاطرة المحسوبة .

علي عبد الخبير :

المخاطرة المحسوبة ؟ لماذا لا نعمل على تلافي الخطر ؟

نوال سعيد :

هل المقصود هو تحرير الأرض أم تنشيط العمليات لإعطاء الفرصة للحل السياسي ؟

الرئيس :

لقد سبق ان قلت ذلك للفريق صادق منذ اغسطس وهو « كسر وقف إطلاق النار » .

عبد القادر حسن :

قد نبدأ بمعركة محدودة ولكنها قد تتطور إلى حرب شاملة . قد ننجح في المراحل الأولى من المعركة ولكننا سوف نتحول في النهاية إلى اتخاذ موقف دفاعي . ستبقى إسرائيل في شرم الشيخ وفي معظم سيناء وستكون في موقف أفضل من موقفها الحالي ، وقد يدفعها ذلك الى أن تدعي حقوقها في تلك الأراضي التي تكون ما زالت في قبضتها . يجب ان نضع في حسابنا قدرة العدو على ضرب العمق عندنا وعند سوريا أكثر . لأن سوريا لم تستكمل دفاعها الجوي . لا يصح أن ندفع أنفسنا إلى وضع قد يضطرنا الى أن نصرخ طالبين النجدة من الاتحاد السوفياتي مرة أخرى ونقول له « ولع »

الرئيس (بغضب) : يا عبد القادر دي تاني مرة تغلط فيها . أنا مسؤول عن استقلال البلد وأنا أعرف ماذا أعمل . يجب ألا تتدخل في شيء ليس من اختصاصك أنت رجل عسكري ولست رجلاً سياسياً !

محمود فهمي (محاولاً تلطيف الجو) :

إننا جميعاً نؤمن بأن المشكلة لن تحل سلمياً وأن الحرب هي الأسلوب الوحيد لحل هذه المشكلة . إذا كان هناك رأي أو سؤال فإن المقصود منه هو الحرص على مصر ومصلحة مصر .

الرئيس (بغضب) :

هل تدافع عن عبد القادر حسن ؟ كل واحد لازم يتكلم في حدوده . أنا لا أقبل من أحد أن يفهمني واجبي .

الرئيس (في صوت هادىء وبعد فترة صمت طويلة) :

إننا اليوم نواجه تحدياً صعباً . To be or not to be"

هناك حل جزئي معروض عليّ وينتظر موافقتي ولكني لم أقبله (١) · قد يقبل شخص آخر هذا الحل الجزئي أما أنا فإني لن أقبله ، وإن عليكم بالتخطيط الجيد ، التغلب على نواحي النقص الموجودة في قواتنا المسلحة · وفقكم الله · وانتهى الاجتماع بعد منتصف الليل بقليل ·

ـ غادرت منزل الرئيس بعد منتصف ليل ٢٤ أكتوبر بقليل ، وبينما كنت أهم بركوب عربتي لحق بي أحد معاوني الرئيس وأخبرني بأن الرئيس يطلبني فلما عدت وجدته ينتظرني في مكتبه بالطابق الأرضي فقال لي « لقد أبلغوني أنك ستقوم بتزويج إحدى بناتك وأنك ترغب في دعوتي لحضور حفل عقد القرآن » فقلت له « نعم يا سيادة الرئيس ولكني وجدت أن الوقت غير مناسب للحديث في مثل هذا الموضوع الليلة بعد هذا الاجتماع الصاخب » فقال « لا لا مش مهم · متى سيكون تاريخ عقد القرآن ؟ » فأجبته بأنني لم أحدده بعد انتظاراً لمعرفة التواريخ المناسبة لسيادته · وبعد مناقشة قصيرة تحدد يوم ٩ نوفمبر ليكون تاريخ عقد القرآن (٢) ·

---

(١) إني أشفق على من يدرسون التاريخ بصفة عامة ، وتاريخ مصر بصفة خاصة · سوف يصدم هؤلاء عندما يقرأون أحاديث السادات في تلك المؤتمرات الرسمية التي عقدت ما بين اكتوبر ٧٠ ، اكتوبر ٧٢ ، ثم بعد ذلك يطلعون على تصرفاته في الأعوام ٧٦ ـ ٧٨ وقيامه بعقد المعاهدة المصرية الإسرائيلية في ٢٦ مارس ٧٩ التي هي حل جزئي مهما حاول السادات أن يقول غير ذلك ·

(٢) لقد ذكرت هذه القصة حيث أن ميعاد عقد قرآن كريمتي قد اختير من قبل اللواء علي عبد الخبير توقيتاً للقيام فيه بانقلاب ضد السادات ·

الباب الرابع

السادات وأحمد اسماعيل وَأنا

تعيين أحمد إسماعيل وزيراً للحربية

خلفيات الخلاف بين أحمد إسماعيل والشاذلي

ـ لم أكن قط على علاقة طيبة مع أحمد إسماعيل · لقد كنا شخصيتين مختلفتين تماما لا يمكن لهما أن تتفقا · وقد بدأ أول خلاف بيننا عندما كنت أقود الكتيبة العربية التي كانت ضمن قوات الأمم المتحدة في الكونجو عام ١٩٦٠ · كان العميد أحمد إسماعيل قد أرسلته مصر على رأس بعثة عسكرية لدراسة ما يمكن لمصر أن تقدمه للنهوض بالجيش الكونجولي · وقبل وصول البعثة بعدة أيام سقطت حكومة لومومبا التي كانت تؤيدها مصر بعد نجاح انقلاب عسكري دبره الكولونيل موبوتو الذي كان يشغل وظيفة رئيس أركان حرب الجيش الكونجولي . وقد كانت ميول موبوتو والحكومة الجديدة تتعارض تماماً مع الخط الذي كانت تنتهجه مصر · وهكذا وجدت البعثة نفسها دون أي عمل منذ اليوم الأول لحضورها · وبدلاً من أن تعود البعثة إلى مصر أخذ أحمد اسماعيل يخلق لنفسه مبرراً للبقاء في ليوبولدڤيل على أساس أن يقوم بإعداد تقرير عن الموقف ·· وتحت ستار هذا العمل بقي مع اللجنة ما يزيد على شهرين · وفي خلال تلك الفترة حاول أن يفرض سلطته عليَّ باعتبار أنه ضابط برتبة عميد بينما كنت أنا وقتئذ برتبة عقيد . وبالتالي تصور أن من حقه أن يصدر إليّ التعليمات والتوجيهات · رفضت هذا المنطق رفضاً باتاً وقلت له إنني لا أعترف له بأية سلطة عليّ أو على قواتي · وقد تبادلنا الكلمات الخشنة حتى كدنا نشتبك بالأيدي · وبعد أن علمت القاهرة بذلك استدعت اللجنة الى القاهرة . وانتهى الصراع في ليوبولدڤيل ولكن آثاره بقيت في أعماق كل منا · كنا نتقابل في بعض المناسبات مقابلات عابرة ولكن كان كل منا يحاول أن يتحاشى الآخر بقدر ما يستطيع · واستمر الحال كذلك إلى أن عين اللواء أحمد إسماعيل رئيساً لأركان حرب القوات المسلحة المصرية في مارس ٦٩ ·

ـ وبتعيين اللواء أحمد إسماعيل ر ا ح ق م م اختلف الوضع كثيراً . اذ لم يعد ممكناً أن أتحاشى لقاءه وألا يكون هناك أي اتصال مباشر بيني وبينه · إن وظيفته هذه تجعل سلطاته تمتد لتغطي القوات المسلحة كلها . لذلك قررت أن أستقيل · وبمجرد سماعي بنبأ تعيين أحمد إسماعيل رئيساً للأركان تركت قيادتي في انشاص وتوجهت الى مكتب وزير الحربية حيث قدمت استقالتي وذكرت الأسباب التي دفعتني إلى الاستقالة ثم توجهت إلى منزلي · مكثت في منزلي ثلاثة أيام بُذلت فيها جهود كبيرة لثنيي عن الاستقالة ولكني تمسكت بها وفي اليوم الثالث حضر إلى منزلي أشرف مروان زوج ابنة الرئيس وأخبرني بأن الرئيس عبد الناصر قد بعثه لكي يبلغني الرسالة التالية : « إن الرئيس عبد الناصر يعتبر استقالتك كأنها نقد موجه إليه شخصياً حيث أنه هو الذي عين أحمد إسماعيل ر ا ح ق م م » . أوضحت وجهة نظري في أحمد إسماعيل وأنني لا أعني مطلقاً أن أنتقد الرئيس . ولكني لا أستطيع أن أعمل تحت

رئاسة أحمد إسماعيل . وإن الثقة بيني وبينه معدومة · نقل أشرف مروان إجابتي إلى الرئيس عبد الناصر ثم عاد مرة أخرى ليقول « إن الرئيس تفهم جيداً وجهة نظرك · إنه يطلب إليك أن تعود إلى عملك وإنه يؤكد لك أن أحمد إسماعيل لن يحتك بك » وبناء على هذا الوعد عدت إلى عملي في اليوم الرابع · وهنا يجب أن أؤكد أن جمال عبد الناصر قد وفى بما وعدني به · ففي خلال الأشهر الستة التي قضاها اللواء أحمد إسماعيل في وظيفته ر ا ح ق م م لم تطأ قدماه قط قاعدة إنشاص حيث كانت تتمركز القوات الخاصة التابعة لي . كما أنه لم يحاول قط أن يحتك بي ·

- ومنذ أن قام الرئيس عبد الناصر بعزل أحمد إسماعيل من منصب ر ا ح ق م م في سبتمبر ٦٩ ، فإني لم أره قط الى أن قام الرئيس السادات باستدعائه من التقاعد في ١٥ مايو ٧١ ، لكي يعينه رئيساً لهيئة المخابرات العامة · وهكذا بينما كنت أنا أشغل منصب ر ا ح ق م م كان أحمد إسماعيل يشغل منصب رئيس هيئة المخابرات العامة . وبالتالي أخذنا نتقابل أحياناً في بعض المناسبات الرسمية أو الاجتماعية وكنا نتبادل التحيات الشكلية ولكن علاقاتنا بقيت باردة ·

كيف عين احمد أسماعيل وزيراً للحربية

- في منتصف يوم ٢٦ أكتوبر ٧٢ . أبلغني مكتب الرئيس أن الرئيس يطلب حضوري الى منزله في الجيزة في تمام الساعة ١٥٣٠ من اليوم نفسه وفي هذه المقابلة ابلغني الرئيس أنه قرر اقالة وزير الحربية وأنه يعتبرني منذ هذه اللحظة قائداً عاماً للقوات المسلحة بالنيابة . ونظر في ساعته · سألته عما اذا كان قد اخطر صادق بهذا القرار فقال لا · سألته عما اذا كان ينوي إخطاره بذلك أم أنه سيترك لي ذلك ؟ أجاب بأنه سيرسل له سكرتيره الخاص بعد حوالي ساعتين من لقائه معي لكي يعطي لي الفرصة لاتخاذ بعض الإجراءات الأمنية ·

- أخطرني الرئيس بعد ذلك بقراره بطرد كل من الفريق عبد القادر حسني واللواء علي عبد الخبير ولم استطع أن اجادله فيما يتعلق بهذا القرار حيث أنه كان يعتبر هذا القرار تأميناً شخصياً له . باعتبارهما من مؤيدي الفريق صادق · ولكنه عندما أخبرني بإقالة كل من اللواء محمود فهمي قائد البحرية واللواء عبد المنعم واصل . تدخلت آملاً أن انقذهما · فوجه الي الرئيس كلامه مندهشا « كيف تقول ذلك ؟ ألم تسمع ما قالاه في مؤتمر اول امس ؟ لقد كنت اظن ان عبد المنعم واصل ضابط ممتاز وأنه « راجل » ! ولكن هل سمعت ما قال ؟ » فقلت « ان عبد المنعم واصل « راجل » وضابط ممتاز · ان كل ما قاله هو ابداء قلقه من الخسائر المحتملة · وان ما قاله عن الساتر الترابي هو حقيقة يجب أن ندخلها في الاعتبار اني أرجو سيادتكم أن تعطوه الفرصة لكي يثبت ذاته ... أما بخصوص اللواء محمود علي فهمي فهو من أكفأ ضباط البحرية لدينا . وان طرده سيكون خسارة كبيرة لنا » · أجاب الرئيس بشيء من الحدة « قد تكون على معرفة بعبد المنعم واصل لأنه ضابط جيش مثلك · أما محمود فهمي فأنا اعرفه أكثر منك · انه من هذا الطراز الذي يحب الاطراء والتفخيم مثله في ذلك مثل صادق · لقد اكتشف صادق هذه

الصفات في محمود فهمي كما أن محمود فهمي قد اكتشف ذلك في صادق فأخذ كلاهما يكيل المديح للآخر الى أن صدق كل منهما ما يقوله الآخر · إني اعرفهما أكثر منك » ·

ـ وبعد فترة سكون قال الرئيس « والآن لنفكر معاً فيمن سيكون وزيراً للحربية » لم أعلق واستمر الرئيس « اني افكر في أحمد إسماعيل ! » لقد فوجئت بالأسم وعلقت بطريقة فورية « سيادة الرئيس ان هناك تاريخاً طويلاً من الخلافات بيني وبين أحمد اسماعيل يمتد الى حوالي ١٢ سنة مضت منذ أن تقابلنا في الكونجو عام ٦٠ . وان علاقاتنا حتى الآن تتسم بالفتور والبرودة · وأعتقد ان التعاون بيننا سيكون صعباً » قال الرئيس « إني اعلم تماما بتاريخ هذا الخلاف وتفاصيله ولكني أؤكد لك أن علاقته بك ستكون أفضل بكثير من علاقتك بصادق » كررت وجهة نظري وأبديت مخاوفي من أن هذه العلاقة قد تؤثر على الموقف العسكري بينما نقوم بالإعداد للمعركة التي سوف تحدد مصير بلدنا لعدة سنوات قادمة . ولكنه كرر وجهة نظره وأكد لي أنه لن يحدث شيء من هذا الذي أتخوف منه · لقد كان الموقف يتطلب مني قراراً فورياً ؛ اما ان أقبل أو أن استقيل ·

ـ لقد كان عليَّ أن اجري في ذهني تقديراً سريعاً للموقف وان أصل الى قراري بهذا الخصوص اثناء تلك المقابلة · لقد كنا قائمين بالأعداد لمعركة المصير ولقد بذلت مجهوداً خلال عام ونصف العام كرئيس للأركان العامة . لقد مضت الأيام الصعبة وان الأيام الباقية لن تكون متل الأيام الماضية · وإنه ليصعب عليَّ أن استقيل وأترك خلفي الجهد والعرق اللذين بذلتهما دون أن استمتع بنصر تحققه القوات المسلحة بعد هذا العناء كله · قلت لنفسي قد تتحقق تأكيدات الرئيس بأنه لن يحدث خلاف بيننا كما تحققت تأكيدات الرئيس عبد الناصر عام ٦٩ · وعموماً فاذا لم تتحقق تأكيدات السادات فانه يمكنني أن استقيل عندئذ · وعلاوة على ذلك فلو أنني استقلت الآن فإن هذه الاستقالة سوف تفسر على أنها تضامن مع صادق في الاستقالة . وقد يفسرها بعضهم بأني لا أريد دخول الحرب في حين أن الحقيقة هي عكس ذلك تماماً · وهكذا اقنعت نفسي بعدم الاستقالة . وانصرفت من منزل الرئيس بعد أن امتدت مقابلتنا الى حوالي الساعة ·

ـ وبينما أنا في مكتبي تلقيت أول مكالمة هاتفية من أحمد اسماعيل في حوالي الساعة ٢٢٣٠ يخطرني فيها بأن السيد الرئيس قد استدعاه الى منزله وعينه وزيراً للحربية وقائداً عاماً للقوات المسلحة · وفي المكالمة نفسها ابلغني بقرار الرئيس بطرد اللواء محمود فهمي قائد البحرية وتعيين اللواء زكري بدلاً منه ·

لماذا اختار السادات الفريق أحمد اسماعيل

ـ ان طرد صادق وتعيين أحمد اسماعيل في مكانه كانا خطوة مهمة اتخذها السادات لتدعيم مركزه كما قلت فيما سبق . كان صادق هو أحد الرجال الثلاثة الذين اعتمد عليهم السادات في انقلاب ١٥ مايو ٧١ ونتيجة لذلك فقد كان صادق يشعر بأنه يجب أن يكون له نصيب أكبر في ممارسة السلطة · فقد كان يعبر عن آرائه بصراحة وعلنية حتى وان كانت هذه الآراء تتعارض مع آراء السادات · كان صادق بالاضافة لذلك شخصية محبوبة نتيجة اللمسات الانسانية

والخدمات التي يؤديها للكثيرين من الضباط والجنود كتحسين الرواتب والمعاشات وتوزيع الأوسمة ، وايفاد بعضهم في رحلات ترفيهية الى الخارج ، الاغداق على بعض المحيطين به بالأموال والامتيازات الخ . وان شخصية بهذه المواصفات لا بد وأنها تنازع رئيس الجمهورية سلطاته وتعارض الهدف الذي كان يعمل السادات من أجله . والذي كان يرمي الى أن يجعل من نفسه حاكما مطلقاً لا ينازعه في السلطة أحد . وقد وجد السادات في أحمد اسماعيل الصفات جميعها التي يبحث عنها في شخص يعينه وزيراً للحربية وقائداً عاماً للقوات المسلحة . وكان أهم هذه الصفات ما يلي :

١ ـ كراهيته الشديدة لعبد الناصر :

ـ كان أحمد اسماعيل يكره عبد الناصر كراهية شديدة . لأنه قام بطرده من القوات المسلحة مرتين . كانت المرة الأولى في أعقاب هزيمة يونيو ٦٧ حيث كان أحمد اسماعيل يشغل منصب رئيس أركان جبهة سيناء . ولكن عبد الناصر أعاده الى الخدمة بعد أن تدخل بعض الأصدقاء لديه لكي يعفو عنه . ثم قام بطرده من القوات المسلحة للمرة الثانية في سبتمبر ٦٩ بعد أن شغل منصب ر ا ح ق م م لمدة ستة شهور فقط . وقد جاء الطرد هذه المرة في أعقاب عملية اغارة ناجحة قام بها العدو في منطقة البحر الأحمر . ففي صباح يوم ٩ سبتمبر ٦٩ عبر العدو خليج السويس بقوة بحرية برمائية وأنزل في منطقة الزعفرانة قوة تتكون من ١٠ دبابات وعدد من العربات المجنزرة وقامت هذه القوة بمهاجمة عدة أهداف في المنطقة ثم انسحبت بعد حوالي عشر ساعات من نزولها دون أي تدخل من القيادة العامة للقوات المسلحة . بل وحتى دون أن يعلم ر ا ح ق م م بهذه الاغارة الا بعد انسحابها !! وكان العدو قد قام بعملية اغارة في الليلة السابقة دمر خلالها لنا قاربين من قوارب الطوربيد التي كانت تتمركز في المنطقة . وهكذا قام العدو بتنفيذ إغارته دون أي تدخل من حانب قواتنا الجوية أو البحرية .

٢ ـ ولاؤه المطلق للسادات

ـ بعد أن بقي أحمد اسماعيل متقاعدا لمدة تزيد على عشرين شهرا . قام الرئيس السادات باستدعائه الى الخدمة وعينه رئيساً لهيئة المخابرات العامة . وها هو ذا بعد ثمانية عشر شهرا أخرى يعينه وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة . لقد كان ذلك أكثر مما يستطيع أحمد اسماعيل أن يحلم به . لقد كان يعتقد أن حياته العملية قد انتهت في سبتمبر ٦٩ . ولكن ها هو ذا السادات يبعث فيه الحياة من جديد . لقد كان ينظر الى السادات على أنه سيده وولي نعمته . وبالتالي فلا يجوز له أن يعارضه أو يعصي أمرا من أوامره .

٣ ـ شخصيته الضعيفة

ـ لقد كان لطرد أحمد اسماعيل من الخدمة في القوات المسلحة مرتين حلال عهد جمال عبد الناصر . أثر كبير على اخلاقه . لقد اصبح بعد ذلك يخشى المسؤولية واتخاذ القرارات . واصبح يفضل أن يتلقى الأوامر وينفذها على أن يصدرها . وقد زاد في ترسيخ هذه الصفات الحادث

الذي يتعلق بقيام العدو بسرقة محطة رادار كاملة من منطقة البحر الأحمر في ديسمبر ٦٩ · ومع أن هذه الواقعة حدثت بعد عزله من منصب ر ا ح ق م م بثلاثة شهور . فإن اسمه كان قد ذكر أثناء التحقيق في هذا الحادث على أساس أنه اتخذ قراراً نتج عنه اعطاء الفرصة للعدو لتنفيذ هذه العملية ·

ـ لقد وقع حادث سرقة الرادار خلال فترة حرب الاستنزاف . وكان العدو خلال النصف الثاني من عام ٦٩ يستخدم قواته الجوية في قصف وتدمير أهدافنا الحيوية بصفة عامة وأهداف ومواقع الدفاع الجوي بصفة خاصة . ورغبة منا في امتصاص بعض هجمات العدو الجوية فقد أقمنا بعض المواقع الهيكلية لمواقع الرادارات والدفاع الجوي . ولكن هذه المواقع الهيكلية لم تخدع العدو ولم يحدث قط أن قام بقصفها بينما استمر في قصف مواقعنا الأصلية · لقد كان أهم ما ينقص المواقع الهيكلية هو مظاهر الحياة التي لا يمكن توفيرها الا بالرجال (١) كان موقع الرادار الأصلي يشغله حوالي ٣٠٠ رجل (فنيون . أطقم رشاشات ومدافع مضادة للطائرات . وعناصر ادارية الخ) بينما كان الموقع الهيكلي ليس به فرد واحد · وهنا فكر أحد القادة المحليين في منطقة البحر الأحمر لماذا لا ننقل الرادار الأصلي ومعه عشرة أفراد فقط . لتشغيله . الى الموقع الهيكلي بينما ننقل الرادار الهيكلي الى الموقع الاصلي ؟ » لقد اعتقد هذا الضابط أنه بفكرته هذه سوف ينجح أيضا في خداع وسائل استطلاع العدو الالكترونية التي تحدد مواقع راداراتنا نتيجة النبضات التي ترسلها اثناء التشغيل اعتمادا على ان المسافة بين الرادار الأصلي والرادار الهيكلي حوالي كيلومتر واحد . وان هذه المسافة التي تعتبر قصيرة نسبياً يمكن أن تنخدع بها وسائل الاستطلاع الالكتروني . ولاسيما اذا كانت نتائجها تتعارض مع ظواهر الحياة الأخرى التي يحصل عليها العدو نتيجة التصوير الجوي · وكأية أفكار جديدة فقد أرسلت الفكرة الى القيادة العامة للحصول على موافقة رئيس أركان حرب القوات المسلحة فوافق على الفكرة · لم ينخدع العدو بهذه الاجراءات وقام بعملية اغارة ليلية على الرادار المنعزل الذي كان هدفاً مثالياً لعملية اغارة ناجحة · فطبقاً لنظام الخدمة والراحة لم يكن مستيقظاً لحراسة الرادار سوى فردين . بينما كان الثمانية الآخرون نائمين · قام العدو بهجوم ليلي مفاجيء اشترك فيه ٦٠ رجلاً فقتل الحارسين وقتل وأسر باقي أفراد الطاقم ثم سرق الرادار وعاد به . وقد حدث ذلك كله في سكون وهدوء لم يتنبه له الموقع الأصلي الذي كان يبعد عن موقعه كيلومتراً واحداً ·

٤ ـ كان رجلاً مريضاً

ـ لقد كان أحمد اسماعيل رجلاً مريضاً وكان السادات يعلم ذلك · لقد مات أحمد اسماعيل بمرض السرطان في ديسمبر ٧٤ في مستشفى ولنجتون في لندن وقد سجل الأطباء في

(١) لقد أخذنا درساً من هذا الموضوع لنستفيد منه خلال حرب اكتوبر ٧٣ وذلك عند بناء الكباري الهيكلية · لقد كانت الكباري الهيكلية التي استخدمناها خلال حرب اكتوبر تماثل تماما الكباري الحقيقية فيما عدا ان حمولتها كانت ٤ أطنان بدلاً من ٨٠ طناً · ولخلق الحياة على هذه الكباري قمنا باستخدامها في عمليات العبور الخفيف أي العربات الخفيفة التي يقل وزنها عن ٤ أطنان . وبالتالي قامت بواجبها على الوجه الأكمل وقام العدو بتركيز هجومه عليها بالدرجة نفسها التي كان يهاجم بها الكباري الأصلية ·

تقريرهم الطبي أن اصابته بهذا المرض لا بد وأنها كانت واضحة وظاهرة قبل ذلك بثلاث سنوات على الأقل . وفي احدى خطب الرئيس عام ١٩٧٧ . اعترف بأنه كان يعلم بمرض أحمد اسماعيل قبل واثناء حرب اكتوبر ٧٣ . وان الأطباء أخطروه بأن حالته الصحية لا تسمح له باتخاذ القرارات . وان مثل هذا الموقف يجب الا يمر دون مناقشة جادة . ان الصحة هي هبة من الله يشكر أصحابها ربهم على ما آتاهم به من فضله وكرمه . ولا يجوز لأحد أن يتباهى بها على غيره من المرضى . ولكن هل يعني ذلك أن نكلف المريض بما لا يستطيع ولا سيما اذا كان خطؤه نتيجة مرضه قد يعرض للخطر حياة الآخرين ؟ اننا لكي نمنح رخصة قيادة عربة خاصة لأحد الأفراد نقوم بإجراء الكشف الطبي عليه للتأكد من سلامة نظره وقدرته على قيادة السيارة حتى لا يعرض للخطر حياة الآخرين الذين يسيرون على الطريق العام . فكيف . والحال هكذا . نقوم بتعيين رجل مريض . لا يستطيع أن يتخذ قراراً . قائداً عاماً للقوات المسلحة ؟ أن اي خطأ يرتكبه هذا الرجل لن يؤثر على حياة آلاف المواطنين فحسب بل أنه قد يؤثر ايضاً على تاريخ ومستقبل أمة ! ان اعتراف السادات بتعيين احمد اسماعيل قائداً عاماً . وهو يعلم بمرضه . يعتبر جريمة كبرى يرتكبها بحق الشعب والوطن لا لشيء الا لكي يصون مصالحه الشخصية ونزعته الدكتاتورية .

٥ ـ كان شخصية غير محبوبة

كانت شخصية أحمد اسماعيل من الشخصيات غير المحبوبة بين أفراد القوات المسلحة . كانت مناقشاته مع الضباط والجنود تتسم بالخشونة والغلاظة . كان لا يعير اهتماماً للعوامل النفسية والمشكلات العائلية للأفراد . في الوقت الذي يهتم هو شخصيا بمشكلاته العائلية ويقبل الوساطة من الوزراء ورجال الدولة الأقوياء . ولقاء ذلك يطلب أيضا وساطتهم لخدمة أفراد عائلته . فكان ذلك يبعده عن قلوب الضباط والجنود .

٦ ـ كان على خلافات مع ر ا ح ق م م

كان الخلاف بين أحمد اسماعيل وبين سعد الدين الشاذلي هو أيضا من الأسباب القوية التي تدعو السادات الى تعيينه وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة . لقد كان السادات يطبق مبدأ « فرق تسد » الذي مارسه الحكام الطغاة منذ فجر التاريخ . ولهذه الاسباب كلها فإني أقرر ان ان تعيين أحمد اسماعيل وزيرا للحربية وقائدا عاما كان قرارا خاطئا . كان قرارا لا يخدم مصالح مصر بل يخدم مصالح السادات وطموحه فقط . لقد كان في استطاعتنا أن نحقق خلال حرب اكتوبر ٧٣ أفضل بكثير مما حققناه في هذه الحرب لو أن هناك قائدا عاما اكثر قوة وأقوى شخصية من الفريق أحمد اسماعيل . لو تيسر هذا لكان في امكاننا ان نكبح جماح الرئيس السادات ونرفض تدخله في الشؤون العسكرية البحته . لو تيسر هذا لما كان في استطاعه العدو إحداث ثغرة الديفرسوار . ولو افترض وحدثت الثغرة لكان في استطاعتنا ان نقضي عليها فور وقوعها . لو تيسر قائد عام قوي يستطيع معارضة السادات لاستمر القتال طبقا للأسلوب الذي نريده وليس طبقا للأسلوب الذي يختاره العدو .

ـ أني أشعر بالأسف وأنا أتكلم بمثل هذه الصراحة على رجل ميت ولكنه السادات هو

الذي دفعني الى ذلك . انه يريد ان يخفي الحقائق على الشعب فيدعي ان سبب الثغرة هو أنني ضيعت ليلة كاملة لكي أشكل فيها قيادة أناقش بها غريمي أحمد اسماعيل ، وهو ادعاء باطل لا أساس له من الصحة (١) . وبالإضافة الى ذلك فإن ما قلته هو حقائق وهو ملك التاريخ ، تاريخ مصر وتاريخ العرب ، وإني أرجو الله تعالى أن تتعلم الأجيال المصرية والعربية القادمة من تلك الاخطاء التي ارتكبها أسلافهم .

أحمد اسماعيل والمحسوبية

- إني أؤمن بضرورة تكافؤ الفرص ، وأؤمن بأن الحصول على وظيفة أو الترقي الى درجة أعلى يجب ان أن يخضع لكفاءة وقدرات الفرد دون أن يكون للوساطة والقرابة اعتبار في ذلك . وتطبيقا لهذا المبدأ فإنه لم يحدث مطلقا أنني قمت بدفع أحد أفراد عائلتي إلى أي منصب أو أية ترقية . وان مثل هذا التصرف يعتبر أمرا غريبا في مصر حيث الوساطة والقرابة هما من الأمور المعترف بهما في التعامل بين الأفراد على الرغم من كل ما يقال خلاف ذلك . ولتغطية مثل هذه الأفعال فإن الأشخاص ذوي السطوة والقوة يتبادلون الخدمات فيما بينهم فيقوم كل منهم بتأدية الخدمات والوسطات لعائلة الآخر وبذلك ينكر الجميع أن أيا منهم قد أدى خدمة لأحد أقربائه بطريق مباشر ، وتأييدا لذلك فانه يندر أن تجد أحدا من أبناء هذه الفئة المحظوظة لا يشغل منصبا ممتازا .

- بعد تعييني رئيسا للأركان وجدت نفسي هدفا لكثير من الوساطات ولكن حيث أني لم اكن أنتظر أية وساطة من أحد فقد كنت أرفض كل وساطة غير قانونية . كنت أدرس كل موضوع على حدة وأتخذ فيه القرار الذي يرضي ضميري ، ويتمشى مع العدل وروح القانون . ونتيجة لذلك فقد رفضت الكثير من الوساطات مما أثار ضدي بعضا من الشخصيات القوية . وكان من الحالات التي رفضتها حالة ابن اسماعيل فهمي الذي كان وقتئذ وزيرا للسياحة (٢) .

- لقد كان ابن اسماعيل فهمي جنديا في القوات المسلحة ، وفي أحد الأيام عُرضت عليّ مذكرة من هيئة التنظيم والإدارة تقترح إنهاء خدمة الجندي المذكور حيث انه مطلوب للعمل في هيئة المخابرات العامة فرفضت ، فقيل لي إنه أبن اسماعيل فهمي فقلت لهم حتى ولو كان ابن الرئيس السادات فإني لن اخالف القانون . حاول رئيس هيئة التنظيم ان يقنعني بأن هذه الحالة في حدود القاون اعتمادا على مادة في قانون التجنيد تعطي وزير الحربية الحق في إعفاء أي فرد أو مجموعة أفراد من الخدمة العسكرية الإجبارية اذا كان يقوم بعمل من الاعمال المهمة التي تساعد في المجهود الحربي ، وحيث أن المخابرات العامة تعتبر من الاجهزة المهمة في الدولة التي تساعد في المجهود الحربي فإن حالة هذا الجندي تعتبر في حدود القانون . لم أقتنع بهذا التفسير وقلت له « ان هذا سراف في التفسير ولا يتمشى مع روح

(١) القصة الكاملة عن الثغرة في الباب السابع من هذا الكتاب .

(٢) عين بعد ذلك وزيرا للخارجية اعتبارا من نوفمبر ٧٣ وظل يشغل هذا المنصب حتى نوفمبر ١٩٧٨ .

القانون .. ما هو هذا الدور المهم الذي سوف يلعبه ابن اسماعيل فهمي في المجهود الحربي ؟ لماذا لم نوافق على التماس وزير الكهرباء بإعفاء مهندسي الكهرباء - على الرغم من أنه لم يحدد اسماً معينا . وعلى الرغم من أنهم مطلوبون لإدارة شبكة الكهرباء التي هي في الواقع جزء مهم من المجهود الحربي ؟ لماذا لم نوافق على التماس وزير التربية والتعليم لإعفاء المدرسين على الرغم من أن عدم إعفائهم سوف يؤثر على عدد الفصول التعليمية الجديدة التي سوف يقوم بافتتاحها في العام الدراسي الجديد ؟ لم اقتنع بأن عدم إعفاء ابن اسماعيل فهمي قد يؤثر على المجهود الحربي للدولة . وبالتالي أشرت على المذكرة « لا أوافق » ووقعت على ذلك .

- وبعد حوالي يومين اتصل بي اللواء احمد زكي وكيل وزارة السياحة . وهو زميل قديم كان قد ترك القوات المسلحة منذ سنتين فقط . وكان قبل ذلك رئيسا لهيئة التنظيم والإدارة في القوات المسلحة ويعرف قانون التجنيد معرفة جيدة . كلمنى أحمد زكي في موضوع ابن اسماعيل فهمي فكررت له وجهة نظري وكرر هو نص المادة التي تعطي لوزير الحربية الحق في إعفاء من يتأثر المجهود الحربي نتيجة عدم إعفائهم فقلت له « حسنا يمكن للوزير أن يعفيه » فرد قائلا « ولكنك وضعت الوزير في مأزق بوضع رأيك هذا » ثم اقترح أن يعاد كتابة مذكرة جديدة وتعرض عليّ من جديد فاذا كنت ما أزال غير مقتنع بالموافقة فإني أفوض الأمر للوزير وبذلك أترك له الباب مفتوحا . ولكني رفضت هذا الاقتراح (١) .

- وقد علمت فيما بعد أن مذكرة أخرى بالموضوع عرضت على الوزير مباشرة دون أن تمر عليّ . وان احمد اسماعيل - الذي كان يعلم بالقصة من أولها الى آخرها - صدق على انهاء خدمة الجندي ابن الوزير اسماعيل فهمي حيث ان بقاءه في الخدمة وعدم نقله الى المخابرات العامة سوف يؤثران على المجهود الحربي للدولة . وبعد فترة وجيزة من نقل ابن اسماعيل فهمي الى المخابرات العامة قامت المخابرات العامة بإنهاء خدمته بها . وتمكن والده من أن يجد له وظيفة في نيويورك أكثر راحة وأوفر مالا ! وهكذا بينمكا كان أبناء مصر يقتحمون قناة السويس في اكتوبر ٧٣ ويموتون وهم يهتفون « الله أكبر » كان ابن اسماعيل فهمي وغيره من أبناء الطبقة المحظية في مصر يتسكعون في شوارع نيويورك وغيرها من المدن الاميركية والأوروبية . لم يكن أحمد اسماعيل ليقدم هذه الخدمة الى اسماعيل فهمي دون مقابل . لقد كانت صفقة مشتركة كان نتيجتها أن عين أبن احمد اسماعيل أيضا ضمن وفد مصر في الأمم المتحدة في نيويورك .

- لم أخلق من مشكلة ابن اسماعيل فهمي موضوع خلاف ومجابهة بيني وبين أحمد اسماعيل . لقد كان هناك مواضيع أخرى اكثر أهمية وأشد خطورة تستحوذ على تفكيري وجهودي . وهي إعداد القوات المسلحة للحرب . وكل ما هو دون ذلك يمكن التغاضي عنه ولو مؤقتا .

---

(١) يلاحظ أن اسماعيل فهمي لم يتصل بي قط . وبالتالي فإن موقفه من الناحية القانونية سليم ١٠٠٪ ولكن هذه القصة تبين بوضوح كيف تتم الوساطة بطريق غير مباشر .

- في خلال الأحد عشر شهرا التي قضاها أحمد اسماعيل وزيرا للخربية قبل حرب اكتوبر ٧٣ لم يكن هناك خلافات تذكر بيننا . كان كل منا يحاول ان يتحاشى هذه الخلافات بقدر ما يستطيع . لقد استمر في ممارسة سلطاته المباشرة على ادارة المخابرات الحربية وادارة شؤون الضباط . شأنه في ذلك شأن جميع من سبقوه في هذا المنصب . أما بخصوص العمليات فلم يكن هناك الا القليل لكي نناقشه . كانت لدينا خططنا التي أدخلنا عليها طبعا بعض التعديلات الطفيفة نتيجة للتطور المستمر في قوات العدو وفي قواتنا . ولكن جوهرها بقي كما هو (١) .

- في اثناء الحرب كان الموقف مختلفا . لقد قاسيت الكثير من كل من الرئيس السادات والفريق أحمد اسماعيل (٢) . كانا يعترضان على كل اقتراح أتقدم به وعندما يكتشفان بعد يومين او ثلاثة ان وجهة نظري كانت سليمة يكون الوقت قد فات . استمر الوضع على هذا الحال منذ ١٢ اكتوبر ٧٣ وحتى وقف اطلاق النار . بل وحتى بعد ذلك . لا بد أن السادات اقتنع بينه وبين نفسه أنه هو ووزير الحربية كانا على خطأ في قرارتهما الخاصة بإدارة العمليات الحربية وانني كنت على صواب . ولا شك ان السادات قد اقتنع بأنه لو عُرفت الحقائق لاهتز موقفه ولأصبح الفريق الشاذلي شخصية شعبية تهدد سلطانه وجبروته . وهنا عمد بعد الحرب الى أن يكيل اليّ اتهامات باطلة هو أول من يعلم ببطلانها لأنه هو خالقها . وسكت ولم أرد . لا عزوفا عن ذكر الحقيقة حيث أن هذه الحقائق ملك للتاريخ وليس من الأمانة إخفاؤها . ولكنني صمتُّ لأن الوقت لم يكن مناسبا لكي أتكلم . لم أكن أريد ان أحكي كيف خدع السادات أشقاءنا السوريين ! لم أكن اريد أن أعطيه الفرصة ليتهمني بأنني أعرقل جهوده للحصول على السلم المشرف الذي كان ينادي به . وهو الانسحاب الكامل من جميع الأراضي المحتلة واقامة الدولة الفلسطينية . اما الآن وبعد ان سقطت جميع الاقنعة فقد حان الوقت لكي أقول كلمة الحق للشعب العربي الكريم .

- كان أحمد اسماعيل أقل سوءا من السادات . انه لم يخف قط كراهيته لي في مقابلاته الخاصة ولكنه لم يهاجمني قط بطريقة علنية . لقد حكى لي أحد النقاد العسكريين الانجليز قصة طريفة عن هذا الموضوع بينما كنت سفيرا لمصر في لندن . لقد ذهب هذا الرجل ـ ولا أريد ان اذكر اسمه الآن ـ لمقابلة أحمد اسماعيل لمناقشته في بعض الأمور التي تتعلق بالحرب . وقد نصحه المصريون الذين رتبوا المقابلة بألا يذكر اسم سعد الشاذلي مطلقا خلال المقابلة . وكما قال لي هذا الناقد الانجليزي أخذ يتحاشى ذكر أسمي ولكنه وجد ان ذلك مستحيلا فاستخدم كلمة ر ا ح ق م م بدلا من ذكر أسمي . وعلى الرغم من ذلك فقد تجهم وجه أحمد اسماعيل وهاجمني بما فيه الكفاية . ومع ذلك كله فإن الله كبير ذو اقتدار يمهل ولا

---

(١) كما ورد في الباب الأول .

(٢) التفاصيل جميعها واردة في الباب السابع .

يهمل ولا بد أن يظهر الحق مهما طال الظلام · واليكم القصة التالية التي تظهر قوة الخالق وعظمته :

ـ بينما كنت سفيرا لمصر في لندن حضر أحمد اسماعيل الى لندن للعلاج خلال عام ٧٤ ـ وقد قمت بزيارته في المستشفى عددا من المرات · وفي زيارتي الاخيرة له كانت حالته قد تدهورت ولا بد انه شعر بقرب منيته . وأراد ان يطهر نفسه من الاوزار التي ارتكبها ضدي فقال « أنني أعلم انك كنت هدفا لهجوم شرس وظالم . ولكني أريد ان أؤكد لك انني لست انا الذي وراء ذلك · انه الرئيس والرئيس شخصيا · وحتى الفيلم التسجيلي الذي اعددناه عن حرب اكتوبر . فقد أمر باسقاط اسمك وصورك منه . ولكني قلت له ان سعد الشاذلي جزء من تاريخ هذه الحرب ولا يمكن اسقاطه · وقد تمكنت بصعوبة أن اقنعه بان نظهر في عدد من الصور » · كنت أنظر الى رجل يتكلم وهو على فراش الموت وشعرت وقتئذ بتفاهة الحياة وقلت لنفسي لماذا يتصارع الناس في هذه الحياة ؟ ان الصراع الشريف هو في مصلحة البشرية اما الصراع غير الشريف والادعاء الباطل على الخصوم فهما عملان لا أخلاقيان سوف يحاسب الفرد عليهما في دنياه وفي آخرته · اللهم لا شماتة . اللهم انت القوي الأكبر اللهم وفقني لأن أقول كلمة الحق والا أظلم احدا أبدا · نظرت الى الرجل المريض وهو على فراش الموت وقلت له « الله أعلم بالحقائق والأسرار كلها · انه يعلم أيضا ما نجهر به وما نخفي . الله يجازي كل فرد منا بقدر ما يعلمه عنه » هل نسي السادات الذي يطلق على نفسه لقب الرئيس المؤمن انه سيرقد يوما ما على فراش الموت وانه سوف يمر امام نظره شريط من الأخطاء والمظالم التي اقترفها في حياته وان التوبة لن تقبل منه وهو على فراش الموت · ان الايمان هو علاقة بين المرء وخالقه ولا يمكن ان يكون بقرار جمهوري يصدره الحاكم ليضيف لنفسه لقبا جديدا · ان الايمان الحقيقي هو صفة لا يعلمها الا الله عز وجل حيث انه هو الذي يعلم ما في أعماق قلوبنا ·

(الفصل العشرون)

ماذا بعد إقالة صادق

إنشاء ٣٠ مصطبة جديدة

ـ بعد أيام قليلة من تعيين أحمد اسماعيل وزيراً للحربية . تم تخصيص ٢٣ مليون جنيه مصري من ميزانية الطوارىء لإتمام التحصينات · وإن الأمانة التاريخية تقضي بأن أقرر هنا أن الفريق صادق قد سبق له أن طلب أعتماد هذا المبلغ للغرض نفسه ولكنه لم يوفق في الحصول على التصديق المالي · لقد كنا نطلب هذا المبلغ لإنشاء مصاطب على الضفة الغربية ولتعلية الساتر الترابي الذي في ناحيتنا . وكان هذا هو الذي دفع اللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث الى إثارة هذا الموضوع اثناء اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم ٢٤ اكتوبر ٧٢ . وأثار غضب الرئيس السادات ـ وبعد أن حصلنا على الاعتماد المالي بدأنا فوراً بالعمل الجاد لتنفيذ هذه التحصينات · وقبل نهاية عام ٧٢ كنا قد بنينا ٣٠ مصطبة يصل

ارتفاع كل منها الى ٢٣ مترا . وتحتوي الواحدة منها على ١٨٠٠٠ متر مكعب من الأتربة . كانت هذه المصاطب تشكل أحد التجهيزات الهندسية الهامة لخدمة الخطة الهجومية . فقد كنا نستهدف أن نحتل هذه المصاطب بواسطة الدبابات والأسلحة المضادة للدبابات الموجهة ATGWS . وذلك لتقديم العون اللازم لمشاتنا أثناء عملية الاقتحام وتدمير الدبابات المعادية التي تحاول الهجوم المضاد عليها . وعلاوة على ذلك فقد كانت هذه المصاطب توفر لنا مراقبة جيدة لكل ما يجري في الجانب الآخر .

ضابط ينتقد الرئيس السادات

- بعد إقالة صادق وقع حادثان مهمان يبينان أنه كان هناك ضباط آخرون يشاركون صادق آراءه فيما يتعلق بالحرب . وقع الحادث الأول يوم ٢٩ أكتوبر . أي بعد يومين فقط من الإقالة . إذ أخبرني اللواء سعيد الماحي قائد المدفعية - وهو حالياً كبير ياوران الرئيس السادات - في الساعة الخامسة بعد ظهر ذلك اليوم أن أحد ضباط المدفعية انتقد علناً رئيس الجمهورية . لقد وقع هذا الحادث في مدرسة المدفعية عندما كان قائد المدرسة يقوم بتوعية الضباط عن الأحداث الأخيرة (١) . وأثناء قيام قائد مدرسة المدفعية بالتلقين علق الضابط قائلاً « طيب وهو رئيس الجمهورية يعرف حاجة » . وقد شكل مجلس تحقيق للتحقيق مع الضابط المذكور فيما نسب إليه ولكنه أنكر - أو بمعنى أصح أوحي إليه بأن ينكر - حتى يمكن حصر الموضوع في أضيق نطاق . وقد قبل إنكار الضابط ولم يحاول المجلس التعمق في البحث والاستقصاء عن حقيقة ما قاله . وهكذا حفظ الموضوع .

انقلاب فاشل بقيادة اللواء علي عبد الخبير

- أما الحادث التالي فقد وقع بعد الحادث الأول بأقل من أسبوعين ولكنه كان أكثر خطورة وأبعد أثراً . لقد كان محاولة انقلاب كاملة يشترك فيها بعض كبار الضباط وبعض ضباط المخابرات الحربية . فقد حدث أن ضابطاً برتبة نقيب من المخابرات الحربية وقع على معلومات جعلته يشك بأن هناك بعض ضباط المخابرات يتعاونون مع المتآمرين . فأبلغ شكوكه الى أحد أصدقائه الذي قام بدوره بإبلاغها إلى الرئيس . وبعد أن استمع السادات إلى قصة هذا النقيب ازدادت شكوكه بإدارة المخابرات الحربية وأخذ يعتمد أكثر فأكثر على المخابرات العامة والمباحث العامة . وقد أكدت المراقبة بأن ضباطاً من المعروفين بولائهم لصادق

---

(١) جرت العادة في القوات المسلحة المصرية أن يتم توعية الضباط بالأحداث المهمة وتتم هذه التوعية من أعلى الى أسفل . أي أنه يتم توعية القادة وتحدد لهم النقاط الرئيسية ، ثم يقوم هؤلاء بتوعية ضباطهم وقد كانت النقط الرئيسية للتوعية في ذلك اليوم هي :

- لم يطلب الروس إبعاد الفريق صادق .
- إن قرار طرد المستشارين الروس قرار تابع من الرئيس شخصيا .
- ان سبب إقالة صادق هو ان الرئيس كان قد سبق ان كلفه بمهمة قتالية واتضح له اثناء اجتماع المجلس الأعلى يوم ٢٤ اكتوبر أنه لم ينفذ المهمة .

يجتمعون ولكن اجتماعاتهم ومقابلاتهم كانت تتم تحت إجراءات أمن مشددة ولم تستطع المخابرات العامة أو المباحث العامة أن تعلم بما يدور داخل هذه الاجتماعات · لقد زادت هذه المعلومات من شكوك الرئيس فرأى عدم الانتظار حتى يتم الحصول على قرائن تدل على التآمر وقرر أن يضرب التنظيم المشتبه به قبل أن يستفحل الأمر ·

- في الساعة ١٧٤٥ يوم ١١ نوفمبر ٧٢ ذهبت لمقابلة السيد الرئيس في منزله بالجيزة بناء على طلبه . وبعد حوالي نصف ساعة انضم إلينا ممدوح سالم وزير الداخلية (١) وبعد حوالي نصف ساعة أخرى انضم الينا عزت سليمان نائب مدير المخابرات العامة (٢) · وقد قرأ علينا عزت سليمان المعلومات المتيسرة لديهم عن تنظيم سري في القوات المسلحة يسمى « إنقاذ مصر » ·

- قبل أن أحكي قصة هذا الانقلاب الفاشل يجب أن أؤكد مرة أخرى أن آراء صادق التي أوضحها في اجتماع ٢٤ اكتوبر وأيده فيها كل من الفريق عبد القادر حسن واللواء علي عبد الخبير . كان يؤمن بها الكثيرون من ضباط القوات المسلحة · لقد كانوا يعتقدون أن هناك قوة سياسية خفية تريد أن تدفع القوات المسلحة المصرية إلى الحرب قبل أن تستكمل استعداداتها . بهدف تدميرها · فإذا دمرت القوات المسلحة فسوف يسقط النظام الحاكم وتعم البلاد الفوضى وبذلك يصبح الجو ملائماً لانتشار الشيوعية في مصر ومنها الى العالم العربي · لقد سمعت هذا الرأي من صادق عدة مرات قبل مؤتمر ٢٤ اكتوبر ٧٢ ولم أقبله قط . وكان ذلك من مواضيع الخلاف الرئيسية بيني وبينه · ومع ذلك فإني لم أشك مطلقاً في شجاعته ووطنيته . أو أنه كان يقوم بهذه اللعبة لحساب جهة أجنبية أخرى · لذلك فقد حزنت كثيراً عندما سمعت السادات يتهمه أمامي بأنه ألعوبة في يد الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية وعميل له ·

- ولقد اندفع الرئيس الى ابعد من ذلك فقال إنه يحصل على المال والذهب والهدايا الثمينة من الملك السعودي وفي مقابل ذلك فأنه يقوم بتنفيذ كل ما يأمره به وقد أيد ممدوح سالم ما يقوله السادات وعلق على ذلك قائلاً « ألم أقل لك هذا منذ زمن بعيد يا سيادة الرئيس ؟ » لم أكن في وضع يسمح لي بأن أؤيد أو أنفي ما يقولون . فكنت أستمع وأنا صامت ولكني كنت أشعر بالحزن والأسى · إني أعرف صادق منذ أن كنا في العشرينات من عمرنا وعلى الرغم من خلافاتنا في الرأي ونحن في الخمسينات من عمرنا فإني لا أتصور مطلقا أن صادق عميلا · وبينما كان السادات يكيل الاتهامات له خلال هذا اللقاء . تذكرت فجأة الكتاب الذي كان السادات قد أرسله الى الملك فيصل قبل ذلك بعام وكان يقول فيه له أنه يثق بصادق ثقة مطلقة · لم يكن السادات يعلم أن صادق قد أطلعني على هذا الكتاب . ولم أشأ أن أثير هذا

---

(١) عين ممدوح سالم رئيسا للوزارة اعتبارا من ابريل ١٩٧٥ ، واستمر يشغل هذا المنصب حتى اكتوبر ٧٨ ·

(٢) بعد تعيين أحمد اسماعيل وزيرا للحربية بقي منصب رئيس هيئة المخابرات العامة شاغرا لعدة شهور ، وكان عزت سليمان هو الذي يتابع شؤون الفرع الخاص بالامن الداخلي · وقد نقل في اوائل عام ٧٣ الى وزارة الخارجية ·

الموضوع في مثل هذا الجو الصاخب (١) . ولكني كنت أشعر في قرارة نفسي بالأسى والاشمئزاز من هذا الأسلوب الرخيص في مهاجمة الخصوم .

ـ كانت الساعة العاشرة مساء عندما غادرنا نحن الثلاثة ـ ممدوح سالم وأنا وعزت سليمان ـ منزل الرئيس في الجيزة بعد أن تلقينا تعليمات الرئيس بالقبض على المشتبه بهم واستجوابهم . ذهبنا إلى مبنى هيئة المخابرات العامة باعتبارها صاحبة الخيط الرفيع . وعلى أساس الاعتقاد بأن إدارة المخابرات الحربية هي نفسها متورطة في العملية . وقد مكثنا في المخابرات العامة طوال الليل حيث استدعيت إلى هناك المدعي العسكري العام وأصدرت عدداً من الأوامر بالقبض على المشتبه بهم . وكانت الساعة الخامسة صباحاً عندما انتقلت من المخابرات العامة إلى مكتبي لكي أحصل على ساعتين من النوم قبل أن استأنف عملي في الصباح . وفي هذا اليوم نفسه أصدر الرئيس السادات أمراً بطرد اللواء محرز مدير إدارة المخابرات الحربية . وباستمرار التحقيق خلال يوم ١٢ نوفمبر ظهرت الحاجة لاستجواب أسماء جديدة . وبالتالي إصدار أوامر جديدة للقبض على عدد آخر من الضباط .

ـ اضطررت للسفر إلى الكويت بعد ظهر يوم ١٣ نوفمبر لحضور اجتماع اللجنة المشكلة من عدد من أعضاء مجلس الدفاع المشترك . وعدت بعد ظهر يوم ١٥ نوفمبر دون انتظار انتهاء أعمال اللجنة . لقد كان استجواب أفراد تنظيم « إنقاذ مصر » ما زال مستمراً . وفي خلال ليلة ١٥ / ١٦ نوفمبر طلب إليّ المدعي العسكري العام أن أصدر أمراً بالقبض على اللواء علي عبد الخبير الذي كان قائداً للمنطقة العسكرية منذ أسبوعين فقط نظراً لأن التحقيقات قد أظهرت ارتباطه وتورطه في هذه العملية . وفي تلك الليلة تم القبض على عبد الخبير كما تم القبض على عدد آخر من القادة من بينهم العقيد عمران وهو قائد فرقة مشاة ميكانيكية والعقيد أحمد عبد الوهاب وهو رئيس اركان فرقة ميكانيكية والمقدم عادل وهو ضابط أركان حرب يعمل في وزارة الحربية . والمقدم عصام وهو قائد مجموعة صاعقة . لقد اتسع التحقيق واتضح لنا مدى خطورة الموقف من حيث عدد الضباط من ذوي الرتب الكبيرة والمناصب الحساسة الذين كانوا يعدون لهذا الانقلاب .

ـ بعد طرد اللواء محرز من وظيفته كمدير لإدارة المخابرات الحربية يوم ١٣ نوفمبر انتقل التحقيق من المخابرات العامة إلى المخابرات الحربية حيث أن المقبوض عليهم كلهم كانوا من العسكريين كما وأن المحقق هو المدعي العسكري العام . وبعد ظهر يوم ١٦ نوفمبر قمت بزيارة مكان التحقيق لكي ألم بآخر التفاصيل . وهناك أطلعت على اعتراف كامل كان قد أدلى به اللواء علي عبد الخبير والمقدم عادل . لم أكن أصدق عيني وأنا أقرأ اعترافات علي عبد الخبير التي وقع عليها بإمضائه الذي كنت أعرفه جيدا فطلبت أن أقابله شخصيا . فلما حضر أمامي سألته بأسلوب أخوي « هل قمت يا علي بالإدلاء بهذه الأقوال والتوقيع عليها بمحض إرادتك ودون أي ضغط أو تهديد » فقال نعم . لقد كان علي عبد الخبير رجلا شهماً في اعترافه

---

(١) انظر الباب الثالث الفصل السابع عشر

لقد أراد أن يتحمل المسؤولية كلها ليعفي الآخرين جميعهم من المسؤولية · وعلى الرغم من خلافنا في الرأي فقد كنت أنظر اليه كصديق وزميل . وزادني موقفه الشجاع اثناء التحقيق احتراماً له · اختليت بالمدعي العسكري العام وقلت له إني رأيت بنفسي علي عبد الخبير وإن منظره لا يدل على وقوع أي اعتداء جسماني عليه . ولكني أريد أن أؤكد أنه لا يجوز أيضاً استخدام التهديد أو الوعيد . وأنه هو وزملاءه يجب معاملتهم بمنتهى الاحترام والتقدير اللذين تمليهما رتبهم العسكرية · أكد لي أنه هو شخصياً يؤمن بكل كلمة قلتها وأنه على استعداد لأن يحضر أي شخص آخر لكي أتأكد بنفسي بأنه لم يمارس الضغط على أحد . ولكني اكتفيت بأقواله · لقد كانت الاعترافات واضحة وتبين عملية انقلاب محبوكة الأطراف · كانت خطتهم هي أن يقوموا بالعملية ليلة ٩ نوفمبر . وقد اختاروا هذه الليلة بالذات لأنها كانت الليلة المحددة لعقد قرآن ابنتي ناهد · وكانت الخطة تقضي بأن تهاجم وحدة منهم مكان عقد القران فتعتقل الموجودين كلهم . ولا بد أن يكون من بينهم رئيس الجمهورية ووزير الحربية ورئيس الأركان والكثيرون من الوزراء وكبار الضباط · ولكنهم فوجئوا باحتياطات أمن مشددة لحراسة المنطقة مما جعلهم يؤجلون تنفيذ العملية الى وقت آخر ·

ـ كنت مدعواً في مساء يوم ١٦ نوفمبر لحضور حفل زفاف السيد عبد المنعم الهوتي وهو أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة الليبية . كان الحفل يجري في نادي الرماية بالهرم وكان الرئيس السادات يحضر هذا الاحتفال · انتحيت بالرئيس جانباً وأخبرته بآخر التفصيلات والاعترافات بخصوص الانقلاب الفاشل . وبعد حوالي ساعتين هم الرئيس بالانصراف فنزل معه المضيف لتوصيله إلى عربته بينما بقيت أنا في الدور العلوي أعد نفسي للرحيل وانتظر عودة الداعي لكي أسلم عليه · وبينما أنا واقف أتحدث الى بعض المدعوين اذا بأكثر من شخص يصرخ « سيادة الرئيس عايزك » فنزلت الى الدور الأرضي وعند وصولي الى الباب كان الرئيس قد غادر المكان تاركاً من يبلغني بأن أتبعه مباشرة الى منزله في القبة · وفجأة وجدت نفسي داخل عربة من عربات الحراسة . ألاحق ركب الرئيس فوصلت عقبه . وبينما كان يصعد سلم منزله كنت قد لحقت به ·

ـ قال الرئيس « أنت شغلتني قوي يا سعد بالكلام اللى قلته » لقد بدأ يشعر بأبعاد المؤامرة ولكني طمأنته وأكدت له بأنه قد تم القبض على جميع الرؤوس المدبرة · وعلى الرغم من أن اسم الفريق صادق لم يرد ذكره مطلقاً على لسان أي من الذين جرى التحقيق معهم فقد كان واضحاً أن المقبوض عليهم جميعهم يدينون بأفكاره نفسها وأنهم كانوا ينوون القيام بانقلابهم لأنهم كانوا يعتقدون أنهم بذلك يؤدون عملاً وطنياً لبلادهم · قال الرئيس « لقد كان صادق يخدعني فيما يتعلق بالأشخاص وكان يزرع رجاله في المناصب الهامة ويستبعد من يختلف معه في الرأي · ما رأيك في عادل سوكه ؟ » فقلت له إنه ضابط جيد فقال « ابعث هاته من تركيا · بكره تبعت تجيبه » (١) فقلت له « سيادة الرئيس · إذا قبلت نصيحتي فإني أقترح

(١) كان عادل سوكة في ذلك الوقت ملحقاً عسكريا في تركيا وكان قبل ذلك قائدا للفرقة المدرعة ٢١ ·

تأجيل ذلك » فاستوضح الرئيس « لماذا ؟ » فقلت له « كان الفريق صادق للأسف يتهم كل من يختلف معه في الرأي بأنه شيوعي . لقد قاسيت أنا نفسي من هذه التلميحات . فإذا نحن أحضرنا عادل سوكة في مثل هذه الظروف فقد يجري تفسير هذا التصرف في القوات المسلحة تفسيراً خاطئاً » فهز الرئيس رأسه موافقاً وقال « اعتقد أنك على حق . أجل هذا الموضوع الآن » ناقشنا بعض المواضيع الأخرى التي تتعلق بتأمين القوات المسلحة واستغرقت مناقشتنا لهذه المواضيع حوالي نصف الساعة . عدت بعدها مرة أخرى إلى نادي الرماية لكي آخذ زوجتي وننصرف من الحفل .

الباب الخامس

العلاقات المصرية ـ السوفياتية
في عهد السادات

150

التعاون المشوب بالحذر

تسهيلات الأسطول السوفياتي في الموانيء المصرية

- في الساعة ٢٠٠٠ يوم ١٩ مايو ٧١ اجتمع وفد عسكري سوفياتي مع وفد عسكري مصري لبحث التسهيلات البحرية التي يطلبها الجانب السوفياتي في الموانيء المصرية . كان الوفد السوفياتي برئاسة الجنرال يفيموف وعضوية الأدميرال باسيلي والجنرال أوكينيف . وكان الوفد المصري برئاسة الفريق صادق وزير الحربية وعضوية اللواء الشاذلي ر ا ح ق م م والعميد أمير الناظر الأمين العام لوزارة الحربية . كان الجانب السوفياتي يطلب زيادة في التسهيلات البحرية التي كان يمارسها فعلاً . وكانت هذه الطلبات الجديدة تشمل ما يلي :

مرسى مطروح

١ - تعميق الميناء ثمانية أمتار أخرى .
٢ - بناء أو تأجير أماكن لايواء الأفراد بحيث تكون قريبة من الميناء . وبحيث تكفي لايواء ٢٠٠٠ رجل و١٦٠ عائلة .
٣ - بناء مطار على مسافة ٣٥ - ٤٠ كيلو متراً غرب الميناء .
٤ - رفع كفاءة المطار الحالي في مرسى مطروح بحيث يصبح قادراً على استيعاب لواء جوي سوف يتم ارساله من الاتحاد السوفياتي لتأمين الميناء .
٥ - بناء محطة رادار على مسافة ١٠٠ كيلو متر شرق مرسى مطروح . وأخرى على مسافة ١٠٠ كيلو متر غربها .

الاسكندرية

طلب الجانب السوفياتي تدبير مبنى واحد كبير أو مجموعة من المباني المتجاورة حتى يمكنهم أن يجمعوا فيها عائلات رجال بحريتهم المتناثرة داخل مدينة الاسكندرية . كان المطلوب هو تدبير مكان مجمع يتسع لـ ٢٠٠ عائلة . وقد اقترحوا الحصول على فندق سان ستيفانو .

- أجابهم الفريق صادق بأن هذه الطلبات لها جانب سياسي وأنه لا يستطيع البت في هذه الأمور قبل بحث الموضوع مع السيد الرئيس وسيكون جاهزاً للرد على هذه التساؤلات بعد حوالي أسبوع . وبعد انتهاء اللقاء طلب مني الوزير أن أشكل لجنة برئاستي لبحث هذه المطالب . وكان بين أعضاء هذه اللجنة اللواء بغدادي قائد القوات الجوية واللواء محمود فهمي قائد القوات البحرية . وبعد عدة لقاءات تقدمنا بالاقتراحات التالية :

١ - الموافقة على إعطاء البحرية السوفياتية تسهيلات في ميناء مرسى مطروح تشابه التسهيلات الممنوحة لها في كل من الاسكندرية وبورسعيد .

٢ ـ عدم تخصيص أية منطقة محددة لخدمة الوحدات السوفياتية حتى لا يأخذ ذلك شكل قاعدة سوفياتية ٠

٣ ـ الموافقة على تمركز لواء جوي سوفياتي في مرسى مطروح شريطة ألا تقتصر مهمته على الدفاع عن القاعدة البحرية بل تمتد مسؤوليته لكي تشمل الدفاع عن الأراضي المصرية ما بين غرب الاسكندرية وحتى الحدود المصرية الليبية ٠ وأن يكون اللواء الجوي السوفياتي تحت القيادة المصرية ٠

٤ ـ يكون بناء اللواء الجوي السوفياتي في مرسي مطروح بصفة مؤقتة والى أن تصبح القوات الجوية المصرية قادرة على تحمل مسؤولية الدفاع الجوي عن المنطقة غرب الاسكندرية وتقوم بتخصيص لواء جوي مصري لكي يعفي اللواء الجوي السوفياتي من هذه المهمة ٠

ـ قمت بتسلم مقترحات اللجنة الى السيد الوزير الذي عرضها بدوره على السيد الرئيس ثم عاد الينا ليقول إن الرئيس وافق على تلك المقترحات وأوصى بأن تكون الاتفاقية لمدة ٥ ـ ١٠ سنوات ٠

ـ اجتمع الوفد العسكري السوفياتي والوفد العسكري المصري مرة أخرى يوم ٢٧ مايو وكان رئيس الوفد السوفياتي في هذه المرة هو الجنرال باڤلوفسكي ، وهو أحد أفراد وفد الرئيس بودجورني الذي كان في زيارة رسمية لمصر ما بين ٢٥ و ٢٨ مايو ٧١ (١) ٠ أخبرنا الجانب السوفياتي « أن الرئيس السادات شخصياً كان قد طلب خلال زيارته الأخيرة لموسكو أن نستخدم ميناء مرسى مطروح وأن الفريق فوزي وزير الحربية السابق كان معه في هذه الزيارة وأكد الطلب وأن كل ما نطلبه الآن هو وضع ترتيبات أسلوب إعاشة الأفراد الذين يستخدمون هذه الميناء وتأمين راحتهم ٠ إن الدفاع عن السفن أثناء تواجدها في الميناء يستلزم وجود لواء جوي ، وإن الدفاع عن اللواء الجوي أثناء تواجده على الأرض ، يستلزم وجود لواء صواريخ مضاد للطائرات » ٠ قدم الجانب السوفياتي مقترحاته وقدمنا مقترحاتنا المضادة وطالت المفاوضات والأخذ والرد يومي ٢٧ و ٢٨ مايو دون الوصول الى أي اتفاق ٠ وفي يوم ٢٩ مايو عاد الوفد العسكري السوفياتي الى بلاده دون التوقيع على أي اتفاق ٠

ضبط شبكة اميركية تتجسس على السوفيات في مصر

ـ في خلال الأسبوع الأول من سبتمبر ٧١ تمكنت المخابرات المصرية من القبض على شبكة تجسس أميركية ، وكان المتهم الرئيسي في هذه الشبكة هو طناشي راندوبولو وهو مصري الجنسية من أصل يوناني ، أما العنصر الأميركي في الحلقة فقد كانت الآنسة سوآن هاريس وهي أميركية الجنسية وكانت تعمل في قسم رعاية المصالح الأميركية في القاهرة (٢)٠ أدلى

---

(١) في يوم ٢٧ مايو تم توقيع كل من الرئيس بودجورني والرئيس السادات على معاهدة صداقة بين الاتحاد السوفياتي ومصر مدتها ١٥ سنة ٠

(٢) لم يكن هناك علاقات دبلوماسية بين مصر واميركا ، ولكن كان هناك قسم لرعاية المصالح الأميركية ٠

طناشي بعد القبض عليه باعتراف كامل أظهر فيه أن المعلومات جميعها التي حصل عليها كانت من أفراد سوفيات من بين أصدقائه العديدين في قاعدة جاناكليس الجوية وأنه كان يقوم بإبلاغ تلك المعلومات الى الآنسة سو في السفارة الاميركية . وقد بدأت علاقته مع المستر بيليكوف BELEKOV الذي خدم بالقاعدة من سنة ٦٩ حتى ٧١ وبعد عودته الى الاتحاد السوفياتي أرسل له كتاباً يقدم فيه خلفه فيكتور VICTOR

وتوطدت صداقة متينة بين فيكتور وطناشي إلى أن تم القبض عليه . وعن طريق فيكتور تعرف على يوري (مساعد فيكتور) وأصبحوا يتزاورون فقام هو بدعوتهم إلى العشاء في منزله عدة مرات كما أنهم قاموا بدعوته إلى العشاء في القاعدة . وقد تجول داخل القاعدة بما في ذلك غرفهم الخاصة .

- كان من بين اعترافات طناشي ما يلي .

١ - أنه زار أحد مستودعات (هناجر) الطائرات الخرسانية (كانت مصر أول دولة في العالم تقوم ببناء هذه المستودعات الخرسانية وذلك لوقاية طائراتنا من أي هجوم جوي مفاجيء بعد أن دمرت قواتنا الجوية وهي على الأرض مرتين : المرة الأولى من قبل بريطانيا أيام الاعتداء الثلاثي عام ١٩٥٦ . والمرة الثانية من قبل إسرائيل عام ١٩٦٧) .

٢ - أنه حضر فيلماً عن الجاسوسية مع جميع أفراد القاعدة .

٣ - أن لديهم في روسيا رادارات أفضل بكثير من الرادارات الروسية الموجودة في مصر .

٤ - أن المصريين غير مستعدين وغير جاهزين للحرب الآن . وقد يمر وقت طويل قبل أن يصبحوا قادرين على استئناف القتال من جديد .

٥ - أن هناك أسراباً جوية سوفياتية أخرى في مصر غير تلك التي في قاعدة جاناكليس وأن تلك القواعد مدافع عنها بصواريخ سام ٤ وسام ٦ أما قاعدتهم في جاناكليس فمدافع عنها بصواريخ سام ٢ وسام ٣ .

- ولقد قرر الرئيس السادات ألا نضخم هذا الموضوع . وأن يُكتفى بإبلاغ السوفيات بذلك . وفي يوم ١٢ سبتمبر استدعيت كبير المستشارين السوفيات في مصر وأبلغته القصة كاملة . وطلبت منه أن يلفت نظر جميع الضباط والجنود السوفيات لضرورة مراعاة احتياطات الأمن . والعمل على تلافي وقوع مثل هذا الحادث مستقبلاً . وأضفت قائلاً « إننا على يقين من أن جميع المعلومات التي سلمها طناشي بابادوبلو الى الآنسة سو آن هاريس سوف تجد طريقها الى إسرائيل . ورغبة في الحفاظ على العلاقات الطيبة بين بلدينا نقية وخالية من أية شوائب فقد أمر السيد الرئيس بطيّ الموضوع تاركين لكم حرية التصرف في اتخاذ الاجراءات المناسبة ضد الأفراد السوفيات الذين تسببوا في تسرب تلك المعلومات . كما نرجو أن تتخذوا الإجراءات المناسبة التي تضمن عدم تكرار مثل هذا الحادث مستقبلاً » .

- وعد كبير المستشارين الروس بأن يتخذ الإجراءات المناسبة . وأخبرني في صباح اليوم التالي أن جميع الأفراد الذين وردت اسماؤهم في التحقيق قد تم ترحيلهم الى الاتحاد السوفياتي وأنه قد تم اتخاذ إجراءات أمن مشددة تمنع تكرار مثل هذا الحادث مستقبلاً .

- أما فيما يتعلق بالآنسة سو آن فقد أمر الرئيس بإخلاء طرفها بعد أيام قليلة من القبض

عليها . وهكذا لم يبق سوى طناشي ليكفر عما ارتكب من أفعال .

عقد صفقة أسلحة سوفياتية في اكتوبر ٧١

- طلب مني الفريق صادق أن أقدم له كشفاً بالأسلحة التي يتحتم الحصول عليها حتى يمكن تنفيذ « الخطة رقم ٤١ » . وفي ٦ سبتمبر ٧١ عقدت مؤتمراً لهذا الغرض اشترك فيه كل من قائد القوات الجوية وقائد الدفاع الجوي ورئيس هيئة العمليات ورئيس هيئة العمليات ورئيس هيئة التنظيم واستمرت الدراسة عدة أيام . وبعد أن اتفقنا على ما هو مطلوب حررت كشفاً بذلك وقدمته الى الفريق صادق .

- في ٢١ سبتمبر ٧١ سافر اللواء عبد القادر حسن واللواء عمر جوهر إلى موسكو لعقد المباحثات الأولية مع الجانب السوفياتي بخصوص صفقة اسلحة في حدود ١٣٠ مليون روبل . وفي ٨ أكتوبر سافر الفريق صادق على رأس وفد عسكري لإجراء المباحثات النهائية والتوقيع على الاتفاقية . وعاد من موسكو يوم ١٦ اكتوبر (١) . وفي يوم ١٧ أكتوبر عقد الفريق صادق مؤتمراً أعلن فيه أن الاتحاد السوفياتي سيقوم بإمدادنا بالأسلحة التالية :

١٠ طائرات TU16 مجهزة بصواريخ جو - أرض ذات مدى ١٥٠ كيلو متراً .

١٠٠ طائرة ميج ٢١ يتم تسليم نصف هذا العدد خلال عام ٧١ والباقي خلال ٧٢ .

٢٠ طائرة ميج ٢٣ خلال عام ٧٢ بطياريها السوفيات إلى ان يتم تدريب الطيارين المصريين على قيادتها .

فوج كوادرات (صواريخ مضادة للطائرات خفيفة الحركة تعرف في الغرب سام ٦)

كتيبة مدفعية ١٨٠ ميللمتر

كتيبة هاون ٢٤٠ ميللمتر

ثلاثة كباري PMP

وفي مجال انتاج الأسلحة أشار الوزير إلى أن الاتحاد السوفياتي سوف يقدم جميع المساعدات ليجعلنا قادرين على إنتاج الأصناف التالية :

المدفع ١٢٢ مم D 30

الرشاش ٢٣ مم المزدوج (ذو ماسورتين)

البندقية الآلية AKM

القاذف الصاروخي RPG

وفي مجال انتاج الذخيرة يقوم الاتحاد السوفياتي بتقديم المساعدة ليجعلنا قادرين على انتاج الذخيرة اللازمة للأسلحة التالية :

٢٣ ميللمتر مضادة للطائرات

٨٢ ميللمتر للمدفع عديم الارتداد مب ١٠

١٢٢ ميللمتر للمدفع M 30 والمدفع D 30

---

(١) سافر الرئيس السادات الى موسكو بعد صادق بيومين ، وعاد منها قبله بيومين .

١٣٠ مليمتر للمدفع 46
١٥٢ ميللمتر هاوتزر
١٢٠ ميللمتر هاون
- القاذف الصاروخي RPG
- القنبلة اليدوية RKG
- وفي مجال المعدات وقطع الغيار يقوم الاتحاد السوفياتي بانشاء المصانع التالية :
مصنع لانشاء قطع الغيار اللازمة للطائرات ميج ٢١ والميج ١٧ والسوخوي ٧ ·
مصنع لإنتاج التانكات الاحتياطية للطائرات DROP TANKS
مصنع لانتاج الرادار ب ١٥ ·
مصنع لانتاج الأجهزة اللاسلكية R 123 والاجهزة R 124 التي تستخدم في الدبابات·
مصنع لانتاج الطابات والبوادي ·

- وفي مجال تنظيم التعاون بين الطرفين في النواحي العسكرية وافق الجانب السوفياتي على أن تمتد مسؤولية اللواءين الجويين السوفياتيين المتمركزين في مصر الى خط وهمي يقع على بعد ٢٠ كيلو متراً غرب القناة لكي تشارك في الدفاع الجوي (كان القائد المحلي الروسي يريد أن يلتزم بالدفاع حتى خط طول ٣٢ والذي كان يقع غرب ذلك بكثير) ·

- ذكر الوزير أيضاً أن الجانب السوفياتي سيسعى لإنجاز الورش الرئيسية وورشة العمرة التي كان بصدد إنشائها لصالح قواتنا الجوية في أسرع وقت ممكن . ولكنه رفض الاستجابة لطلب الفريق صادق بإنشاء مصنع لإنتاج طائرة الهليوكوبتر مي ٢٤ ووعد ببحث هذا الموضوع فيما بعد ·

السوفيات وسنة الحسم

- في يوم ٢٥ ديسمبر ٧١ وصل المارشال جريشكو الى القاهرة ، حيث أمضى ٢٤ ساعة فقط قبل أن يغادرها إلى موسكو · لم تكن زيارة جريشكو زيارة رسمية وانما كانت مروراً عابراً في طريق عودته من مقديشيو (حيث كان في زيارة رسمية للصومال) الى موسكو · لقد كانت الزيارة في أعقاب الحرب الهندية الباكستانية التي انتهت بانتصار الهند واستقلال باكستان الشرقية تحت اسم بنجلاديش · وبالطبع كانت تلك الزيارة الى الصومال في ذلك الوقت ذات معنى سياسي في لعبة الأمم . فقد كان السوفيات يساعدون الهند في حربها ضد الباكستان ، كما كان لهم علاقات طيبة مع الصومال ، وهكذا كانت روسيا تتمتع بموقف ممتاز في المحيط الهندي ، على شاطئيه الشرقي والعربي · كان المارشال جريشكو في قمة السعادة خلال حفل العشاء الذي أقامه السفير السوفياتي على شرفه في هذه الليلة·كان يمزح ويضحك من أعماقه وهو يقول لي « تصور أنني أنا والوفد الذي يرافقني سبحنا أمس في المحيط الهندي ، كانت المياه دافئة والجو جميلاً » لا شك أنها كانت مناسبة سعيدة للسوفيات أن يسبحوا في مياه المحيط الهندي الدافئة التي تراود أحلامهم منذ ايام القياصرة !!

- لقد تحسنت العلاقات السوفياتية المصرية بعد اتفاقية اكتوبر ٧١ بعض التحسن ، ولكنه

كان واضحاً أنهم لا يشجعوننا على القيام بالهجوم قبل نهاية عام ٧١ كما كان السادات يعلن دائماً · وكان السفير السوفياتي قد قابل الرئيس السادات يوم ٢٠ ديسمبر وأبلغه بأن الاتحاد السوفياتي قد علم بما يلي :

١ ـ قامت اسرائيل بادخال قوات جديدة في سيناء ·

٢ ـ حصلت اسرائيل على ضمانات جديدة من أميركا لتأييدها في حالة استئناف القتال ·

٣ ـ يحتمل أن تقوم إسرائيل بمهاجمة أكثر من دولة عربية في وقت واحد ·

وزير الحربية يهاجم السوفيات

ـ كان الفريق صادق لا يخفي انتقاده وعدم ثقته بالاتحاد السوفياتي في أحاديثه كلها ولكن هذه الأحاديث وتلك الآراء كانتا دائماً على المستويات العليا . وقد بدأ يخرج عن هذه القاعدة اعتباراً من يناير ٧٢ · وفي يوم ٢٤ يناير ٧٢ خطب صادق في اجتماع عقد في المنطقة المركزية حضره عدة آلاف من الضباط من جميع الرتب · وهاجم الاتحاد السوفياتي هجوماً عنيفاً . وأعلن ما يلي :

١ ـ ان الروس لم يقوموا بتوريد الاسلحة المطلوبة . وانهم بذلك هم الذين يحولون دون تحقيق رغبتنا في الهجوم ·

٢ ـ اذا لم يصل الرئيس الى اتفاق في لقائه معهم في نهاية يناير واوائل فبراير فاننا سنقوم بشراء السلاح الذي نحتاج اليه من اية جهة اخرى ·

٣ ـ ان الروس ينشرون شائعاتهم بين صغار الضباط والجنود والطلبة بأن القوات المسلحة لديها الأسلحة الكافية التي تمكنها من القيام بالهجوم ولكن كبار القادة هم الذين لا يرغبون في القتال · وأن هذه الاشاعات المسمومة غير صحيحة ·

(الفصل الثاني والعشرون)

قرار الاستغناء عن الوحدات السوفياتية

رحلة السادات الى موسكو في فبراير ٧٢

ـ سافر الرئيس الى الاتحاد السوفياتي يوم ٢ فبراير . بينما بدأت أنا رحلتي الى الجزائر والمغرب وليبيا يوم ٦ فبراير . والتي عدت منها يوم ١٤ فبراير ٧٢ وقد علمت يوم ١٥ فبراير أن الاتحاد السوفياتي قد أكد للرئيس التزامه باتفاقية اكتوبر ٧١ لتوريد الأسلحة وإقامة الصناعات العسكرية وأنه وعد علاوة على ذلك بإمدادنا بما يلي :

٢٠٠ دبابة ت ٦٢ يتم تسليم عشر منها خلال شهر مارس لإجراء تدريب الأطقم عليها . على ان يتم توريد باقي الدبابات خلال عام ٧٢ ·

٢٠ طائرة TU 22 يتم توريد اثنتين منها خلال شهر مارس لتدريب الأطقم عليها . ويتم توريد الباقي خلال عام ٧٢ ·

٢٥ طائرة ميج ١٧ يتم تسليمها فوراً كهدية ·

ـ تدعيم وزيادة طاقاتنا في الحرب الألكترونية ·

- اعتذر الجانب السوفياتي عن عدم قيامه بامدادنا بالطائرات ميج ٢١ في التوقيتات السابق تحديدها في اتفاقية اكتوبر . ولكنه وعد بتعويض ذلك بأن يورد لنا ٧٠ طائرة في النصف الاول من عام ٧٢ والثلاثين الاخرى في النصف الثاني من عام ٧٢ . كما وعد بأن تصنع الطائرة ميج ٢١ MF تصنيعا كاملا يمكن ان يتم في مصر عام ١٩٧٩ .

- وصل المارشال جريشكو يوم ١٨ فبراير في زيارة رسمية لمصر تستغرق ثلاثة ايام . لقد كانت الزيارة سياسية في مضمونها وكان الهدف منها هو تليين الفريق صادق حتى يخفف من حدة هجومه عليهم . وقد حضرت مع الوزيرين عدة لقاءات ، ولكن هذه اللقاءات لم تخفف - ان لم تكن قد زادت - من حدة المرارة التي يشعر بها كل طرف تجاه الآخر . وقد تبودلت اثناء هذه اللقاءات بعض الجمل والتعليقات الخشنة . وفي الليلة السابقة لسفر المارشال جريشكو دعاه الفريق صادق الى عشاء خاص وطلب مني حضور هذا العشاء فاعتذرت لكي أعطي لهما الفرصة لكي يصفّيا ما بنفسيهما . وبعد سفر جريشكو سألت صادق عما يشعر به الآن بعد تلك الزيارة فوجدت ان موقفه لم يتغير ، وانه ما زال على اعتقاده بأن الروس غير مخلصين وغير جادين في التعاون معنا .

صفقة الاسلحة مايو ٧٢

- سافر الفريق عبد القادر حسن في شهر مارس الى موسكو للتوقيع على الاتفاقية بالاصناف التي تم الاتفاق عليها بين الرئيس السادات والقيادة السياسية السوفياتية في فبراير . ولكنه عاد يوم ١٨ مارس دون ان يوقع على البندين الخاصين بالدبابات ت ٦٢ والطائرات TU 22 . دعا الفريق صادق المجلس الاعلى للقوات المسلحة الى اجتماع عاجل في اليوم نفسه وهاجم الاتحاد السوفياتي هجوما عنيفا ، لأنه طلب ان يتم دفع ثمن هذين الصنفين كاملا وبالعملة الصعبة .

- ولكي يستطيع القارىء ان يتفهم معنى دفع الثمن كاملا وبالعملة الصعبة فسوف اشرح بالتفصيل اسلوب الدفع بين مصر والاتحاد السوفياتي فيما يتعلق بثمن الاسلحة والمعدات الحربية . كان جمال عبد الناصر قد اتفق مع السوفيات على ان يتم دفع ثمن الاسلحة والمعدات التي تشتريها مصر من الاتحاد السوفياتي طبقا لما يلي :

١ - يقوم الاتحاد السوفياتي بحسم ٥٠ ٪ من ثمن السلاح ، وبالتالي فان السلاح يباع بنصف الثمن فقط .

٢ - يقوم الاتحاد السوفياتي بإقراض مصر قرضاً يغطي ثمن السلاح الذي نشتريه (أعني الـ ٥٠ ٪ التي يجب على مصر أن تدفعها) ويتم دفع هذا القرض على أقساط سنوية لمدة ١٠ - ١٥ سنة بفائدة ٢ ٪ ، ويبدأ القسط الأول بعد فترة سماح طويلة .

- ونظراً لأن السلاح السوفياتي - دون أي حسم من ثمنه الكامل - يعتبر رخيصاً جداً بالنسبة للسلاح الغربي ويمكن القول بأنه في حالة تعادل الخصائص بين السلاح السوفياتي والسلاح الغربي فأن السلاح السوفياتي يكون ثمنه ٥٠ ٪ من ثمن مثيله الغربي . فإذا حسمنا ٥٠ ٪ من هذا الثمن ، فإن ذلك يعني أن الثمن الذي تدفعه مصر ثمناً للسلاح الروسي يعادل

٢٥ ٪ من ثمنه في السوق العالمي . وعلاوة على ذلك فإنه يدفع بالجنيه المصري وبالتقسيط المريح . وتطبيقاً لذلك فقد كنا نشتري الطائرة ميج ٢١ بمبلغ ٢٥٠٠٠٠ جنيه مصري وكنا نشتري الدبابة ت ٥٥ بمبلغ ٢٥٠٠٠ جنيه مصري . كان الوفد المكلف بعقد الصفقة يسافر الى موسكو وليس معه دولار واحد . فيوقع مثلا على صفقة من الاسلحة تبلغ قيمتها طبقا للاسعار العالمية ١٠٠٠ مليون دولار ثم يوقع على قرض بحوالي ٢٥٠ مليون دولار يدفع بالتقسيط على ١٠ - ١٥ سنة بفائدة ٢ ٪ وبعد فترة سماح طويلة . ويتم التسديد بالجنيه المصري وبأية أصناف يمكن لمصر تصديرها .

- وهكذا فإن الاتحاد السوفياتي عندما أخطر عبد القادر حسن خلال شهر مارس ٧٢ بأن يتم دفع الثمن كاملاً وبالعملة الصعبة كان يعني عدم حسم نسبة الـ ٥٠ ٪ المعتادة . وأن يتم تسديد الثمن بالعملة القابلة للتحويل !! وأنه طبقاً لذلك أصبح ثمن الدبابة ت ٦٢ حوالي ٢٥٠٠٠٠ دولار والطائرة TU 22 أصبح ثمنها ٥,٦ مليون دولار وهذه الاثمان وإن كانت ما تزال تعادل حوالي ٥٠ ٪ من ثمن مثيلتها الغربية فإنها كانت تعتبر من وجهة نظرنا عملاً غير مقبول بل يكاد يكون عدائياً (١) .

- في خلال شهري ابريل ومايو دارت عدة مناقشات ولقاءات كما سبق أن ذكرنا في الباب الثالث من الفصل الثامن عشر انتهت بالتوقيع يوم ١٥ مايو ٧٢ على اتفاقية تشمل ما يلي :

١٦ طائرة سو ١٧ يتم تسليم ٤ منها في شهر يونيو والباقي يتم تسليمه قبل نهاية عام ٧٢ .
٨ كتائب صواريخ بتشورا (سام ٣) يتم تسليمها خلال عام ٧٣ .
١ فوج كوادزات يتم تسليمه عام ٧٣ .
٢٠٠ دبابة ت ٦٢ يتم توريدها خلال عام ٧٢ .

مصر تعلن ملكيتها لطائرة الميج ٢٥

- في يوم ١٥ مايو وبحضور الرئيس السادات والمارشال جريشكو جرى استعراض جوي في مطار غرب القاهرة اشتركت فيه الطائرة ميج ٢٥ والطائرة سو ١٧ . كما حضر هذا العرض ايضا المارشال كوتاكوف kotakov قائد القوات الجوية السوفياتية. وبعد انتهاء العرض الجوي منح الرئيس السادات المارشال جريشكو وسام نجمة الشرف كما منح المارشال كوتاكوف وسام النجمة العسكرية . وفي المساء أمر الرئيس بإصدار بيان وزع على الصحف يعلن امتلاك مصر لطائرة سرعتها ٣٠٠٠ كيلو متر في الساعة وتطير على ارتفاع ٢٤ كيلو متراً وامتلاكها أيضاً لطائرات قاذفة مقاتلة بعيدة المدى . كان هذا البيان كاذباً تماماً فلم تكن مصر تملك شيئاً مما ذكر في البيان . كان الروس يمتلكون ٤ طائرات ميج ٢٥ وكانت هذه الطائرة تعتبر أفضل ما انتجته الصناعة السوفياتية وبالتالي فقد كانت من الأسرار العسكرية المهمة ولم تعرض قط للبيع .

(١) كما سبق ان ذكرت في الباب الثالث من الفصل الثامن عشر رفضت مصر بعد ذلك شراء الطائرة TU 22 وتنازل السوفيات عن مطلبهم الخاص بالدفع بالعملة الصعبة وبالثمن الكامل بالنسبة للدبابة ت ٦٢ . وبالتالي تم التوقيع على هذه الصفقة بشروط الدفع السابقة نفسها .

وكان يقوم بتشغيلها طيارون سوفيات · كما وأن الطائرة سو ١٧ لا يمكن اعتبارها بأي حال من الأحوال طائرة قاذفة مقاتلة بعيدة المدى · هذه هي صورة أخرى تبين كيف يخدع السادات الشعب المصري وبعض العرب بهذه البيانات الكاذبة · إنه قطعاً لا يستطيع أن يخدع أميركا أو اسرائيل حيث أن لديهما الوسائل والامكانات التي تمكنهما من معرفة الحقائق · بل على العكس قد يخدم بذلك إسرائيل إعلامياً فتتمادى في تظاهرها بالضعف وأنها كالحمل الوديع الذي تحيط به الذئاب العربية التي تتربص به لافتراسه من كل جانب وبذلك تكتسب عطف الرأي العام العالمي وتجد المبرر للمطالبة بالمزيد من السلاح ·

- ولكي يقوم السادات بحَبْك التمثيلية. قامت طائرتا ميج ٢٥ سوفيتيتان برحلة استطلاعية فوق سيناء مبتدئة من بور فؤاد شمالاً وحتى رأس محمد جنوباً بعمق ١٠ - ٣٠ كم داخل سيناء · قام العدو باعتراض الطائرتين بطائرتين من طراز فانتوم أقلعتا من مطار الملز (في وسط سيناء) وطائرتين أخريين من مطار رأس نصراني الذي يقع في الطرف الجنوبي من سيناء · ونظراً لأن طائرة الميج ٢٥ تتفوق على طائرة الفانتوم تفوقاً كبيراً من حيث السرعة والقدرة على الارتفاع فإن اعتراض العدو والصواريخ جو - جو التي أطلقها عليها لم يكن لها أي تأثير عليها وسقط أحد هذه الصواريخ سليماً في ايدينا في المنطقة الواقعة غرب القناة · وبفحص هذا الصاروخ اتضح أنه الصاروخ جو - جو الأميركي طراز سبارو Sparrow وقد ذكرنا هذا الموضوع ضمن التقرير اليومي الذي يرسل الى الرئيس عن الأحداث المهمة في القوات المسلحة · وعندما اطلع الرئيس على التقرير يوم ١٧ مايو أمر بتسليم الصاروخ Sparrow الى الخبراء السوفيات الذين كانوا في غاية الفرح بالغنيمة الاميركية ·

تدهور العلاقات

- خلال النصف الأول من عام ٧٢ كان يبدو أن الفريق صادق هو العدو رقم واحد للسوفيات في مصر. بينما كان السادات يحاول أن يظهر بمظهر الصديق لهم · وبينما كان السادات يقوم بأطول زيارة له للاتحاد السوفياتي ما بين ٢٧ أبريل و ١٠ مايو ٧٢ وقع حادثان مهمان كان بطلهما الفريق صادق :

- في أوائل شهر مايو أخطرنا الجانب السوفياتي أن بحريتهم في البحر الأبيض سوف تقوم بمشروع تدريبي وأنها تطلب السماح لها أن تنزل بعض أفرادها في منطقة مرسى مطروح يوم ٨ مايو على أن يتم سحبهم في اليوم التالي . وذلك كجزء من المشروع التدريبي ولكن صادق رفض هذا الطلب ·

- أما الحادث الثاني فهو اتهام بعض الأفراد الروس بتهريب الذهب · كانت الساعة الخامسة مساء يوم ٨ مايو ٧٢ عندما جاءني كبير المستشارين السوفيات في قيادة المنطقة المركزية حيث كنت أديرُ مشروعاً لتدريب قيادة المنطقة · قال الجنرال اوكينيف بلهجة ملؤها الحزن والأسى « إن بعض الجنود السوفيات الذين تقررت عودتهم إلى الاتحاد السوفياتي بعد انتهاء مدة خدمتهم في مصر قد جرى تفتيش اثنين منهم في مطار القاهرة بطريقة استفزازية .

مما أثار سخط الآخرين فرفضوا التفتيش وهم الآن في صالة الجمرك · قد يكون بعضهم قد اشترى « دبلة » أو خاتماً أو سواراً لكي يهديها لخطيبته أو صديقته · وأن مثل هذه الأشياء التافهة ذات الصفة الشخصية البحتة لا يمكن اعتبارها تهريباً كما يريد المسؤولون في المطار أن يصوروها » اتصلت هاتفياً بمدير المخابرات الحربية فأشار الى أن المعلومات التي لديهم تفيد بأنهم يحملون كميات كبيرة من المهربات وأنهم كانوا يراقبونهم منذ عدة أسابيع وهم يشترون الذهب بكميات كبيرة · وأمام هذا التضارب في الأقوال قررت الذهاب الى مكتبي حيث يمكن الاتصال بالجهات المختصة كلها وبحث الموضوع بطريقة أفضل ·

ـ لم أكد أصل الى مكتبي حتى وصل وزير الحربية وفي أعقابه اللواء حسن الجريدلي الأمين العام للوزارة · كان من الواضح أن وصول الوزير إلى المكتب في هذا الوقت لم يكن مجرد مصادفة وإنما كان لكي يتأكد من أن موضوع التهريب يسير في الطريق الذي رسمه ولهذا السبب فقد تنحيت جانباً عن الموضوع وجلست أتفرج على ما يدور بين الوزير والجنرال أوكينيف · كان صادق يقول للجنرال أوكينيف « أنا ليس لدي أية سلطة على رجال الجمارك إنهم تابعون لوزير الاقتصاد · إنهم يفتشون الوزراء ··· » ولكنه همس لي أنا واللواء حسن الجريدلي : « إن المعلومات التي لدينا تؤكد : أن معهم ٨٠ كيلو جراماً من الذهب » اقترح صادق على أوكينيف ما يلي « يقوم كل فرد بملء تصريح للجمرك يسجل فيه ما يحمله من ذهب أو خلافه ويقوم بتسليمها الى الجمرك · يوقع أوكينيف على إقرار يفيد أنه مسؤول عن إحضار كل من يطلب من هؤلاء الأفراد من قبل المحكمة · سوف يتدخل صادق بعد ذلك وبعد أن تهدأ نفوس رجال الجمارك لحفظ هذا الموضوع بحيث لن يطلب أحد للمحكمة » وقد رفض اوكينيف هذا الاقتراح قائلاً « ليس لدى الأفراد أي شيء ليصرحوا به لا بد أن أي فرد سوف ينتابه غضب شديد إذا نحن طلبنا منه أن يسلم « دبلة » أو خاتماً اشتراه للذكرى بعد أن خدم في مصر عاماً كاملاً أو أكثر ·

ـ أخذ الكلام يدور بين صادق ،وأوكينيف في حلقة مفرغة إلى ان دق جرس الهاتف في مكتب الوزير ، وكان الوزير يناديه باسم « محمد » (١) · بعد هذه المكالمة أظهر الوزير بعض المرونة ولكنه لم يتخذ أية إجراءات إيجابية لحل الموضوع · وبعد أقل من نصف ساعة رن جرس الهاتف مرة أخرى وكان المتحدث هذه المرة هو « محمد » أيضاً · بعد تلك المكالمة الثانية تغير موقف صادق تغييراً جذرياً طلب إليّ أن أذهب إلى المطار لكي أحل الموضوع ولكني أعتذرت ·· لماذا يسألني الآن ؟ إنه هو صاحب هذا الموضوع · إنه هو الذي خلقه ، وهو الذي عقّده وهو الذي يحاول الآن أن يجد له حلاً · فليحله هو وحده · ذهب اللواء حسن الجريدلي الى المطار مندوباً عن الوزير لحل الموضوع ·

ـ كانت مجموعة المستشارين والخبراء السوفيات تقيم حفلاً ساهراً في مساء هذا اليوم احتفالاً بعيد النصر وكنت مدعواً لهذا الاحتفال الذي يبدأ في الثامنة مساء ، ولكني شعرت بأن

---

(١) لم اسأل الوزير عن شخصية المتكلم ولكني أعتقد أنه كان محمد حافظ إسماعيل مستشار الرئيس للأمن القومي ·

العلاقات بيننا كان يخيم عليها الكآبة ففضلت أن أعود مرة أخرى إلى المنطقة المركزية لكي أتابع المشروع التدريبي الذي كنت قد انقطعت عنه لمدة ساعتين شاهدت فيهما أحد فصول هذه القصة المثيرة · إنني لا أحب أن أمثل دوراً لست مقتنعاً به وقد وجدت أن ذهابي لحضور حفل الأصدقاء الروس في مثل هذه الظروف لا يحمل المعنى المقصود من الدعوة فآثرت الاعتذار ·

- وفي صباح اليوم التالي سألت عن موضوع التهريب وكيف تم حلّه فاتضح أن ٧١ فرداً سوفياتياً سافروا بعد أن سمح لهم أن يأخذوا معهم الهدايا التي اشتروها ، وأنه قد تم حصر جميع هذه الهدايا فكان بيانها كما يلي :

٢٦ سلسلة ، ٤٥ خاتماً ، ٧٥ دبلة ، ٤١ قرطاً ، ٧ غويشة ، ٣ بروس ·

كان الوزن الاجمالي لهذه الأصناف جميعها هو حوالي ١٢٠٠ جرام من الذهب أي بمعدل ١٧ جراماً لكل فرد ·

قرار الاستغناء عن الوحدات السوفياتية

- في يوم الأحد ٩ يوليو ٧٢ كنت مدعواً في سفارة المملكة العربية السعودية لحضور مأدبة عشاء أقامها السيد السفير السعودي على شرف الأمير سلطان وزير الدفاع السعودي (١) · وفي أحد أركان السفارة همس الفريق صادق في اذني بقرار الرئيس بخصوص طرد المستشارين والوحدات السوفياتية · كان يقف معي الفريق عبد القادر حسن عندما أخبرنا الوزير بهذا الخبر وطلب إبقاءه سراً ، حيث أن الرئيس طلب منه الا يخبر أحداً وقد قص علينا صادق ما يلي « اتصل الرئيس بي هاتفياً في منزلي صباح يوم الجمعة وسألني ماذا أفعل هذا اليوم فقلت له لا شيء سوى أني سأقوم بتأدية صلاة الجمعة في الجامع عندما يحل وقت الصلاة ، فقال لي : لماذا لا تحضر إلى استراحة القناطر وتؤدي الصلاة هنا فأجبته بأنني سأحضر · وعندما وصلت إلى هناك أخبرني بأنه قرر طرد جميع المستشارين السوفيات والوحدات السوفياتية المتمركزة في مصر ، وطلب مني الا أخطر أحداً الى أن يعلن هو ذلك في الأيام القليلة القادمة · وفي خلال اليومين الماضيين كنت أغالب نفسي لكي أنفذ تعليمات الرئيس بعدم إخطار أحد ولكني قررت اليوم أن أخبركما ، ولا سيما بعد أن شعرت بأن الرئيس قد أخطر غيري بهذا الخبر » قلت له « ولكنك تعلم مدى خطورة هذا القرار ، إنه سوف يؤثر تأثيراً كبيراً على قدراتنا القتالية · إن الروس يسهمون إسهاماً فعالاً في مسؤولية الدفاع الجوي ، إن لديهم لواءين جويين وفرقة صواريخ أرض - جو والعديد من وحدات الحرب الألكترونية » أجاب صادق « إني أعلم ذلك وقد حاولت ثني الرئيس عن قراره ولكني لم أفلح فقد قال لي : إني دعوتك لكي أخطرك بالقرار وليس لمناقشته » وللحقيقة فأنه على الرغم من اتجاهات صادق المعادية للسوفيات فقد كان يبدو عليه القلق وعدم الاطمئنان لهذا القرار ، وقد أضاف قائلاً « لقد كنت أنادي دائماً بضرورة ممارسة الضغط على الاتحاد السوفياتي للحصول على ما

---

(١) كان الأمير سلطان قد وصل من رحلة له في اميركا يوم ٧ يوليو ، وقد أقام الفريق صادق مأدبة عشاء على شرفه اليوم نفسه في نادي الرماية بالهرم ·

نحتاج اليه . ولكنني لم أتصور مطلقاً أن نذهب إلى هذا المدى » كان الفريق عبد القادر حسن هو الآخر في غاية الضيق والقلق لهذا القرار ·

ـ إذا أعدنا قراءة ما قاله الرئيس بريجنيف للفريق صادق خلال زيارته لموسكو في يونيو ٧٢ (الباب الثالث/ الفصل الثامن عشر) فسوف ‌لفت نظرنا قوله » إن وجود المستشارين السوفيات في مصر هو ضرورة دولية » واني لا أعتقد ان بريجنيف قد قال هذه الجملة بطريقة عفوية · لا بد وأن الروس قد علموا بأن هناك تفكيراً في هذا الموضوع . وأن بريجنيف بقوله هذا كان يريد أن يوضح الأمور · واذا كان هذا الافتراض سليماً فمن هم الأشخاص الذين أسهموا في خلق هذه الفكرة في ذهن الرئيس السادات وتشجيعه على إخراجها إلى حيز الوجود · والنقطة التي تثير التساؤل أيضاً هي لماذا يحاول السادات الادعاء بأنه أخطر السفير الروسي بقراره يوم ٦ يوليو في حين أنه أخطره فعلاً يوم ٨ يوليو ؟ إن ما قاله السادات في كتابه من أنه أخطر السفير الروسي بقراره يوم ٦ يوليو لا يمكن أن يكون خطأً مطبعياً لأنه كان مقروناً بمعلومات تؤكد أن الخطأ مقصود وهو قوله للسفير « وسأعلم وزير الحربية غداً بهذا الأمر » (١) في حين أن الحقيقة هي أن الرئيس اخطر وزير الحربية يوم الجمعة ٧ يوليو أي قبل أن يخطر السفير. إن هذا يعني دون شك أن قرار السادات بطرد المستشارين والوحدات السوفياتية لم يكن قراراً عفوياً . لقد شاركت فيه عناصر في الداخل والخارج يحرص الرئيس على إخفائها ·

ـ أخطرنا الوحدات بقرار الرئيس بعد ظهر يوم ١٦ يوليو على أساس أن يبدأ التنفيذ أعتباراً من صباح اليوم التالي . وفي صباح يوم ١٧ يوليو اجتمع الفريق صادق وأنا وكبير المستشارين لمناقشة الخطوط العريضة لتنفيذ قرار الرئيس ·

ـ كان الاقتراح المصري بهذا الشأن يتضمن ما يلي :

١ ـ انهاء العقود الخاصة بجميع المستشارين (٢) .

٢ ـ انهاء العقود الخاصة بالخبراء (٣) فيما عدا الأشخاص الذين يطلب الجانب المصري الاحتفاظ بهم .

٣ ـ القوات الصديقة (٤) التي تقوم بتشغيل أسلحة ومعدات مصرية تقوم بتسليم هذه الأسلحة والمعدات الى الجانب المصري في خلال أسبوع من الآن .

---

(١) انظر ما جاء في هذه المذكرات في الصفحتين ١٩٩ ، ٢٠٥ ·

(٢) لفظ « المستشارون السوفيات » كان يطلق على الضباط الذين يلحقون بالقيادات المختلفة وذلك لإبداء النصيحة للقادة في الأمور التكتيكية والادارية والتدريب وكان عددهم حوالي ٨٧٠ مستشاراً ، وإن الاستغناء عن خدماتهم لا يؤثر على قدراتنا ·

(٣) لفظ « الخبير السوفياتي » كان يطلق على الشخص ذي التخصص الفني الذي يرافق معدة فنية حديثة ليدرب الأفراد المصريين عليها وتنتهي مهمته بمجرد انتهائه من تدريب الأطقم المصرية القادرة على تشغيل هذه المعدة ، وينطبق هذا مثلاً على من يقوم بتدريب طيارينا على استخدام الصواريخ جو ـ أرض في الطائرة TU16 وعلى من يقوم بتدريب أطقمنا على الدبابة ت ٦٢ الخ ، وإن الاستغناء عن هؤلاء الأفراد قبل أن يتم تدريب أفرادنا على هذه المعدة لا بد وان يعرقل جهودنا في إعداد القوات للمعركة ·

(٤) لفظ « الوحدات الصديقة » كان يطلق على الوحدات السوفياتية في مصر وكانت م . الوحدات الصديقة تنقسم الى مجموعتين : المجموعة الأولى وهي الوحدات التي تعد جميع معداتها ملكاً لمصر ، والمجموعة الثانية وهي تلك الوحدات التي تقوم بتشغيل أسلحة ومعدات من ممتلكات الاتحاد السوفياتي ·

٤ ـ القوات الصديقة التي تقوم بتشغيل أسلحة ومعدات من ممتلكات الاتحاد السوفياتي ـ ونظراً لأنه ليس لدينا الأفراد القادرون على تشغيلها ـ فقد اقترحنا بقاء هذه الوحدات في مصر شريطة أن تكون تحت القيادة المباشرة للقيادة المصرية . وينطبق ذلك بصفة خاصة على وحدات الحرب الالكترونية وطائرات الميج ٢٥ وسرب الإعاقة والاستطلاع الالكتروني وفوج الكوادرات .

٥ ـ جميع الأفراد الذين ينطبق عليهم شروط الترحيل يجب أن يغادروا الأراضي المصرية قبل أول أغسطس اذا تيسرت وسائل النقل اللازمة لذلك ، أما الأفراد الذين لم يتمكنوا من مغادرة الأراضي المصرية قبل هذا التاريخ لعدم توفر وسائل النقل ، فإنه يتحتم عليهم التوقف عن ممارسة أي عمل عسكري اعتباراً من هذا التاريخ .

ـ وافق الجنرال أوكينيف على هذه الاقتراحات جميعها فيما عدا البند الرابع الخاص ببقاء الوحدات السوفياتية ، فقد أشار إلى أن التعليمات التي لديه هي أن يسحب جميع الأفراد وجميع الأسلحة والمعدات السوفياتية ووعد بأنه سينقل هذه الرغبة الجديدة إلى موسكو ثم يقوم بإخطارنا بمجرد أن يتلقى الجواب .

ـ كانت الأيام والأسابيع التالية أياماً عصيبة ومشحونة بالأعمال الخاصة بترحيل الوحدات الروسية . كنت أتلقى كل يوم عشرات المكالمات الهاتفية من القوات الجوية والدفاع الجوي عن احداث متعددة « الروس يقومون الآن بفك الرادار الموجود في بني سويف ! الروس يقومون الآن بفك الرادار الموجود في بير عريضة ، وسوف يترتب على ذلك ايجاد ثغرة في التغطية الرادارية ! الروس يقومون الآن بنقل عدة اطنان من قطع الغيار من الوحدات الصديقة التي سوف يسلمونها لنا . الخ ... » وفي الوقت نفسه يحضر الجنرال اوكينيف ليقول « بينما كانت قواتنا تقوم بتكديس الاصناف التي سيتم ترحيلها الى الاتحاد السوفياتي اختفى احد الصواريخ الحديثة غير المستخدمة في القوات الجوية المصرية ! من الذي سرق هذا الصاروخ ولمصلحة من يعمل ؟ » الى غير ذلك من عشرات الحوادث .

ـ لقد كانت أوامرنا صريحة وهي تقضي بأن للسوفيات كامل الحق في سحب معداتهم وأنهم غير مطالبين إلا بتسليم الأسلحة والمعدات التي هي ملك مصر طبقاً للعقود الرسمية الموقع عليها من الطرفين . وإني عندما أنظر الى الوراء لأرى كيف تمت هذه العملية دون أية حوادث خطيرة فإنه لا يسعني إلا أن أثني على كل من القيادة المصرية وكبير المستشارين السوفيات وتعاونهما الصادق للتغلب على المشكلات التي أثارها الضباط الأصاغر والجنود من الطرفين ، الذين كانوا أقل قدرة على التحكم في عواطفهم . عرضنا على الاتحاد السوفياتي المساعدة بتوفير الطائرات والمراكب اللازمة لترحيل الوحدات السوفياتية ولكنهم اعتذروا عن قبول هذه المساعدة . وقد أوقفنا الدراسة في الكلية الحربية في الفترة ما بين ٢٨ يوليو و ١١ أغسطس حتى يمكن استخدامها

كمنطقة تجمع للأفراد السوفيات الذين يبقون في مصر بعد أول أغسطس انتظاراً لوسائل النقل المختلفة .

- كان إجمالي الأفراد المرحلين هو ٧٧٥٢ . وتفصيلهم كما يلي (١) :

١٠٠٠ مستشار وخبير

٦٠١٤ وحدات صديقة

٠٧٣٨ عائلات المستشارين

٧٧٥٢

وبنهاية شهر أغسطس كان قد تم ترحيل ٢٥٩٠ تم ترحيل ١٩٧٣ منهم بواسطة الطائرات . ٦١٧ تم ترحيلهم بواسطة النقل البحري . وبذلك كان الباقي هو ٥١٦٣ (٥٢٩ من المستشارين وعائلاتهم + ٤٦٣٣ من الوحدات الصديقة) وقد تم ترحيلهم جميعاً خلال النصف الأول من شهر أغسطس ٧٢) وذلك فيما عدا فوج الكوادرات فقد تم ترحيله في نهاية أغسطس .

- كانت الوحدات الصديقة التي تعمل بمعدات سوفياتية لم يسبق لنا التعاقد على مثلها تشمل الوحدات التالية :

رف طائرات ميج ٢٥

سرب استطلاع واعاقة الكتروني

وحدة سمالطا وهي وحدة الكترونية يمكنها ان تعيق جهاز التوجيه في الصواريخ الهوك .

وحدة تاكان وهي وحدة الكترونية يمكنها أن تعيق أجهزة التوجيه في الطائرات المعادية .

وقد قام السوفيات بسحب هذه الوحدات ورفضوا منذ البداية إبقاءها في مصر لأنهم كانوا يعتبرون هذه المعدات على درجة عالية من السرية .

- أما بخصوص الكوادرات فقد كان الموقف مختلفاً حيث أنه سبق لنا أن تعاقدنا على فوجي كوادرات ولكن لم نكن قد انتهينا من تدريب الأفراد اللازمين لتشغيل هذه الصواريخ . عرض الروس أن يسلموا الفوج لنا كواحد من الفوجين المتعاقد عليهما فرفضنا(٢). عرض الرئيس السادات أن يبقى أفراد الفوج في مصر حتى نهاية عام ٧٢ شريطة ألا يقوموا بأية مهمة قتالية فرفضوا . واستغرقت هذه المناقشات الكثير من الوقت إلى ان اتصل بي قائد المنطقة الجنوبية يوم ٢٩ اغسطس وأخطرني بأن الروس قد بدأوا يسحبون الفوج . اتصلت بالجنرال أوكينيف فأكد بأنه قد وصلته تعليمات بسحب الفوج وإعادته إلى الاتحاد السوفياتي . اتصلت يوم ٣٠ أغسطس بالرئيس وأبلغته بقرار السوفيات النهائي بخصوص الفوج فعلق قائلاً « مع السلامة » وهكذا انسحب الفوج ومعه ١٨ قطعة شيلكا و٤٨ ستريلا (سام ٧) .

---

(١) يدعي السادات في خطبه أن عدد السوفيات الذين طردهم هو ١٧٠٠٠ ، وقد سبق لوسائل الاعلام الغربية أن ذكرت هذا الرقم . وان اصرار السادات على استخدام هذا الرقم يمكن تفسيره بأحد الاحتمالين التاليين : إما الجهل بالحقائق أو المبالغة لكي يظهر نفسه بمظهر الرجل القوي .

(٢) رفضنا عام ١٩٧٢ قبول فوج سام ٦ مستخدم وها هو ذا السادات عام ١٩٧٩ يقبل شراء سرب طائرات فانتوم مستخدم سابقاً .

تحسنت العلاقات ولكن الشكوك بين الطرفين ظلت قائمة

رحلة عزيز صدقي الى موسكو

- تدهورت العلاقات بين مصر والاتحاد السوفياتي بعد قرار الاستغناء عن المستشارين السوفيات على الرغم من المظاهر الشكلية التي كان كل طرف يقوم برسمها • وفي ٤ أكتوبر طلبت السلطات السوفياتية الإذن لثلاث ناقلات جنود للتمركز مجدداً في بورسعيد التي كانت قد غادرتها منذ شهرين • اتصلت بالرئيس واقترحت عليه أن نوافق حتى يساعد ذلك على تحسين الجو وخلق فرص طيبة لإنجاح رحلة الدكتور عزيز صدقي رئيس الوزراء الى موسكو • فقال الرئيس « لا مانع . إن اتفاقية التسهيلات تعتبر سارية المفعول حتى مارس ٧٣ واذا لم تنجح رحلة عزيز صدقي فسوف أنهي هذه التسهيلات وأصدر قراراً بإخراجهم » وفي يوم ٥ أكتوبر دخلت الناقلات الثلاث ميناء بورسعيد فكانت أول ظاهرة عملية على بدء تحسن العلاقات بين الدولتين •

- حققت رحلة الدكتور عزيز صدقي نجاحاً كبيراً . ووعده القادة السوفيات بإمداد مصر بأسلحة متقدمة لم يسبق إمدادنا بها قبل ذلك . ويشمل ذلك ما يلي :

١ سرب ميج ٢٣ يتم توريده في الربع الثالث من ١٩٧٣

١ سرب سوخوي ٢٠ يتم توريده في الربع الثالث من ١٩٧٣

١ لواء صواريخ سطح - سطح SSM ذات مدى ٣٠٠ كيلو متر . ويتم ابلاغنا في اوائل عام ٧٣ عن تواريخ التوريد •

صفقة اسلحة جديدة في مارس ٧٣

- وفي ٥ فبراير ٧٣ وصل الى القاهرة وفد عسكري سوفياتي برئاسة الجنرال لاشنكوف LASHNEKOV . وعادت اللجنة الى موسكو يوم ١٢ فبراير بعد أن قامت بدراسة احتياجاتنا • وفي مارس ٧٣ سافر وزير الحربية لتوقيع اتفاقية جديدة شملت الاصناف الرئيسية التالية :

١ سرب ميج ٢٣ (يتم ارسال الطيارين المصريين الى الاتحاد السوفياتي للتدرب خلال شهر مايو ويونيو هذا العام) •

١ لواء صواريخ R17E يتم توريده خلال الربع الثالث (١) من عام ٧٣ •

١ فوج كوادرات •

٢٠٠ عربة قتال مدرعة ب م ب BMP (٢) يسلم جزء منها فورا لأغراض التدريب . ويسلم الباقي خلال الربع الثالث من عام ١٩٧٣ •

٥٠ مالوتكا يتم توريدها فورا •

العديد من قطع مدفعية الميدان بما في ذلك المدافع ١٨٠ مم •

---

(١) يعرف R17E في الغرب باسم SCUD

(٢) هي عربة مجنزرة تنقل جماعة مشاة وتماثل الى حد كبير العربة الألمانية ماردر MARDER

ـ أخبرني الفريق أحمد اسماعيل بعد عودته من موسكو في رحلة مارس ٧٣ أن الاتحاد السوفياتي وعده بأنه سيعيد تمركز طائرات الميج ٢٥ الأربع وسرب الاستطلاع والإعاقة الالكتروني في مصر، الا أنه لم توقع أية اتفاقية مكتوبة بخصوص هذا الموضوع.

ـ كانت اتفاقية مارس ٧٣ تتويجاً للرحلة التي قام بها الدكتور عزيز صدقي في أكتوبر ٧٢ فقد قام السوفيات بتنفيذ وعودهم للدكتور عزيز صدقي كلها وزادوا عليها. وذلك فيما عدا استبدال سرب السوخوي ٢٠ بفوج كوادرات. كانت الصفقة تشمل ثلاثة أسلحة جديدة لم يسبق إدخالها ضمن القوات المسلحة هي ميج ٢٣وصواريخ R17E، وعربة القتال المدرعة BMP

ـ وفي يوم ٩ يوليو اتصل بي السيد حافظ اسماعيل مستشار رئيس الجمهورية لشؤون الأمن القومي وأخطرني بأنه سيقوم برحلة الى الاتحاد السوفياتي. وسألني عن المواضيع التي يمكنه اثارتها مع القيادة السياسية السوفياتية بخصوص القوات المسلحة فطلبت منه أن يستعجل إرسال الأصناف التالية:

١ لواء الصواريخ R17E ضمن اتفاقية مارس ٧٣.
١ سرب الاستطلاع والاعاقة الالكتروني.
٤ طائرة ميج ٢٥

ـ في يوم ١٢ يوليو اتصل بي الجنرال ساماخودسكي، وهو كبير ضباط الاتصال بالسفارة السوفياتية، وأخطرني بأن الجنرال سابكوف SAPKOV ومعه خمسة ضباط سيصلون صباح اليوم التالي لاجراء الترتيبات اللازمة لاستقبال معدات اللواء R17E. وفي خلال ٨ ـ ١٠ أيام سوف يصل ٦٣ خبيراً سوفياتيا يعود منهم ٢٦ خبيراً بعد تسليم معدات اللواء، ويبقى في مصر الـ ٣٧ الآخرين لتدريب الأفراد المصريين. وفي يوم ١٤ اجتمع في مكتبي الجنرال SAPKOV لبحث الخطوط العريضة لتنظيم وتدريب اللواء الجديد. كان علينا أن نتفق أولاً على تنظيم اللواء ثم نقرر الأماكن اللازمة لتمركزه والمغارات اللازمة للتحفظ فيها على الصواريخ ثم تدبير الضباط والجنود اللازمين طبقاً للتنظيم. وفي خلال ٤٨ ساعة تم وضع التنظيم الخاص باللواء على الورق وبدأت المشكلة الحقيقية وهي التشكيل.

ـ عقدت مؤتمراً موسعاً مع جميع الأفرع المختصة في مكتبي يوم ١٧ يوليو وأخبرت المجتمعين أن تشكيل هذا اللواء الذي ليس لدينا أي خبرة سابقة به يعتبر تحدياً لنا ويجب أن نقبل هذا التحدي. وكان التجاوب رائعاً من جميع الحاضرين، وفي خلال أسبوعين كان اللواء قد تم تشكيله وأصبح جاهزاً للتدريب. وبينما كان تشكيل اللواء يجري على قدم وساق كان الخبراء السوفيات يقومون باستلام المعدات وتخزينها في المغارات التي اختيرت لذلك. وفي أول أغسطس بدأ اللواء تدريبه الفني تحت إشراف الخبراء السوفيات وفي يوم ٢٢ أكتوبر ٧٣ ـ قبل وقف اطلاق النار ببضع دقائق احتفل اللواء بانتهاء تدريبه بأن أطلق ثلاث قذائف على العدو في منطقة الدفرسوار. ان تشكيل هذا اللواء في خلال اسبوعين واتمام تدريبه في أقل من ثلاثة أشهر يعتبر مفخرة لدقة التنظيم وقوة التحدي لدى أبناء مصر.

ـ اما سرب الميج ٢٣ الذي نص عليه في اتفاقية مارس ٧٣ فهو السلاح الوحيد الذي لم يشترك

في معركة اكتوبر ٧٣ حيث أنه عند قيام الحرب كان الطيارون مازالوا قيد التدريب في الاتحاد السوفياتي أما الأصناف الاخرى جميعها فقد تم استيعابها واشراكها في الحرب ، بما في ذلك عربات القتال المدرعة BMP التي كانت تدخل قواتنا المسلحة لأول مرة . فقد تمكنا من تجهيز كتيبتين بهذه المركبات قبل ١٢ سبتمبر ٧٣ ، وانتهينا من تجهيز ثلاث كتائب اخرى قبل أول اكتوبر ٧٣ .

إخفاء نوايانا عن السوفيات:

كان تخطيطنا وتحضيراتنا للهجوم تتم في سرية تامة دون أي اخطار للاتحاد السوفياتي . وقبل المعركة بأسبوع أمر الرئيس السادات بأن نقوم بأخطار الجانب العسكري السوفياتي باحتمال قيام العمليات ولكن بشكل عام لا يبدو منه نيتنا بالهجوم . وهكذا كلف مدير المخابرات الحربية بأن يقوم بإبلاغ الجنرال ساماخودسكي (١) يوم ٢ اكتوبر بأنه قد وصلتنا معلومات تفيد بأن اسرائيل سوف تقوم بعملية اغارة على الاراضي المصرية ولكننا لم نعلم متى وأين ستكون هذه الاغارة ، ثم يطلب اليه أن يحاول الاتحاد السوفياتي التحقق من هذه المعلومات . وفي اليوم الثالث والرابع من اكتوبر يقوم بتصعيد هذه الأخبار فيقول له ان لدينا معلومات مؤكدة بأن اسرائيل ستقوم بعملية اغارة واسعة النطاق ، وقد تقوم خلالها بضربة جوية مركزة وهكذا سارت الأمور كما هو مخطط لها على الرغم من مظاهر الاستعدادات للهجوم ، والتي ما من شك قد اثارت اهتمام الخبراء السوفيات الذين كانوا مازالوا يعملون في مصر ، وبعضهم كان يعيش داخل بعض وحداتنا العسكرية .

ـ لا بد وأن الخبراء السوفيات قد قاموا بإخطار قياداتهم بالاستعدادات غير العادية التي يرونها تتم داخل الوحدات . ولا شك أن الاتحاد السوفياتي قد اكدت له أقماره الصناعية بأن هناك استعدادات غير عادية تتم على الجبهة المصرية وعلى الجبهة السورية مما يؤكد تقارير الخبراء من رجاله . كما وأنه من المحتمل أن يكون الرئيس السادات أو الرئيس حافظ الأسد قد قام بإخطار القيادة السوفياتية بأننا سنقوم بالهجوم (٢). ان تصرف الاتحاد السوفياتي ليلة ٤ / ٥ اكتوبر توحي بأنه كان يعلم أو على الأقل يحس ويشك بأن الحرب وشيكة الوقوع . ففي خلال هذه الليلة أرسل ٤ طائرات نقل كبيرة لاخلاء معظم الخبراء الذين كانوا مازالوا يعملون في مصر ، وقبل منتصف نهار الجمعة ٥ اكتوبر كان قد اخلى جميع من يريد اخلاءهم من الخبراء والعائلات . لماذا أقدم الاتحاد السوفياتي على هذه الخطوة ؟ ان القول بأنه أراد أن يغسل يديه مسبقاً من أية مسؤولية تترتب على هذه الحرب قول غير مقنع لعدة أسباب أولاً أن الاخلاء لم يكن شاملاً فقد بقي عدد ليس بالقليل من الخبراء السوفيات دون اخلاء . ومنهم

---

(١) بعد إنهاء عمل المستشارين السوفيات وترحيل الوحدات السوفياتية من مصر خلال شهر يوليو ٧٢ ، عين الجنرال ساماخودسكي ومعه مجموعة من الضباط للقيام بأعمال الاتصال بين القيادة العامة للقوات المسلحة السوفياتية والقيادة العامة للقوات المسلحة المصرية . وكان مركز عمله هو السفارة السوفياتية بالقاهرة .

(٢) يقول السادات في مذكراته في الصفحة رقم ٢٣١ و ٢٣٢ بأنه أخطر الاتحاد السوفياتي يوم ٣ أكتوبر ، وان الرئيس حافظ الأسد أخطرهم يوم ٤ أكتوبر .

خبراء R17E . ولو أن الاتحاد السوفياتي سحب خبراء R17E ليلة ٤ / ٥ اكتوبر لما استطاع اللواء أن يتم تدريبه ويطلق قذائفه يوم ٢٢ اكتوبر كما حدث . ثانياً ان ارتباط الاتحاد السوفياتي بالحرب ونتائجها هو حقيقة تفرضها الاستراتيجية العالمية وسواء تواجد بأفراد أم لا فإنه بالتأكيد يتأثر بنتيجة المعركة ان نصرا أو هزيمة سواء اعلن عن ذلك أم لم يعلن . وثالثا لماذا يسحب الاتحاد السوفياتي خبراءه من مصر ولا يسحبهم من سوريا ؟ اني اعتقد ان هناك اسباباً اخرى وراء اقدام الاتحاد السوفياتي على ارسال ٤ طائرات انتنوف ٢٢ ليلة ٤ / ٥ اكتوبر ٧٣ '

- وكما أخفينا عن الروس نوايانا في الهجوم ، فقد أخفينا عنهم المعلومات التفصيلية كلها خلال سير العمليات . لم نكن نخطرهم مطلقاً بما ننوي عمله في الأيام المقبلة . ولم نكن نخطرهم بنتائج المعارك الماضية . لم يكن يسمح للجنرال سماخودسكي بدخول غرفة العمليات وقد كان يحصل على المعلومات من خلال أحد ضباط المخابرات بحيث لا تزيد المعلومات التي تسلم اليه عن المعلومات التي تصدر في البيانات الرسمية . وفي خلال الفترة من ١٦ - ٢٢ اكتوبر عندما كان موقف العدو غرب القناة يتطور يوما بعد يوم . كانت بياناتنا الى الجنرال سماخودسكي دائماً مضللة ولا تعطي صورة حقيقية للموقف . كان هذا خطأ جسيماً وعملاً معيباً . كان الأسلوب الذي نتعامل به مع السوفيات بصفته حليفنا الرئيسي يختلف اختلافاً كبيراً عن الاسلوب الذي تتعامل به اسرائيل مع حليفتها امريكا . يقول الجنرال اليعازر ، رئيس أركان حرب القوات المسلحة الاسرائيلية خلال حرب اكتوبر ٧٣ . في مذكراته أنه بمجرد اندلاع الحرب أجري الاتصال المباشر مع وزارة الدفاع الاميركية وأخذوا يطلعونهم على خططهم ويطلبون نصيحتهم وحرصوا أن يظل هذا الاتصال مباشراً طوال مدة الحرب . لا شك ان هذا التعاون الاسرائيلي الاميركي على مستوى القيادات العسكرية العليا هو الأسلوب الصحيح للتعاون بين الحلفاء . اذ كيف يستطيع الحليف أن يقدم العون الى حليفه اذا لم يكن يعرف حقيقة موقفه ؟ ومع ذلك وللأسف الشديد فقد كانت تعليمات الرئيس السادات تقضي بألا يعرف حلفاؤنا السوفيات أكثر مما يعلن في الصحف والبيانات الرسمية .

- وكما كان الاتصال مقطوعاً بين القيادتين العسكريتين فقد كان التعاون بين القيادتين السياسيتين في مصر والاتحاد السوفياتي يكاد يكون معدوماً . لقد رفض السادات جميع العروض التي تقدم بها السوفيات لوقف اطلاق النار . ان السادات يقول إنه رفض طلبات الروس المتكررة لوقف اطلاق النار وقال لهم أنه لن يوافق على وقف اطلاق النار الا بعد اتمام المهام التي تتضمنها الخطة . والذي لم يقله السادات هو أن الاتحاد السوفياتي كحليف مشترك معنا في المشكلة . أرسل سفيره اليه يوم ٩ اكتوبر يستفسر عن الهدف العسكري الذي تعمل القوات المسلحة المصرية على تحقيقه . فماذا قال السادات ؟ نظر الى السفير وقال « انك تتكلم مع القائد الأعلى للقوات المسلحة ... ان سؤالك هذا سؤال سياسي لا يوجه الى القائد الاعلى ولذلك فسأعتبر نفسي وكأني لم أسمع هذا السؤال الذي وجهته . اذا كان لديك سؤال سياسي فيمكنك

أن تذهب الى الدكتور محمود فوزي وتوجهه اليه !! » (١) هل يمكن أن يكون هناك تعاون بين القيادة السياسية المصرية والقيادة السياسية السوفياتية اذا كانت القيادة السياسية السوفياتية لا تعرف ماذا تريد القيادة السياسية المصرية ؟؟ . ما الذي كان يقصده السادات عندما طلب من السفير الروسي أن يتصل بالدكتور محمود فوزي فيما يتعلق بالشؤون السياسية ؟ هل بلغ استهزاء السادات بعقول الناس الى هذا الحد ؟ وهل يستطيع الدكتور محمود فوزي الاجابة حقاً علي هذا السؤال ؟ وبعد انتهاء الحرب وفك الاشتباك الثاني في سبتمبر ١٩٧٥ . تكلم السادات ولأول مرة بأن هدف القوات المسلحة من حرب اكتوبر ٧٣ كان هو « احتلال شريحة من الأرض بعمق حوالي ١٠ كيلومترات شرق القناة » .

- لماذا اذن امرت يا سادات بتطوير الهجوم نحو الشرق يوم ١٤ اكتوبر على الرغم من معارضة القادة جميعهم ؟ ولماذا اذن رفضت يا سادات وقف اطلاق النار وقد حققت القوات المسلحة هذا الهدف اعتباراً من يوم ٧ اكتوبر ونجحنا في صد الهجمات المضادة جميعها خلال يومي ٨ و ٩ اكتوبر ؟ هناك اسئلة كثيرة يجب أن يجيب عليها السادات . اذا كان هذا هو هدف القوات المسلحة . فلماذا اذن اخذ يضلل القيادة السياسية السوفياتية ويرفض نصائحها عندما كانت قواتنا المسلحة في وضع ممتاز ؟ وبعد أن حدثت الثغرة لماذا يقلل السادات من أهميتها ويرفض الحلول العملية للقضاء عليها ثم يطلب وقف اطلاق النار وهو في موقف ضعف ويأمر قواته بعدم اتخاذ أي اجراء مسبق لمنع محاصرة الجيش الثالث ؟ انها جريمة كبرى يجب الا تترك دون تحقيق نزيه حتى يمكننا معرفة هذه الأمور الغامضة .

(الفصل الرابع والعشرون)

تقويم المساعدات العسكرية السوفياتية

حجم الاسلحة السوفياتية

- ليس من الصواب أن نقلل من أهمية المساعدات السوفياتية العسكرية لمصر من ناحية الكم والكيف . حيث أن الأرقام وحدها كفيلة باثبات خطأ هذا الادعاء . لقد ذكرت في هذا الباب ما حصلت عليه مصر في الفترة من اكتوبر ٧١ الى اكتوبر ٧٣ (انظر اتفاقيات اكتوبر ٧١ومايو ٧٢ ومارس ٧٣) من الاصناف الرئيسية . قد يطول الموقف لو أننا استعرضنا ما حصلت عليه مصر من الاتحاد السوفياتي والكتلة الشرقية منذ أن كسر جمال عبد الناصر احتكار السلاح عام ١٩٥٥ . ولكننا سنكتفي بذكر حجم الأسلحة التي كانت تحت تصرف مصر قبل اكتوبر ٧٣ متناسين ما خسرته مصر في حربين سابقتين هما حرب عام ١٩٥٦ وحرب عام ١٩٦٧ لقد كان حجم القوات المسلحة المصرية صباح يوم ٦ اكتوبر ٧٣ كما يلي :

القوات البرية

١٩ لواء مشاة راكب (عربات ذات العجل)
٨ ألوية مشاة ميكانيكية (عربات جنزير)

---

(١) هذه القصة نقلا عن كتاب حسنين هيكل « الطريق الى رمضان » الصفحة ٢١٩ النسخة الانجليزية .

١٠	ألوية مدرعة
٣	ألوية جنود الجو
١	لواء برمائي
١	لواء صواريخ أرض ـ أرض R17E

وكان مع هذه القوات حوالي ١٧٠٠ دبابةو ٣٠٠٠عربة مدرعة و ٢٥٠٠ مدفع وهاون ٧٠٠ قاذف صاروخي موجه ١٩٠٠ مدفع مضاد للدبابات . ٥٠٠٠ ر ب ج RPG . عدة آلاف من القنبلة اليدوية المضادة للدبابات ر ب ج ٤٣ .

القوات الجوية

٣٠٥	طائرة قتال (اذا أضيف اليها الطائرات المخصصة للتدريب فان العدد يرتفع الى ما يزيد على ٤٠٠ طائرة)
٧٠	طائرة نقل
١٤٠	طائرة هيليوكوبتر

قوات الدفاع الجوي

١٥٠	كتيبة صواريخ SAM
٢٥٠٠	مدفع مضاد للطائرات من عيار ٢٠ مللمتر فما فوق .

القوات البحرية

١٢	غواصة
٥	مدمرات
٣	فرقاطات
١٢	قناصاً
١٧	قارب صواريخ
٣٠	قارب طورين
١٤	كاسحة ألغام
١٤	قارب إنزال

ـ ان حجم السلاح الذي كان بيدنا قبل حرب اكتوبر كان يفوق ما لدى الكثير من دول حلف وارسو وحلف الناتو وقد يدهش الكثيرون اذا علموا ان قواتنا البرية ـ وأكرر البرية وليس الجوية أو البحرية ـ كانت تتفوق على القوات البرية في كل من بريطانيا وفرنسا !

- ولكن يجب الا ننسى أيضاً أن اميركا كانت تمد اسرائيل باسلحة متقدمة وبكميات وفيرة حتى جعلت منها ترسانة من الأسلحة · كانت سياسة اميركا وما تزال هي أن تضمن لاسرائيل التفوق على جيرانها مجتمعين · لقد كانت القوات الجوية الاسرائيلية متفوقة تفوقاً كبيراً على القوات الجوية المصرية والسورية مجتمعتين · ولقد لعب التفوق الجوي الاسرائيلي دوراً كبيراً وفعالاً في اسكات واحتواء قواتنا البرية والبحرية · واذا اخذنا المعونة السوفياتية لمصر والمعونة الاميركية لاسرائيل كأساس للمفاضلة في مدى صداقة كل منهما لحليفه كان واضحاً أن صداقة اميركا لاسرائيل كانت أقوى بكثير من صداقة روسيا لمصر · ان هذه حقيقة لا يمكن انكارها ولكن ذلك قد يثير لنا سؤالاً آخر وهو هل هناك دولة أخرى في العالم أجمع تستطيع ان تعطي السلاح لمصر بالكم والكيف وأسلوب الدفع الذي كان يقدمه الاتحاد السوفياتي؟ أعتقد ان الاجابة هي لا وان هذه الاجابة ايضاً هي بديهية ولا يختلف فيها اثنان · ومن هنا فإنه يمكن القول بأمانة « ان الاتحاد السوفياتي لم يكن الصديق المثالي ولكنه كان أفضل صديق في الساحة العالمية »

لقد ذكرنا حجم الأسلحة السوفياتية التي كانت في أيدي أبناء مصر قبل حرب اكتوبر ٧٣ . أما اذا حاولنا حصْر الأسلحة التي قام الاتحاد السوفياتي بأمداد الدول العربية بها خلال الثماني عشرة سنة التي سبقت هذه الحرب فسوف نجد أرقاماً تكاد تكون خرافية (حوالي ٧٠٠٠ دبابة . حوالي ١٨٠٠ طائرة . حوالي ١٨٠٠٠ الف مدفع من مختلف الاعيرة . حوالي ١٥٠ قطعة بحرية . وأكثر من مليوني قطعة سلاح صغيرة من بنادق ورشاشات و ر ب ج الخ) وان هذا الحجم من السلاح يوضح لنا مدى قدرة الاتحاد السوفياتي كدولة عظمى على التأثير في الأحداث في منطقة الشرق الأوسط ·

الإمدادات السوفياتية اثناء حرب اكتوبر ٧٣

- وفي خلال الحرب قام الاتحاد السوفياتي بإقامة أكبر جسر جوي في تاريخه الحربي الى كل من مصر وسوريا · لقد قام بتنفيذ ٩٠٠ رحلة بواسطة طائرات انتنوف ١٢ وانتنوف ٢٢ (١) نقل خلالها ١٥٠٠٠ طن من المعدات الحربية · فاذا علمنا ان هذا الكوبري الجوي لم يكن مخططاً له . مع انه قد بديء به بعد ثلاثة ايام من بدء الحرب . اتضحت لنا المشكلات والثغرات التي يمكن ان تظهر نتيجة لهذه الظروف · وعلى سبيل المثال فقد كانت معدلات الاستهلاك خلال حرب اكتوبر مختلفة تماماً عن معدلات استهلاك الحروب السابقة والتي بني على اساسها حجم وأوزان الأصناف التي ترسل بواسطة الكوبري الجوي · فهناك اصناف من الذخيرة كان استهلاكنا منها اقل بكثير مما سبق لنا تقديره وفي الوقت نفسه كان استهلاكنا من بعض الاصناف الأخرى اكثر بكثير مما قدرناه · وكان علينا ان نسرع بإخطار الاتحاد السوفياتي بهذه المعلومات لكي يجري التعديلات اللازمة في خطة النقل الجوي حتى تتمشى

---

(١) أقصى حمولة الطائرة انتنوف ١٢ هو ٢٠ طناً . وهي تعادل الطائرة الأميركية C /130 . أما الطائرة انتنوف ٢٢ فان اقصى حمولتها هو ٨٠ طناً .

مع احتياجاتنا الفعلية . ولكن هذا لم يمنع ان تصل احياناً بعض الأصناف التي لا نحتاج اليها في حين كنا نعاني النقص في صنف آخر · ومع ذلك فإن هذه الاخطاء لا يمكن ان تقلل من تقديرنا للكفاءة والسرعة اللتين تمّ بهما هذا الكوبري الجوي · ان هذا الكوبري يعتبر مفخرة للاتحاد السوفياتي من حيث الحجم ومن حيث السرعة في التخطيط والتنفيذ . ومفخرة لسوريا ومصر من حيث السرعة في التفريغ والفرز والدفع الى الجبهة بالنسبة لهذا الحجم الكبير من الامدادات ·

ـ لا شك ان هذا الكوبري الجوي السوفياتي يعتبر متواضعاً اذا قورن بالكوبري الجوي الاميركي الى اسرائيل · لقد نقل الاميركيون خلال ٥٦٦ رحلة ٢٢٣٩٥ طناً من الامدادات مستخدمين الطائرات 5 ـ C و 141 ـ C (١) · وقد قامت شركة العال الاسرائيلية بنقل ٥٥٠٠ طن اخرى وبذلك اصبح اجمالي الجسر الجوي الى اسرائيل هو ٢٧٨٩٥ طناً (٢) · فاذا ادخلنا في حسابنا ان المسافة من اميركا الى اسرائيل هي ٧٠٠٠ ميل والمسافة من الاتحاد السوفياتي الى مصر وسوريا هي ٢٠٠٠ ميل اتضح لنا ان الكوبري الجوي الاميركي ـ الاسرائيلي يساوي ٦,٥ مرة الكوبري الجوي السوفياتي على اساس وحدة الطن / ميل وذلك طبقاً لما يلي :

كوبري شركة العال : ٥٥٠٠ طن × ٧٠٠٠ ميل = ٣٨٥٠٠٠٠٠ طن ميل ·

الكوبري الجوي الاميركي : ٢٢٣٩٥ طن × ٧٠٠٠ ميل = ١٥٦٧٦٥٠٠٠ طن ميل ·

الاجمالي الاميركي الاسرائيلي : ٢٧٨٩٥ طن × ٧٠٠٠ ميل = ١٩٥٢٦٥٠٠٠ طن ميل ·

الكوبري الجوي السوفياتي : ١٥٠٠٠ طن × ٢٠٠٠ ميل = ٣٠٠٠٠٠٠٠ طن ميل ·

النسبة على أساس طن ميل : ١٩٥٢٦٥٠٠٠ ÷ ٣٠٠٠٠٠٠٠ = ٦,٥ مرة ·

ـ كان الكوبري الجوي الاميركي يشمل طائرات الفانتوم وطائرات الهليوكوبتر 53 ـ CH الدبابات 60 M وأحدث انواع المعدات الخاصة بالحرب الالكترونية (٣) · اما الكوبري الجوي السوفياتي فقد شمل الدبابات (للجبهة السورية فقط) . وسائل الدفاع الجوي والذخائر · وقد أرسل اكثر من نصف الكوبري الجوي الى الجبهة السورية ·

ـ وعلاوة على الكوبري الجوي فقد قام السوفيات ايضاً بعملية نقل بحري واسعة النطاق بلغ ـ حتى وقت وقف اطلاق النار ـ ٦٣٠٠٠ طن وقد وجه مجهود النقل البحري الرئيسي الى الجبهة السورية (٤) ·

نشاط الأسطول السوفياتي في البحر الأبيض

ـ أما الاسطول السوفياتي في البحر الابيض فقد أخذ يزداد بأقصى سرعة تسمح بها

---

(١) أقصى حمولة الطائرة 141 ـ C هو ٤٠ طناً . أما حمولة الطائرة 5 ـ C فتصل الى ١٠٠ طن .

(٢) الجسر البحري الأميركي لإسرائيل بلغ 33210 أطنان . وعليه فإن إجمالي الجسر الأميركي لإسرائيل براً وبحراً بلغ 61105 أطنان .

(٣) وصل إسرائيل ضمن الكوبري الجوي ٣٨ طائرة فانتوم . أحدث أنواع معدات الحرب الالكترونية المضادة . وصواريخ جو ـ أرض .

(٤) مجموع مجهود الكوبري الجوي والكوبري البحري يساوي ٧٨٠٠٠ طن .

معاهدة مونترو ١٩٣٦ والتي تحدد عدد القطع الحربية التي تعبر المضائق في وقت واحد كما تتطلب اخطار تركيا قبل عبور اية قطعة بحرية بثمانية ايام على الأقل · وهكذا عندما بدأت الحرب كان للسوفيات في البحر الابيض ٢٠ قطعة قتال بحرية · وبنهاية شهر اكتوبر وصل هذا العدد الى ٤٠ سفينة قتال بينما وصل اجمالي السفن عموماً الى ٨٥ سفينة ·

الإنذار السوفياتي

ـ وبالاضافة الى المساعدات التي قدمها الاتحاد السوفياتي الى مصر فقد وقف يوم ٢٣ اكتوبر موقفاً حازماً كان له اثر واضح في كبح جماح اسرائيل ، وارغامها على احترام وقف اطلاق النار (١) · كانت اسرائيل قد تجاهلت قرار وقف اطلاق النار الذي كانت قد قبلته مساء يوم ٢٢ اكتوبر واستأنفت عملياتها صباح يوم ٢٣ اكتوبر واكملت حصار الجيش الثالث الميداني · كان هجوم اسرائيل يوم ٢٣ اكتوبر يتم بتنسيق تام مع كيسنجر الذي أغمض عينيه عما تقوم به اسرائيل بهدف الوصول الى موقف معين يمكن منه فرض شروط الصلح على مصر · اما الاتحاد السوفياتي فقد اتخذ موقفاً يختلف تماماً عن الموقف الاميركي · فعلى الصعيد العسكري قام برفع درجة الاستعداد لعدد ٦ فرق جنود جو قوامها ٤٥٠٠٠ رجل وأخذت طائرات النقل تتجمع لنقل هذه القوة في مناطق تحشدها · وعلى الصعيد السياسي قام الرئيس بريجنيف يوم ٢٤ اكتوبر بارسال كتاب الى الرئيس نيكسون قال فيه : « سأقولها بصراحة · اذا لم يكن في استطاعتكم ان تعملوا معنا في هذا المجال ، فسوف نجد انفسنا امام موقف يضطرنا الى اتخاذ الخطوات التي نراها ضرورية وعاجلة · ان اسرائيل لا يمكن ان يسمح لها بالاستمرار في تجاهل وقف اطلاق النار » ·

ـ كان العالم يقف على شفا الحرب يوم ٢٤ اكتوبر · فقد ردت اميركا على الانذار السوفياتي بأن رفعت درجة استعداد جميع القوات المسلحة الاميركية في جميع انحاء العالم · وقد اثار هذا القرار الاميركي غضب وقلق حلفاء اميركا اكثر مما اثار قلق الاتحاد السوفياتي والكتلة الشرقية · لقد شعر اعضاء حلف الناتو ان اميركا تعرض السلم العالمي للخطر لكي تحقق بعض المصالح الاقليمية لاسرائيل ، وفي سبيل ذلك فانها مستعدة للتضحية بمصالح حلفائها الغربيين في حلف الناتو · لقد احدث رفع درجة استعداد الوحدات النووية الاميركية في دول حلف الناتو دون اخطار هذه الدول ، جرحاً غائراً في العلاقات الاميركية ـ الاوروبية احتاج الى عام كامل لكي يلتئم · وبينما كانت اميركا تتخذ هذا الموقف المتشدد في مواجهة الانذار السوفياتي ، فان الانذار السوفياتي اقنعها بان العدوان الاسرائيلي قد تجاوز الخط الأحمر الذي قد لا يستطع الاتحاد السوفياتي ان يتحمله ، ومن هنا بدأت اميركا في ممارسة الضغط الحقيقي على اسرائيل واضطرتها الى قبول وقف اطلاق النار ·

---

(١) انظر الباب السابع ·

ـ من مساوىء السادات انه اذا غضب على صديق فأنه لا ينسى فضائل هذا الصديق كلها فحسب . بل انه يحاول ان يبدل حسناته بسيئات يبتكرها من عنده · وكما يطبق السادات تلك المبادىء في علاقاته مع الافراد فأنه يطبقها ايضا في علاقاته مع الدول · فإذا رجعنا الى خطبه في الاعوام ٧١ و ٧٢ و ٧٣ وجدناه يكيل المديح الى الاتحاد السوفياتي ولكنه انقلب عليه اعتبارا من عام ٧٤ · وهو حر في ان يمدح من يشاء ويهجو من يشاء ولكن ذلك لا يعطيه الحق في ان يزور التاريخ من اجل نزواته · يقول السادات ان مصر صنعت ٦٠ ٪ من الكباري والمعديات التي استخدمتها قواتنا المسلحة في عبور قناة السويس وان الـ ٤٠ ٪ الباقية هي التي امدنا بها الاتحاد السوفياتي وهي كباري قديمة من ايام الحرب العالمية الثانية (١) · وان الامانة التاريخية تفرض عليَّ ان اعطي الارقام الحقيقية لوسائل العبور · قبل اكتوبر ٧٣ كان لدينا ١٢ كوبري ثقيل (٢) · كان اثنان منهما فقط من اصل غربي او تصنيع محلي من طراز بيلي . اما العشرة الاخرى فهي سوفياتية الصنع منها ٣ من نوع PMP و ٧ من نوع TPP وان نوع TPF ولو انه اقل كفاءة من PMP فأنه كان افضل بكثير من نوع البيلي او النوع المحلي · لقد قمنا فعلا بتصنيع خمسة كباري هيكلية بهدف اجتذاب قصف العدو الجوي وبذلك نخفف هجوم العدو الجوي على الكباري الرئيسية . ولكي نبعث الحياة في هذه الكباري جعلناها قادرة على تحمل عبور مركبات لا يزيد وزنها الاجمالي على ٤ اطنان . واستخدمنا عددا من عربات الجيب لكي تعبر عليها ولكننا لم ندخلها قط ضمن حساباتنا في عملية العبور · وفي خلال حرب اكتوبر قام السوفيات بامدادنا بكوبري PMP آخر ضمن الكوبري الجوي الذي اقامه الاتحاد السوفياتي بعد اقامة الحرب بثلاثة ايام · اننا فخورون طبعا بأننا استطعنا تصنيعه محليا لإكمال بعض النواقص في وسائل العبور ولكن هذا الفخر يجب الا يتحول الى غرور كاذب · ان الشعور بالعزة هو صفة حميدة اما الادعاء بالباطل فهو صفة مرذولة · ان ٩٠ ٪ من دباباتنا وعرباتنا قد عبرت على كباري ومعديات سوفياتية الصنع وهذه حقيقة لا تقلل من شأننا . حيث اننا نحن الذين عبرنا فوقها · لقد استخدمنا مضخات مياه انجليزية الصنع والمانية الصنع في فتح الثغرات في الساتر الترابي . فهل يذهب فخر هذا العمل الذي قمنا به الى من صنعوا هذه المضخات ام الى من استخدموها ؟ انه لا يضيرنا مطلقا ان نعترف بأن الكباري كانت سوفياتية وان المضخات كانت انجليزية والمانية · اننا نحن ابناء مصر الذين خططنا وعبرنا وانتصرنا ·

ـ لقد كذب السادات ايضا عندما ادعى ان الاتحاد السوفياتي لم يكن يمدنا قط بأية صور جوية من تلك التي يلتقطها بواسطة طائراته الميج ٢٥ او اقماره الصناعية · لقد كان الاتحاد السوفياتي يمدنا بمثل هذه الصور وان لم يكن ذلك بصفة دورية منتظمة · كانت صور الاقمار الصناعية تصل من موسكو برفقة ضابط خاص لكي تعرض علينا ونأخذ منها ما نحتاج

---

(١) ـ في حديث للسادات نشر بجريدة الاهرام اول اكتوبر ٧٦ ·

(٢) ـ الكوبري الثقيل هو الكوبري الذي تعبر عليه الدبابة وهو الوسيلة الرئيسية للعبور ·

اليه شريطة الا نعيد تصويرها · وقد عرضت هذه الصور على السادات مرتين على الاقل . قبل الحرب · وعندما حضر كوسيجين الى القاهرة خلال الحرب في الفترة من ١٦ ـ ١٩ اكتوبر عرض على الرئيس شخصيا صورا تؤكد حجم الاختراق الاسرائيلي غرب القناة . وبعد وقف اطلاق النار في ٢٤ اكتوبر ٧٣ كانت صور الاقمار السوفياتية هي المصدر الرئيسي للمعلومات عن العدو ·

الأخطاء السوفياتية

ـ ان المساعدات العسكرية الضخمة التي قدمها الاتحاد السوفياتي الى مصر لا تعني ان السوفيات هم ملائكة وانهم دون اخطاء · لقد كان لهم اخطاء وكنا نختلف معهم في كثير من الاحيان وسوف اركز هنا على مشكلتين رئيسيتين بصفتهما اساس المشكلات الاخرى كلها · المشكلة الاولى هي القيود المفروضة على السلاح والمشكلة الثانية هي الاخلاق والطباع السوفياتية ·

السلاح السوفياتي

ـ كان السوفيات هم الذين يحددون حجم ونوعية وتاريخ التوريد بالنسبة للسلاح الذي يتم توريده الى مصر · لقد كان المفاوض المصري يستطيع ان يطلب ويناور ويحاول اقناع الجانب السوفياتي بحجم ونوعية السلاح الذي نطلبه . وقد ينجح احيانا ولكن نجاحه يتوقف على درجة استعداد الجانب السوفياتي لقبول وجهة النظر المصرية · كان الجانب السوفياتي هو صاحب الكلمة الاخيرة في القبول او الرفض · وان هذا الموضوع يمكن ان يكون مجال حديث طويل ولكننا نود ان نلفت النظر الى الحقائق التالية :

١ ـ ان سياسة الاتحاد السوفياتي في تأييده للدول العربية واضحة تماما . وهي مبنية على اساس مساعدة الدول العربية في استعادة اراضيها التي احتلت بعد عام ١٩٦٧ واقامة الدولة الفلسطينية · وهو لا يوافق مطلقا على تدمير دولة اسرائيل · وعن طريق سيطرته على الامداد بالسلاح فأنه يستطيع ان يؤثر على سير الاحداث بحيث لا تخرج عن المسار الذي رسمه ·

٢ ـ ان الخلاف العربي الاسرائيلي ليس مجرد مشكلة محلية اقليمية . انها تدخل ضمن الاستراتيجية العالمية وتوازن القوى بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية · وقد وقف العالم على شفا الحرب مرتين بسبب هذا الخلاف · كانت الاولى عام ١٩٥٦ عندما ارسل السوفيات انذارهم الشهير الى كل من بريطانيا وفرنسا لوقف اعتدائهما على مصر · وكانت الثانية يوم ٢٤ اكتوبر ٧٣ عندما ارسل السوفيات انذارهم الى اميركا للضغط على اسرائيل وارغامها على احترام وقف اطلاق النار · اضف الى ذلك الكتاب العنيف الذي ارسله كوسيجين الى الحكومة الاميركية في يناير ٧٠ لكي توقف اسرائيل غاراتها على العمق المصري · وهكذا نجد ان الاتحاد السوفياتي هو عضو اساسي في المشكلة . ومن هنا فأنه يعتقد ان من حقه ان يسيطر على سير الاحداث في المنطقة ·

٣ - ان الاتحاد السوفياتي دولة غير غنية اذا ما قورنت بالولايات المتحدة وبالتالي فأنه لا يستطيع ان يغدق العطاء على مصر وبالقدر نفسه الذي تغدق به اميركا على اسرائيل . ان اميركا كانت تغدق على اسرائيل قبل عام ١٩٧٣ ما يوازي ١٥٠٠ مليون دولار سنويا وقد رفعت هذا المبلغ بعد ٧٣ الى ما يوازي ٢٠٠٠ مليون دولار سنويا . وان هذه المبالغ تفوق بكثير طاقة الاتحاد السوفياتي في التبرع وطاقة مصر في الدفع كثمن للسلاح الذي تريده .

٤ - ان الاسلحة الحديثة هي اجهزة بالغة التعقيد ويحتاج استيعابها الى مستويات ثقافية عالية والى وقت طويل . وعلى الرغم من ان مصر كانت تعمل بأقصى طاقتها منذ عام ٦٧ لرفع كفاءة قواتها المسلحة فقد كانت تجد صعوبة كبيرة في استيعاب الاسلحة الحديثة كلها التي تقدَّم لها . وقد اضطرها هذا الموقف الى الاستعانة بأفراد سوفيات لتشغيل بعض هذه المعدات كما حدث عام ١٩٧٠ حيث اشترك ما يزيد عن ٦٠٠٠ فرد روسي في تشغيل معدات فنية معقدة لا تتوفر الايدي المصرية لتشغيلها . وقد كانت هذه الصورة ظاهرة بشكل واضح في القوات الجوية وفي وحدات الحرب الالكترونية . وبعد انهاء خدمة الوحدات السوفياتية كان عدد طائرات الميج ٢١ التي لدينا يفوق عدد الطيارين الذين يستطيعون قيادتها .

٥ - هناك حقيقة اخرى وهي تخلف التكنولوجيا السوفياتية عن التكنولوجيا الاميركية في مجال الاسلحة التقليدية بصفة عامة وفي مجال الطيران بصفة خاصة . في اوائل الستينات كانت اميركا تسبق الاتحاد السوفياتي بحوالي جيل كامل (١) . وقد اخذت هذه الفجوة تضيق حتى اغلقت في اوائل السبعينات . وحيث ان سياسة الاتحاد السوفياتي هي الا يعطي افضل ما عنده لأية دولة اجنبية رغبة منه في المحافظة على اسرار اسلحته . فان افضل اصدقائه لا يمكن ان يطمح لأكثر من الرقم الثاني في افضلية السلاح وقد يحصل الاصدقاء العاديون على الرقم الثالث او الرابع تبعا لقوة صداقتهم مع الاتحاد السوفياتي . اما اميركا فأنها تعطي افضل ما عندها من سلاح الى اسرائيل اذ ان الاسلحة الحديثة تدخل في خدمة القوات المسلحة الاسرائيلية والقوات المسلحة الاميركية في وقت واحد . وتطبيقا لهذه المبادىء فقد كانت الاسلحة المتاحة لاسرائيل خلال الستينات تتقدم جيلين عما هو متيسر في ايدي العرب وقد ضاقت هذه الفجوة لتصبح جيلا واحدا خلال السبعينات . واذا استمر تقدم التكنولوجيا السوفياتية بهذا المعدل فمن المحتمل ان تتساوى الاسلحة التي بين ايدي العرب واسرائيل في الثمانينات .

---

(١) . الجيل هو سلاح متطور يفوق في خصائصه الاسلحة التي سبقته ويستمر في الخدمة الى ان يحل محله سلاح آخر افضل منه في خصائصه فيبدأ بذلك جيل جديد .

الخشونة في المعاملة

- كانت الاخلاق والطبائع الروسية مثار كثير من الخلافات كانت احاديثهم فيها خشونة وغلاظة. وكانوا احياناً يوجهون انتقاداتهم بشكل مثير. مثال ذلك « انكم تطلبون من الاتحاد السوفياتي ان يمدكم بالأسلحة وتلوموننا اذا تأخرنا في توريد هذه الاسلحة علماً بأن الاتحاد السوفياتي يتحمل نصف ثمنها ويمدكم بقرض لتمويل النصف الثاني ومع ذلك فأنتم لا تعبئون مواردكم كلها للحرب كما تفعل الدول التي في حالة حرب وكما فعلنا نحن خلال الحرب الوطنية الكبرى (١) . ان من يسر في شوارع القاهرة لا يمكن ان يشعر بأن مصر في حالة حرب . ان الشوارع مليئة بالعربات الفاخرة والحوانيت مليئة بالبضائع وبالذهب والجواهر » . كانت هذه الآراء وغيرها يتبادلها المستشارون والخبراء السوفيات الذي يتواجدون في الوحدات مع نظرائهم المصريين . كانت هذه الآراء السوفياتية تجد تجاوباً وقبولاً لدى بعض الأفراد ولكنها كانت تسبب ازعاجاً كبيراً للقيادة السياسية لأنها كانت تعتبرها حضاً على انتقاد السلطة وتشجيعاً لانتشار الشيوعية في مصر .

- وفي حالات اخرى كانوا يعرضون رأيهم وكأنه هو الرأي الوحيد الصحيح وليس مجرد رأي يقبل المناقشة والجدل . وقد مررت أنا شخصياً بعدد من مثل هذه الحالات . ولكني سأقص قصة واحدة كان بطلها هو الجنرال لاشنكوف LASHNEKOV خلال زيارته لمصر في نوفمبر ١٩٧٣ . لقد كان الجنرال لاشنكوف يعمل كبيراً للمستشارين السوفيات في مصر خلال عامي ٦٨ - ٦٩ وخلال هذه الفترة لم يكن بيني وبينه أي اتصال مباشر . كنت خلال هذه الفترة اشغل منصب قائد القوات الخاصة وكنت التقيه احياناً في احد المشاريع التدريبية او البيانات العملية ونتبادل التحية وبعض الكلمات . وبعدما توليت منصب ر ا ح ق م م في مايو ٧١ شاهدت الجنرال لاشنكوف مرتين . مرة عندما كان مرافقاً للمارشال جريشكو في احدى زياراته والأخرى عندما حضر الجنرال لاشنكوف رئيساً للجنة عسكرية سوفياتية خلال شهر فبراير ٧٣ . وفي النصف الثاني من شهر نوفمبر ٧٣ حضر على رأس وفد لدراسة الموقف فكان هذا هو لقاءنا الثالث وأنا اشغل منصب ر ا ح ق م م .

- في يوم ١٩ نوفمبر كان هناك اجتماع مصغر في غرفة العمليات في المركز ١٠ (مركز عمليات القوات المسلحة المصرية) وقد حضر هذا الاجتماع الوزير وانا واللواء سعد مأمون وحضر معنا الجنرال لاشنكوف . عندما تكلمت عن خبرتنا في الدفاع ضد الدبابات . اثنيت على المالوتكا وعلى ر ب ج ٧ ولكني انتقدت المدافع عديمة الارتداد ب - ١٠ . ب ١١ (٢) . لأنها ثقيلة وصعبة التداول بواسطة افراد المشاة المترجلين . ان المدى المؤثر لهذه المدافع هو حتى ٦٠٠ - ٨٠٠ متر وهي مخصصة اساساً لكي تغطي الارض الميتة للمقذوفات الموجهة المضادة

---

(١) الاسم الذي يطلقه السوفيات على الحرب العالمية الثانية .

(٢) ب ١٠ هو مدفع مضاد للدبابات عديم الارتداد عيار ٨٢ مم .

ب ١١ هو مدفع مضاد للدبابات عديم الارتداد عيار ١٠٧ مم .

للدبابات (مالوتكا) (١) والتي تصل الى ٥٠٠ متر · وهنا اقترحت ما يلي « لو ان العلماء السوفيات استطاعوا ان يطوروا المالوتكا بحيث تصبح الارض الميته ٣٠٠ متر فقط أو طوروا ر ب ج بحيث يصبح مداه المؤثر ٦٠٠ متر مثلاً لأصبح في استطاعتنا الاستغناء عن كل من المدفع ب ـ ١٠ ، ب ـ ١١ وان يكون أساس الدفاع المضاد للمشاة هو المقذوفات المضادة للدبابات الموجهة (المالوتكا او أي جيل يظهر بعد ذلك) والقاذف الصاروخي ر ب ج ٧ » · كنت اعتقد انني بهذه الافكار أؤدي خدمة الى الاصدقاء الذين اعطونا السلاح · انهم صنعوا هذا السلاح ولكنهم لم يقاتلوا به . اما نحن فقد كنا أول من يستخدم هذه الاسلحة ضد عدو حسن التنظيم والتجهيز · ولكني فوجئت بالجنرال لاشنكوف يقول « ان السلاح الروسي هو افضل سلاح في العالم · وان العلماء الروس يحسبون كل شيء ولا اعتقد انهم بانتظار سماع هذه الأفكار » كان ردي عليه فورياً وبروح التحدي نفسها وقلت له « أولاً انا لم اقل ان السلاح الروسي رديء لقد حاربنا وعبرنا وانتصرنا بالسلاح الروسي وانما اقول عن خبرة قتال لكي نعمل على تحسين مواصفات بعض هذه الاسلحة · لقد صنعتم انتم هذه الاسلحة ولكنكم لم تقاتلوا بها اما نحن فقد قاتلنا بهذه الاسلحة واكتسبنا نتيجة ذلك خبرات قتالية · واذا كنتم تعرفون كل شيء فلماذا حضرتم لتسألونا عن تلك الخبرة القتالية التي اكتسبناها في هذه الحرب ؟ » · وهنا اسرع الفريق احمد لسماعيل بالتدخل لتلطيف الجو واعطاء تفسيرات هادئة لما قاله الجنرال لاشنكوف وما قلته انا . قبل ان ننتقل الى موضوع آخر ·

ـ وعندما جاء دور الجنرال لاشنكوف في التعليق على سير العمليات وبدأ يتكلم عن دور القوات الجوية المصرية قال « ان مصر لم تستخدم قواتها الجوية بأسلوب جيد كما فعلت سوريا · وان عدد الطلعات التي قامت بها القوات الجوية المصرية خلال فترة القتال تعتبر قليلة جداً اذا قورنت بعدد الطائرات المتيسرة ولهذا فإن خسائركم في الطائرات يعتبر قليلاً جداً اذا ما قورن بخسائر سوريا في الطائرات · وان هذا يدل على ان رئيس اركان حرب القوات المسلحة لم يخصص المهام الكافية للقوات الجوية لكي تقوم بتنفيذها » · وقد رددت عليه قائلاً « انني سعيد بما تقول · ان ما تعتقده خطأ اعتبره صواباً · ان سلامة قواتنا الجوية وبقاءها بعد نهاية الحرب سليمة وقوية هو مفخرة اعتز بها » · وبعد نهاية المؤتمر جاءني اللواء سعد مأمون وسألني على انفراد عما اذا كان هناك خلاف سابق بيني وبين الجنرال لاشنكوف فأجبت بالنفي وقلت له ان هذه هي المرة الاولى التي اتعامل بها مع هذا الرجل . فقال متعجباً « لقد دهشت عندما سمعتكما تتناقشان ، وتصورت انه لا بد وان يكون هناك خلافات قديمة بينكما ! » ·

ـ هناك قصة اخرى تبين ايضاً أسلوب السوفيات في توجيه النقد وان كنت لست طرفاً في هذه القصة ولكني كنت أحد شهودها · كان ابطال هذه القصة هما الرئيس السادات والمارشال

(١) المدى المؤثر للمالوتكا هو ما بين ٥٠٠ متر و٤٠٠٠ متر اي انه لا يستطيع اصابة الدبابة اذا كانت على مسافة اقل من ٥٠٠ متر ، وإننا عندما نطلق تعبير « الأرض الميتة » لسلاح معين فأننا نقصد الارض التي لا يستطيع هذا السلاح اصابة الهدف اذا دخل فيها . ولذلك فأنه يجب ان نغطي هذه المنطقة بنيران سلاح آخر ·

جريشكو . بدأت القصة بأن تقدم السادات في احدى زيارته الى موسكو بكشف مبيناً به كميات الذخيرة التي نطلبها . وفي اثناء احدى الجلسات علّق المارشال جريشكو على هذا الكشف قائلاً « لماذا تطلبون هذه الذخيرة كلها ان لديكم كذا مليون طلقة. ذخيرة . ان لديكم اكثر من ١٠٠٠ طلقة لكل جندي اسرائيلي ! » . كان الرقم من وجهة نظر السادات رقماً كبيراً ولم يستطع ان يجادل في هذا الموضوع ولكنه قام بكتابة الرقم الذي ذكره المارشال جريشكو عن عدد ملايين الطلقات الموجودة في قواتنا المسلحة في سجله الخاص اعتقاداً منه انه قد حصل على معلومة هامة .

- وفي احد اجتماعات الرئيس مع المجلس الأعلى للقوات المسلحة دون ان نكون على علم بهذه القصة . التفت اليّ حيث كنت أجلس على يساره وسألني « كم عدد الطلقات الموجودة في القوات المسلحة ؟ » اعتقدت ان الرئيس يمزح فابتسمت وقلت له لا اعرف . كان رد فعل الرئيس يدل على انه لم يكن يمزح وأنه كان يعني ما يقول فقد علّق قائلاً « كيف . وانت رئيس اركان حرب القوات المسلحة . لا تعرف عدد الطلقات الموجودة في القوات المسلحة ؟ » . فأجبت « سيادة الرئيس . على مستوى القيادات العليا في القوات المسلحة فإننا لا نحسب كمية الذخيرة بالطلقة بل اننا نحسبها بالوحدة النارية (١) وعدد ايام القتال التي يمكن ان تستنفد فيها الذخيرة » . أجاب الرئيس غاضباً « كيف تقول ذلك والمارشال جريشكو يعرف عدد الطلقات التي لدينا وأخبرني بالرقم وهو كذا مليون طلقة ! » أجبت قائلاً « سيادة الرئيس . ان هذه البيانات يمكننا الحصول عليها بواسطة العقل الالكتروني (الكومبيوتر) في أي وقت تشاء » فقال الرئيس غاضباً « بصفتك رئيس الاركان يجب ان تعرف هذه البيانات » ورغبة في تهدئة الموقف وعدم احراجه اكثر من ذلك . قلت له « سوف اقوم باعداد هذا البيان وعرضه على سيادتكم » .

- لا شك ان السادات قد احس بأن المارشال جريشكو قد غرر به وسخر منه عندما ذكر له عدد الطلقات الموجودة في القوات المسلحة المصرية . لأن الرئيس السادات لم يطلب مني قط هذه البيانات بعد هذا اللقاء .

---

(١) الوحدة النارية للسلاح هي كمية الذخيرة اللازمة لهذا السلاح خلال معركة عادية (لا هي شديدة ولا هي بسيطة) او الكمية التي يستهلكها السلاح خلال يوم كامل . وتختلف الوحدة النارية لكل سلاح تبعا لخصائصه .

الباب السادس

المسَاعدات العسكرية
مِن الدول العربيَة

الدورة الثالثة عشرة لمجلس الدفاع العربي المشترك

أداء يمين الولاء للجامعة العربية

ـ في يوم ٣٠ يونيو ١٩٧١ وفي اجتماع عادي لمجلس الجامعة العربية في القاهرة . أديت اليمين القانونية بصفتي الأمين العام المساعد للجامعة العربية للشؤون العسكرية . وبموجب هذا المنصب فاني اصبح رئيساً للجنة الاستشارية العسكرية للجامعة العربية والتي تتكون من رؤساء اركان حرب القوات المسلحة في جميع الدول العربية . وأقوم بتقديم توصيات اللجنة الاستشارية الى مجلس الدفاع العربي المشترك الذي يتكون من وزراء الخارجية والدفاع في الدول العربية . وقد بدأت عملي في هذا المنصب بأن قمت بدراسة دقيقة لمعاهدة الدفاع المشترك . ولجميع المحاضر والقرارات التي اتخذت منذ عقد هذه المعاهدة وقد خرجت من هذه الدراسة بأربع نقاط رئيسية . كانت النقطة الأولى هي التحمس الواضح والخطب الرنانة التي كانت تلقى خلال هذه الاجتماعات من جميع الأعضاء ثم القرارات القوية التي يتخذها المجلس حتى ليتصور المرء ورجل الشارع العربي ان كل شيء يسير على أحسن ما يكون . كانت النقطة الثانية هي ان الدول العربية ـ سواء كانت من دول المواجهة او من غير دول المواجهة ـ كانت تنظر الى الدعم العربي على انه معونة مالية فحسب . كان كل ما تطلبه دول المواجهة هو الدعم المالي وكانت الدول العربية الأخرى تعتقد انها بتقديم الدعم المالي لدول المواجهة ، قد أدت دورها النضالي نحو القضية العربية . كانت النقطة الثالثة هي عدم فاعلية قرارات مجلس الدفاع المشترك ـ فعلى الرغم من ان قرارات مجلس الدفاع المشترك ـ طبقاً لمعاهدة الدفاع المشترك ـ تعتبر ملزمة لجميع الأعضاء ، اذا اتخذ القرار بأغلبية ثلثي الأصوات ، فإن هذه القرارات ولا سيما ما يتعلق منها بالدعم المالي كانت تبقى معطلة . وكان يتوقف تنفيذها او تنفيذ جزء منها على مدى النشاط والزيارات التي يقوم بها المسؤولون في دول المواجهة الى الدول العربية الأخرى . اما النقطة الرابعة فهي ان مؤتمرات القمة العربية (الملوك والرؤساء) هي المؤتمرات الوحيدة التي يتحقق فيها شيء من النجاح . لأن الملوك والرؤساء هم الاشخاص الوحيدون الذين يمسكون بزمام السلطة في البلاد العربية .

قومية المعركة تتطلب عدالة توزيع الأعباء

ـ قمت باجراء دراسة تشمل الدخل القومي والانفاق العسكري في كل من الدول العربية واسرائيل فكانت الارقام تثير الدهشة حقاً . كان اجمالي الدخل القومي للدول العربية ذات الـ ١١٠ مليون نسمة ، هو ٢٦٠٠٠ مليون دولار . بينما كان الدخل القومي لاسرائيل (٢,٨٢٢٠٠٠ نسمة) هو ٣٦٧٢ مليون دولار . وهذا يعني ان متوسط دخل الفرد العربي في العام هو ٢٣٦ دولاراً بينما متوسط دخل الفرد الاسرائيلي هو ١٣٠٠ دولار في العام (١) . فإذا نظرنا الى

---

(١) جميع هذه الارقام بنيت على اساس احصائيات الامم المتحدة ١٩٧٠ .

كيفية توزيع الثروة في المنطقة العربية فإننا نجد تبايناً واضحاً ـ ففي بعض الدول العربية نجد اعلى متوسط لدخل الفرد في العالم . وفي دول عربية أخرى نجد أقل مستويات الدخل في العالم · وأكثر من ذلك فإن جميع الدول ذات الحدود المشتركة مع اسرائيل والتي تتحمل العبء الأكبر من التهديد الصهيوني هي من مجموعة الدول العربية الفقيرة ، اما الدول العربية الغنية فإنها تقع بعيداً عن اسرائيل وبالتالي فأنها لا تشعر بالتهديد الصهيوني والخطر الصهيوني بالقدر نفسه الذي تشعر به وتتحمله الدول الفقيرة المتاخمة لها · وبدراسة حجم الإنفاق العسكري في الدول العربية اتضح ان مصر التي كان متوسط دخل الفرد فيها هو ٢٠٣ دولار كانت تنفق ٢١,١ ٪ من دخلها القومي على شؤون الدفاع . بينما كانت هناك دول اكثر غنى لا يصل انفاقها العسكري الى ٣ ٪ من دخلها القومي (١) · كانت الارقام مفجعة ومثيرة للتساؤل · هل حقاً المعركة قومية وأنها مسؤولية العرب جميعاً أم أنها مسؤولية دول المواجهة ؟ اذا كانت الإجابة بأن المعركة قومية كما ينادي الجميع فهل قام العرب بتوزيع أعباء هذه الحرب بأسلوب عادل ؟ هنا يجب ان تكون الإجابة لا ثم لا · إذا نحن راعينا العدل الاجتماعي في توزيع الأعباء فالمفروض ان تتحمل الدول الغنية أكثر مما تتحمله الدول الفقيرة ولكن الواقع كان يصرخ ويقول ان العكس هو الصحيح · كانت الدول الفقيرة وفي مقدمتها مصر هي التي تدفع أكثر والدول الغنية ـ أو على الأقل معظمها ـ هي التي تدفع أقل · قد يتصور بعضهم أن مؤتمر الخرطوم المنعقد عام ١٩٦٧ قد حل هذا التناقض وذلك عندما تعهدت بعض الدول العربية الغنية بأن تخصص مبلغاً من المال لتدعيم دول المواجهة ولكن الحقيقة هي غير ذلك (٢) · لا شك ان مقررات مؤتمر الخرطوم هي أول خطوة عملية في اتجاه التضامن العربي وأن الدول الثلاث التي اسهمت في هذه المعونة لها أن تفخر بأنها كانت أول الدول التي حاولت أن تخطو خطوة عملية لمساعدة الأشقاء في معاناتهم بدلاً من مجرد كلمات التشجيع الجوفاء · ولكن هل كانت هذه الخطوة كافية ؟ وهل يعني ذلك قومية المعركة · كلا . ثم كلا · ان قومية المعركة تعني اشتراك الدول العربية جميعها ـ وليس ثلاثاً منها فقط ـ كل في حدود امكانياته البشرية والمالية · ان قومية المعركة تعني ان تقوم الدول الغنية بتخصيص نسبة من دخلها القومي للمعركة تكون أكبر من النسبة التي تخصصها الدول الفقيرة · وكلا هذين الشرطين قد أهمل في مقررات مؤتمر الخرطوم ·

---

(١) سوريا كان متوسط دخل الفرد بها ٢٤٤ دولاراً وتخصص للدفاع ١١,٨ ٪ ·
الأردن كان متوسط دخل الفرد بها ٢٨٠ دولاراً وتخصص للدفاع ١٤,٨ ٪

(٢) كانت مقررات مؤتمر الخرطوم هي ان تدفع دولة الكويت ٥٥ مليون جنيه والمملكة العربية السعودية ٥٠ مليون جنيه وليبيا ٣٠ مليون جنيه فيكون الاجمالي هو ١٣٥ مليون جنيه استرليني · ويتم توزيع هذا المبلغ على كل من مصر والأردن فيكون نصيب مصر هو ٩٥ مليون جنيه استرليني سنوياً والاردن ٤٠ مليون جنيه استرليني سنويا ·

ـ حاولت ان أطبق شعار قومية المعركة مستعيناً بالأرقام · استخدمت أرقام الدخل القومي لكل دولة عربية ومتوسط دخل الفرد السنوي فيها · استخدمت أرقام الانفاق العسكري في كل بلد عربي وما تتطلبه المعركة من اعتمادات مالية الخ الخ .

وفي النهاية تبلور في ذهني مشروع متكامل يحدد ما يجب ان تخصصه الدول العربية لشؤون الدفاع عنها · كان المشروع يتكون من النقط الرئيسة التالية :

١ ـ تخصص كل دولة لشؤون الدفاع النسبة المالية من دخلها القومي سنوياً ·

الدولة التي متوسط دخل الفرد السنوي فيها بالدولار من	الى	النسبة التي تخصصها سنوياً من دخلها القومي لشؤون الدفاع
١٠٠	٢٠٠	١٠ ٪
٢٠٠	٥٠٠	١٥ ٪
٥٠٠	١٠٠٠	٢٠ ٪
١٠٠٠	٢٠٠٠	٢٥ ٪
٢٠٠٠	فأكثر	٣٠ ٪

٢ ـ ينشأ صندوق قومي للمعركة في الجامعة العربية يتولى توزيع هذه الاعتمادات على جميع الدول حسب احتياجات الدفاع بحيث لا تقل ما يخصص لدول المواجهة مع اسرائيل عن ٥٠ ٪ من تلك الاعتمادات ويخصص الباقي للدول العربية الأخرى جميعها ·

٣ ـ النسب المذكورة اعلاه هي الحد الأدنى للانفاق العسكري في كل دولة عربية طبقاً لمتوسط دخل الفرد . ولكن ليس هناك حد أقصى لمن يريد أن يخصص أكثر من ذلك ·

ـ كنت أرى في هذا المشروع تجسيداً لقومية المعركة وتكافلاً اجتماعياً بين الدول العربية وتصحيحاً للتناقضات الموجودة في العالم العربي حيث يتحمل الفرد في الدول الفقيرة أكثر مما يتحمل الفرد في الدول الأغنى · وعندما أخذت أناقش هذه الآراء مع بعض المصريين والأخوة العرب لم أجد أحداً على استعداد لأن يقبل ذلك · كانوا يظنون أنها خطوة تقدمية أكثر من اللازم قد تفسّر تفسيرات خاطئة . فأحجمت عن تقديم المشروع الى مجلس الدفاع المشترك بصفة رسمية · ومع ذلك فإني انتهزت فرصة أول اجتماع لي مع رؤساء أركان حرب القوات المسلحة في الدول العربية فبيّنت لهم بالأرقام الإنفاق العسكري في كل دولة ونسبته الى الدخل القومي لكي أبيّن لهم مدى التناقض الكبير بين ما تنفقه الدول الفقيرة وما تنفقه الدول الغنية . وطالبت بتعديل هذه الأوضاع المقلوبة ولكنني لم اقترح تلك النسب التصاعدية في الإنفاق العسكري ·

قرارات مجلس الدفاع المشترك

ـ عندما اجتمع مجلس الدفاع المشترك في دورته الثانية عشرة في المدة من ٢٧ ـ ٢٩ نوفمبر ٧١ تقدمت اليه بمشروعين : كان المشروع الأول يرمي الى تعبئة الامكانيات العسكرية

الفعلية في الدول العربية وهذا يعني بحث موقف القوات المسلحة في كل دولة عربية وتحديد حجم القوات التي تشارك بها في المعركة . وهكذا فإنه بدلاً من ان تطلب دول المواجهة دعماً مالياً من أشقائها العرب فإنها تطلب منهم دعماً عسكرياً . وقد كنت ارمي من وراء ذلك الاقتراح أن أحقق ثلاثة أهداف : الهدف الأول هو أن أجنب دول المجابهة هوان طلب المال . فقد كان طلب المال ينظر اليه كنوع من الاستجداء وليس بصفته فريضة على جميع الدول العربية . وثانياً . فقد كنت ارمي أن أجعل الدول العربية التي ليست من دول المواجهة . تشعر بالكبرياء وتشعر بالذنب في وقت واحد . تشعر بالكبرياء اذ تسهم في المعركة بصورة ايجابية . وفي الوقت نفسه تشعر بالذنب عندما تقارن بين حجم مساعداتها العسكرية وحجم القوات التي تسهم بها دول المواجهة . اما الهدف الثالث فهو توفير الوقت . ان النقود لا تقاتل . وإن تحويل هذه النقود الى قدرات قتالية على شكل لواء مدرع أو سرب طائرات الخ قد يحتاج الى سنتين او ثلاث (١) . لذلك فإن الوحدة المدربة لمن يريد ان يقاتل تعتبر أفضل بكثير من مجرد التبرع بالمال . إن الاسهام بسرب من المقاتلات أفضل بكثير من التبرع بخمسين مليوناً من الدولارات .

ـ واقتناعاً مني بهذا الخط اقترحت ان تقوم الدول العربية التالية بتدعيم دول المواجهة بالتعززات التالية :

الجمهورية العراقية

سربي هوكر هنتر	(الجبهة الاردنية)
ثلاثة أسراب ميج ٢١	(الجبهة السورية)
سرب ميج ١٧	(الجبهة السورية)
فرقة مدرعة	(الجبهة الاردنية)
فرقة مشاة	(الجبهة الاردنية)

المملكة العربية السعودية

سربي ليتننج	(الجبهة الاردنية)

الجمهورية الليبية

سرب ميراج ٣	(الجبهة المصرية)

الجمهورية الجزائرية

سربي ميج ٢١	(الجبهة المصرية)
سربي ميج ١٧	(الجبهة المصرية)

---

(١) يحتاج تدريب الطيار الى ٣ ـ ٥ سنوات ويتكلف خلالها حوالي مليون دولار (طبقا لحسابات عام ١٩٧١) .

المملكة المغربية		
ـ رب ف ٥	(الجبهة المصرية)	تم تحديد هذه القوات بعد زيارتي للمملكة المغربية في فبراير ٧١
...راء مدرع	(الجبهة المصرية)	

ـ لم أخطر الفريق صادق بهذا المشروع قبل أن اعرضه على مجلس الدفاع المشترك · إذ انني لم اكن ارى سبباً واحداً يدعوني الى ان أخطر وزير الحربية المصري قبل أن أخطر وزراء حربية الدول العربية الأخرى · وعندما كنت أقدم المشروع أمام المجلس لم أذكر أهدافي من هذا المشروع كما ذكرتها في تلك المذكرات ولكني ركزت فقط على عامل الوقت وان الاعتمادات المالية لن تتحول الى قدرات قتالية قبل مرور سنتين الى ثلاث في حين أن تلك الوحدات يمكن الاستفادة منها فوراً أو بعد أشهر قليلة · فوجىء صادق بالمشروع وبتعليقاتي التي كنت أشرح بها المشروع وأسبابه وأهدافه فأرسل لي ورقة كتب فيها « ان هذا الخط التي تسير فيه يتعارض مع مصالح مصر » بعد أن قرأت ما في الرسالة استرسلت في الخط نفسه الذي كنت أنادي به وكأن شيئاً لم يحدث · كنت وما زلت اعتقد بأن ذلك كان في مصلحة العرب ومصلحة مصر على السواء ·

ـ وفي خلال فترة الراحة انتحى بي الوزير جانباً وقال « كيف تطلب قوات بدلاً من المال ؟ اننا في مصر محتاجون الى المال » قلت له « أنا لا أمثل مصر في هذا المجلس · أنت الذي تمثل مصر ولك أن تتكلم وتطلب بإسم مصر ما تشاء » · فقال غاضباً « لماذا لم تخطرني بهذا المشروع قبل أن تعرضه ؟ » فقلت له « ولماذا أعرضه عليك ؟ وأني أعرضه على المجلس بصفتي الأمين المساعد العسكري للجامعة العربية . وليس بصفتي ر ا ح ق م م » وتطور الحديث بيننا الى ان قال « سأقوم بأخطار الرئيس بتصرفاتك هذه » فقلت له « تستطيع ان تفعل ما تشاء » ·

ـ وافق مجلس الدفاع المشترك على المشروع بالإجماع بما في ذلك مصر · وطلب المجلس مني أن أقوم بزيارة الدول التي أوصى القرار بأن تقوم بتدعيم دول المواجهة بالوحدات لتأكيد هذا القرار وللتأكد من مستوى كفاءة هذه الوحدات ·

ـ كان المشروع التالي الذي تقدمت به هو مشروع رسم خرائط عن اعماق البحار المحيطة بالسواحل العربية · لقد اتضح لي ان السواحل العربية تبلغ ١٦٤٨٠ كيلو متراً وهي تأتي بعد الاتحاد السوفياتي الذي تبلغ طول سواحله ١٩٨٦٠ كيلو متراً وقبل الولايات المتحدة التي يبلغ طول سواحلها ١٥٥٣٠ كيلو متراً · وعلى الرغم من أننا نقف في المركز الثاني في العالم من حيث طول سواحلنا العربية فلم يكن لدينا خريطة عن اعماق البحار حول هذه الشواطىء · كانت اساطيلنا تعتمد على الخرائط التي قامت البحرية البريطانية والبحرية الفرنسية بوضعها عن بعض السواحل العربية · وحيث أن مثل هذه الخرائط تعتبر من الأسرار الحربية التي لا يجوز للدولة صاحبة الشأن أن تعتمد على دولة اجنبية في عملها فقد رأيت أن نقوم بوضع هذه الخرائط · لقد كان لدينا الخبرة الفنية لرسم هذه الخرائط وكان كل ما ينقصنا هو

السفينة والمعدات اللازمة لتنفيذ هذا العمل . وبدراسة الموقف أتضح أنه يمكن شرء السفينة والمعدات الفنية المطلوبة من بريطانيا في حدود مبلغ مليون ونصف مليون جنيه ا. نرليني . وكان المبلغ المطلوب موجوداً وبذلك لم تكن هناك أية مشكلة .

ـ كانت الدول العربية قد تبرعت منذ عدة سنوات بمبالغ مالية بإسم القيادة العربية الموحدة ، وكانت هذه القيادة قد جمدت ولكن بقي في حوذتها مبلغ ٣ ملايين جنيه استرليني كانت موذعة في البنك الأهلي المصري بإسم تلك القيادة . عندما علمت بوجود هذا المبلغ اقترحت أن نأخذ منه مليوناً ونصف المليون لهذا المشروع . وعندما عرضت المشروع على مجلس الدفاع المشترك ، صدّق المجلس عليه بالاجماع . كما صدّق على سحب مبلغ المليون ونصف المليون جنيه استرليني من الرصيد المتبقي باسم القيادة العربية . وعلى الرغم من اهمية هذا المشروع ومن توفر الامكانيات الفنية والاعتمادات المالية لتنفيذه فإنه لم ينفذ لمجرد ان وزير الحربية المصري رأى أن يعرقل تنفيذه !! (١) .

الرئيس لا يوافق على زيارتي للجزائر والمغرب

لكي أقوم بزيارة دول الدعم العسكري (٢) تنفيذا لتوصيات مجلس الدفاع المشترك كان عليَّ أن أستأذن السيد الرئيس للسفر الى تلك البلاد . كانت العلاقات بيني وبين وزير الحربية قد ساءت ولم اكن أدري كيف ينظر السادات الى هذا الموضوع . ماذا قال له صادق ؟ وهل تأثر بكلام صادق أم لا ؟ واذا كان قد تأثر بكلام صادق فلا بد وانه لا يشعر نحوي بالارتياح ، فكيف يمكنني ان اعالج هذا الموضوع ؟ قررت الا اثير موضوع خلافي مع صادق أمام الرئيس إلا اذا سألني شخصيا عن هذا الموضوع ، كما قررت ألا اتعجل موضوع سفري الى البلاد العربية واكتفيت بأن ارسلت مذكرة الى السيد الرئيس أخطره فيها بتوصية المجلس وأطلب منه الإذن بالسفر .

ـ مضت عدة اسابيع دون أن أتلقى اي رد على مذكرتي الى السيد الرئيس ولم أحاول أن أسأله عن هذا الموضوع في المناسبات التي كنت أقابله فيها الى ان جاء يوم ٢٧ يناير ٧٢ ، وكان قد مضى ما يقرب من شهرين دون أن يتخذ الرئيس أي قرار سواء بالرفض أو الموافقة . سألته عن قراره بخصوص هذه الزيارة فقال « لا أوافق . انها مضيعة للوقت ولن يكون هناك أية نتائج مفيدة لهذه الزيارة . اني أوافق على ان تزور ليبيا والسعودية لأن هاتين الدولتين فقط على استعداد حقا لتقديم العون أما الدول الأخرى ـ الجزائر والمغرب والعراق ـ فانها لن تعطي شيئا . انهم يزاودون فقط . سوف يستفيدون دعائيا من زيارتك ولكنهم لن يعطوا شيئا للمعركة » . قلت له « سوف يكون سفري الى هذه البلاد بصفتي الأمين المساعد العسكري للجامعة العربية وليس بصفتي ر ا ح ق م م » قال الرئيس « إن سفرك بصفتك الأمين المساعد

---

(١) التفاصيل في الباب الثالث ، الفصل السابع عشر

(٢) المقصود بدول الدعم العسكري ، هو الدول العربية التي ليست من دول المواجهة ولكنها سوف تخصص جزءاً من قواتها العسكرية لتعزز القوات العسكرية لدول المواجهة .

العسكري للجامعة العربية لن يلغي صفتك «ر ا ح ق م م» وسوف يستغلون صفتك هذه في دعاياتهم الى أبعد الحدود » قلت له « سيادة الرئيس . إن علاقة مصر مع تلك الدول سيئة فإذا نجحت زيارتي في الحصول على أي شيء لمصر فهو مكسب واذا لم تستطع زيارتي أن تحقق أي نجاح فليس هناك شيء نخسره » وهنا ثار الرئيس وقال غاضبا « شوف يا سعد · انت راجل عسكري محترف ولا تفهم في السياسة · إني اعمل في السياسة وأتعامل مع هؤلاء الناس منذ عشرين عاما وأعرفهم جيدا · إنهم يزاودون أحيانا . وينتقدون احيانا ، وأحيانا يعرضون مساعدتهم بعد ان يفرضوا شروطا غير مقبولة · ليس هناك اي امل يرجى من هؤلاء الناس · كيف تقوم بزيارة دول تقوم يوميا بالتهجم علينا وانتقاد سياستنا ؟ » أجبت بهدوء « سيادة الرئيس · قد يكون لك تجربة سابقة مع بعض الناس جعلتك تفقد الثقة بالناس جميعا . ولكن اسمح لي يا سيادة الرئيس بأن اذكرك بقول رسول الله « أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما · وأبغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما · أنصت الرئيس الى الحديث النبوي الشريف وطلب مني أن اعيد قوله مرة أخرى ففعلت · عاد الهدوء اليه وقال ضاحكا « الله يجازيك يا سعد أنا لم أسمع بهذا الحديث قبل ذلك ولكن كلماته محبوكة ومنطقية · فعلا يجب ألا ندمر الجسور بيننا وبينهم يمكنك أن تزورهم وسوف نرى ما سوف تتمخض عنه هذه الزيارة » ·

- بدأت بالاعداد للزيارة مع سفراء المغرب والجزائر وليبيا وبعد التنسيق معهم جميعا تقرر أن أغادر القاهرة يوم ٦ فبراير الى الجزائر ومنها الى المغرب ثم الى ليبيا ومنها الى القاهرة ·

زيارة الجزائر

- قابلت الرئيس هواري بومدين صباح يوم ٧ فبراير . اخبرته عن طبيعة مهمتي وأفكاري بخصوص تعبئة الموارد العربية للمعركة ، تطبيقا لشعار قومية المعركة · أنصت الرئيس بومدين الى ما كنت اقوله وعبر عن تحمسه للاشتراك بكل جندي وكل قطعة سلاح تستطيع الجزائر ان تقدمهما للمعركة ولكنه اعرب عن شكوكه بأن هناك نوايا جدية لاستئناف القتال . وأضاف قائلا « اذا قامت الحرب فيجب ان نتأكد بأن الجزائر ستقوم بارسال كل ما عندها لكي يقاتل الجزائريون جنبا الى جنب مع اخوانهم المصريين » قلت « سيادة الرئيس · اني اتفهم شكوكك بأنه ليس هناك جدية لإثارة الحرب من جديد · في مصر ايضا هناك الكثيرون ممن يعتقدون انه لن تكون هناك حرب أخرى وان الكلام عن الحرب هو للاستهلاك المحلي (١) · ولكن عندما تقع الحرب فلن يكون هناك وقت لإرسال القوات الجزائرية الى الجبهة والاستفادة منها في المعركة · وبالإضافة الى ذلك فانه لا يمكننا إدخال القوات الصديقة في الخطة الهجومية ما لم تكن هذه القوات الصديقة موجودة فعلا في الجبهة · لا يمكن ان

---

(١) كانت روجتي من بين هؤلاء الذين يعتقدون انه ليس هناك حرب أخرى · كانت تطلب مني أن تؤدي فريضة الحج فكنت أقول لها بعد الحرب بإذن الله فكانت تحتج قائلة « لن تكون هناك حرب أخرى · انكم تقولون ذلك للشعب ولكنكم تعرفون أنكم لن تقوموا بهذه الحرب » فكنت أرد عليها « لو أني اعلم أنه لن تكون هناك حرب لتركت القوات المسلحة · ستقع الحرب وسنحج معاً بإذن الله » ·

تدخل ضمن خطتنا وحدات غيبية قد لا تصل لأي سبب كان . فيترتب على ذلك ارتباكات كبيرة ·

ـ أبدى الرئيس بومدين اقتناعه برأيي ولكنه لفت نظري الى المشكلات المعنوية والادارية والاجتماعية التي تترتب على ارسال قوات جزائرية الى مصر حيث تبقى سنة أو اكثر في انتظار حرب قد تقوم وقد لا تقوم وعلق قائلا « نحن الجزائريين دماؤنا ساخنة . اذا كانت هناك حرب فاننا نقاتل · ان رجالنا عندما نرسلهم للحرب فانهم سوف يكونون ذوي معنويات عالية وعلى أهبة الاستعداد لها فاذا طالت المدة دون ان يكون هناك حرب فانهم سيثيرون المشكلات لكم ولنا وسوف تزداد المشكلات الادارية · سوف يطلبون أن ترحل لهم عائلاتهم · وسوف يطالبون باجازات دورية ليقضوها بين عائلاتهم وأهلهم بالجزائر · الخ · ان هذه المشكلات كلها يمكن تلافيها اذا نحن ارسلنا الدعم العسكري الجزائري بعد ان يتحدد ميعاد المعركة » · كان واضحا ان وصول الدعم العسكري قبل ميعاد المعركة بوقت طويل هو امر غير مستحب . كما وان ارسالهم عند قيام الحرب أو قبلها بأيام هو امر غير مستحب ايضا. وكحل وسط اتفقنا على ان ترسل الامدادات الجزائرية الى الجبهة بناء على طلبنا بحيث نضمن أن الحرب سوف تشتعل في اي وقت وبحد اقصاه ٩٠ يوما من تاريخ طلب هذه القوات ويتم طلب هذا الدعم إما من قبل الرئيس السادات شخصيا أو من قبلي ·

ـ وفي اثناء لقائي مع الرئيس بومدين . تحدث الرئيس بحرارة عن القيادة السياسة المصرية وعن السادات · إنه لم يستعمل قط لفظ القيادة السياسية في مصر . كذلك لم يذكر قط اسم السادات ولكن قصده كان واضحا عندما يقول « انتم في مصر » فقد قال لي الرئيس بومدين « انكم في مصر تهاجمونني باستمرار وتقولون إنني اريد ان انصب نفسي زعيما على العرب بعد موت عبد الناصر · هذا غير حقيقي · واني اريد ان تفهموا في مصر انني لم افكر في ذلك مطلقا · اني اريد ان اضع يدي في ايديكم بنية صادقة لطرد الاسرائيليين من أراضينا المحتلة · إنه من المهانة ان نرى هذه الدولة التوسعية تستمر في احتلال الاراضي العربية دون ان نستطيع نحن العرب ان نقوم بردعها » ·

ـ قضيت اليومين التاليين في زيارة الوحدات العسكرية والوحدات الجوية الجزائرية . وقد ادركت مدى المشكلات والتحديات التي واجهت الجزائر منذ استقلالها · لقد حققت الجزائر تقدما كبيرا منذ استقلالها قبل عشر سنوات مضت في جميع المجالات · لقد ابتدأت من الصفر لم يكن هناك حكومة أو جهاز إداري · لم يكن هناك قوات مسلحة نظامية · لم يكن هناك نظام اقتصادي · واكثر من ذلك لم يكن هناك لغة · كانت فرنسا قد قضت على اللغة العربية واحلت محلها الفرنسية التي اخذ الجزائريون يستخدمونها بينهم · وبعد عشر سنوات تغير كل شيء وكان أهم ما فتنني هو اصرار الدولة على اعادة تعريب الجزائر بعد فرنستها لمدة تزيد عن قرن من الزمان ·

زيارة المغرب

ـ قابلت جلالة الملك الحسن الثاني في الرباط يوم ٩ فبراير ٧٢ . وكانت إجراءات ومظاهر المقابلة مثيرة للغاية · لقد تحركت أولا الى مبنى وزارة الحربية حيث استقبلني

الجنرال أوفقير (١) الذي رافقني الى القصر الملكي • وفي مدخل القصر كان هناك حرس شرف بالملابس العربية • وعلى مدخل باب غرفة الملك كان يقف المعلن ومعه عصاه التقليدية • وبينما كنت أخطو الى داخل المكتب ضرب المنادي الارض بعصاه ليلفت الانظار ثم أعلن بصوت جهوري « الفريق سعد الشاذلي رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية » (٢) كان الملك يقف في نهاية الغرفة بجوار مكتبه ويحيط به عدد من مستشاريه لقد أوحى لي هذا الاستقبال بأن الملك يحاول ان يحافظ على التقاليد العربية بعد ان ادخل عليها بعض اللمسات الغربية . وفي خلال الايام القليلة التي قضيتها بعد ذلك في المغرب ازددت اقتناعا بحقيقة ذلك • إن المغرب هي في الحقيقة مزيج غريب من الشرق والغرب • ففي بعض المظاهر قد تبدو شرقية أكثر من اي بلد عربي . وفي مظاهر اخرى قد تبدو المغرب وكأنها غربية أكثر من اي بلد عربي آخر •

ـ حضر مقابلتي مع الملك الجنرال اوفقير ورئيس الديوان الملكي • انصت الملك الى كلامي ثم علق في النهاية « ان القوات المسلحة المغربية جميعها تحت تصرفك • ان كل فرد في المغرب سوف يكون سعيدا عندما يرى قواتنا المسلحة تقاتل من اجل القضية العربية » قلت « يا صاحب الجلالة • قبل ان احضر الى هنا كان لدي فكرة عامة عن القوات المغربية من حيث الحجم والتنظيم واني اود ان تتاح لي الفرصة لزيارة تلك الوحدات للتعرف على مستواها التدريبي وقدراتها القتالية » قال الملك « اعتبارا من باكر يمكنك أن تزور اية وحدة ترغب في زيارتها • وبعد ان تنتهي من زياراتك كلها تعالى لمقابلتي مرة اخرى وقل لي ماذا تريد » ثم اضاف قائلا « لا تشغل نفسك طوال الوقت • حاول ان توفر بعض الوقت لكي تزور بلادنا » •

ـ بعد ان تحدثنا عن هذا الموضوع الرئيسي الذي حضرت من اجله وبعد ان أعطى الملك تعليماته الى الجنرال أوفقير بأن يقوم بترتيب بعض الزيارات الترفيهية لي . انتقل الى موضوع آخر هو موضوع العقيد معمر القذافي • لقد تكلم الملك بمرارة عن موقف القذافي وقال « إن القذافي يخصص ساعة كل يوم في الاذاعة الليبية لكي يهاجم المغرب • انه يشتمنا ويتهمنا باتهامات باطلة • ماذا يريد منا القذافي ؟ ماذا فعلنا لكي يهاجمنا هذا الهجوم • هل من مصلحة العرب ان تستنفد جهودنا في مهاجمة بعضنا بعضا بدلا من ان نوجهها الى عدونا المشترك ؟ إن القذافي صديقكم في مصر وقد تستطيعون ان تنصحوه لكي يقلع عن هذه التصرفات • ارجو ان تقوم بابلاغ ذلك الى السادات عسى ان يؤثر على صديقه القذافي لكي يعدل موقفه منا » •

ـ قضيت اليومين التاليين في زيارة عدد من الوحدات المغربية حيث قمت ببحث موقفها

---

(١) كان الجنرال اوفقير يتولى منصب وزير الداخلية ومنصب وزير الحربية ومنصب رئيس اركان حرب القوات المسلحة المغربية .

(٢) لا اعرف اذا كان « المعلن » هذا تقليدا عربيا قديما . ولكنه معمول به في بريطانيا ويطلق عليه annoncer وأعتقد ان المملكة المغربية هي الدولة العربية الوحيدة التي تأخذ بهذا التقليد .

من حيث التنظيم والتسليح والتدريب · وبعد ان انتهيت من هذه الزيارات قابلت الملك للمرة الثانية وطلبت ان تشمل الامدادات المغربية ما يلي :

سرب ف ٥ F 5

لواء دبابات

- وافق الملك وسألني عن ملاحظاتي عن الوحدات التي زرتها فذكرت له وجهة نظري بأمانة · ثم ناقشت معه اسلوب نقل هذه الوحدات الى الجبهة وبعض التفصيلات الأخرى وقبل أن اتركه قال بحماس « يا أخ شاذلي قد تكتب مذكراتك في يوم من الايام ولسوف تكتب فيها · لقد وعد الملك الحسن فأوفى بوعده » فقلت له « أقسم أن افعل ذلك » وفي يوم ١١ فبراير غادرت المغرب الى ليبيا ·

زيارة ليبيا

- في يوم ١٢ فبراير ٧٢ قابلت الرئيس معمر القذافي في مكتبه بمجلس قيادة الثورة · وقد حضر هذه المقابلة المقدم ابو بكر يونس ر ا ح ق م الليبية ، الرائد مصطفى الخروبي مساعد ر ا ح ق م ، الرائد عبد السلام جلود رئيس الوزراء ، الرائد عبد المنعم الهوني وزير الداخلية وجميعهم اعضاء مجلس قيادة الثورة الليبية · كانت القوات المسلحة الليبية محدودة ولم يكن هناك ما يمكن الاستعانة به - في ذلك الوقت - للمعركة الا القليل · ولكن القذافي كان يضع قواته المسلحة كلها في خدمة المعركة · كان أهم ما عنده هو طائرات الميراج ٣ الفرنسية التي كانت تصله بأعداد لا تستطيع ليبيا استيعابها فكان يستعين بمصر للتغلب على ذلك · كنا نقوم بارسال الطيارين المصريين وهم يحملون جوازات سفر ليبية الى فرنسا حيث يتلقون تدريبا اوليا على الطائرة قبل أن يعودوا بها الى ليبيا · كان في ليبيا في ذلك الوقت سربان عاملان أحدهما كا يقوده طيارون ليبيون ما زالوا قيد التدريب ، أما السرب الآخر فكان يقوده طيارون مصريون وكان متمركزا في ليبيا وجاهزا للتحرك الى مصر اذا دعت الحاجة الى ذلك وقد تم ذلك كله بناء على اتصالات ثنائية مباشرة بين مصر وليبيا · وهكذا كانت رحلتي الى ليبيا تختلف في طبيعتها عن رحلتي الى الجزائر والمغرب · لقد كان التعاون العسكري بين مصر وليبيا تعاونا كاملا فقد كانت مدارسنا العسكرية مفتوحة على مصراعيها لتأهيل الضباط وضباط الصف الليبيين من مختلف التخصصات وكان لدينا في ليبيا مئات من الضباط وضباط الصف المصريين لتدريب الوحدات الليبية وتقديم الخبرة الفنية لها ، وعلاوة على ذلك فقد كانت بعض الوحدات الميدانية المصرية تتمركز في ليبيا ، وكان المصريون يقومون بتشغيل العديد من الاسلحة والمعدات الليبية التي لم يكن في استطاعة ليبيا تدبير الأطقم اللازمة لتشغيلها · ونتيجة لهذا الموقف فقد كان الهدف الاساسي من زيارتي الى ليبيا هو إطلاع الرئيس القذافي على نتيجة رحلتي الى الجزائر والمغرب ، ثم أنتهز الفرصة بعد ذلك لكي أزور الوحدات المصرية ، التي كانت متمركزة في القواعد الليبية ·

- في مكتب متواضع وبعيدا عن جميع مظاهر الابهة ، اجتمعنا مساء ذلك اليوم · كان الجميع يلبسون « الاوڤرولات » البسيطة حتى خيل الي وكأني في اجتماع ميداني في احد مواقعنا النائية في الصحراء · اخطرت المجلس بنتيجة لقائي كلا من الرئيس هواري بومدين

والملك الحسن ولكنني لم أخطرهم بشكوى الملك من هجوم القذافي على النظام الملكي في المغرب . وبعد ان انتهيت علق القذافي قائلا بأنه لا يعتقد ان الملك الحسن سوف يبعث بقواته الى الجبهة كما وعد ، ولكنني قلت له انني اعتقد انه سيبعث بها . تدخل القذافي قائلا « ما الذي يجعلك تقول هذا ؟ » فأجبت « انني اتعامل مع الرجال منذ اكثر من ثلاثين عاما واعتقد ان لدي الخبرة الكافية لكي اعرف من يعني ما يقول ومن لا يعني ما يقول » أدار القذافي وجهه الى اعضاء المجلس وقال « اذا فعل الحسن ذلك فان ذلك يعني انه يخشى على نفسه من جيشه وأنه لذلك يريد ان يرسلهم خارج البلاد لكي يتخلص منهم ويتفادى تهديدهم لعرشه » تدخلت بسرعة لكي لا أعطي الفرصة لأحد من اعضاء المجلس ان يعلق على ما قاله القذافي وقلت له « سيادة الرئيس لنفترض ان ما تقوله حقيقي . هل يغير ذلك شيئا بالنسبة لك او بالنسبة لنا ما دامت هذه القوات سوف تشترك في المعركة ؟ » هز القذافي رأسه وقال « حقا ما تقول . انه لن يغير شيئا » وبنهاية الجلسة كان القذافي سعيدا جدا بنتائج رحلتي وقال وهو في قمة السعادة موجها كلامه الى اعضاء مجلس قيادة الثورة « ايها الاخوة يبدو أن قومية المعركة التي نادينا بها قد بدأت تظهر نتائجها » .

ـ قضيت اليومين التاليين في زيارة بعض الوحدات الليبية والمصرية وعدت الى مصر يوم ١٤ فبراير . وفي مساء اليوم نفسه حضرت حفل عشاء كان يقيمه الرئيس السادات تكريما لرئيس الوزراء البلغاري الذي كان في زيارة رسمية لمصر . وفي كلمتين قصيرتين خلال حفل الاستقبال قلت له « كانت الرحلة ناجحة » .

ـ وبعد أيام قليلة قدمت تقريراً كاملاً عن الرحلة الى الرئيس . وبعد حوالي ثلاثة أسابيع كنت أجلس مع السادات لمناقشة تقريري عن الرحلة . كنت اعتقد أنه سيكون سعيداً بهذه النتائج ولكنه قال « ضحكوا عليك وجعلوك تبرئهم بتصريحاتك أنا كنت اتابع تصريحاتك وأنت هناك . الملك الحسن سبق أن أعطى وعوداً مماثلة امام الملوك والرؤساء (١) ولكنه لم ينفذها قط . أما بخصوص بومدين فأن الشروط التي يضعها شروط غير مقبولة . كيف يمكننا ان نقول له ان الحرب سوف تبدأ بعد ثلاثة أشهر » . حاولت بقدر ما استطيع ان أوضح ما دار من حديث بيني وبين كل من الملك الحسن والرئيس هواري بومدين ولكن كان يبدو لي أنه غير مقتنع بما أقول وأنه كان مقتنعاً تماماً بأنهما لن يقوما بإرسال أي دعم إلى الجبهة وأن ما قالاه هو مجرد اقوال » .

ـ انتقل الحديث بعد ذلك الى موقف الأردن فهاجم السادات الملك حسين هجوماً عنيفاً وقال انه غير مخلص ولا أمل يرجى منه . وأنه قد باع نفسه للأميركان والاستعمار الغربي وبالتالي فإننا لا يمكن ان نتعامل معه . ورفض رفضاً باتاً أن اقبل دعوة الاردن لزيارته .

ـ وعلى الرغم من التعليقات المتشائمة التي أدلى بها السادات عن رحلتي الى الجزائر والمغرب ، فقد نجحت هذه الرحلة في هدم الحواجز التي كانت تقف بين مصر وبين تلك الدولتين . لقد كنت اول شخصية مصرية كبيرة تزور هاتين الدولتين منذ سنوات . وبعد بضعة شهور من زيارتي تلك قام وزير خارجية مصر بزيارتهما وبعد ذلك قام السادات نفسه بزيارة لهما .

(١) الرئيس السادات يقصد هنا مؤتمر الملوك والرؤساء الذي عقد في الرباط في ديسمبر ١٩٦٩ .

الدورة الثالثة عشرة لمجلس الدفاع العربي المشترك

لجنة الكويت .

- لقد كان ضمن قرارات مجلس الجامعة في دورته رقم ٥٨ المنعقدة بالقاهرة في المدة من ٩ الى ١٣ سبتمبر ٧٢، تأليف لجنة من وزراء الخارجية والدفاع في دول المواجهة والكويت والسعودية لتقويم الموقف من جميع نواحيه ووضع الأسس لخطة عمل عربي مشترك محددة الوسائل والالتزامات لمواجهة العدوان الاسرائيلي . كما تقرر أن تجتمع هذه اللجنة في الكويت في ١٥ نوفمبر ٧٢ (١) بعد أن وصل عدد الدول المشتركة في هذه اللجنة الى ١٣ دولة من مجموع ١٩ دولة هي الدول الاعضاء في الجامعة العربية في ذلك الوقت . أصبحت اللجنة وكأنها اجتماع محدود لمجلس الدفاع المشترك .

- تقدمت أمام اللجنة في الكويت بتقرير يعتبر أكثر صراحة من التقرير الذي تقدمت به أمام مجلس الدفاع المشترك في نوفمبر ٧١ . وفي الحقيقة فإن كل ما قلته في نوفمبر ٧٢ كان في ذهني في نوفمبر ٧١ ولكني احجمت عن ذكره في ذلك الوقت . ويتلخص ما ورد في التقرير بما يلي :

١ - إن قومية المعركة أفعال وليست أقوالاً . وان الدول العربية التي ليست من دول المواجهة لا تشارك في المعركة بالقدر الكافي ، وان المساعدات التي تقدمها الي دول المواجهة هي مساعدات محدودة لا يمكن أن ترقى الى مستوى المشاركة في الأعباء . وللتدليل على ما أقول قدمت لهم الأرقام التالية :

أ - أنفقت مصر على قواتها المسلحة منذ ١٩٦٧ حتى ١٩٧٢ ٤١٢٥ مليون جنيه فإذا أضفنا الى ذلك خسائرنا في الممتلكات أرتفع الرقم الى حوالي ٤٥٠٠ مليون جنيه ولا يدخل ضمن هذا الرقم خسائرنا نتيجة إغلاق قناة السويس وفقدان آبار البترول في سيناء مما يصل بهذا الرقم الى حوالي ٦٠٠٠ مليون جنيه .

ب - بلغت خسائر مصر في الأرواح نتيجة أعمال العدو خلال هذه الفترة ٢٨٨٢ شهيداً علاوة على ٦٢٨٥ جريحاً .

جـ حصلت مصر خلال هذه الفترة على دعم مالي من السعودية والكويت وليبيا يبلغ ٥٦٦ مليون جنيه أي ما يعادل حوالي ٩ ٪ مما تنفقه مصر دون حساب للأرواح التي تستشهد من أجل القضية العربية .

د - ان الدخل القومي المصري يمثل ٢٦ ٪ من اجمالي الدخل القومي العربي ومع ذلك فإن مصر تتحمل ٥٠ ٪ من الانفاق العسكري العربي (٢) .

---

(١) - أخذ اعضاء الدول التي تنضم الى اللجنة يزداد حتى أصبح يضم ١٣ دولة هي : الأردن، تونس ، الجزائر ، السعودية ، السودان ، سوريا ، العراق ، الكويت ، لبنان ، ليبيا ، مصر ، المغرب ، فلسطين . وهذا يعني أن الدول العربية التي لم تحضر هذا الاجتماع هي اليمن الشمالي ، اليمن الجنوبي ، قطر ، دولة الامارات العربية ، البحرين ، وسلطنة مسقط عمان .

(٢) - ان هذه النسبة على أساس ١٩٧٢ ، وقد اختلفت الآن اختلافاً كبيراً .

٢ ـ وقد أخبرت اللجنة أنه يجب أن يكون لدينا سياسة بعيدة المدى وسياسة أخرى لمجابهة الموقف في الحاضر والمستقبل القريب وقد اقترحت ان تشمل سياسة المستقبل القريب ما يلي :

أ ـ كل دولة عربية يجب أن تلتزم بأن تخصص ١٥ ٪ على الأقل من دخلها القومي كميزانية عسكرية مع اعطاء الاسبقية الأولى للقوات الجوية والدفاع الجوي · لا يمكن ان نقبل المناداة بقومية المعركة بينما إحدى الدول العربية تخصص ٢٢,٧ ٪ من دخلها القومي للإنفاق العسكري ودولة أخرى تخصص ٣ ٪ فقط من دخلها القومي للانفاق العسكري ·

ب ـ اذا كانت احدى الدول العربية غير قادرة على انفاق نسبة ١٥ ٪ من دخلها القومي لشؤون الدفاع نتيجة النقص في عدد الأفراد أو الفنيين فإنها تقوم بتحويل هذا الفائض الذي لا تستطيع استيعابه الى صندوق قومي يطلق عليه « صندوق المعركة » ومن هذا الصندوق يمكن تخصيص الأموال اللازمة لدعم دول المواجهة مع اسرائيل ·

٣ ـ أما السياسة البعيدة المدى فيجب أن تشمل ضرورة اعتمادنا على انفسنا في انتاج أسلحتنا بأنفسنا وقدمت لهم الأمثلة التاريخية التي تؤيد أن الدولة التي تصنع أسلحتها تستطيع في النهاية ان تهزم عدوها الذي لا يقوم بتصنيع أسلحته ·

أ ـ أجريت مقارنة بين الانتاج الحربي في اسرائيل والدول العربية ووضعت أمامهم الأرقام التالية :

	١٩٦٦ بملايين الدولارات	١٩٧٢ بملايين الدولارات
اسرائيل	٩٠	٤٢٨
الدول العربية (مصر)	٧٠	٩٣

ب ـ طالبت بإنشاء مؤسسة للانتاج الحربي تسهم فيها كل دولة عربية بنسبة ٢ ٪ من دخلها القومي لمدة ٥ سنوات متتالية وذلك لتكوين رأس مال الشركات التي تنتج مختلف أنواع الاسلحة ·

جـ ـ طالبت بأن تكون هذه المؤسسة العربية للانتاج الحربي مستقلة تماماً عن الدول العربية جميعها وأن تعتمد المؤسسة على المبادىء والأسس الاقتصادية السليمة بحيث يمكنها أن تقوم بإمداد الدول العربية باحتياجاتها من الأسلحة المتطورة بأسعار لا تزيد عن الأسعار العالمية مع توزيع الأرباح على المسهمين فيها (١).هذا ويجب مراعاة توزيع المصانع التابعة لهذه المؤسسة على الدول العربية بحيث يخضع هذا التوزيع الى العوامل الاستراتيجية والفنية والاقتصادية ·

---

(١) ـ يبدأ توزيع الأرباح بعد ٥ سنوات من الاتفاق على انشاء هذه المؤسسة وذلك لتغطية فترة بناء المصانع واكتساب الخبرات الفنية ·

٤ - أوضحت لهم مدى الضعف العربي وأخبرتهم أن القوات الجوية الاسرائيلية بما لديها من طائرات وطيارين تستطيع أن تقصف دول المواجهة بما يعادل ٢٥٠٠ طن يومياً من القنابل في حين أن طاقة القوات الجوية المصرية والسورية مجتمعة تعادل ٧٦٠ طناً من القنابل يومياً · وقد أكدت في أكثر من مجال أن الدول العربية يجب أن تعمل جاهدة لزيادة مقدرة قواتها الجوية ودفاعها الجوي ·

اجتماع رؤساء أركان حرب الجيوش العربية (الهيئة الاستشارية لمجلس الدفاع المشترك)

- في يوم ١٢ ديسمبر ١٩٧٢ اجتمع رؤساء أركان حرب القوات المسلحة العرب في القاهرة · وفي هذا الاجتماع التاريخي دارت مناقشات قوية وبناءة (١) ، انتهت بالتوصيات التالية :

١ - تستمر التزامات الدول العربية في تقديم الدعم العسكري طبقاً لمقررات مجلس الدفاع المشترك في دورته الثانية عشرة فيما عدا التعديلات التالية :

أ - تقوم المملكة العربية السعودية بتقديم سرب ليتننج الى الجبهة المصرية الآن · وتقوم بتقديم سرب ليتننج آخر عام ٧٤ ·

ب - تقوم دولة الكويت بتقديم سرب ليتننج للجبهة المصرية الآن وتقوم بتقديم سرب آخر في وقت يتم الاتفاق عليه فيما بعد ·

جـ - تقدم ليبيا سربي ميراج الآن وسوف تعمل على تقديم سرب آخر يتم الاتفاق عليه فيما بعد · وعلاوة على ذلك فإن ليبيا تلتزم بوضع كافة إمكانياتها العسكرية لخدمة المعركة ·

٢ - توصي الهيئة بأن تلتزم كل دولة عربية بتخصيص ١٥ ٪ على الأقل من دخلها القومي لتطوير ورفع الكفاءة القتالية لقواتها المسلحة مع اعطاء الأسبقية الأولى في التطوير والدعم للقوات الجوية والدفاع الجوي واذا كانت ظروف الدولة لا تتيح لها انفاق هذه النسبة على قواتها المسلحة نتيجة نقص في الأفراد والخبرات فعلى هذه الدولة أن تدعم دول المواجهة بالأموال التي تستكمل بها هذه النسبة ·

٣ - إن الهيئة الاستشارية وهي تؤمن بأهمية بناء قاعدة صناعية حربية متطورة داخل الوطن العربي لتحقيق الاكتفاء الذاتي في الصناعات الحربية للقوات المسلحة العربية والصمود أمام الاحتكارات العالمية في مجال توريد الأسلحة توصي بضرورة الإسراع في انشاء مؤسسة عربية للإنتاج الحربي تسهم فيها كل دولة بنسبة ٢ ٪ على الأقل من دخلها القومي ولمدة خمس سنوات · ويجب الا تخضع هذه المؤسسة لسلطة أي بلد عربي بل يكون لها حرية العمل على أسس اقتصادية وتجارية بحتة · وتوضع النقط التالية موضع الاعتبار عند انشاء المؤسسة :

---

(١) - يمكن الاطلاع على محضر الجلسات في محفوظات الجامعة العربية ·

أ ـ يشرف على المؤسسة مجلس ادارة من الدول الأكثر اشتراكاً في رأس المال والأكثر تعاملاً مع المؤسسة ·

ب ـ يتم توزيع المصانع التابعة لهذه المؤسسة على الأراضي العربية جميعها على أن يوضع في الحسبان التوزيع الاستراتيجي والاقتصادي ومصادر المواد وتوفير الخبرات والأيدي العاملة ·

جـ ـ يجوز للمؤسسة ان تشتري المصانع الحربية القائمة فعلاً على الأراضي العربية من الدول صاحبة الشأن وذلك اذا توفرت فيها الشروط الفنية والاقتصادية التي تحقق أهداف المؤسسة ·

د ـ لا تقوم المؤسسة بتوزيع أرباح عن الأسهم عن السنوات الخمس الأولى

ـ أعتقد ان توصيات الهيئة الاستشارية في دورتها الثالثة عشرة تعتبر أهم وأخطر قرارات اتخذها رؤساء الأركان العرب · حقيقة ان قراراتهم في هذا الشأن لا تعدو أن تكون توصيات وان التنفيذ يتوقف في النهاية على مدى رغبة كل دولة في تنفيذ التزاماتها . ولكن هذه التوصيات عندما تصدر من القمة العسكرية في العالم العربي فلا بد أن يكون لها أثر بعيد حتى ولو لم تظهر هذه النتائج مباشرة · ان التوصية بأن تلتزم كل دولة بانفاق ١٥ ٪ من دخلها على قواتها المسلحة ··· كما جاء في البند رقم ٣ يعتبر تجسيداً لقومية المعركة · لقد مضى ست سنوات على هذا القرار وقد تغيرت نسب الانفاق العسكري في بعض الدول ولم تتغير في دول أخرى ولكن ـ على الأقل ـ أصبح هناك مقياس يحسب على أساسه مدى جدية كل دولة في المساهمة الفعالة في المعركة · كذلك فإن قرار انشاء المؤسسة العربية للانتاج ولو أنه لم يخرج الى حيز التنفيذ . فإنه أنار الطريق أمام بعض الدول . فقد قامت مصر والسعودية وقطر والامارات العربية بالاشتراك في انشاء مؤسسة خاصة بها ·

ـ لي تحفظات كثيرة حول هذه المؤسسة · وبصفة عامة يمكن القول أن الدعاية التي تصاحب هذه المؤسسة تفوق بكثير حقيقة ما قامت به أو ما سوف تقوم بها · ان الخطوط التي تسير عليها تختلف تماماً عن الخطوط التي كنت أتصورها وأرسمها في خيالي عن المؤسسة وأهدافها · انني اذا نظرت الى ما حققته تلك المؤسسة التي أسست عام ١٩٧٥ برأس مال قدره ١٠٤٠ مليون دولار. وجدت انها لم تحقق شيئا يذكر في محال الانتاج الحربي الحقيقي· انها تعاقدت لانتاج محركات لطائرات تدريب وعربات جيب وطائرات مروحية (هيلوكوبتر) LYAX وجميع هذه الاصناف لا يمكن أن تضيف شيئاً الى قوة العرب في الميدان . وليس هناك أية قيود في الدول الغربية على بيع هذه الاصناف · أنني أريد أن نصنع الأصناف المتطورة التي تفرض الدول التي تصنعها قيوداً على بيعها . وكنت أريد أن اعتمد على شراء العقول والخبرة لتحقيق ذلك . وليس مجرد التعاقد مع الدول لتصنيع هذه الأصناف لأنني اعلم مسبقاً بأن تلك الدول لن تساعدنا في انتاج السلاح المتطور · لن تساعدنا في انتاج طائرة قتال متطورة أو دبابة متطورة أو صواريخ متطورة · أن الشيء الوحيد الذي يمكن أن نعترف بأن هذه المؤسسة قد قامت به هو التعاقد على تصنيع المقذوفات الموجهة سوينج فاير Swing Fire مع العلم بأن هذا الصاروخ لم يتم انتاجه في مصانع المؤسسة حتى الآن (يوليو ١٩٧٩) · إن فكرة التضامن

لانتاج السلاح هي فكرة صحيحة أما الأسلوب الذي اتبعته تلك المؤسسة والنتائج التي حققتها خلال أربع سنوات من عمرها فتعتبر نتائج محزنة (١) ٠

ـ عندما قابلت السادات يوم ١٣ ديسمبر ٧٢ أخبرته بتوصيات رؤساء الأركان العرب الخاصة بانشاء الصناعات الحربية . وقلت له « طبقاً لتقديراتي فإن رأس مال هذه المؤسسة سوف يصل في نهاية السنوات الخمس الى ٣٠٠٠ مليون دولار » فرد السادات « انك متفائل جداً ٠ اذا استطعنا ان نحصل على ١٠ ٪ فقط من هذا المبلغ فإننا نستطيع أن ننشىء صناعات حربية حقيقية » ٠

قرارات مجلس الدفاع المشترك

ـ لم يجتمع مجلس الدفاع المشترك في دورته الثالثة عشرة خلال شهر ديسمبر ٧٢ كما كان مقرراً وانما انعقد في الفترة من ٢٧ ـ ٣٠ يناير ٧٣ ٠ وكانت قرارات المجلس تنحصر في تأكيد التزامات كل دولة من الدول التي ليست من دول المواجهة بتقديم الدعم العسكري السابق تحديده بواسطة اللجنة الاستشارية التي تتكون من رؤساء اركان الحرب في الدول العربية جميعها ٠

(الفصل السابع والعشرون)

الدعم العراقي

صدام حسين في القاهرة :

ـ قام العراق بارسال وفد عراقي على مستوى عال الى القاهرة ما بين ٢٦ ـ مارس ٧٣ ٠ كان يرأس الوفد السيد صدام حسين الرجل الثاني في العراق وأحد الأعمدة الرئيسية التي يرتكز عليها النظام العراقي . وكان هذا يشير الى مدى الأهمية التي يعلقها العراق على هذا اللقاء العراقي ـ المصري ٠ كان هذا اللقاء بناء على مبادرة عراقية اذ تلقت السلطات المصرية أخطاراً من بغداد تفيد أن وفداً عراقياً على مستوى عال سوف يصل الى القاهرة يوم كذا لاجراء مباحثات مهمة قامت مصر بتشكيل وفد مصري من الدكتور محمود فوزي نائب رئيس الجمهورية . حافظ اسماعيل مستشار الرئيس لشؤون الأمن القومي . ممدوح سالم وزير الداخلية . مراد غالب وزير الخارجية . الفريق سعد الدين الشاذلي ر ا ق م م . عبد المنعم النجار سفير مصر في العراق ٠ في يوم ٢٣ مارس اجتمع الوفد المصري برئاسة الدكتور فوزي اجتماعاً تمهيدياً بقصد دراسة المواضيع التي يحتمل أن يثيرها الوفد العراقي . ثم طلب رئيس الوفد الكلمة من الأعضاء ٠

---

(١) ـ قامت كل من السعودية وقطر ودولة الامارات العربية بالانسحاب من هذه المؤسسة اعتبارا من اول يوليو ١٩٧٩ . وذلك احتجاجاً على قيام مصر بالتوقيع على معاهدة السلام مع اسرائيل في ٢٦ مارس ٧٩ ٠ واعلن السادات بأن مصر توافق على تصفية المؤسسة ولكنه اعلن في الوقت نفسه بأن مصر ستستمر وحدها في العمل على تحقيق عمليات التصنيع التي كانت تستهدفها المؤسسة التي تم حلها ٠

- استمعنا الى تقرير من السفير المصري في العراق . وكان يتلخص فيما يلي :

١ - العراق حريص على تحسين علاقته مع مصر وأنه لا يريد أن يتم ذلك على حساب العلاقات المصرية السورية · انه يهدف الى اقامة محور بغداد - القاهرة بحيث يمر المحور خلال دمشق ·

٢ - سواء أكان حزب البعث السوري وحزب البعث العراقي جسمين برأس واحد أو جسمين برأسين . فإنه من الممكن ان يتمايش النظامان مع بعضهما ،

٣ - ان العراق على استعداد للمشاركة في المعركة بقواته المسلحة بالحجم الذي يراه الأمين العام المساعد العسكري للجامعة العربية ·

٤ - ان العراق مستعد للمشاركة في عملية التصنيع العسكري العربي ·

٥ - ان العراق يؤيد قيام الوحدة العربية . واذا كان ذلك غير ممكن في الظروف الحالية فإنه يؤيد أي اجراء يقرب هذه الوحدة ·

ونصح السفير بأن تقوم مصر بتشجيع هذه الخطوة ومباركتها حيث أن رجال الحكم في العراق مخلصون في ايمانهم بالقومية العربية ·

- تكلم الأعضاء الآخرون فأظهروا شكوكهم في تلك المبادرة وتراوح رأيهم بين الحذر والتخوف وبين الرفض الصريح . الا أن أحد الأعضاء أعلن رفضه بطريقة لا تخلو من الاتهام حين قال ، « لا أعتقد أنهم يرغبون في أي نوع من الاتحاد أو الوحدة العربية مهما قالوا ذلك · ولا أعتقد أنهم سوف يشاركون بأية قوات عسكرية في المعركة ضد اسرائيل مهما قالوا ذلك · ان المبادرة العراقية ليست سوى مناورة حزبية » ·

- وعندما جاء دوري في الكلام أوصيت بأن نقوم بتشجيع المبادرة العراقية وأدليت بالنقاط الرئيسية التالية :

١ - لا يجب أن نتجاهل القوة العسكرية العراقية وأثرها على المعركة ضد اسرائيل · ان العراق من وجهة نظري تعني ٢٥٠ طائرة قتال ، ٤ فرق مشاة ، وفرقتين مدرعتين · فاذا استطعنا بأية وسيلة كانت أن نشرك تلك القوات أو جزءاً منها في المعركة ضد اسرائيل في الجبهة الشرقية فان ذلك سوف يضيف أبعاداً جديدة للمعركة ·

٢ - إني اعتقد ان العراق سوف يثير مشكلة القيادة بالنسبة لقواته التي تشترك مع سوريا ولكن كمبدأ عام فإن قوات الدعم العراقية يجب أن تخضع للقيادة العامة السورية باعتبارها الدولة المضيفة ·

٣ - قد يقول العراق بأنه سوف يرسل قواته العسكرية الى جبهة القتال عند قيام الحرب . ولكن يجب أن نوضح له أن عامل الوقت لن يسمح بأن تكون هذه القوات ذات تأثير فعال على المعركة . ما لم تتمركز في الجبهة السورية قبل المعركة بوقت كاف ·

٤ - قد يثير العراق ان سبب احجامه عن ارسال جزء من قواته الجوية والبرية الى الجبهة السورية الآن . هو ضعف الدفاع الجوي في سوريا . ونتيجة لاتصالاتي بالجانب السوري فإننا نستطيع أن نؤكد له بأن سوريا ترحب بأن يقوم العراق ببناء مطارات متقدمة له في سوريا وان يجهزها بالدفاع الجوي المناسب قبل ان يرسل قواته الى سوريا ·

ـ وفي نهاية الجلسة اتفقنا على أن يخضع اتجاه الوفد في مناقشاته مع الجانب العراقي للاعتبارين التاليين :

١ ـ المساعدات التي يمكن للعراق أن يقدمها للمعركة ؟

٢ ـ إن تمركز القوات العراقية في سوريا يخضع في النهاية لقرار الحكومة السورية ٠

ـ اجتمعنا مع الوفد العراقي وأخذنا ندور في حلقات مفرغة كان الدكتور محمود فوزي يتكلم بأسم الوفد المصري . وكان الدكتور فوزي صاحب مدرسة في الدبلوماسية التي تعتمد على الكلمات المرنة والمعاني الواسعة.كان يتكلم لمدة ساعة أو أكثر دون أن يستطيع مستمعوه أن يفهموا حقيقة ما يعنيه . وبالتالي فأنه يترك الباب مفتوحاً للمناورة والمراوعة (١)

كان الوفد المصري حريصاً على الا يخطو أية خطوة في اتجاه العراق حتى لا يؤثر ذلك على العلاقات المصرية السورية . وكان لا يأخذ الضمانات والتأكيدات التي يقدمها الوفد العراقي مأخذ الجدية . وانتهت المباحثات دون الوصول الى أي حل وعاد الوفد العراقي الى بلاده في ٢٨ مارس ٠ كانت النتيجة الايجابية الوحيدة هي اصرار صدام حسين على أن اقوم بزيارة رسمية للعراق وان أزور التشكيلات والوحدات العراقية أسوة بما فعلته في الجزائر والمغرب ٠

زيارتي للعراق

ـ عارض الرئيس السادات ان اقوم بزيارة العراق ٠ لقد كان رأيه في الرئيس حسن البكر لا يقل سوءاً عن رأيه في الرئيس هواري بومدين والملك الحسن الثاني ٠ ولكنه وافق في النهاية على أن اقوم بهذه الزيارة ٢٦ مايو ـ ٢ يونيو ٧٢ ٠ كان قيامي بهذه الزيارة الرسمية للعراق تعني الكثير بالنسبة لمصر وبالنسبة للعراق . فقد كانت أول زيارة رسمية تقوم بها شخصية مصرية كبيرة الى بغداد منذ سنوات عديدة . لذلك فإنه كان ينظر الى هذه الزيارة على أنها بداية لاعادة فتح الجسور بين القاهرة وبغداد ٠ في بغداد كانت البصمات الثقافية المصرية واضحة في جميع المجالات ٠ كان هناك عدة آلاف من المدرسين والأساتذة المصريين وكان ارتباط الشعب العراقي بأخبار مصر وفنونها يشكل ظاهرة لافتة للنظر ٠ كان برنامج زيارتي حافلاً فقد زرت الكثير من الوحدات العراقية البرية والجوية في أقصى المناطق الجبلية في الشمال حيث تنخفض درجة الحرارة في هذا الوقت من الستة الى حوالي الصفر. كما زرت الوحدات التي تتمركز في أقصى الجنوب حيث ترتفع درجة الحرارة في الظل الى حوالي ٤٥ درجة مئوية ٠ زرت مناطق الأكراد ومناطق الحدود العراقية الايرانية وقمت برحلة بحرية داخل شط العرب المتنازع عليه بين العراق وايران (٢) ٠

---

(١) ـ اثناء حديث للدكتور فوزي خلال هذه الاجتماعات وجدت نفسي غير مـ مـ لما يقوله فهمست في اذن جاري وقلت له « أنا مش فاهم الدكتور فوزي عاوز يقول ايه » فرد صاحبي « ولا انا ٠ لكن هذا هو بالضبط ما يريده الدكتور فوزي ـ انه لا يريد لأحد أن يفهم ما يريد أن يقوله ٠

(٢) ـ في مدينة الجزائر ، في ٥ مارس ١٩٧٥ تم الاتفاق بين العراق وايران على تسوية المشكلات المعلقة بين البلدين ولاسيما فيما يتعلق بمشكلة الملاحة والحدود داخل شط العرب والتزام ايران بوقف مساعداتها للأكراد الذين يحاربون السلطة الشرعية في العراق ٠

ـ قابلت الرئيس حسن البكر وعدداً من الزعامات العراقية · وكانت آراء الجانب العراقي تتلخص في النقاط التالية :

١ ـ ان العراق يواجه مشكلتين رئيسيتين ، الأولى هي التنازع مع جارته ايران حول الحدود ولاسيما ما يتعلق منها بشط العرب ، والمشكلة الثانية هي ثورة الأكراد في الشمال · وان هذا التهديد الذي يأتي من اتجاهين مختلفين يرغم العراق على الاحتفاظ بقواتها قريبة من هذه المناطق ·

٢ ـ ان العراق تمثل الجناح الايمن للأمة العربية وهي لذلك يجب ان تكون قوية في تلك المنطقة حتى تستطيع ان تحمي المصالح العربية من اي هجوم امبريالي ·

٣ ـ عندما تبدأ المعركة ستقوم العراق بإرسال جزء من قواتها المسلحة الى الجبهة الشرقية بحيث لا يؤثر على موقفها في الجبهة الايرانية والجبهة الكردية ·

٤ ـ إنهم سيقومون بإصلاح وتجديد الطائرات هوكر هنتر ، ولكنهم يفضلون ارسالها بعد تمام تجهيزها الى الجبهة المصرية بدلاً من الجبهة السورية او الجبهة الاردنية ·

ذوبان الثلوج بين بغداد والقاهرة

ـ كانت رحلتي الى العراق محدودة النجاح · كانت هناك وعود عراقية · بدعم الجبهة الشرقية (جبهة سوريا) ولكن هذا الدعم كان مشروطاً بالموقف على الجبهة الايرانية وموقف الأكراد في الشمال كما أنه كان مشروطاً بقيام حرب فعلية . وبالتالي فان الجبهة الشرقية لا تستطيع أن تدخل في حساباتها القوات العراقية أو جزءاً منها كعنصر أساسي عند التخطيط للمعركة · كان هذا على صعيد العلاقات العربية ، أما على صعيد العلاقات المصرية ـ العراقية فقد فتحت الزيارة الأبواب بين بغداد والقاهرة مؤذنة ببدء مرحلة جديدة من التعاون بين البلدين ·

ـ بعد عودتي الى القاهرة بأربعة أيام فقط وصل اللواء عدنان عبد الجليل مساعد وزير الدفاع العراقي الى القاهرة ، وأخبرني بأن صدام حسين سوف يقوم بزيارة فرنسا في المدة بين ١٤ ـ ١٦ يونيو ٧٢ وان السلطات العراقية تود أن تعرف الأصناف التي تود مصر أن تشتريها من الغرب بصفة عامة ومن فرنسا بصفة خاصة ، حتى يمكنها ان تتعاقد عليها وذلك كنوع من الدعم المادي لمصر · لقد بدأت العلاقات المصرية العراقية تأخذ مظهراً من مظاهر التعاون ·. وهذا التعاون ، وان كان محدوداً ، فإنه كان خطوة كبيرة نحو تفاهم أفضل · لقد فتحنا مدارسنا العسكرية لاستقبال بعض الطلبة العراقيين كما أرسلنا عدداً من الخبراء العسكريين المصريين الى العراق · وقامت الحكومة العراقية من جانبها بوضع ٧ ملايين جنيه استرليني باسم وزارة الحربية المصرية في احد مصارف لندن حتى يمكن الانفاق منها لشراء بعض الأصناف التكميلية الغربية التي قد نحتاج اليها ·

ـ وفي ١٣ فبراير ٧٣ وصل الفريق عبد الجبار شنشل رئيس اركان حرب القوات المسلحة العراقية في زيارة رسمية لمصر تستغرق اسبوعاً · قام الفريق شنشل بزيارة الكثير من الوحدات والمنشآت العسكرية واطلع على كل ما يريد الاطلاع عليه · وبهذه الزيارة التي

تمت بعد ٩ شهور من زيارتي لبغداد كانت العلاقات المصرية العراقية قد وصلت الى ما لم تصل اليه من قبل • وبعد حوالي شهر من زيارة الفريق شنشل بدأ السرب العراقي من طراز هوكر هنتر يصل الى مصر ، حيث بقي بها الى ان قامت حرب اكتوبر ٧٣ واشترك فيها (١) •

- ويجدر لي بهذه المناسبة ان اشيد بالسرب العراقي وبالطيارين العراقيين فقد كان أداء الطيارين العراقيين في ميدان المعركة رائعاً مما جعلهم يحوزون على ثقة وحداتنا البرية • ففي أكثر من مناسبة كانت تشكيلاتنا البرية عندما تطلب معاونة جوية ترفق طلبها بالقول « نريد السرب العراقي » أو « نريد سرب الهوكر هنتر » ان هذا في حد ذاته يعتبر خير شهادة لكفاءة السرب العراقي وحسن ادائه خلال حرب اكتوبر •

- لم يقتصر الدعم العراقي على الجبهة المصرية ولكنه أسهم اسهاماً فعالاً في الجبهة السورية فبمجرد اندلاع حرب اكتوبر ٧٣ قام العراق باجراء سريع يهدف الى تأمين جبهته مع ايران ويسمح له بارسال جزء من قواته الى الجبهة السورية . وقد أشرك العراق في القتال ٤ أسراب جوية . فرقة مدرعة . فرقة مشاة . فكانت قواته في الترتيب الثالث بعد مصر وسوريا من ناحية الكم والكيف • لقد اشترك أول سربين جويين في القتال يوم ٨ اكتوبر . كما وان العناصر المتقدمة من القوات البرية قد بدأت تصل الى الجبهة يوم ١١ اكتوبر • ولو أن تلك القوات العراقية كانت متمركزة في سوريا قبل بدء القتال لتغيرت نتائج القتال على الجبهة الشرقية . وهذا درس يجب ان نستفيد منه في المستقبل •

(الفصل الثامن والعشرون)

الدعم العسكري من دول عربية أخرى

الدعم الليبي

- منذ أن وصل القذافي الى الحكم في الفاتح من سبتمبر ٦٩ وهو يقوم بمجهود كبير لبناء قوات مسلحة ليبية حديثة • ان مشكلتهم في ليبيا هي أن طموحهم يفوق قدراتهم • انهم يملكون المال ولكنهم يفتقدون الكثير بعد ذلك • ان النقص في عدد الافراد بالنسبة لاتساع الأقليم . والنقص في الخبرة الفنية والمستوى الثقافي بين الأفراد يشكلان تحدياً كبيراً لطموح القذافي ورفاقه • وعلى الرغم من هذه التحديات كلها فقد بذلت ليبيا مجهوداً ضخماً لبناء قواتها المسلحة في السنوات الأربع التي سبقت حرب اكتوبر ٧٣ . وقد اعتمدت في ذلك على معونة مصر الفنية اعتماداً كبيراً • قامت ليبيا بارسال عدة آلاف من طلبتها الى مراكز التدريب والمدارس العسكرية في مصر كما استقدمت مئات من الضباط وضباط الصف المصريين لتدريب الضباط والجنود الليبيين في ليبيا •

---

(١) - لم يستطع العراق اصلاح جميع طائرات هوكر هنتر التي عنده . ولقد كان كل ما استطاع اصلاحه هو ما يمكنه من تشكيل سرب واحد •

- وعندما اشترت ليبيا صفقة طائرات الميراج عام ١٩٧٠ من فرنسا اعتمدت اساسا على الطيارين المصريين الذين كانوا يحملون جوازات سفر ليبية · وفي خلال عام ٧١ و ٧٢ ازداد التعاون بين مصر وليبيا الى الحد الذي بدأ يبدو وكأنه وحدة قائمة غير معلنة · حاول القذافي أن يجعل من هذه الوحدة القائمة على الممارسة الفعلية وحدة رسمية بوثيقة رسمية ولكنه لم يجد تشجيعاً من السادات فحاول أن يفرض الوحدة على مصر · ونظم مسيرة شعبية ما بين طرابلس والقاهرة خلال شهر يوليو ٧٣ ، وقد انضم الى هذه المسيرة عدة آلاف من راكبي السيارات وحطموا بوابة الحدود التي تفصل بين البلدين باعتبارها أثراً من آثار الاستعمار الذي خلق هذه الحدود الوهمية بين الدول العربية · كانت ليبيا قيادة وشعباً تصرخ مطالبة بالوحدة ، ومع ذلك فقد رفض السادات قبول تلك الوحدة فكان ذلك خطأ تاريخياً جسيماً ·

- وعند قيام حرب اكتوبر ٧٣ كانت القوات الليبية المتمركزة في مصر عبارة عن سربي ميراج (احدهما يقوده طيارون ليبيون . والآخر يقوده طيارون مصريون) ولواء مدرع · ان حجم هذه القوات يجعل ليبيا في المركز الثالث بين الدول العربية التي ليست من دول المواجهة ، من حيث الدعم العسكري الذي قدمته للمعركة ، وهي تأتي بعد العراق والجزائر ·

الدعم السعودي

- لم يكن لي أية علاقات مباشرة مع المملكة العربية السعودية سواء على المستوى الثنائي بصفتي ر ا ح ق م م أو على المستوى العربي بصفتي الأمين المساعد العسكري للجامعة العربية · لقد كانت الاتصالات مع السعودية تتم على مستويات خاصة ! : الرئيس السادات . سكرتيره الخاص الدكتور أشرف مروان ، وزير الحربية الفريق صادق ومن بعده الفريق أحمد اسماعيل · أما أنا فلم يحدث قط أن زرت السعودية أو تفاوضت مع أحد المسؤولين فيها طوال الفترة التي شغلت فيها منصب ر ا ح ق م م · لذلك فاني سأذكر هنا ما أعرفه على وجه اليقين · واني لا استبعد مطلقاً أن تكون السعودية قد قدمت بعض المعونات المالية الى مصر دون أن يكون لدي أي علم بها ·

- كنت قد اقترحت في اجتماع مجلس الدفاع المشترك ـ كما سبق ان ذكرت في الفصل الخامس والعشرين (الباب السادس) ان تسهم السعودية بسربي ليتننج لتدعم الجبهة الاردنية ، وأقر المجلس ذلك في دورتيه الثالثة عشرة والثامنة عشرة · وقد كنت أنوي زيارة المملكة العربية السعودية بعد عودتي من زيارة الجزائر والمغرب ، ولكن السلطات المصرية ابلغتني أن أسقط من حسابي زيارة السعودية حيث أنه سيتم تنظيم الدعم العسكري المطلوب منها على مستوى الاتفاق الثنائي بينها وبين مصر · كان الاتصال منذ ذلك الوقت يتم بواسطة الوزير صادق بالتنسيق مع الرئيس السادات مباشرة (١) ·

---

(١) يرجى الرجوع الى الفصل السادس عشر من الباب الثالث ، القسم الخاص بلقاء السادات مع الجنرال اوكينيف يوم ١٨ مارس ٧٢

- اخبرني الفريق صادق بأن السلطات السعودية لا توافق على ارسال الطائرات ليتنج بطيارين سعوديين ولكنها على استعداد لأرسالها الى الجبهة المصرية على أن يقوم طيارون مصريون بقيادتها ولذلك فإنه يجب علينا أن نرسل عدداً من الطيارين المصريين الى السعودية حيث يجري تدريبهم هناك على قيادة هذه الطائرات، ثم يعودون بها الى مصر. كان ذلك نقيض فكرتي تماماً. لم نكن نشكو قط من النقص في عدد الطائرات. لقد كان عدد الطائرات عندنا يزيد على عدد الطيارين. لقد كان الطيار المدرب هو المشكلة الحقيقية. لقد كان هناك ما يقرب من ١٠٠ طيار سوفياتي يقودون ٧٥ طائرة ميج ٢١. فكيف يمكن أن ندبر ١٠ - ١٥ طياراً لارسالهم الى السعودية ؟

- لم ترق لي هذه الفكرة وأظهرت اعتراضي عليها. ولكن كما هي العادة دائما فان القرار السياسي يفرض نفسه في النهاية. في ٢ مايو ٧٢ ارسلنا الدفعة الاولى الى السعودية وكانت تتكون من ٧ طيارين و ٣٣ ميكانيكياً وبعد وصول هذه المجموعة الى السعودية بدأت تظهر الكثير من المشكلات: درجة الصلاحية في الطائرات لا تسمح بتدريب الطيارين الذين ارسلوا للتدريب عليها. عدم توفر المدربين الذين يقومون بتدريب الطيارين. المشكلات الادارية الخاصة بالتدريب ... الخ وبعد حوالي عام من المحاولات لم نصل الى شيء. عاد الطيارون والميكانيكيون دون الطائرات ليتنج ولم تشترك تلك الطائرات في معركة اكتوبر ٧٣ لا بطيارين مصريين ولا بطيارين سعوديين.

- في تمام الساعة ١٨٣٠ يوم ٩ يوليو ٧٣ اتصل بي الدكتور اشرف مروان وأخذ يكلمني في مواضيع غريبة بالنسبة لي. وليس لدي أي علم بها فلما أخبرته بأنني لا أعلم شيئاً عن هذه المواضيع قال لي: ان حسني مبارك يعلم بذلك. وكان مما قاله الدكتور أشرف مروان ما يلي

١ - بخصوص عقد الطائرات Sea King
مطلوب الانتهاء من العقد غداً حتى يمكن تسليمه الى العقيد عبد الرؤوف الذي سيسافر به الى السعودية يوم الخميس ١٢ يوليو. أما بخصوص الصواريخ والأصناف التكميلية التي لم يكن الاتفاق النهائي مع الجانب البريطاني عليها فيجري ادراجها ضمن عقد آخر لاحق (١)

٢ - موضوع ٣٢ طائرة ميراج:
ان كمية الذخيرة المطلوبة لعقد طائرات الميراج كبيرة جداً وتصل قيمتها الى ٣٥ مليون دولار. ومطلوب تخفيض هذه الكمية.

٣ - طائرة هيلوكوبتر هدية للرئيس.
ان الملك فيصل قرر اهداء الرئيس السادات طائرة هيلوكوبتر. ومطلوب ارسال طيارين مصريين الى السعودية لاستلامها.

---

(١) يلاحظ ان طائرة الهليوكوبتر اذا لم تسلح بالصواريخ جو - سطح فانها لا تعدو ان تكون وسيلة نقل مريحة.

٤ ـ لدى السعودية ١٠٠٠ طلقة عيار ١٥٥ مم . ومطلوب تحديد الوقت اللازم لاستلامها .

٥ ـ مطلوب تحرير كشف بقطع الغيار المطلوبة للمدافع ١٥٥ مم . لتسليمه الى العقيد عبد الرؤوف قبل سفره الى السعودية يوم الخميس القادم .

٦ ـ الطائرات C - 130 السعودية مطلوب سفرها الى السعودية كل ١٥ يوم لاجراء الصيانة ولأغراض سياسية . ويمكن الاستفادة من هذه الطلعات في نقل الاصناف المرسلة من مصر الى السعودية وبالعكس (١)

٧ ـ اعتبارا من اليوم فإن الاتصال بين السعودية ومصر يتم على مستوى الملك فيصل والرئيس السادات . ويجب الا يتم أي اتصال بين وزير الحربية المصري ووزير الحربية السعودي بخصوص هذه المواضيع .

كان وزير الحربية في زيارة رسمية الى الصومال وأثيوبيا من ٧ ـ ١٦ يوليو ٧٣ .

ـ قمت بالبت بالبنود رقم ٤ و ٥ و ٦ المدرجة اعلاهاما البنود١و ٢ و ٣ . فقد احلتها الى حسني مبارك الذي أفادني بأنه لم يطلب ذخيرة في عقد الميراج . كما أفادني . أنه بمعاينة طائرة الهليوكوبتر التي يريد الملك فيصل أن يهديها الى الرئيس السادات أتضح انها من نوع أوجستا بل لـ١٣ Augusta Bell L13ذات محرك واحد وزلاجات وهي متواضعة جداً وأوصى أن يعتذر الرئيس عن قبولها .

الدعم السوداني

ـ ان مشاركة السودان في تقديم الدعم العسكري للجبهة المصرية كان يتوقف أولا وأخيراً على العلاقات الثنائية التي تربط مصر بالسودان ـ كانت العلاقات بين مصر والسودان في الأعوام ٧١ ـ ٧٣ متغيرة . فتارة حسنة وتارة سيئة . دون أية اسباب واضحة .

ـ كانت العلاقة بين مصر والسودان على أحسن ما يرام بعد ثورة مايو ٦٩ في السودان ووصول النميري الى الحكم . واظهاراً لروح التعاون بين البلدين قام السودان بارسال لواء مشاة للتمركز في جبهة قناة السويس . وعندما وقع انقلاب مضاد في السودان في ١٩ يوليو ٧١ وقفت مصر بجانب نظام النميري ورفعنا درجة استعداد لواء المظلات ولكن استبعد التدخل العسكري بعد أن ترامى الينا ان الثوار قد سيطروا على الموقف سيطرة تامة . طلب القادة الجدد سحب لواء المشاة السوداني وبدأنا بترحيله وكانت آخر كتائبه تغادر القاهرة يوم ٢٤ يوليو ـ وقبل أن تغادر الكتيبة الأخيرة القاهرة انهار الانقلاب فجأة بعد أن نجحت ليبيا في القبض على عدد من زعمائه أثناء سفرهم في طائرة مدنية من لندن الى الخرطوم عبر طرابلس . بعد عودة النميري الى السلطة بمعاونة أشخاص جدد ـ ليسوا من فريق خالد

---

(١) كانت ليبيا قد خصصت طائرتي C-130 للتمركز في مصر منذ اوائل عام ٧٣ ، ونتيجة للخلافات السياسية بين القذافي والسادات قامت ليبيا بسحب هاتين الطائرتين في أواخر يونيو ٧٣ ، فقامت السعودية بارسال طائرتي C-130 سعوديتين لتحلا محل الطائرتين الليبيتين (هذه الطائرة هي ما كان يقصدها اشرف مروان في حديثه) .

عباس ـ (١) قام بتحديد سلطات خالد عباس وأخذت سلطاته كوزير للدفاع تتلاشى شيئاً فشيئاً حتى أصبح منصباً دون أية سلطة ثم أبعد نهائياً من تلك الوظيفة · سبب ابعاد اللواء خالد عباس من السلطة فتوراً في العلاقات بين السادات والنميري . واستمر ذلك الى أن نشطت الثورة في جنوب السودان وأصبحت الحكومة المركزية في الخرطوم عاجزة عن السيطرة على الموقف فطلبت بعض المعونات الفنية من مصر في نوفمبر ٧١ ·

ـ استجاب السادات لطلب النميري وصدرت التعليمات يوم ١٣ نوفمبر بارسال كميات من قنابل الطائرات وكذلك ٤٠٠ صاروخ جو ـ أرض من التي تستخدم بواسطة طائرات الهليوكوبتر وقد بلغت في مجموعها حوالي ١٠٠ طن واعتباراً من يوم ١٥ نوفمبر قامت طائراتنا من طراز انتنوف ١٢ بنقل هذه الأصناف ومعها بعض الفنيين الى جويا في جنوب السودان ·

ـ كانت مساعدتنا للسودان في قمع الثورة في الجنوب ذات أثر مباشر في تحسين العلاقات بين البلدين وهكذا بدأ لواء المشاة السوداني يعود الى الجبهة المصرية خلال ربيع عام ٧٢ . ولكن لم يكد يمضي ستة شهور حتى بدأت العلاقات بين السادات والنميري تتدهور مرة أخرى · وفي يوم ٢٧ سبتمبر حضر الى مكتبي العميد سعد بحر قائد لواء المشاة السوداني ومعه المستشار القانوني للسفارة السودانية في مصر وابلغني أنه قد تلقى أمراً بالاستعداد للعودة الى السودان ولكنه لا يعرف متى · وفي يوم ٥ اكتوبر تأكدت لديه الأوامر وبدأ اللواء السوداني ينسحب من الجبهة على ثلاث دفعات ٥ و ١٢ و ١٩ اكتوبر ٧٢ · قمت باخطار السيد الرئيس وبدأنا بتقديم المساعدات اللازمة لترحيل الأخوان السودانيين للمرة الثانية (٢) وبينما كنا نقوم بترحيل اللواء السوداني الى الخرطوم وصلتنا معلومات بأن منشآتنا التعليمية التي كانت متمركزة في السودان بدأت تتحمل بعض المضايقات من السلطات السودانية فاتخذت القاهرة قراراً بتاريخ ١٤ اكتوبر بسحب جميع أفرادها العسكريين من السودان . وبدأت عملية الاخلاء جواً وبراً وبحراً اعتبار من ١٧ اكتوبر ولمدة اسبوعين · وتدهورت العلاقات مرة أخرى بين السادات والنميري ·

ـ وفي اثناء اجتماع الهيئة الاستشارية ومجلس الدفاع المشترك في دورته الثالثة عشرة وعد السودان أن يدعم الجبهة المصرية بلواء مشاة عند قيام الحرب · وهكذا بعد اندلاع حرب اكتوبر ٧٣ بدأ لواء المشاة السوداني يعود الى الجبهة المصرية للمرة الثالثة · ولكنه لم يستطع أن يصل اليها الا بعد وقف اطلاق النار ·

---

(١) خالد عباس كان عنصرا رئيسيا في انقلاب مايو ٦٩ وعلى اثره رقى الى رتبة لواء وتولى وزارة الدفاع في السودان وكان ينافس النميري على السلطة داخل القوات المسلحة وخارجها · وعند وقوع الانقلاب المضاد في يوليو ٧١ كان خالد عباس خارج القطر ولم يعد الى السودان الا بعد فشل الانقلاب وعودة النميري مرة ثانية الى السلطة ·

(٢) هناك خفايا في السياسة المصرية من الصعب معرفتها حتى على مستوى العديد من الشخصيات المسؤولة انا على سبيل المثال لا اعرف الخلافات السياسية التي كانت بين السادات والنميري والتي ادت الى سحب اللواء السوداني وطرد وحداتنا المصرية التي كانت متمركزة في السودان ·

الدعم الجزائري

- كانت العلاقات بين مصر والجزائر قد تدهورت بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ . وقامت الجزائر على أثر ذلك بسحب لواء المشاة الجزائري الذي كان قد ارسل الى مصر عند قيام الحرب . وقد ساعدت زيارتي الأولى للجزائر التي قمت بها في فبراير ٧٢ على اعادة فتح الجسور بين البلدين . وفي اثناء زيارتي تلك أخبرني المسؤولون الجزائريون بأنهم عندما سحبوا لواء المشاة الجزائري فإنهم سحبوا الأفراد ومعهم اسلحتهم الخفيفة فقط . أما باقي الاسلحة الثقيلة التابعة للواء فقد تركت في مصر وأنهم لا يرغبون في استعادة هذه الاسلحة وانما يطلبون اخطاراً باستلامها حتى يمكنهم تسوية ذلك في قيودهم . فوعدتهم بتنفيذ ذلك بمجرد عودتي الى القاهرة حيث لم يكن لديّ علم مسبق بهذا الموضوع . وفعلا بمجرد عودتي للقاهرة أصدرت تعليماتي الى مدير ادارة الأسلحة بإرسال وثيقة الى الجزائر تثبت استلامنا لتلك الأسلحة . وقد قابل الجزائريون هذا التصرف بالشكر والتقدير . وفي ديسمبر من العام نفسه أرسلوا الينا ٢٤ قطعة مدفعية ميدان فقبلناها شاكرين .

- في يوم ١٦ سبتمبر ٧٣ سافرت تحت اسم مستعار الى الجزائر . وقابلت الرئيس هواري بومدين صباح ١٧ سبتمبر . أخطرت الرئيس بقرارنا بدخول الحرب . سألني عن توقيتها فأجبت بأنه لم يتحدد بعد ولكن من المؤكد أنه سيكون قبل مرور الأشهر الثلاثة المتفق عليها . سألني عن كفاءة القوات المسلحة فأجبت بأنها لم تكن في يوم ما أفضل مما هي عليه الآن . سألني عن مستوى كفاءة القوات السورية فقلت له انني اعتقد أنها تقريباً في مستوى القوات المصرية . فعلق قائلاً : « اذا كان الموقف هكذا فبماذا تفسر الأسباب التي جعلت القوات الاسرائيلية تسقط ١٢ طائرة سورية في المعركة الجوية التي وقعت منذ أربعة أيام ؟ » فأجبت « ان القوات الجوية الاسرائيلية متفوقة على القوات الجوية العربية سواء في ذلك السورية أو المصرية . ويجب علينا أن نعمل تحت هذه الظروف . ومع ذلك فإني أوافق سيادتكم بأنه ما كان يجب علينا أن نسمح للعدو بأن يحقق تلك المكاسب في معركة جوية واحدة . وفي اعتقادي ان اخواننا السوريين لا بد وأنهم ارتكبوا بعض الاخطاء ولا بد وأنهم وقعوا في كمين جوي نصبه لهم العدو بمهارة . وعموماً فهذا مثل للأخطاء التي يمكن أن ترتكب أثناء القتال وعلينا أن نتقبلها ونتعلم منها » لقد تحدثنا طويلاً ولمدة ساعة ونصف الساعة حول المعركة . واني أذكر جيداً ما قاله « ان قرار الحرب هو قرار صعب ولكن أصعب منه أن نبقى نحن العرب في الوضع المهين الذي نحن فيه الآن » وقبل أن اغادره وعدني بأنه سيتصل بالرئيس السادات بخصوص هذا الموضوع .

- بمجرد اندلاع الحرب قامت الجزائر بارسال الدعم التالي الى الجبهة المصرية .

سرب ميج ٢١	وصلت ٩ و ١٠ و ١١ اكتوبر ٧٣
سرب سوخوي ٧	
سرب ميج ١٧	
لواء مدرع	وصل يوم ١٧ اكتوبر ٧٣

ـ وتعتبر الجزائر في المركز الثاني بين الدول العربية التي ليست من دول المواجهة من حيث الدعم العسكري الذي قدمته للمعركة ويأتي ترتيبها بعد العراق .

ـ وعلاوة على الدعم العسكري الذي قدمته الجزائر . فقد سافر الرئيس هواري بومدين الى موسكو في نوفمبر ٧٣ حيث دفع للاتحاد السوفياتي ٢٠٠ مليون دولار ثمناً لأية أسلحة أو ذخائر تحتاج اليها كل من مصر وسوريا وذلك بمعدل ١٠٠ مليون دولار لكل منهما .

الدعم المغربي

ـ غادرت الجزائر الى المغرب بعد ظهر يوم ١٧ سبتمبروصلت الدار البيضاء ليلاً حيث كان السفير المصري في انتظاري . انطلقنا من الدار البيضاء الى الرباط حيث كان في انتظارنا الكولونيل الدليمي وتناولنا معه العشاء في منزله (١) وفي أثناء تناول العشاء أخبرت الكولونيل الدليمي بأني قادم لمقابلة الملك في مهمة سرية وعاجلة ورجوت أن تتم الزيارة بعيداً عن وسائل الاعلام والمظاهر البروتوكولية .

ـ في الساعة السادسة من بعد ظهر يوم ١٨ سبتمبر كنت أدلف أنا والكولونيل الدليمي الى مكتب الملك وبعد أن دعاني الملك للجلوس انسحب الكولونيل الدليمي وأغلق الملك الباب من خلفه بالمزلاج ثم عاد الى مكتبه . كنت أعلم قبل سفري الى المغرب أنه قد حدث الكثير من المتغيرات في الفترة الاخيرة مما سوف يؤثر دون شك على اتفاقنا السابق . كنت أعلم أن معظم طياري السرب 5 ـ F الذي كان مقرراً أن يدعم الجبهة المصرية قد اشتركوا في الانقلاب الفاشل ضد الملك وان طياري السرب إما مقبوض عليهم أو هم ممنوعون من الطيران . كنت أعلم ان لواء الدبابات الوحيد لدى المغرب قد أرسل منذ عدة أسابيع الى الجبهة السورية . أخبرت الملك بقرار الحرب دون ذكر التاريخ وسألته اذا كان يستطيع أن يخصص وحدات اضافية لتدعيم الجبهة المصرية . وهنا أجاب « يا أخ شاذلي أن ما سمعته منك الآن من أخبار هي أفضل ما سمعت طوال حياتي . أنا سعيد بأن اسمع اننا نحن العرب سوف نتحدى عدونا وسوف نتخلص من الموقف المهين الذي نحن فيه . اننا سوف نشارك في المعركة بقوات أكثر من القوات التي وعدتك بها في لقائنا السابق . أنت تعلم أننا أرسلنا لواء الدبابات الى سوريا ولكننا على استعداد لارسال لواء مشاة آخر الى الجبهة المصرية » .

قضيت يوم ١٩ سبتمبر في بحث تنظيم وتجهيز لواء المشاة الذي سوف يرحل الى الجبهة المصرية وخطة نقله بحرا الى الاسكندرية . عندما قابلت الملك في اليوم التالي اقترحت أن يتم تجهيز اللواء خلال ٧ ـ ١٠ أيام وان يغادر المغرب في أول أكتوبر ولكن الملك عقب قائلاً « اننا سوف نحتاج الى وقت أطول لاعادة تنظيمه وتجهيزه . ثم أننا نحب أن نمنح الضباط والجنود اجازات ليزوروا فيها أهلهم قبل السفر وسوف يدخل علينا رمضان بعد أيام . لذلك فإنني أفضل أن يقضي اللواء هنا شهر رمضان وعيد الفطر ويكون جاهزا للترحيل في النصف الثاني من نوفمبر » . لم أحاول الاصرار على ميعاد أقرب من ذلك حتى لا أكشف يوم بدء القتال .

---

(١) بعد ان فشل الانقلاب الذي دبره الجنرال اوفقير ضد الملك عام ٧٢ ترك منصب وزير الدفاع ومنصب رئيس أركان حرب القوات المسلحة المغربية شاغريين . وصار الملك يشرف بنفسه على شؤون الجيش والقوات المسلحة المغربية . وكان الكولونيل الدليمي يقوم بعمل مدير مكتب او Chef de Cabinet للملك فيما يتعلق بالشؤون العسكرية .

- عندما علم الملك بأنباء الحرب من وكالات الأنباء قرر ارسال لواء المشاة فوراً ودون أي انتظار وقد استخدم في ذلك جميع وسائل النقل الجوي المتيسرة في المغرب جميعها بما في ذلك شركة الخطوط الجوية المغربية ٠ وعندما حضر الكولونيل الدليمي الى مصر لزيارة الوحدات المغربية زارني في المركز١٠ يوم ٢٧ اكتوبر وقال لي « ان جلالة الملك يهنئك على الأداء الرائع الذي قمتم به ويتمنى لكم التوفيق وقد طلب مني أن أقول لك لو أنك قلت له أن الحرب قريبة الى هذا الحد لأرسل اللواء معك » فشكرته وقلت له أرجو أن يقدر جلالة الملك دقة موقفي بخصوص هذا الموضوع » ٠

- ان الدعم الذي قدمه المغرب للجبهة السورية والجبهة المصرية يجعله يحتل المركز الخامس بين الدول العربية التي ليست من دول المواجهة ويأتي بعد العراق والجزائر وليبيا والأردن ٠

السلاح العربي ضد السلاح العربي

- في أواخر سبتمبر ٧٣ اندلعت الحرب الأهلية بين اليمن الشمالي واليمن الجنوبي ٠ وفي ٣٠ سبتمبر اتصل بي الدكتور أشرف مروان وابلغني بأن الرئيس أمر بأن ندعم اليمن الشمالي بخمس طائرات ميج ١٧ وطائرتي اليوشن ٢٨ ولكن دون طيارين على أن نقوم بتسليم الطائرات في مطار عبد الناصر في ليبيا اليوم ٠

- اتصلت بالرئيس السادات لتأكيد معلومات تسليم الطائرات قبل تسليمها في ليبيا فأشار الرئيس الى ما يلي :

أ - يتم ترحيل طائرات الاليوشن ٢٨ بواسطة طيارينا يوم ٤ أكتوبر عن طريق جدة ٠ لا يجوز لطيارينا الاشتراك في العمليات فواجبهم هو توصيل الطائرات فقط ٠ ولكن لا مانع من قيامهم ببعض الطلعات التدريبية لتدريب الطيارين اليمنيين ٠

ب - طائرات الميج ١٧ يتم تسليمها الى ليبيا ٠ وستتولى ليبيا مع اليمن ارسالها الى هناك ٠

- في يوم ٣ أكتوبر أمر الرئيس بزيادة عدد طائرات اليوشن الى أربع بدلاً من اثنتين وفي حديث آخر مع الرئيس في اليوم نفسه ابلغته بأنه تم تسليم ٥ طائرات ميج ١٧ الى ليبيا يوم ٢ أكتوبر وان طائرات اليوشن ٢٨ الأربع ستصل ميناء الحديدة يوم ٥ اكتوبر عن طريق جدة ٠

- وفي يوم ١٥ اكتوبر ٧٣ اتخذ الرئيس قراراً سياسياً آخر بتدعيم اليمن الشمالي بـ ٣٣ دبابة ت ٣٤ على أن تسلم أيضاً عن طريق جدة ٠ وقد تحركت الدبابات بالقطار يوم ١٨ اكتوبر الى قنا ومنها الى سفاجة حيث تم تحميلها يوم ٣ نوفمبر واقلعت بها الباخرة يوم ٤ نوفمبر من سفاجة في طريقها الى جدة ٠ وبعد وصول الدبابات الى جدة طلب ابقاء السائقين مع الدبابات فصدق الرئيس على ذلك ٠

واني احكي هذه القصة لا لشيء الا لأبين لهؤلاء الذين عندما يقارنون بين قوة العرب واسرائيل يحسبون الأسلحة العربية جميعها مقابل الاسلحة الاسرائيلية . وهذا خطأ جسيم . لأن جزءاً كبيراً من السلاح العربي يأكل بعضه بعضاً ٠

تقويم الدعم العسكري العربي

ـ واذا نحن حسبنا اجمالي الدعم العسكري الذي قدمته الدول العربية الى دول المواجهة سواء قبل بدء حرب اكتوبر ٧٣ أو بعدها يتضح لنا أن اجمالي هذه القوات كانت كما يلي

الجبهة المصرية :

سرب ميج ٢١	جزائري
سرب سوخوي	جزائري
سرب ميج ١٧	جزائري
سربي ميراج	ليبيين
(واحد يقوده طيارون ليبيون وواحد يقوده مصريون)	
سرب هوكر هنتر	عراقي
لواء مدرع	جزائري
لواء مدرع	ليبي
لواء مشاة	مغربي
لواء مشاة	سوداني
كتيبةمشاة	كويتية
كتيبة مشاة	تونسية

الجبهة السورية

ثلاثة أسراب ميج ٢١	عراقية
سرب ميج ١٧	عراقي
فرقة مدرعة	عراقية
فرقة مشاة	عراقية
لواءين مدرعين	أردنيين
لواء مدرع	مغربي

الجبهة الاردنية

لواء مشاة	سعودي

ـ واذا نحن قارنا بين وحدات الدعم العسكرية هذه وبين مقررات الدفاع المشترك العربي في دورته الثانية عشرة والثالثة عشرة نجد ان هناك وحدات دعم لم ترسل الى الجبهات طبقا لتلك المقررات . وبيانها كما يلي .

- سرب ليتننج سعودي ·
- سرب ليتننج كويتي ·
- سرب ميج ١٧ جزائري (١) ·
- سرب F 5 مغربي (٢) ·

- وبصرف النظر عن الاسباب التي منعت تلك الدول من ارسال وحدات الدعم هذه . سواء أكانت ضعف مستوى التدريب أو عدم صلاحية الطائرات او عدم توفّر الطيارين . فإن ذلك لا يقلل مطلقاً من مظهر التعاون العربي الذي ظهر في اجمل صورة له خلال حرب اكتوبر ٧٣ والذي يمكن ان يكون نموذجاً لأي عمل عربي مشترك في المستقبل . بعد ان نتحاشى طبعاً الأخطاء التي ارتكبت عند حشد هذه القوات ، وبعد ان نستوعب الدروس التي تعلمناها نتيجة لهذه التجربة ·

- لقد قامت تسع دول عربية بتقديم الدعم العسكري لدولتي المواجهة · واذا رغبنا في تقويم هذا الدعم من ناحية قوة التأثير فانه يمكن ترتيب هذه الدول تبعاً للأسبقية التالية (٣) ·

المركز الأول	الجمهورية العراقية	١٥٠
المركز الثاني	الجمهورية الجزائرية الديمقراطية	٧٠
المركز الثالث	الجمهورية العربية الليبية	٥٠
المركز الرابع	المملكة الاردنية	٢٠
المركز الخامس	المملكة المغربية	١٥
المركز السادس	المملكة العربية السعودية	٥
المركز السابع	جمهورية السودان الديمقراطية	٥
المركز الثامن	دولة الكويت	١
المركز التاسع	الجمهورية التونسية	١

هناك ٧ دول عربية اخرى لم تسهم في المعركة بقوات عسكرية وهي . الامارات العربية المتحدة . دولة البحرين . سلطنة عمان . دولة قطر . الجمهورية اللبنانية . الجمهورية العربية اليمنية . جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (٤) · وأن عدم اشتراك هذه الدول في تقديم

---

(١) ارسلت الجزائر لواء مدرعا بدلا من سرب ميج ١٧ ·

(٢) ارسل المغرب لواء مشاة بدلا من سرب F5

(٣) لقد اجرى التقويم بناء على الاسس التالية :
سرب جوي يعادل ٢٠ نقطة ·
لواء مدرع يعادل ١٠ نقاط ·
لواء مشاة يعادل ٥ نقاط ·
كتيبة مشاة تعادل نقطة واحدة ·
وفي حالة التعادل تعطى الاسبقية لتاريخ الوصول ·

(٤) الدول الاتية لم تكن قد انضمت بعد الى الجامعة العربية قبل اكتوبر ٧٣ الصومال - موريتانيا - جيبوتي ·

الدعم العسكري لا يعني احجاماً منها عن ذلك وانما يعني انه لم يكن لديها ما تستطيع ان تقدمه للمعركة ·

- وهكذا يمكن القول ان التعاون العربي خلال حرب اكتوبر كان افضل صورة ظهر بها العرب منذ انشاء دولة اسرائيل · ولكن يجب ان نعترف بأخطائنا وان نتعلم منها · فقد كان الخطأ الأول هو التأخير الواضح في ارسال هذا الدعم العسكري الى الجبهات المختلفة مما جعل الكثير من وحدات الدعم تصل في وقت متأخر لا يسمح بأن يكون لها تأثير كبير على سير المعركة · والخطأ الثاني هو ان بعض وحدات الدعم كان مستوى تجهيزه وتدريبه لا يسمح له ان يدخل في معركة ضد القوات الاسرائيلية التي كانت على مستوى عال من التجهيز والتدريب ·

- ولكي نتعلم من أخطاء الماضي فإني أوصي الدول العربية بما يلي :

١ - تقوم دول المواجهة ببناء نظام دفاع جوي قوي يستطيع الدفاع عن قواتها المسلحة وعن منشآتها الحيوية والمدنية . وعلاوة على ذلك يستطيع أن يوفر الدفاع الجوي المؤثر لقوات الدعم العربي التي تصل قبل بدء العمليات الحربية مع العدو وبعدها ·

٢ - تقوم دول المواجهة ببناء اعداد اضافية من المطارات تزيد عن حاجتها الفعلية بحيث تستطيع هذه المطارات ان تستوعب اسراب الدعم العربي عندما يتقرر حشدها في الجبهة ·

٣ - تلتزم كل دولة عربية بتنفيذ توصيات رؤساء أركان حرب القوات المسلحة للدول العربية في الدورة الثالثة عشرة المنعقدة بالقاهرة في ديسمبر ١٢ بأن تخصص ١٥ ٪ من دخلها القومي لتطوير ورفع الكفاءة القتالية لقواتها المسلحة مع اعطاء الأسبقية الأولى في التطوير والدعم للقوات الجوية والدفاع الجوي . ثم القوات المدرعة . بعد ذلك · ان الحرب القادمة مع اسرائيل سوف تعتمد اساساً على الطائرات والدبابات · ويجب ان نعلم ان الكيف هو اساس النجاح في المعركة وان الكم يمكن ان يؤثر على المعركة اذا كان فارق الكيف ليس كبيراً . اما اذا كان فارق الكيف كبيراً فلن يجدي التفوق في الكم شيئاً · ان الشجاعة والروح المعنوية تلعبان دوراً هاماً في احراز النصر ولكن يجب ان نعلم ان قائد الطائرة **F5E** مهما كان شجاعاً فإنه لن يستطيع ان يسقط طائرة الفانتوم او طائرة الـ **F16** او **F15** · ومن هنا يجب ان يعلم العرب كيف ينتقون اسلحتهم . فإما ان يشتروا السلاح الذي يستطيع ان يواجه السلاح الاسرائيلي او يوفروا اموالهم ولا يشتروا به أي سلاح متخلف تستطيع اسرائيل ان تدمره في أي وقت تشاء · ان دول المواجهة لا يعوزها فرد المشاة ان ما يعوزها هو الطائرة والدبابة والصواريخ الموجهة ضد الدبابات والصواريخ الموجهة ضد الطائرات الى غير ذلك من الاسلحة المتقدمة والمتطورة · ومن هنا يجب على كل دولة عربية ترغب في ان تقدم دعماً عسكرياً حقيقياً . ان تشرع فوراً ومنذ الآن في تطوير قواتها المسلحة ورفع مستواها الى المستويات العالمية ·

٤ ـ مرة اخرى انادي بأن تتعاون الدول العربية في خلق صناعة حربية متطورة . طبقاً لما جاء في توصيات رؤساء اركان حرب القوات المسلحة للدول العربية في ديسمبر ٧٣ . ان اقامة صناعات عسكرية تحتاج الى أموال وخبرة فنية وسوق للسلاح لا يمكن توفره في دولة واحدة . اما اذا اجتمعت الدول العربية في مجموعة واحدة ، او حتى في مجموعتين فإنها تستطيع ان تشكّل بذلك ظروفاً مثالية للانتاج الحربي .

٥ ـ وأخيراً فأنه يجب ان تتمركز وحدات الدعم العربي في دول المواجهة قبل بدء العمليات بوقت كاف حتى يمكن الاستفادة منها على الوجه الأكمل .

الدعم المالي العربي

ـ لقد ذكرت فيما سبق ان الدعم العسكري العربي يفوق في افضليته الدعم المادي . حيث ان الدعم العسكري لدول المواجهة يزيد من قوتها وقدراتها القتالية بصفة مباشرة . اما الدعم المادي فانه يحتاج الى وقت لكي تظهر نتائجه . واني لم اتعرض في هذه المذكرات الى الدعم العربي المادي الا في حالات ثلاث وهي مقررات مؤتمر الخرطوم ٦٧ . والمعونة المالية العراقية لمصر . والمعونة الجزائرية لمصر عام ٧٣ . ولا يعني هذا ان هذا هو كل ما قامت به الدول العربية من دعم مادي لمصر أو لدول المواجهة ، وانما يعني ان تلك هي المعونات الثابتة والمسجلة والتي كنت انا على علم بها . واننا نسمع الآن كلاماً كثيراً عن معونات مالية كبيرة دفعت الى مصر ولكن للأسف الشديد ليس هناك مراجع رسمية تؤكد وتحدد هذه المعونات .

ـ يقول الاستاذ هيكل في كتابه « الطريق الى رمضان » انه خلال الأيام الأولى لحرب اكتوبر ٧٣ تبرعت ليبيا بمبلغ ٤٠ مليون دولار ، ٤ ملايين طن من الزيت . وان المملكة العربية السعودية تبرعت بمبلغ ٢٠٠ مليون دولار وان دولة الامارات تبرعت بمبلغ ١٠٠ مليون دولار . قد يكون هناك تبرعات اخرى من هذه الدول أو من دول عربية اخرى قبل حرب اكتوبر واثناءها .

ـ ولكي نقوم المساعدات المالية تقويماً عادلاً ، فقد قمت بعمل دراسات تبين تكاليف انشاء الوحدات المختلفة وادامتها بالنسبة لأسعار ما قبل عام ١٩٧٣ فاتضح لي ان كل عشرة ملايين دولار تتبرع بها أية دولة من غير دول المواجهة تعادل نقطة واحدة . وبالتالي فان من يتبرع بمائة مليون دولار فكأنه ساهم في المعركة بعشر نقاط ومن تبرع بألف مليون دولار فأنه يحرز مائة نقطة في قومية المعركة وهكذا . فاذا نحن عرفنا على وجه اليقين الأموال التي تبرعت به كل دولة عربية فانه يصبح في امكاننا إعادة النظر في الترتيب الذي ذكرناه

الباب السابع

ادارة العمليات الحربية

(الفصل الثلاثون)

الهدوء الذي يسبق العاصفة

الاجتماع المصري ـ السوري في الاسكندرية ، أغسطس ٧٣

ـ في تمام الساعة ١٤٠٠ يوم ٢١ اغسطس ٧٣ دخلت ميناء الاسكندرية باخرة ركاب سوفياتية وعليها ٦ رجال سوريين كان يتوقف على قرارهم مصير الحرب والسلام في منطقة الشرق الاوسط . كان هؤلاء هم اللواء طلاس وزير الدفاع ، اللواء يوسف شكور ر ا ح ق م س ، اللواء ناجي جميل قائد القوات الجوية والدفاع الجوي ، واللواء حكمت الشهابي مدير المخابرات الحربية ، اللواء عبد الرزاق الدردري رئيس هيئة العمليات ، العميد فضل حسين قائد القوات البحرية . كانوا جميعاً بملابسهم المدنية ولم تخطر وسائل الاعلام في مصر او في سوريا بأي شيء عن هذا الموضوع سواء قبل وصول الوفد او بعده . كنت أنا في استقبالهم على رصيف الميناء حيث خرجنا دون أية مراسم الى نادي الضباط حيث انزلوا خلال فترة اقامتهم بالاسكندرية .

ـ وفي الساعة ١٨٠٠ من اليوم نفسه اجتمع الوفد المصري والوفد السوري في مبنى قيادة القوات البحرية المصرية في قصر التين بالاسكندرية . كان الوفد المصري يتكون من الفريق أول احمد اسماعيل وزير الحربية ، الفريق سعد الدين الشاذلي ر ا ح ق م م ، اللواء محمد علي فهمي قائد الدفاع الجوي ، اللواء حسني مبارك قائد القوات الجوية ، اللواء فؤاد زكري قائد القوات البحرية ، اللواء عبد الغني الجمسي رئيس هيئة العمليات ، اللواء فؤاد نصار مدير المخابرات الحربية . كان هؤلاء الرجال الثلاثة عشر هم المجلس الأعلى للقوات المصرية ـ السورية المشتركة ، وكان يقوم بأعمال السكرتارية لهذا المجلس اللواء بهي الدين نوفل .

ـ كان الهدف من اجتماع هذا المجلس هو الاتفاق على ميعاد الحرب · وحيث ان قرار الحرب هو في النهاية قرار سياسي وليس قراراً عسكرياً فقد كانت مسؤوليتنا تنحصر في اعطاء الاشارة للقيادة السياسية في كل من مصر وسوريا بأننا جاهزون للحرب في حدود الخطط المتفق عليها وان نحدد لهم أفضل التواريخ المناسبة من وجهة نظرنا · استمرت اجتماعاتنا خلال يوم ٢٢ اغسطس ، وفي صباح يوم ٢٣ اغسطس كنا قد اتفقنا على كل شيء وأخذنا نعد الوثائق الرسمية لهذا الاجتماع التاريخي · وكان قرارنا يتلخص في اننا مستعدون وجاهزون للحرب . وفيما يتعلق بتاريخ الحرب فقد اقترحنا توقيتين احدهما خلال الفترة من ٧ ـ ١١ سبتمبر والثاني خلال الفترة من ٥ ـ ١١ اكتوبر ٧٣ · وعلاوة على ذلك فقد اقترحنا أفضل الايام داخل كل مجموعة من التوقيتات · وقد طالبنا القيادة السياسية بأن تخطرنا بالقرار الخاص بتوقيت الحرب قبل بدء القتال بخمسة عشر يوماً · وقد حرر محضر الاجتماع من صورتين وتم التوقيع عليهما من قبل كل من ر ا ح ق م السوري والمصري (اللواء يوسف شكور عن الجانب السوري . الفريق سعد الدين الشاذلي عن الجانب المصري) · كان لانتخاب توقيت سبتمبر يعني ان القيادة السياسية يتحتم عليها اتخاذ القرار واخطارنا به قبل يوم ٢٧ اغسطس أي بعد ٤ ايام على الأكثر من تاريخ انتهاء المؤتمر . فلما جاء يوم ٢٨ دون ان نخطر بشيء بدا واضحاً ان الحرب ستكون في ٥ اكتوبر او بعد ذلك بقليل ·

فرض قيود مشددة لإخفاء نوايانا

ـ تم في اجتماع الاسكندرية تنسيق الخطط المصرية السورية الخاصة بالسرية والأمن والخداع التعبوي والاستراتيجي والسياسي · وأني اذكر تلك اللحظة التي انتحى فيها بي اللواء يوسف شكور جانباً وقال هامساً « يجب ان تفرض احتياطات أمن مشددة حول هؤلاء الضباط الأربعة عشر الذين حضروا اجتماع الاسكندرية · يجب ألا يسافر أي منهم الى خارج البلاد · يجب الا يركب احدهم أية طائرة حتى في الخطوط الداخلية · ان اختطاف احدهم قد يسبب لنا مشكلات كبيرة !! » ولم يكن ما همس به اللواء يوسف شكور الا بعضا من عشرات الاجراءات التي اتخذت لتأمين السرية والخداع والأمن بالنسبة للقوات والقادة واخفاء نوايانا عن العدو ·

ـ بدأ اعضاء الوفد السوري بالعودة الى بلادهم اعتباراً من يوم ٢٤ اغسطس ولكن باسلوب مختلف تماماً عن اسلوب حضورهم · فمنهم من عاد بطريقة الجو عن طريق السعودية ومنهم من عاد بطريق البحر ومنهم من بقي عدة ايام اخرى · واعتباراً من ٢١ سبتمبر بدأ العد التنازلي نحو حرب اكتوبر · كان علينا ان نقوم بالكثير خلال تلك الايام الخمسة عشر لكي نتخذ اوضاع الهجوم النهائية . حشد وحدات المدفعية . حشد وحدات المهندسين . التعبئة واستدعاء الاحتياطي . تحرك الغواصات واتخاذ اوضاعها الخ الخ · وكنا قد اعددنا جدولاً محددا يشمل جميع هذه الاجراءات وما يجب ان يتم في كل ليلة وعلى طول امتداد فترة امتداد العد التنازلي · وفي اول اكتوبر ٧٣ أخطرنا قائدي الجيش الثاني والثالث بأن تمام الاستعداد لتنفيذ الخطة بدر هو يوم ٦ اكتوبر وقد فرضنا عليهما ان يجري تبليغ قادة الفرق

يوم ٣ اكتوبر فقط وقادة الألوية يوم ٤ اكتوبر وقادة الكتائب والسرايا يوم ٥ اكتوبر وقادة الفصائل وضباط الصف والجنود بتمام الاستعداد قبل بدء الهجوم بـ ٦ ساعات فقط · لقد كانت عملية اخفاء اخبار الحرب عن رجالنا عملية شاقة حقاً · هناك بعض الأفعال والتصرفات التي يمكن للجندي المحترف ان يفسرها بسهولة على انها الحرب حتى دون ان يخطره احد بذلك . مثال ذلك التصرفات التي تتم خلال فترة العد التنازلي ، فتح القوات واتخاذ اوضاع الهجوم بدلاً من اوضاع الدفاع الخ الخ · ومن هنا كان من الواجب علينا ان نجد تفسيرات اخرى لمثل هذه التصرفات . وقد اعددنا خطة لذلك واعتقد اننا نجحنا الى حد كبير في حجب قرار الحرب وتوقيتها عن رجالنا الا في المواعيد المحددة لذلك والتي سبق لي ان ذكرتها ·

ـ ولكي اعطي صورة لمدى السرية التي فرضت على رجالنا فإني سوف أحكي القصة التالية ، لقد تحركت يوم الجمعة ٥ اكتوبر الى الجبهة حيث زرت كلا من الجيش الثاني والجيش الثالث للتأكد من تمام الاستعداد وأن كل شيء يسير طبقاً للجدول الزمني السابق تحديده · وبينما كنت في الجيش الثاني جال بخاطري ان القي نظرة اخيرة على مواقع العدو شرق القناة · فتحركت ومعي اللواء سعد مأمون الى نقطة ملاحظة لنا لا يفصلها عن مواقع العدو سوى اقل من ٢٠٠ متر · كان كل شيء هادئاً تماماً ولا توجد أية مظاهر تدل على ان العدو قد شعر باستعداداتنا وأنه يقوم بتحضيرات مضادة · التفت الى سعد مأمون وقلت له ، « يبدو ان العدو لا يشعر بشيء مما يدور في جانبنا . ولكن ترى ماذا يعتقد رجالنا ؟ هل يفسرون تصرفاتنا على انها الحرب أم انهم يصدقون تفسيراتنا ؟ » فأجاب سعد مأمون ، « نعم هناك الكثير ممن يعتقدون ان الحرب وشيكة ولكنها مجرد شكوك لم تصل الى درجة اليقين · وحتى من تسم اخطارهم بتمام الاستعداد فإنهم ما زالوا متشككين · لقد حضر اليّ أمس احد قادة ألوية المشاة وقال لي هامساً هل هي الحرب أم انه مجرد تنفيذ مشروع تدريبي كما قيل لنا . فأجبته بأن يتم استعداده في التوقيتات المحددة له كما لو كانت الحرب فعلاً » ·

ـ أما بخصوص خداع العدو عن نوايانا بالهجوم فقد كان لدينا خطة متكاملة تشمل الخداع التكتيكي والتعبوي والاستراتيجي والسياسي · وقد تم تنسيق خططنا للخداع مع خطط الجانب السوري خلال مؤتمر الاسكندرية في اغسطس ٧٣ · كانت الخطة تعتمد على سلسلة من الأحداث تقع في عدة تواريخ محددة على المستويين العسكري والسياسي مما يعطي انطباعاً بأن الحرب ليست متوقعة في الوقت الذي حددناه لها · وفي هذا المقام يجب الا ننسى اجراءين مهمين لعبا دوراً اساسياً في عملية الخداع وكان اولهما قد بدأ منذ عدة سنوات وأما الثاني فكان قد بدأ اعتباراً من اكتوبر ١٩٧٣ · كنا قد حشدنا للدفاع عن قناة السويس ٧ فرق (٥ فرق مشاة + فرقتين مدرعتين) · كانت فرق المشاة الخمس تحتل النسق الأول في الدفاع (النسق الأول يعني الخط الأول · وكانت مدافع هذه الفرق تبدأ من الحافة الغربية للقناة وتستمر بضعة كيلو مترات الى الغرب) وكانت الفرقتان المدرعتان تحتلان النسق الثاني للدفاع وكانت تتجمع خلف فرق المشاة وعلى مسافة ٢٠ـ٢٥ كيلو متراً غرب القناة · كانت

خطتنا الهجومية تعتمد على أن تقوم فرق المشاة الخمس هذه باقتحام قناة السويس كل واحدة في حدود قطاع معيّن يدخل ضمن حدود القطاع الذي كانت مكلفة بالدفاع عنه ٠ وقد كان حشد قواتنا بهذا الاسلوب يسمح لنا بالاستغناء عن الكثير من التحركات التي يمنحها حشد القوات لاتخاذ اوضاع الهجوم (١) ٠ اما الاجراء الثاني فقد كان تعديل نظام التعبئة في القوات المسلحة المصرية اعتبارا من شهر يوليو ٧٢ . كما سبق ان بينت في الباب الثاني ٠ لقد كان اول استدعاء طبقا للنظام الجديد هو ٥ ـ ١٠ اكتوبر ٧٢ . وتوالت بعد ذلك الاستدعاءات بأشكال مختلفة حتى بلغت قبل اكتوبر ٢٢ استدعاء وكان الاستدعاء رقم ٢٣ هو الاستدعاء للحرب فاعتقد العدو ان هذا الاستدعاء لا يختلف عن غيره من الاستدعاءات الأخرى ٠٠ وهكذا فان المفاجأة التي حققناها يوم ٦ اكتوبر ٧٣ كانت نتيجة سلسلة من الاجراءات المتعددة التي كان يجري تنفيذها ضمن خطة محبوكة الاطراف تم وضع اسسها قبل بدء الحرب بمدة طويلة ٠٠

ـ عدت من رحلتي السرية الى الجزائر والمغرب في الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف ليل ٢١ / ٢٢ سبتمبر . وفي الساعة التاسعة صباحا كنت احضر المؤتمر الشهري مع القادة ٠ لقد كان مؤتمري السادس والعشرين ٠ كنت احس بشعور غريب خلال هذا المؤتمر ٠ لم يبق سوى ١٤ يوما على بدء الحرب وها انذا اجتمع بالقادة الميدانيين وكبار ضباط القيادة العامة للقوات المسلحة جميعهم . هؤلاء الرجال الذين وضعت مصر بهم ثقتها ٠ هؤلاء الرجال الذين سوف يقودون اصعب عملية عبور في التاريخ ٠ لقد كنت اشعر بالثقة بأننا سوف ننتصر ٠ لقد اعددنا العدة لكل شيء وقدرنا الاحتمالات جميعها فلماذا لا ننتصر ؟ ان كلًا من هؤلاء القادة بل والمستويات التي اقل منهم يعلم دوره في العملية الهجومية والاجراءات التي يتحتم عليه القيام بها . بتفاصيلها كلها منذ بدء الهجوم وحتى ٢٤ ساعة بعد ذلك بتفاصيل التفاصيل وبالساعة والدقيقة والمكان ٠

انهم يعلمون ايضا تفاصيل الاجراءات التي يقومون بها قبل بدء الهجوم ٠ ان كل ما ينقصهم هو معرفة يوم الهجوم وساعته وعندئذ تدور عجلة الحرب الرهيبة التي يشترك فيها بصفة مباشرة ما يقرب من ٤٠٠٠٠٠ رجل من ابناء مصر (قوات برية وجوية ودفاع جوي وبحرية) بينما يحمي خطوط مواصلاتهم وقواعدهم ومنشآتهم حوالي ٨٠٠٠٠٠ رجل آخر . ومن ورائهم يقف ٣٥ مليون مصري ٠ لقد جال ذلك بخاطري وأنا اقف امام هؤلاء الرجال الذين ستكتب اعمالهم تاريخ مصر ٠ لقد قلت لهم في بعض مؤتمراتي السابقة عندما ننجح في عبور القناة وتحطيم خط بارليف سوف يسجل هذا العمل كأعظم عمل عسكري في تاريخ الحروب وسيكون مجال فخر لكل رجل عسكري ان يذكر بكل اعتزاز لأبنائه وأحفاده انه خدم في القوات المسلحة المصرية خلال تلك الفترة ٠ اما في ذلك اليوم ٢٢ سبتمبر فلم اذكر أية كلمة عن الحرب واحتمالاتها وحبست شعوري الى ان انتهى مؤتمرنا في الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر ذلك اليوم ٠

---

(١) كان توزيع قواتنا بهذه الصورة ، كما كانت خطتنا الهجومية اعتبارا من المآذن العالية عام ٧١ ، الى جرانيت ٢ عام ٧١ / ٧٢ ، الى بدر عام ٧٣ كانت جميعها تعتمد اساسا على قيام فرق المشاة الخمس بالهجوم من اوضاعها الدفاعية دون أية عملية اعادة تجميع بين الفرق ٠

ـ وفيما بين الساعة ١٩٠٠ ـ ٢٢٠٠ من اليوم نفسه حضرت اجتماعاً برئاسة الوزير وحضر معنا الألوية : حسني مبارك . محمد علي فهمي ، الجمسي . نوفل حسن الجريدلي وقد استمعنا خلال هذا اللقاء الى التعديلات الاخيرة التي ادخلت على خطة القوات الجوية السورية ٠

ـ في الأيام التالية وحتى بدء القتال وزعت وقتي بين مهام العمليات والعمل الروتيني ٠ لقد كنت حريصاً ألا أقوم بالغاء أي التزام احتماعي أو روتيني حتى لا يستطيع أحد أن يستنتج شيئاً ٠ لقد كانت زوجتي هي الأخرى أحد أهدافي في عملية الخداع وقد أعددت العدة لذلك قبل بدء القتال بفترة طويلة ٠ لقد عودتها طوال الفترة التي اشغل فيها منصب ر ا ح ق م م ان تتلقى فجأة هاتفاً من مكتبي يخطرها بأنني أقوم بزيارة الوحدات وان اتغيّب لمدة اسبوع دون ان اتصل بها وهكذا أمكنني أن أقوم برحلتي السرية الى الجزائر والمغرب ما بين ١٦ ـ ٢٢ سبتمبر دون أن تعرف أنني خارج القطر ٠ وعندما انتقلت الى المركز ١٠ أعتباراً من اول اكتوبر وانقطعت أخباري عن المنزل لم يكن ذلك شيئاً غريباً عليها . اذ انها تعودت على ذلك . الى ان استمعت الى أخبار الحرب من الإذاعة والتلفزيون مثلها في ذلك مثل أية مواطنة مصرية عادية ٠

ـ كانت الأمور تسير في مجراها الطبيعي ٠ ففي يوم ٢٧ سبتمبر دعا وزير الحربية رفاقه من الوزراء لزيارة القيادة العامة للقوات المسلحة حيث شرح لهم تنظيم القيادة وأسلوب عملها ٠ وكان اكثر ما شد انتباههم هو الماكينات المكتبية office machines التي كانت قد وصلتنا منذ عدة شهور فقط (١) ٠ وفي صباح ٢٨ سبتمبر رافقت الوزير ومعنا عدد من ضباط القوات المسلحة لزيارة قبر الرئيس عبد الناصر ثم حضرنا حفل تأبين له في القيادة العامة حضره عدة مئات من الضباط من مختلف فروع القوات المسلحة ٠ وفي المساء حضرت الحفل الذي اقامه الاتحاد الاشتراكي بمناسبة ذكرى الرئيس الراحل عبد الناصر . وقد القى الرئيس السادات خطاباً بهذه المناسبة ولكن كان خطاباً معتدلاً بعكس خطاباته السابقة كلها التي كان يدق فيها طبول الحرب ٠ وبين تلك المناسبات الاجتماعية كنت التقي احد القادة أو أحضر مؤتمراً من العمليات لتدقيق خطة أو بحث مشكلة طارئة ٠

ـ كانت الحلقة الأخيرة من سلسلة الإجراءات الخداعية هي الإعلان المسبق بقيامنا باجراء المشروع الاستراتيجي السنوي في المدة ما بين أول أكتوبر وحتى ٧اكتوبر . وتحت هذا الستار كنا سنقوم باستدعاء الاحتياطي وننتقل من مراكز القيادة العادية الى مراكز القيادة الميدانية(٢) .وفي خلال تلك الفترة كنت أركز مجهودي على ثلاثة مواضيع رئيسية : الأول هو عملية استدعاء الاحتياط طبقا للتخطيط المسبق . والثاني هو استمرار عملية حشد القوات ولا سيما عناصر المدفعية ومعدات العبور التي كانت مؤجلة حتى أخر وقت ممكن . والثالث هو مراقبة مدى نجاح خطة الخداع وتقويم اعمال العدو . حتى يمكننا ان نستنتج من تلك

---

(١) قبل ذلك بعامين ادخلنا تعديلات جدرية على تنظيم ادارة المطبوعات والنشر ٠ وبعد ذلك قمنا بادخال العديد من اجهزة المكاتب الحديثة التي تساعد في رفع مستوى الادارة في جميع القيادات وعلى جميع المستويات ٠

(٢) القيادة العامة للقوات المسلحة تنقل الى المركز رقم ١٠ خلال المشاريع الاستراتيجية وخلال الحرب ٠

الأعمال ما اذا كان قد اكتشف نوايانا للهجوم أولا. والى جانب ذلك كانت هناك عشرات المواضيع الأخرى الأقل أهمية . مثال ذلك اختبار خطة المواصلات . تنظيم واختبار خطة الدفاع عن المركز ١٠ . مراجعة البيانين الأول والثاني الذي ستصدرهما القيادة العامة للقوات المسلحة بعد بدء العمليات . الخ ...

اللمسات الاخيرة قبل المعركة

- في أول اكتوبر اجتمع المجلس الاعلى للقوات المسلحة تحت رئاسة الرئيس السادات . قام كل قائد باعطاء الإشارة امام الرئيس بأنه مستعد وقادر على تنفيذ المهمة التي هو مكلف بها . واتبع ذلك بعض الكلمات المشجعة من الرئيس . وانتهى الاجتماع بعد ساعتين فقط (١) ووفي يوم ٣ اكتوبر سافر الوزير الى سوريا ومعه اللواء نوفل وبعد عودته قال لي « لقد كان السوريون يريدون أن يؤجلوايوم ي(يوم بدء القتال)لمدة ٤٨ ساعة ولكني قلت لهم إن هذا لا يمكن الآن . ان مثل هذا التأجيل قد يضيع عامل المفاجأة . فكروا في موقف الفريق الشاذلي على الجبهة المصرية وما يمكن ان يسببه ذلك له من مشكلات . لا اعتقد أنه يمكن ان يوافق على هذا التأجيل . وقد وافقوا في النهاية على ان يبقى يوم ي كما هو وان تكون ساعة س هي ١٤٠٠ يوم ٦ اكتوبر ٧٣ » لقد كان فعلا من المستحيل إيقاف عجلة الحرب أو تأجيلها . لقد كانت الحرب قد بدأت فعلا بالنسبة لبعض الوحدات . لقد ابحرت بعض غواصاتنا يوم أول اكتوبر لتتخذ اوضاع القتال وتقوم بتنفيذ المهام المخصصة لها في التوقيتات المحددة لذلك . ولأغراض الأمن والسرية فقد فرضنا صمتا لاسلكيا ولم تكن هناك أية وسيلة للاتصال بهذه الغواصات الا بعد بدء العمليات الفعلية . وقد تذكرت في تلك اللحظة اللواء زكري قائد البحرية عندما اتصل بي قبل ان تخرج الغواصات الى البحر وقال « ستخرج الغواصات الى البحر الآن . إنني اؤكد لك مرة أخرى أنه ليس هناك من وسيلة للاتصال بهم لإجراء اي تعديل في التوقيت . هل اعطي لهم الأمر بالخروج ؟ » قلت له « نعم . لا تغيير في اي شيء » .

- وفي يوم ٤ اكتوبر وقع حادث مهم كان من الممكن أن يكشف نوايانا للهجوم ففي هذا اليوم قامت شركة مصر للطيران بالغاء رحلاتها وبدأت تقوم بتنفيذ خطة إخلاء لطائراتها . وعندما علمنا في القيادة بهذا التصرف الغريب واستفسرنا عن اسبابه قيل لنا إنه تمّ بناء على تعليمات من وزير الطيران وقد اتصل وزير الحربية بزميله وزير الطيران وطلب منه الغاء تعليماته السابقة والعودة الى الحالة العادية وصباح يوم الجمعة ٥ اكتوبر كان العمل في شركة مصر للطيران قد عاد الى حالته الطبيعية (٢) .

---

(١) اجتماعات المجلس الاعلى للقوات المسلحة تستغرق في المتوسط ٤ ساعات للاجتماع الواحد . وهناك تسجيل كامل لما دار في هذا الاجتماع اقسم ان يذاع في يوم من الأيام .

(٢) ان هذا التصرف يثير بعض التساؤلات . لا بد وان وزير الطيران علم بميعاد الحرب . فمن الذي اخبره ؟

في صباح يوم الجمعة تحركت الى الجبهة لكي اتأكد بنفسي من أن كل شيء كان يسير على ما يرام . دخلت على اللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث في مركز قيادته فوجدته يراجع الكلمة التي سوف يلقيها على جنوده عند بدء القتال . فعرضها عليّ وطلب رأيي فيها . كانت كلمة قوية ومشجعة حقا قلت له « إنها ممتازة ولكنني لا أتصور أن احدا سوف يسمعها . ان هدير المدافع والرشاشات وتساقط القتلى والجرحى لن يسمحا لأحد بأن يستمع او ينصت لأحد . فما بالك بهذه الخطبة الطويلة ؟ » ثم لمعت في ذهني فكرة بعثها الله تعالى لتوها ولحظتها « إن أفضل شيء يمكن ان يبعث الهمم في النفوس هو نداء الله أكبر . لماذا لا نقوم بتوزيع مكبرات للصوت على طول الجبهة وتنادي فيها الله أكبر . الله أكبر .... سوف يردد الجنود بطريقة اوتوماتيكية هذا النداء وسوف تشتعل الجبهة كلها به ؟ ان هذه هي أقصر خطبة وأقواها » وافق علي الفور ولكنه أخبرني بأنه ليس لديه العدد الكافي من مكبرات الصوت التي يستطيع بها أن يغطي مواجهة الجيش الثالث . ومن مكتب اللواء عبد المنعم واصل اتصلت بمدير ادارة الشؤون العامة وقلت له « أريد منك ان تدبر ٥٠ مكبر صوت ترانزيستور وأن تسلم ٢٠ منها الى الجيش الثالث و ٣٠ للجيش الثاني على ان يتم ذلك قبل الساعة العاشرة صباح غد . حتى لو اضطر تنفيذ هذا الأمر الى سحب مكبرات الصوت جميعها من وحدات القوات المسلحة التي ليست ضمن تنظيم الجيشين الثاني والثالث » . وطلبت اليه ان يعاود الاتصال بي بعد حوالي ساعتين في قيادة الجيش الثاني .

- بعد ان أطمأننت علي الجيش الثالث تحركت الى الجيش الثاني حيث قابلت اللواء سعد مأمون . اشتكى سعد مأمون من ان وحدات المهندسين التي كان يتحتم دفعها حتى ليلة أمس لم تصل اليه كاملة وأحضر أمامي رئيس المهندسين في الجيش ليدلي بشكواه . اتصلت فورا بمدير ادارة المهندسين للقوات المسلحة وتم حل الموضوع . وبينما كنت مع سعد مأمون اتصل بي مدير ادارة الشؤون العامة وأعلمني بأنه سوف يكون قادرا على تنفيذ التعليمات التي أصدرتها بخصوص تدبير مكبرات الصوت وتسليمها في التوقيتات التي حددتها له فشكرته على ذلك وأخبرت اللواء سعد مأمون بموضوع مكبرات الصوت التي سوف تسلم له وهتاف الجنود اثناء اقتحام القناة « الله أكبر ».عدت الى المركز ١٠ وأنا أكثر اقتناعا بأننا سننتصر . لم يبق على بدء المعركة سوى أقل من ٢٤ ساعة وجميع المظاهر تؤكد ان العدو لم يشعر بتحضيراتنا وهذا في حد ذاته يعتبر مكسبا كبيرا . ان اسرائيل تحتاج الى ٧٢ ساعة لاتمام المرحلة الأولى من تعبئتها (تعبئة القوات المسلحة) وتحتاج الى ٩٦ ساعة أخرى لاتمام المرحلة الثانية من التعبئة والتي تشمل تعبئة موارد الدولة بأكملها للحرب . فلو فرضنا وعرفت اسرائيل الآن بنوايانا فلن يسعفها الوقت لتعبئة قواتها بشكل مؤثر . (١)

شعوري وأفكاري قبل بدء المعركة

- وبنهاية يوم الجمعة قررت ان انام مبكرا لكي آخذ أكبر قسط من الراحة قبل أن تبدأ العمليات ويصبح من الصعب الحصول على فرصة للنوم او الراحة . تناولت عشاء خفيفا وأويت الى فراشي الذي يقع في غرفة ملاصقة لغرفة العمليات . حاولت النوم ولكن دون جدوى .

(١) قامت اسرائيل بعد حرب ٧٣ بتعديل خطة تعبئتها . وهي تدعي اليوم ان بمقدورها تعبئة قواتها كلها خلال ٢٤ ساعة .

كان سيناريو SENARIO عملية اقتحام قناة السويس وحصار وتدمير خط بارليف يمر في خيالي ،وكلما انتهى عرض هذا الفيلم عاد ليعرض نفسه من جديد ٠ وهنا بدأت حوارا مع نفسي حول تصوير المعركة ٠ كنت أناقش مع نفسي فكرتين احداهما تنادي بتصوير معركة العبور . والأخرى كانت تعارض الفكرة.ونظرا لوجاهة الأسباب التي كانت تؤيد كل فكرة فسوف اعرض مزايا وعيوب الفكرتين تاركا للقارىء حرية الحكم على أفضلية كل منهما ٠ (١)

فكرة تصوير الفيلم عن معركة العبور

اذا قمنا بتصوير فيلم حي عن معركة العبور فان قيمته السوقية يمكن ان تزيد عن ١٠٠ مليون دولار . اما قيمته التاريخية فإنها لا تقدر بثمن ٠

ب ـ ولكن كيف يمكن تصوير هذا الفيلم دون ان يكون مخرج الفيلم على علم مسبق بالسيناريو والمواقف والتوقيتات كلها ٠ ان هذا يعني اذاعة اسرار الخطة للمخرج في الوقت الذي حجبنا فيه هذه المعلومات عن كثير من القادة ٠ وحتى القادة فان كلا منهم يعرف فقط ما يخص القوات التي تحت قيادته ولا يعرف عن عمل باقي القوات الأخرى الا بالقدر الذي يسمح له بالتعاون معها ٠ اما هذا المخرج فيجب ان يعرف كل شيء لكي يمكنه القيام بواجبه على الوجه الأكمل ٠

أ ـ صباح غد سوف يعلم عشرات الألوف من الضباط والجنود بنبأ الحرب . فماذا لو عرف أيضا مخرج الفيلم ؟ يمكنك ان تدعو احد المخرجين صباح غد وتكلفه بالمهمة ٠

ب ـ ماذا تقول ؟ غداً ؟ هذا مستحيل ٠ لن يكون لديه الوقت الضروري لتنفيذ المهمة ٠ ان مخرج الفيلم يحتاج الى يوم كامل لفهم السيناريو . ثم يحتاج الى ٣ ـ ٤ أيام لتجهيز نفسه لعملية التصوير ٠

أ ـ من قال لك ذلك ؟

ب ـ لا أحد . ولكني أعتقد ذلك ٠ ان هذا هو التفكير المنطقي ٠

أ ـ الوقت ليس متأخراً كما تعتقد ٠ ما عليك الا أن تستدعي المخرج صباح غد وتكلفه بالمهمة ثم تستمع الى ما يقول ٠

ب ـ ربما يطلب مني طائرتي هليوكوبتر على الأقل لكي يستخدمهما في التصوير وهناك احتمال أن يقوم رجالنا باسقاطهما على اعتبار أنهما طائرات معادية ٠ وحتى لو أصدرنا تعليمات مشددة بعدم اطلاق النار على هاتين الطائرتين فلا يمكن لأحد أن يضمن وصول هذه التعليمات الى الأفراد جميعاً وعلاوة على ذلك فإن اصدار مثل هذه التعليمات للجنود لتأمين طائرات تصوير الفيلم قد يخلق لدى الجنود نوعاً من التردد في اطلاق النار على طائرات الهليوكوبتر المعادية ظنا منهم أنها طائرات صديقة ٠

أ أن المزايا التي يمكن الحصول عليها نتيجة تصوير هذا الفيلم تفوق بكثير المخاطرة

---

(١) الفكرة ا تؤيد تصوير الفيلم اما الفكرة ب فإنها تعارض ذلك ٠

باحتمال اسقاط طائرتي هليوكوبتر . لقد تعودنا أن نسمع منك في كثير من المناسبات عبارة « المخاطرة المحسوبة » لماذا لا ندخل هذا العمل ضمن « المخاطرة المحسوبة » .

ب ـ هذا شيء مختلف . ان هذا العمل لن يكون له أي أثر مباشر أو غير مباشر على نتيجة الحرب أنه فقط للتسجيل التاريخي .

أ ـ ان تسجيل التاريخ هو عملية مهمة · ان من حق ابنائنا واحفادنا أن يعرفوا ما قام به آباؤهم وأجدادهم لكي يفخروا به ويستفيدوا ويتعلموا منه ·

ب ـ اني مقتنع بما تقول ولكني مقتنع أيضاً بأن اذاعة سيناريو العبور بكامله أمام مخرج الفيلم قبل بدء العمليات الحربية هي مخاطرة كبيرة ليس هناك ما يسوّغها .

ـ وبهذه المناسبة يجب ان اقرر هنا بان الصور التي نشرت في الصحافة الوطنية والصحافة العالمية والتي كانت تمثل دباباتنا وهي تعبر فوق الكباري والمعديات وجنودنا المشاة وهي تركب القوارب وتعبر القناة والقوارب التي يرفرف عليها العلم المصري اثناء العبور. كلها صور مزيفة لم يتم تصويرها أثناء المعركة · انها صور قام الاعلام المصري بالتقاطها بعد المعركة لأغراض الدعاية وقام بتمثيلها جنود كومبارس واخذت لهم تلك الصور بعيداً عن قصف المدافع ولعلعة الرشاشات · واني اعلن أنه لم يدخل مصور واحد الى منطقة القتال الا بعد ظهر يوم ٨ اكتوبر أي بعد بدء القتال بأكثر من ٤٨ ساعة · اني لا اقول هذا لكي ألوم أحداً من المصورين . فلم يطلب الى أي مصور الذهاب الى الجبهة ورفض · ولكن أقول ذلك لأنه الحقيقة · وقد اكتشفت ذلك عندما زرت الجبهة يوم ٨ اكتوبر فأمرت بالحاق بعضهم بالوحدات فقاموا بتنفيذ ذلك اعتباراً من بعد ظهر يوم ٨ اكتوبر.لم يكن يهمني أن اقول هذه الحقيقة لو أن الصور التي التقطت تمثل حقاً الجندي المصري الشجاع وهو يقتحم القناة . ولكني صدمت عندما شاهدت هذه الصور في الصحف الأجنبية ان بعض هذه الصور يمثل جنوداً يعبرون بصورة غوغائية ينعدم فيها الضبط والربط والنظام الدقيق الذي كان مفروضاً أثناء عملية العبور · انها صور لا تمثل مطلقاً الجندي المصري الذي عبر القناة · كم أشعر الآن بتأنيب الضمير لأنني لم استمع الى النداء الذي كان يطلب مني أن نقوم بتصوير هذا العبور ورفضت ذلك من أجل المحافظة على السرية .

ماذا يقصد السوفيات بسحب خبرائهم

لا بد أني غفوت قليلاً بعد هذا الصراع الفكري بيني وبين نفسي حول تصوير فيلم عن عبورنا لقناة السويس . ولكن هذه الغفوة كانت قصيرة · كان ذهني متيقظاً وكانت حواسي كلها متيقظة أيضاً كان ذهني يبقى مستيقظاً عندما ترقد عيناي قليلاً · كانت أقدام جنود الحراسة التي تروح وتغدو أمام غرفتي لا تسمح لي بالنوم العميق فكنت اغفو لفترات قصيرة ثم استيقظ فتطول فترة الاستيقاظ نتيجة تزاحم الأفكار . كل فكرة تريد أن تفرض نفسها · ومن بين الأفكار التي شغلتني هذه الليلة قرار السوفيات بسحب خبرائهم من مصر ·

أ ـ ماذا يعني قيام السوفيات بسحب خبرائهم وعائلاتهم قبل بدء المعركة بحوالي ٢٤ ساعة

ب - لا بد وأنهم لا يريدون أن يتورطوا في هذه الحرب . ولكي يظهروا للعالم أجمع أن أياديهم نظيفة من هذه العملية ·

أ - قد يعني أيضاً أنهم لا يوافقون على الخطوة التي اتخذناها . وأن ما قاموا به هو في الواقع احتجاج صامت · · اضف الى ذلك قرارهم بسحب سفنهم الثلاث التي كانت راسية في ميناء بورسعيد ·

ب - حقاً · اننا لسنا في حاجة الى مساعدتهم العسكرية ولكننا في حاجة الى مساعدتهم وتأييدهم السياسيين.لا بد أن هذا الموقف قد أصاب الرئيس السادات بقلق كبير · ترى كيف يفكر الآن ؟

أ - قد يصدر قراراً بايقاف الحرب ·

ب - مستحيل ؟

أ - لماذا مستحيل ؟ أمن أجل الغواصات التي في عرض البحر ولا يمكن ايقافها عن تنفيذ مهامها ؟ ان العالم مستعد لأن يضحي باغراق باخرة أو باخرتين كثمن لتجنب الحرب ·

ب - واذا كان ذلك مقبولاً على المستوى العالمي فكيف يقبل على المستوى الوطني ؟ لقد تم شحن رجالنا بروح القتال والرغبة في الانتقام من العدو الذي هزمهم عام ٦٧ وان لديهم الآن فرصة كبيرة لتحقيق النصر بعد سلسلة من الهزائم التي هزت ثقتهم بأنفسهم · اذا لم نعطِ رجالنا هذه الفرصة فقد تموت فيهم روح القتال لعدة أجيال قادمة ·

أ - انك تتكلم كجندي محترف · ان السياسيين يفكرون بأسلوب مختلف هل نسيت ما قاله لك السادات ؟ ألم يقل لك انك لا تفهم في السياسة ؟

ب - نعم أذكر ذلك · ولكن هذا لا يعني أن الرئيس على حق · اذا كان الرئيس يعني بالرجل السياسي أن يكون من طراز ميكافيللي فإني أكره أن اكون كذلك · أنا أؤمن بالصدق والصراحة والأمانة ولا أؤمن بالكذب والخديعة · أنا اعلم أن قرار الرجل السياسي العاقل هو القرار الذي يدخل في اعتباره العوامل كلها مهما كانت هذه العوامل متعارضة · ان القرار السليم هو في النهاية عبارة عن محصلة لتلك العوامل جميعها التي بينها دون شك الروح المعنوية للشعب . العزة . الكرامة . الشعور بالفخر والكبرياء . ان الفرد هو أغلى عنصر في الثروة البشرية للدولة · ان الفرد المقهور الذي لا يملك ثقته بنفسه لا يمكنه ان يقدم شيئاً لبلاده . ولو في أي مجال آخر ·

أ - انك ما زلت تفكر بعقلية الجندي المحترف · هناك سؤال يجب أن تفكر فيه الآن . ماذا ستفعل لو أن الرئيس أمر بايقاف والغاء العملية الهجومية ؟

ب - هذا سؤال سخيف لن أجيب عنه

أ - أنت تخشى أن تجيب عن هذا السؤال ·

ب - نعم · اني أريد أن أنام ان لدينا عملاً كبيراً ينتظرنا غداً ويجب أن تأخد قسطاً من الراحة ·

كان نومي طوال هذه الليلة هو سلسلة من الغفوات والاستيقاظات وفي كل مرة أستيقظ فيها

كنت ابحث مشكلة حتى وكأني بحثت جميع مشكلات القوات المسلحة في تلك الليلة واستيقظت في الصباح وأنا أشعر بنشاط كبير .

رقيب يرفض القتال

ـ في الساعة العاشرة من صباح يوم السبت ٦ اكتوبر أبلغني احد قادة الجيوش هاتفيا بأن لديه ضابط صف برتبة رقيب يرفض القتال عندما أخطر بمهمته في القتال في صباح ذلك اليوم قال لقائده « إن القتل والعنف ليسا من طبيعتي كما وانهما يتعارضان مع معتقداتي وأنا لا استطيع ان اقوم بتنفيذ هذه المهمة » وقد حاول اصدقاؤه وقادته أن يثنوه عن هذه الفكرة ولكنه اصر على رأيه . كان قائد الجيش في ذروة الغضب وهو يبلغني بهذا الخبر وأضاف قائلا بأنه سوف يأمر بتشكيل مجلس عسكري عال لمحاكمة الرقيب المذكور . ولكنني اخذت الموقف بمنتهى البساطة وقلت له « لا عليك . إنه مجرد فرد واحد من ١٠٠٠٠٠ سوف يقتحمون القناة بعد ساعات قليلة . أني أعلم ان نسبة الذين يرفضون القتال في الجيوش الأخرى أعلى من ذلك بكثير . لا تشغل نفسك بهذا الموضوع أرسله تحت الحراسة الى السجن الحربي وسوف نبحث موضوعه فيما بعد » كنت أعرف ان محاكمة هذا الشخص بمجلس عسكري عال وصدور الحكم والتصديق عليه لم تكن لتستغرق نصف ساعة . إن المتهم يرفض القتال ويعترف بذلك والإعدام هو الجزاء المنتظر لذلك . ومن الممكن ان ينفذ فيه حكم الإعدام أمام أفراد وحدته . لقد جال هذا الشريط بسرعة في خيالي فاستبعدته . لم أكن اريد ان ابدأ عمليتنا الهجومية بإعدام احد رجالنا . قد يقال فيما بعد ان المصريين لم يعبروا القناة إلا بعد ان رأوا رأس زميلهم معلقا في الهواء . وبذلك يستطيع أعداؤنا أن يشوهوا سمعة الجندي المصري . لا ! لن نعطيهم الفرصة لذلك . سوف نقدمه للمحكمة فيما بعد . سوف نحاول دراسة نفسيته لكي نعرف كيف تتولد هذه الافكار وكيف يمكن التغلب عليها (١) . قد يخجل بعض المصريين الشرفاء من سماع هذه القصة ولكني أطمئنهم بأن هذه الحالات تحدث في الجيوش الأجنبية بنسبة أعلى من ذلك بكثير . لقد اشترك في حرب اكتوبر بطريق مباشر حوالي ٤٠٠٠٠٠ رجل عبر منهم حوالي ١٠٠٠٠٠ رجل . فهل يضير الشرف العسكري المصري أن يتخلف منهم رجل واحد ؟

(١) لقد شغلتني احداث المعركة ولا اعرف حتى الان مصير هذا الرقيب البائس . ولكني اعتقد ان حالته جديرة بالدراسة العلمية والنفسية .

معركة العبور

بدء العمليات الحربية

ـ في الساعة ١٣٠٠ يوم ٦ اكتوبر وصل رئيس الجمهورية ومعه وزير الحربية الى المركز ١٠ ودخلا غرفة العمليات حيث كان كل فرد في مكانه منذ الصباح · كان الوقت المحدد لعبور الموجة الأولى من المشاة هو الساعة ١٤٣٠ ولكن كان هناك الكثير من المهام الأخرى التي يجري تنفيذها قبل ذلك · ولعل اهم هذه المهام هو قيام قواتنا الجوية بتوجيه ضربة جوية الى مطارات العدو ومراكز قيادته ومناطق حشد مدفعيته في سيناء · وقد اشترك في هذه الضربة الجوية اكثر من ٢٠٠ طائرة عبرت خط القناة على ارتفاع منخفض جدا في الساعة ١٤٠٠ · وبمجرد عبور قواتنا الجوية لخط القناة بدأت مدفعيتنا عملية القصف التحضيري المكثف على مواقع العدو شرق القناة . وفي الوقت نفسه تسللت عناصر استطلاع المهندسين وعناصر من الصاعقة الى الشاطىء الشرقي للقناة للتأكد من تمام إغلاق المواسير التي تنقل السائل المشتعل الى سطح القناة ·

ـ وبينما كانت تلك الاعمال جميعها تتم بنجاح كان الجميع ينتظرون اخبار عبور المشاة حيث ان ذلك هو الذي سيحدد مصير المعركة (١) · وبينما كنا ننتظر وكأن على رؤوسنا الطير وصلت المعلومات بتمام عبور الموجة الأولى ودوت مكبرات الصوت داخل المركز ١٠ تعلن الخبر المهم الذي بعث الفرحة والسكينة في نفوس الجميع · أخذت المعلومات عن عبور الموجات التالية للمشاة تتوالى وفي توقيتات تتطابق تماما مع توقعاتنا (٢) · وبعد ان اطمئن الرئيس بهذه الاخبار السارة انسحب هو ووزير الحربية من غرفة العمليات للراحة . وحوالي السابعة مساء غادر الرئيس المركز ١٠ عائدا الى قصر القاهرة ·

ـ وفي الساعة ١٨٣٠ من يوم ٦ اكتوبر كان قد عبر الى الشاطىء الآخر ٢٠٠٠ ضابط ٣٠٠٠٠ رجل من خمس فرق مشاة واحتفظوا بخمسة رؤوس كباري قاعدة كل منها يتراوح بين ٦ـ ٨ كيلو مترات وعمق كل منها يتراوح بين ٣ ـ ٥ كيلو مترات · كان المهندسون ما زالوا يعملون بجد في فتح الثغرات في الساتر الترابي ولكنهم لم يكونوا قد انتهوا بعد من هذا العمل وبالتالي لم يكن لدينا دبابات أو مركبات على الجانب الآخر وذلك فيما عدا اللواء البرمائي الذي عبر البحيرات المرة ما بين ١٤٠٠ ـ ١٥٠٠ في قطاع الجيش الثالث وقد بدأ يعمل في عمق العدو وكان معه ٢٠ دبابة برمائية و٨٠ مركبة برمائية توباز . وبالإضافة الى ذلك فقد كانت هناك اعداد محدودة أخرى من المركبات البرمائية التي عبرت بحيرة التمساح لكي تعمل في قطاع الجيش الثاني · كانت دبابات اللواء ١٣٠ البرمائي هي الدبابة ت ٧٦ وهي تشكل قوة

---

(١) تفاصيل خطة العبور سبق شرحها في البابين الاول والثاني .

(٢) كانت المشاة تعبر في ١٢ موجة بين كل موجة والتي تليها ١٥ دقيقة هي زمن رحلة القارب ذهابا وايابا الى الشاطىء البعيد بما في ذلك وقت التحميل والتفريغ ·

نيران كبيرة اذا استخدمت ضد قوات العدو ومراكز قيادته والمواقع غير الحصينة ولكن خفة تدريعها وصغر عيار مدفعها يجعلانها ليست ندا لدبابات العدو المتوسطة بانواعها كلها والتي كانت مسلحة بالمدفع ١٠٥ ملليمتر · لذلك كنت انتظر بفارغ الصبر إتمام عملية فتح الثغرات في الساتر الترابي للعدو · إن فتح هذه الثغرات هو الذي سيمكننا من البدء في عملية نقل دباباتنا الى الضفة الشرقية سواء عبر المعديات أو عبر الكباري ·

- في الساعة ١٨٣٠ وصلت المعلومات عن فتح اول ثغرة وتشغيل اول معدية في قطاع الجيش الثاني . ثم توالت الأخبار خلال الساعة التالية عن فتح المزيد من الثغرات . وبالتالي بدأ تشغيل المعديات التي اخذت تنقل دباباتنا الى الشاطىء الآخر باعداد محدودة · وفي الساعة ٢٠٣٠ كان قد تم بناء اول كوبري ثقيل على القناة وفي الساعة ٢٢٣٠ كان قد تم بناء ٧ كباري ثقيلة اخرى وكانت دباباتنا واسلحتنا الثقيلة تتدفق نحو الشرق مستخدمة ٧ كباري ثقيلة و٣١ معدية ·

خطة العدو شوفاخ يونيم

كانت خطة العدو شوفاخ يونيمSHOVACH YONIM تتلخص فيما يلي :

١ - تقسم جبهة قناة السويس الى ثلاثة قطاعات رئيسية تمثل ثلاثة اتجاهات رئيسية : القطاع الشمالي ويدافع عن الاتجاه القنطرة - العريش والقطاع الاوسط ويدافع عن الاتجاه الاسماعيلية - ابو عجيلة والقطاع الجنوبي ويدافع عن الاتجاهات السويس - الممرات ·

٢ - يتم الدفاع على شكل نسقين واحتياط ·

أ - النسق الأول : خط بارليف ويحتله لواء مشاة يتقوقع داخل ٣٥ حصناً ونقطة قوية بينها فواصل مجهزة بمرابض نيران للدبابات بمعدل مربض كل ١٠٠ متر (١) ·

ب - النسق الثاني على مسافة ٥ - ٨ كيلومترات وتحتله ٣ كتائب دبابات قوامها ١٢٠ دبابة ·

جـ - يتجمع الاحتياط وقوامه ثلاثة ألوية عدا ثلاث كتائب على مسافة ٢٥ - ٣٠ كيلومتراً شرق القناة . وقوامه ٢٤٠ دبابة ·

٣ - في حالات رفع درجات الاستعداد يندفع النسق الثاني لتدعيم النسق الاول ويندفع الاحتياط ليحتل اماكن النسق الثاني · وبذلك تنضم ١٢٠ دبابة الى خط بارليف (بعضها يدخل ضمن النقط القوية وبعضها الآخر يحتل الفواصل فيما بينها) ·

٤ - كان في تقديرنا ان العدو سوف يقوم بهجمات مضادة بقوة سرايا دبابات او كتائب دبابات في حدود ١٥ - ٣٠ دقيقة من بدء العبور · وان يقوم بهجمات مضادة بقوة حوالي لواء مدرع بعد حوالي ساعتين من بدئه ·

---

(١) شرح خط بارليف ومواقع العدو سبق شرحها بالتفصيل في الفصل السابع من الباب الثاني ·

- كيف تصارعت الخطة بدر والخطة شوفاخ يونيم ساعة بعد ساعة وكيف انتصرت الخطة بدر؟ هذا ما سوف نقصه في الصفحات القليلة القادمة · ان عملية عبور القوات المسلحة المصرية لقناة السويس يوم ٦ اكتوبر ٧٣ تمثل سيمفونية رائعة اشترك فيها عشرات الآلاف من البشر وكان عمل كل منهم ذا اهمية خاصة في انجاحها · وان قيامي بذكر بعض الاحداث في عملية العبور لا يعني مطلقاً التقليل من اهمية الاحداث الاخرى وانما يعني استحالة تسجيل تلك الاحداث جميعها ·

ليلة ٥ / ٦ اكتوبر

- قامت عناصر من المهندسين بالتسلل الى الشاطىء البعيد حيث قامت باغلاق فتحات الأنابيب التي تنقل السائل الملتهب الى سطح مياه القناة ·
- تسللت بعض دورياتنا الى مؤخرة العدو ·

سعت ١٤٠٠ ٦ اكتوبر

- عبرت حوالي ٢٠٠ طائرة قناة السويس على ارتفاع منخفض جداً يكاد يلامس الساتر الترابي للعدو في الضفة الشرقية للقناة وقامت بتوجيه ضربة جوية مركزة ضد مطارات العدو في سيناء ومراكز قيادته ومحطات الردار والاعاقة الالكترونية ومواقع الهوك (SAM) وبعض مواقع المدفعية ·
- وبعد عبور طائراتنا لخط القناة بحوالي ٥ دقائق بدأت مدفعيتنا تصب نيرانها فوق حصون خط بارليف · اشترك في هذا التمهد الناري حوالي ٢٠٠٠ مدفع وهاون وكان كل منها له واحب خاص يحدد له الهدف الذي يقصفه وعدد الطلقات التي يطلقها ·
- وتحت ستر نيران المدفعية تسللت عناصر من المهندسين الى الشاطىء البعيد للتأكد من ان مواسير نقل السائل الملتهب التي اغلقت في اليوم السابق كانت ما تزال مغلقة ·
- وتحت ستر نيران المدفعية عبرت بعض عناصر من الصاعقة لكي تسبق العدو في احتلال الموقع والمصاطب التي تقع خلف خط بارليف بحوالي كيلومتراً الى كيلومترين اثنين ·
- بدأ اللواء ١٣٠ برمائي عبوره للبحيرات المرة من طرفها الجنوبي بقوة ٢٠ دبابة ت ٧٦ و٨٠ مركبة توباز ·
- بدأت سرية مشاة في عبور بحيرة التمساح مستخدمة في ذلك حوالي ١٠ مركبات برمائية ·

سعت ١٤٢٠ يوم ٦ اكتوبر

- توقفت المدفعية ذات خط المرور العالي عن قصف النسق الأمامي لخط بارليف ونقلت نيرانها الى العمق حيث مواقع النسق الثاني للعدو ·
- قامت المدفعية ذات خط المرور المسطح بالضرب المباشر على مواقع العدو في خط بارليف وذلك بهدف اسكات اية نيران يطلقها العدو على مشاتنا وهي تعبر القناة ·
- بدأت الموجة الأولى من المشاة بركوب القوارب وأخذت تجدف نحو الشاطىء الشرقي

للقناة وتهتف مع كل ضربة مجداف « الله اكبر » كان قوام هذه الموجة ٤٠٠٠ رجل يركبون ٧٢٠ قارب مطاط ·

ـ لقد نجحنا في تحقيق المفاجأة التكتيكية ايضاً · ان العدو لم يتمكن من رفع درجة استعداد قواته في منطقة القتال الى الحالة القصوى قبل ان نبدأ هجومنا · لقد بدأ يدفع دباباته التي تحتل النسق الثاني لتدعيم خط بارليف حوالي الساعة ١٤٢٠ ، ولكن قواتنا من رجال الصاعقة كانت قد سبقته في احتلال عدد من المصاطب التي كان قد اعدها لنفسه لتكون مرابض نيران له واشتبكت معه ودمرت عدداً من دباباته بينما كان يتقدم غرباً · كما ان دباباتنا وصواريخنا المضادة للدبابات التي كانت على الشاطىء الغربي اخذت تدمر دباباته المتحركة الواحدة بعد الأخرى ·

ـ نجحت سرية المشاة في عبور بحيرة التمساح بمركبات التوباز ·

سعت ١٤٣٠ يوم ٦ اكتوبر

ـ لقد وصلت الموجة الاولى من المشاة الى الشاطىء الشرقي للقناة واحتلت بعض اجزاء الساتر الترابي الذي يقع ما بين حصون خط بارليف · كان كل قارب يحمل معه سلمي حبال وعلامة ارشاد كبيرة تحمل رقم القارب · قام افراد هذه المجموعة بفرد سلالم الحبال وتثبيتها على الساتر الترابي (١٤٤٠ سلم) . كما قاموا بتثبيت علامات الارشاد التي تبيّن رقم القارب (رقم مسلسل من ١ الى ٧٢٠) كانت تلك الارقام تحدد اماكن وصول القوارب وقد روعي ان تكون المسافات بينها كما يلي :

٢٥ متراً فاصل بين كل قارب داخل سرية المشاة ·
٢٠٠ متر فاصل بين كل سرية وأخرى ·
٤٠٠ متر فاصل بين كل كتيبة وأخرى ·
٨٠٠ متر فاصل بين كل لواء واخر ·
وكانت المسافة بين كل فرقة مشاة وأخرى حوالي ١٥ كيلومتراً ·

ـ بدأت عناصر المهندسين بالعمل في فتح الثغرات في الساتر الترابي باستخدام ضغط المياه · وقد اشترك في هذا العمل ٧٠ فصيلة مهندسين معهم ٣٥٠ مضخة مياه · كان المهندسون يقومون بفتح هذه الثغرات في المواصل التي بين الوحدات والوحدات الفرعية (الألوية والكتائب والسرايا) التي ذكرناها سابقاً ·

ـ لقد بدأت القوارب التي نقلت الموجة الأولى من المشاة تعود مرة أخرى الى شاطئنا لكي تنقل الموجات الأخرى . وكان في كل قارب رجلان من وحدات المهندسين ·

ـ المعركة بالنيران مستمرة بين العدو وبين قواتنا وكانت المعركة الرئيسية تدور بين دباباتنا وأسلحتنا المضادة للدبابات التي تحتل موقعها غرب القناة وبين دبابات العدو التي تحاول ان تشق طريقها نحو القناة · وفي الوقت نفسه فان المعركة بين رشاشاتنا وجميع اسلحتنا ذات حط المرور المسطح . كانت مستمرة بهدف اسكات المواقع الحية في خط بارليف

ـ طائراتنا التي قامت بتنفيذ الضربة الجوية تعود الى قواعدها حلال ممرات جوية محددة

تم الاتفاق عليها بين قيادة القوات الجوية وقيادة الدفاع الجوي من حيث الوقت والارتفاع ·
وقد خسرنا في هذه الضربة ٥ طائرات كانت هي خسائرنا كلها خلال معركة القتال (حتى صباح يوم ٧ اكتوبر) ·

سعت ١٤٤٥ ـ ١٥٣٠ يوم ٦ اكتوبر

ـ عبرت الموجة الثانية من المشاة القناة حوالي ١٤٤٥ وتلتها الموجات الأخرى بمعدل حوالي ١٥ دقيقة بين كل موجة وأخرى.وبنهاية الموجة الرابعة كان قد عبر لنا ٢٠ كتيبة مشاة قوامها ٨٠٠ ضابط و ١٣٥٠٠ جندي ومعهم الاسلحة التي يستطيعون حملها أو جرها · وقد بدأ مشاتنا على الجانب الآخر يتحملون نصيبا اكبر في المعركة ضد هجمات العدو المضادة · لقد بدأ مشاة الموجة الأولى المعركة ضد دبابات العدو منذ ان وضعوا اقدامهم على الشاطىء الآخر سعت ١٤٣٠ ولكن الدور الرئيسي للمعركة في ذلك الوقت كان يقع على دباباتنا وأسلحتنا المضادة للدبابات التي تقع على الشاطئ الغربي · ومع استمرار وصول الموجات المتتالية أخذ العبء الرئيسي للمعركة ينتقل شيئا فشيئا الى المشاة التي عبرت · وحتى الساعة ١٥٣٠ لم تكن مشاتنا قد تقدمت بأكثر من ٢٠٠ متر شرق الساتر الترابي ·

ـ المدفعية مستمرة في ضرب الاهداف في عمق العدو وقد اصبح من الممكن توجيه نيرانها بدقة بفضل ضباط المدفعية الذين يرافقون المشاة شرق القناة ويقومون بتصحيح النيران وتحديد الاهداف ·

ـ المهندسون مستمرون في عملهم لفتح الثغرات في الساتر الترابي · بينما وحدات المهندسين المكلفة بتشغيل المعديات وبناء الكباري قد تم انذارها لكي تكون جاهزة للتحرك من مواقع تجمعها الى النقاط المحددة ·

ـ لقد بدأ العدو يقحم قواته الجوية في المعركة حوالي الساعة ١٥٠٠ ودخل معه دفاعنا الجوي في المعركة وتمكن من إسقاط ٧ طائرات.

سعت ١٥٣٠ ـ ١٦٣٠ يوم ٦ اكتوبر

ـ موجات المشاة مستمرة في العبور وقد عبر حتى هذا الوقت ٨ موجات وبحلول الساعة ١٦٣٠ كان قد اصبح لدينا في الجانب الاخر خمسة رؤوس كباري . كل منها قاعدته ٦ ـ ٨ كيلو مترات وعمقه كيلو متران وكان يحتل رؤوس الكباري هذه ثلاثون كتيبة مشاة قوامها ١٥٠٠ ضابط و ٢٢٠٠٠ رجل ·

ـ وخلال تلك الفترة اشتد ضغط مشاتنا على حصون خط بارليف ونقاطه القوية وسقطت بعض مواقع العدو في أيدي رجالنا . كما تم إسكات مواقع أخرى ·

ـ قواتنا مستمرة في صد هجمات العدو المضادة التي يقوم بها ضد قواتنا . لقد اصبح العبء الاكبر في صد الهجمات المضادة يقع الان على عاتق المشاة وليس على الاسلحة المضادة للدبابات التي كانت ما تزال على الشاطىء الغربي ·

ـ قوات المهندسين تعمل بنشاط في فتح الثغرات ·

ـ وحدات الكباري تصل الى النقاط المحددة لها وتنزل معداتها في الماء وتبدأ المرحلة الأولى من بناء الكباري ٠
ـ وحدات المهندسين المكلفة بتشغيل المعديات تتحرك الى الأماكن المحددة لها وتبدأ بالاستعداد والتحضير انتظارا لإتمام فتح الثغرات ٠
ـ المدفعية مستمرة في الاشتباك ضد الاهداف التي تحددها المشاة ٠
ـ الدفاع الجوي مستمر في الاشتباك مع الطائرات المغيرة ٠

سعت ١٦٣٠ ـ ١٧٣٠ يوم ٦ اكتوبر

ـ لقد اتمت الموجة الثانية عشرة من المشاة عبورها وبحلول الساعة ١٧٣٠ كان قد اصبح لنا في الشاطىء الآخر ٤٥ كتيبة مشاة قوامها ٢٠٠٠ ضابط و٣٠٠٠٠ رجل ٠ لقد اصبح عمق رؤوس الكباري للفرق حوالي ٣ ـ ٤ كيلو مترات لكل منها ٠
ـ مشاتنا تهاجم مواقع خط بارليف وتستولي على بعض النقاط ٠
ـ قوات الشرطة العسكرية التي عبرت بالقوارب مع المشاة بدأت تقوم بعملها الخاص بتحديد الطرق وترقيمها وتميزها لمساعدة الدبابات والمركبات التي سوف تعبر على المعديات وعلى الكباري في التعرف على اتجاهها حتى لا تضل الطريق عند تحركها للانضمام الى الوحدات الأم التي سوف تقوم بتدعيمها ٠
ـ لقد بدأت النيران التي تنبعث من خط بارليف تخف وتضعف نتيجة احتلال بعض المواقع واسكات بعضها الآخر ٠ ولكن كان ما زال هناك الكثير من المواقع التي ـ وان كانت غير قادرة على اطلاق نيران مؤثرة ـ فانها كانت قادرة على توجيه وادارة نيران المدفعية والطيران للعدو ٠
ـ قوات المهندسين مستمرة في العمل على فتح الثغرات ٠
ـ وحدات الكباري مستمرة في تنفيد المرحلة الأولى من مراحل البناء ٠
ـ وحدات المعديات مستمرة في تنفيذ مرحلة التحهيز والاستعداد ٠
ـ معركة المدفعية مستمرة ٠
ـ وحدات الدفاع الجوي مستمرة في الاشتباك مع طائرات العدو المغيرة ٠

من سعت ١٧٣٠ ـ ١٨٣٠ يوم ٦ اكتوبر

ـ لقد وصلت رؤوس كباري المرق الى عمق حوالي ٥ كيلو مترات . وقد اصبحت معظم اجزاء خط بارليف محاصرة من قبل قواتنا ٠
ـ قوات المهندسين مستمرة في فتح الثغرات وتجهيز المطالع على الجانب الآحر ٠ وفي حوالي الساعة ١٨٣٠ فتحت أول ثغرة في الساتر الترابي اي بعد ٤ ساعات من بدء عبور المشاة
ـ أتمت الوحدات المكلفة بتشغيل المعديات تحضيراتها وأحذت تنتظر انتهاء الوحدات المكلفة بفتح الثغرات في الساتر الترابي ٠
ـ وحدات المهدسين المكلفة ببناء الكباري انتهت مں المرحلة الأولى واصبحت تنتظر

الانتهاء من فتح الثغرات حتى يمكنها أن تبدأ المرحلة الثانية والأخيرة من أجل بناء الكباري

- دبابات ومركبات الاسبقية الأولى التي كان محددا لها أن تعبر على المعديات تتقدم في اتجاه المعابر المحددة لها ٠

- في حوالي الساعة ١٧٣٠ تم ابراز ٤ كتائب صاعقة بواسطة طائرات الهليوكوبتر في عمق العدو في أماكن متفرقة داخل سيناء ٠

من سعت ١٨٣٠ ـ ٢٠٣٠ يوم ٦ اكتوبر

- المشاة تعزز مواقعها على الشاطىء الشرقي ، وتقوم بارسال ضباط اتصال الى مخارج المعديات والكباري لاستقبال الدبابات والمركبات وتلقينها واجباتها تبعا لآخر موقف عمليات

- تم خلال هذه الفترة فتح معظم الثغرات في الساتر الترابي ٠

- بدأ عبور الدبابات والاسلحة الثقيلة عبر المعديات بمجرد اتمام فتح الثغرات ٠ وبحلول الساعة ٢٠٣٠ كان قد اصبح لنا ٣١ معدية تعمل بين الشاطئين الغربي والشرقي للقناة ٠

- تم بناء أول كوبري ثقيل على القناة الساعة ٢٠٣٠ ٠

- كانت الدبابات والعناصر ذات الاسبقية الأولى ـ والتي كان مقررا لها ان تعبر على الكباري (١) ـ تتحرك في اتجاه الكباري تبعا لمدى التقدم الدي يحرزه المهندسون في بناء الكباري المختلفة ٠

- استمرار التراشق المتقطع بالمدفعية ٠

- استمرار الدفاع الجوي في التصدي للطائرات المغيرة ٠

سعت ٢٠٣٠ ـ ٢٢٣٠ يوم ٦ اكتوبر

- قوات المشاة تستمر في تعزيز مواقعها في رؤوس الكباري شرق القناة ٠

- أتم المهندسون فتح الثغرات وتشغيل معظم المعديات والكباري (١) ٠ وبحلول الساعة ٢٢٣٠ كان المهندسون قد اتموا انجاز الأعمال الهندسية التالية

أ ـ فتح ٦٠ ثغرة في الساتر الترابي وذلك بتحريك ٩٠٠٠٠ متر مكعب من الرمال ٠

ب ـ اتمام بناء ٨ كباري ثقيلة ٠

ج ـ اتمام بناء ٤ كباري خفيفة هيكلية ٠

د ـ اتمام بناء وتشغيل ٣١ معدية ٠

- كانت دباباتنا ومركباتنا تعبر فوق الكباري والمعديات فور جاهزيتها وقد بلغت ذروتها في الساعة ٢٢٣٠ عندما كانت وسائل العبور الثقيل جميعها تعمل بأقصى طاقة لها وذلك فيما عدا قطاع الفرقة ١٩ مشاة حيث ظهرت مشكلات غير متوقعة من حيث طبيعة التربة ٠

- استمرار التراشق بالمدفعية ٠

---

(١) بعض الدبابات والاسلحة الثقيلة من الاسبقية الاولى كان مقررا لها ان تعبر فوق المعديات وهذه كان يتم تشغيلها قبل الكباري بحوالي ساعة الى ساعتين ٠

(١) تأخر أنشاء كوبريين اثنين و ٤ معديات في القطاع الجنوبي للقناة ٠

ـ العدو يقوم بغارات على الكباري ويتعرض له دفاعنا الجوي فيسقط مزيدا من الطائرات وبحلول الساعة ٢٢٣٠ ٠ كان قد بلغ ما اسقطه دفاعنا الجوي منذ بدء القتال ١٧ طائرة ٠

سعت ٢٢٣٠ يوم ٦ اكتوبر الى ٠٨٠٠ يوم ٧ اكتوبر

ـ قامت الدبابات والاسلحة الثقيلة بالانضمام الى المشاة في رؤوس الكباري ما بين الساعة ٢٢٣٠ يوم ٦ اكتوبر والساعة ١٠٠ يوم ٧ اكتوبر ٠

ـ قامت المشاة مدعمة بالدبابات واسلحة الدعم الأخرى بدفع رؤوس الكباري الى عمق ٨ كيلومترات ٠

ـ قام العدو خلال الليل بهجمات مضادة وقد نجحت قواتنا في صدها جميعاً . ولكن العدو تمكّن في حالتين من الوصول الى خط المياه واستخدم دباباته في تعطيل كوبريين اثنين وتدمير بعض وسائل العبور الاخرى . ولكن الصراع بين مشاتنا وبين دباباته التي نجحت في اختراق مواقعنا استمر طوال الليل واستخدمت فيه القواذف RPG والقنابل المضادة للدبابات ٠ وقبل الصباح كان قد تم تدمير الدبابات التي نجحت في اختراقها خلال الليل ولم ينج منها الا اعداد قليلة جداً شوهدت في الصباح وهي تهرب بأقصى سرعة نحو الشرق ٠

ـ المهندسون يقومون بإصلاح الكباري التي تتعطل نتيجة قصف المدفعية والطيران ثم يعيدون تشغيلها بعد فترة وجيزة ٠

معركة القناة

ـ بحلول الساعة الثامنة من صباح يوم الأحد ٧ اكتوبر ٧٣ كانت قواتنا قد حققت نجاحاً حاسماً في معركة القناة ٠ فقد عبرت أصعب مانع مائي في العالم وحطمت خط بارليف في ١٨ ساعة . وهو رقم قياسي لم تحققه أية عملية عبور في تاريخ البشرية ٠ وقد تم ذلك بأقل خسائر ممكنة ٠ فقد بلغت خسائرنا ٥ طائرات و٢٠ دبابة و٢٨٠ شهيداً (١) ٠ ويمثل ذلك ٢،٥٪ في الطائرات و٢٪ في الدبابات و٠،٣ ٪ في الرجال ٠ اما العدو فقد فَقَدَ ٣٠ طائرة و٣٠٠ دبابة وعدة آلاف من القتلى وخسر معهم خط بارليف بكامله ٠ لقد تم سحق ثلاثة ألوية مدرعة ولواء مشاة كانت تدافع عن القناة وأصبحت أسطورة خط بارليف الذي كان يتغنى به الاسرائيليون في خبر كان ٠

---

(١) اشترك في عملية العبور ١٠٠٠٠٠ رجل توزيعهم كما يلي بصفة تقريبية :

٣٢٠٠٠ في قوارب مطاطية ٠

١٠٠٠ في دبابات ومركبات برمائية عبر المسطحات المائية في البحيرات المرة وبحيرة التمساح ٠

٤٥٠٠ فوق المعديات ٠

١٥٠٠ فوق الكباري الخفيفة ٠

٦١٠٠٠ فوق الكباري الثقيلة ٠

عبر القناة ١٠٢٠ دبابة و١٢٥٠٠ مركبة بوسائل العبور التالية :

	سابحاً	فوق معديات	فوق الكباري الثقيلة	فوق الكباري الخفيفة	المجموع
دبابات	٢٠	٢٠٠	٨٠٠	-	١٠٢٠
مركبات	١٠٠	٧٥٠	١٢١٥٠	٥٠٠	١٢٥٠٠

الهجوم المضاد الرئيسي للعدو

الموقف يوم ٧ اكتوبر :

- لقد كان يوم الاحد ٧ اكتوبر يوم فرح وسعادة بالنسبة لنا . لقد انتصرنا في معركة العبور وأصبح لنا على الشاطىء الشرقي خمس فرق مشاة بكامل اسلحتها الثقيلة ومعها حوالي ١٠٠٠ دبابة . بينما العدو في تلك المنطقة قد اصبح في حالة فوضى عارمة وقد ابيدت قواته تماماً . ولكن لم تكن هذه الصورة الوردية للموقف صباح يوم ٧ اكتوبر لتنسينا الحقائق التي كانت تفرض نفسها في رؤوسنا . لقد نجحنا في تحقيق المفاجأة الاستراتيجية وبالتالي فإن العدو لم يقم باجراء التعبئة الشاملة فإن المعارك الكبرى مع قوات العدو الرئيسية كانت لم تبدأ بعد .

- لقد كان تقدير مدير المخابرات الحربية ان العدو سيقوم بالهجوم المضاد بقواته الرئيسية - بافتراض قيامه باتمام تعبئة قواته قبل بدء الهجوم - بعد ٦ - ٨ ساعات من بدء هجومنا . وحتى صباح يوم الأحد اي بعد ١٨ ساعة من بدء القتال لم تكن هناك أية ظواهر تدل على ان قوات العدو المعبأة قد دخلت المعركة في الجبهة المصرية . وكان السؤال الذي يدور في رؤوسنا في ذلك الوقت هو « متى يقوم العدو بالهجوم المضاد الرئيسي ؟ يوم ٨ أم يوم ٩ اكتوبر ؟ » .

- لقد كان يوم ٧ اكتوبر هو يوم سباق بيننا وبين العدو استعداداً للمعركة التالية . لقد دفع العدو الى جبهة سيناء بخمسة ألوية مدرعة جديدة كما دفع بـ ٣٠٠ دبابة أخرى لتعويض خسائر الألوية المدرعة الثلاثة التي كانت موجودة اصلاً . وبحلول صباح يوم ٨ اكتوبر كان العدو قد حشد امامنا ثمانية الوية مدرعة منظمة في ثلاث فرق مدرعة : فرقة من ثلاثة الوية مدرعة في القطاع الشمالي تحت قيادة الجنرال برن أدان . فرقة من ثلاثة الوية مدرعة في القطاع الأوسط تحت قيادة الجنرال شارون . فرقة من لواءين مدرعين في القطاع الجنوبي تحت قيادة الجنرال البرت ماندلر .

- ومن ناحيتنا فقد قمنا بالاستفادة من يوم ٧ اكتوبر في انجاز ما يلي :

١ - قامت الدبابات والاسلحة الثقيلة الخاصة بالفرقة ١٩ مشاة بالعبور على كباري الفرقة السابقة .

٢ - قامت فرق المشاة بتوسيع رؤوس الكباري وسد الثغرات التي بينها وبين الفرق المجاورة داخل كل جيش . وبحلول صباح يوم الاثنين ٨ اكتوبر كانت رؤوس كباري الفرق الخمس قد ادمجت في رأس كوبريي جيشين . كان رأس كوبري الجيش الثاني يمتد من القنطرة شمالاً الى الدفرسوار جنوباً (١) . وكان رأس كوبري الجيش الثالث يمتد من البحيرات المرة شمالاً حتى بور توفيق جنوباً . وكان رأس كوبري كل جيش يصل في عمقه الى حوالي ١٠ كيلومترات . كان ما يزال هناك ثغرة تفصل بين رأسي الكوبري للجيشين وكان طولها حوالي ٣٠ - ٤٠ كيلومتراً وكانت هذه الثغرة لا تدخل ضمن مظلة SAM للدفاع الجوي وبذلك فإن قدرتنا على التحرك داخل هذه المنطقة كان محدوداً جداً . وبهذا الموقف كانت حصون ومواقع خط بارليف جميعاً قد سقطت في ايدينا وذلك فيما عدا موقعين احدهما في اقصى الشمال والآخر في أقصى

---

(١) الدفرسوار تدخل ضمن مسؤولية الجيش الثاني .

الجنوب . وان كان الموقع الجنوبي قد تم حصاره حصاراً تاماً وأصبح سقوطه في ايدينا مسألة وقت فقط .

٣ - وفي خلال يوم ٧ اكتوبر قامت قواتنا الخاصة التي تعمل في مؤخرة العدو بعدة اعمال نشطة كان لها أثر كبير في ارباك قيادات العدو وتعطيل تحرك احتياطياته نحو الجبهة . قامت عناصر من اللواء ١٣٠ مشاة الاسطول (برمائي) بالتقدم خلال ممر متلا وممر الجدي حيث قامت بمهاجمة مركز رئاسة القطاع الجنوبي ومحطات الرادار والمعسكرات وقد تقدمت احدى سرايا اللواء خلال ممر الجدي حتى وصلت الى مطار تمادا الذي يقع على مسافة حوالي ٨٠ كيلومتراً شرق القناة . وفي الوقت نفسه كانت عناصر الصاعقة التي تم ابرارها بطائرات الهليكوبتر قبل آخر ضوء يوم ٦ اكتوبر. تعبث بمؤخرة العدو وتقوم بمهاجمة قواته التي تتحرك نحو الجبهة . مما أثار الذعر بين صفوفه وأرغمه على التحرك ببطء وحذر . وبالتالي تأخر وصوله الى الجبهة .

٤ - لقد استفدنا ايضاً من يوم ٧ اكتوبر في تحسين الموقف الاداري الذي كان في حاجة ماسة الى دفعة قوية . ان النجاح الذي احرزناه في معركة العبور كان على حساب التضحية بالموقف الاداري . لقد كان كل جندي يحمل تعييناً لمدة يوم واحد وتعييناً مخفضاً من المياه لمدة يوم واحد (١) . واقصى ما يستطيع حمله من الذخيرة . لقد كان شعارنا كما سبق ان ذكرت « اقصى ما يمكن من السلاح والذخيرة ، اقل ما يمكن من المطالب الادارية الأخرى » وعلى الرغم من ان معظم العربات والوحدات الادارية كانت قد عبرت قبل صباح يوم ٧ اكتوبر فإن الخسائر التي وقعت في تلك العربات نتيجة تدخل العدو والتأخير غير المتوقع في وسائل العبور في قطاع الفرقة ١٩ ، قد حرمنا من بناء احتياطي معقول من الاحتياجات الادارية شرق القناة . وهكذا كان لا بد من بذل مجهود اداري كبير لتعويض ما استهلك خلال معركة العبور وبناء احتياطي اداري استعداداً للمعركة القادمة .

مقارنة بين قواتنا والقوات المعادية يوم ٨ اكتوبر

- اذا قارنا بين حجم القوات البرية المصرية والاسرائيلية في جبهة القناة صباح يوم ٨ اكتوبر نجد انها تكاد تكون متساوية . لقد كان لدى العدو ٨ الوية مدرعة قوامها ٩٦٠ دبابة ما بين سنتوريان،وم ٤٨ و م ٦٠ . أما نحن فكان لدينا حوالي ١٠٠٠ دبابة ما بين ت٦٢و ت ٥٥ و ت ٣٤ وت ٧٦ . ومع ان عدد الدبابات كاد يكون متساوياً فقد كان هناك عاملان هامان يمكن ان يكون لهما تأثير حاسم على المعركة اذا ما حدثت المجابهة بين الدبابات وحدها دون ادخال الاسلحة الاخرى في المعركة . كان العامل الأول هو التسليح والعامل الثاني هو التجميع .

- كانت دبابات العدو جميعها مسلحة بالمدفع ١٠٥ ملليمتر وكانت مجهزة بوسائل جيدة لتقدير المسافة والتسديد . اما دباباتنا فكان توزيعها كما يلي :

٢٠٠ دبابة ت ٦٢ مجهز بالمدفع ١١٥ مم .
٥٠٠ دبابة ت ٥٤ و ت ٥٥ مجهزة بالمدفع ١٠٠ مم .
٢٨٠ دبابة ت ٣٤ مجهزة بالمدفع ٨٥ مم .
٢٠ دبابة ت ٧٦ مجهزة بالمدفع ٧٦ مم .

---

(١) يحتاج الجندي الذي يقاتل في الاجواء الحارة الى ٥ لترات مياه يوميا وقد قمنا بتخصيص ليترين ونصف اللتر فقط لكي جندي .

ومن هنا يمكن القول ان تسليح دباباب العدو كان أفضل من تسليح دباباتنا ولكن هذا التفوق النوعي في التسليح يمكن التغلب عليه اذا نحن احسنا استخدام الأرض وتحاشينا الدخول مع العدو في معركة دبابات في أرض مفتوحة حيث يصبح مدى المدفع هو السلاح الحاسم في المعركة .

- كان العامل الثاني هو أسلوب الطرفين في تجميع واستخدام دباباته . كانت دباباتنا مربوطة بالأرض . كان نصف دباباتنا ضمن الهيكل التنظيمي لألوية المشاة على شكل كتائب دبابات وكان تدريبها مقتصراً على ان تعاون المشاة في الهجوم والدفاع ولكنها لم تكن مدربة على القيام بالدخول في معارك الدبابات حيث يكون عنصر القتال الرئيسي هو دبابة ضد دبابة . اما النصف الآخر من دباباتنا فقد كان موزعاً على فرق المشاة بمعدل لواء لكل فرقة وذلك لرفع قدراتها القتالية في صد هجمات العدو المركزة بواسطة الدبابات . لم يكن لدينا الفرصة اذن في ان نناور بدباباتنا من مكان الى آخر من الجبهة الا في حدود ضيقة جداً . اما العدو فقد كانت ظروفه افضل منا بكثير . لم تكن دباباته ملزمة بأن ترتبط بالأرض للدفاع عن المشاة كما في حالتنا . وكان لديه العمق الكافي الذي يسمح له بالمناورة وتحريك الويته المدرعة من قطاع الى قطاع بحرية تامة وخلال ساعات قليلة .

- وخلاصة القول فقد كان العدو يستخدم دباباته الاستخدام الصحيح أي انه كان يستخدمها كدبابات أمـا نحن فقد كنا نستخدمها كمدافع مضادة للدبابات ذاتية الحركة اكثر من استخدامها كدبابات . ولم يكن ذلك جهلاً منا بأصول استخدام الدبابة بل كان بسبب الظروف التي فرضت نفسها علينا . ان ضعف تسليح دباباتنا وضعف قواتنا الجوية كانا يفرضان علينا ان نستخدم دباباتنا بأسلوب دفاعي . ويدعواننا الى تحاشي الدخول في معارك دبابات بحته . وقد اثبتت الأيام التالية اننا كنا على صواب عند اتباع هذا الاسلوب وان استخدامنا للدبابات ضمن تشكيلات المشاة قد حقق نتائج باهرة . وعندما قمنا بتغيير هذا الأسلوب في ١٤ اكتوبر - بناء على قرار سياسي كما سيأتي فيما بعد - تمكن العدو من ان يدمر لنا ٢٥٠ دبابة في أقل من ساعتين .

زيارتي الأولى الى الجبهة يوم ٨ اكتوبر

- في الصباح الباكر من يوم ٨ اكتوبر تحركت الى الجبهة لمناقشة الموقف على الطبيعة مع القادة الميدانيين . لقد بدأت رحلتي بزيارة اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثاني ثم تحركت الى الفرقة الثانية مشاة ومنها الى قيادة الجيش الثالث ومنها الى الفرقة السابعة مشاة ثم عدت في نهاية النهار الى المركز ١٠ . لقد سعدت جداً بهذه الزيارة حيث شاهدت الضباط والجنود وهم في قمة السعادة ويتمتعون بروح معنوية عالية على الرغم من المجهودين الذهني والجسماني اللذين تحملوهما خلال الـ ٤٢ ساعة الماضية والتي تخللها ليلتان متتاليتان دون نوم . كان الكثيرون منهم يهتفون عند رؤيتي « التوجيه رقم ٤١ . كان ممتازاً . كان خير دليل لنا !! » .

- قابلت العميد حسن ابو سعده قائد الفرقة الثانية مشاة في مركز القيادة المتقدم للفرقة . كان يستعد لملاقاة الهجوم المضاد المنتظر من العدو . كان يتمتع بروح معنوية عالية وكان واثقاً من انه سوف ينجح في صد العدو . بعد ان تركت حسن ابو سعده توجهت لزيارة احد مواقع خط بارليف المواجه لمدينة الاسماعيلية . كان هذا الموقع حصيناً منيعاً ولم يسقط في ايدينا الا فجر يوم ٨ اكتوبر . أي قبل ساعات قليلة من زيارتي له . كان هو الموقع نفسه الذي نظرت منه يوم الجمعة الماضي قبل بدء العمليات بـ ٢٤ ساعة بقية التعرف على ما اذا

كان العدو قد أحس باستعداداتنا للهجوم أم لا . ما أغرب هذا الشعور الذي أحس به وأنا أدخل هذا الحصن . كان حصناً شامخاً ومنيعاً كغيره من حصون خط بارليف . وظن بنو اسرائيل ان حصونهم ستحميهم من ايدينا . وها نحن اولاء قد دمرنا حصونهم بفضل الله وها نحن اولاء ندخل حصونهم مرفوعي الرأس والكرامة . ولا شعوريا وجدت نفسي أنطق وأنا ادخل هذا الحصن « الحمد لله . والله أكبر » (١) .

- بعد ان زرت هذا الحصن أخذت أتجول في ميدان المعركة فوقع بصري على منظر حزين . منظر أربع دبابات مصرية محترقة يواجه بعضها بعضاً . وعلى مسافة تقل عن ٥٠٠ متر . لقد دمرت بعضها بعضاً خطأً . ويظهر من برج احداها رجل متفحم يشير بيده الى الدبابات التي في مواجهته . ان مثل هذه الحوادث تحدث بكثرة في الحرب ولا يمكن تجنبها بتاتاً وان كان من الممكن الإقلال منها . وان الشعور بالذنب الذي يستولي على الرجال الذين يقتلون زملاءهم خطأً خلال الحرب قد يحولهم الى حطام ما لم يجر علاجهم علاجاً نفسياً ومساعدتهم على التخلص من تأنيب الضمير الذي يلازمهم . لقد سبق ان قلت ان فرق المشاة كانت تقوم بتوسيع رؤوس الكباري وسد الثغرات التي بينها . وفي فجر يوم ٨ اكتوبر كانت فصيلة دبابات من الفرقة الثانية مشاة تتحرك جنوباً بينما كانت فصيلة دبابات أخرى من الفرقة ١٦ مشاة تتحرك شمالاً بهدف التلاقي وأكمال حصار موقع العدو « الاسماعيلية شرق » (٢) وبعد ان عبرت الدبابات الثلاث المتقدمة شمالا احد التلال فوجئت بالدبابات الثلاثة الاخرى المتقدمة جنوبا. كان وقع المفاجأة عنيفا على الطرفين وتصرف كل منهما بما تمليه الغريزة في ميدان القتال فأطلقت كل فصيلة النار على الاخرى وكانت النتيجة تدمير دبابتين من كل فصيلة من الطلقة الاولى. لم يطلق سوى اربع طلقات وكانت خسائرنا اربع دبابات وأربعة أطقم . لقد وقفت خاشعا امام دباباتنا المحطمة ولكني لم استطع ان اكتم شعورا داخليا بالفرحة لمستوى الجندي المصري من حيث الروح القتالية ومستوى التدريب . مهما كانت الأسباب لهذا الحادث المحزن فانه يشهد لاصحابه بأن المفاجأة لم تشل تفكيرهم وانهم أطلقوا نيرانهم في وقت واحد وأن تسديدهم كان دقيقاً للغاية .

- عند وصولي الى قطاع الفرقة السابعة مشاة وجدت الطريق المؤدي للكوبري مزدحماً . مما دفعني الى الترجل والسير بضع مئات من الأمتار للوصول الى الكوبري وهناك وجدت قائد الفرقة العميد بدوي يقف بجوار الكوبري . عبرنا الكوبري سيراً على الأقدام حيث ركبنا عربة قائد الفرقة وأخذنا نقوم بجولة على القوات داخل رأس كوبري الفرقة . لم تكن الأمور قد استقرت تماماً في قطاع الفرقة . فقد عثرنا على ملازم ومعه ثلاث دبابات في مكان منعزل دون ان يعرف مكان وحدته الأم . كان الموقف الاداري ليس جيداً فقد شاهدت بعض الجنود وهم يعبرون الى الشاطىء الغربي ومعهم صفائح فارغة لملئها بالمياه (٣) .

---

(١) عندما زار الجنرال بوفر الفرنسي ميدان المعركة بعد وقف اطلاق النار رافقته في زيارته . وعندما شاهد هذا الحصن فغر فاه مستغربا وقال « كيف استطعتم ان تتغلبوا على هذا الحصن ؟ » وعندما شاهد حفرة ضخمة من حفر المدفعية في قناة الحصن سال مستغربا « حفرة اي مدفع هذه ؟ » فقلت له انها حفرة هاون ٢٤٠ ملليمتر .

(٢) هو الموقع نفسه الذي زرته . ويطلق العدو عليه اسم PURKAN ويتحكم في طريق الاسماعيلية - الطاسة .

(٣) يلاحظ ان استخدام كباري الفرقة السابعة لعبور الفرقة ١٩ مشاة وإعاشتها قد ألقى عبئاً ثقيلا على كباري الفرقة السابعة .

التفكير في ردم بعض أجزاء القناة

- لقد كان اكثر ما أزعجني خلال تلك الزيارة هو موقف الكباري ۰ لقد بلغت خسائرنا ما يعادل في مجموعه ثلاثة كباري ثقيلة ، وقد كان ذلك يمثل حوالي ٢٥ ٪ من مجموع الكباري التي بدأنا بها الحرب ۰ قد يبدو هذا الرقم مقبولا بالنسبة لعملية عبور بهذا الحجم ، ولكني كنت أفكر فيما قد يحدث بعد أسابيع أو شهور ۰ ماذا يمكن ان يحدث لو ان العدو ركز مجهوده الجوي ومدفعيته البعيدة المدى على الكباري ؟ سوف نسقط له العديد من طائراته ما في ذلك شك ، ولكن في الوقت نفسه سوف يتمكن من تدمير عدد اضافي من الكباري ويخلق لنا موقفا صعبا ۰ وهنا برزت في ذهني فكرة بناء كباري صماء من الرمل والحجارة بدلا من الكباري العائمة التي نستخدمها ۰ ان مثل هذه الكباري لا تستطيع الطائرات ان تدمرها بسهولة اننا نستطيع دائما ان تصلح الحفر التي تحدثها قنابل الطائرات المغيرة في هذه الكباري بأن نردم تلك الحفر بمزيد من الرمل والحجارة ۰ فكرت مليا في هذه الفكرة واخذت أقلبها بيني وبين نفسي اثناء عودتي من الفرقة السابعة متجها الى قيادة الجيش الثالث ۰ وفيما يلي الحوار الذي دار بيني وبين نفسي وكأنهما شخصان يتحدثان ۰

أ ـ إنها فكرة جيدة ۰ ولكن هل من الممكن تنفيذها من الناحية الهندسية ؟

ب ـ أعتقد ان ذلك ممكن ۰ إنها لن تكون أصعب من السد العالي ۰

أ ـ إن بناء السد العالي استغرق ١٠ سنوات فهل تريد ان ننتظر عشر سنوات ؟

ب ـ بالطبع لا ۰ إني اريد ان تكون جاهزة خلال أسبوعين او ثلاثة او اربعة على الأكثر ۰ اني لا اريدها سدا مستديما مثل السد العالي ۰ اني اريدها سدا مؤقتا ۰ اني اتصور ان نقوم بردم جزء من القناة بالقاء الرمل والحجارة في المجرى المائي ثم نمهد الجزء العلوي لكي يتحمل مرور الدبابات والنقل الثقيل ۰لا خرسانة ولا حديد ولا شيء من هذا القبيل ۰ وبمجرد انتهاء الحرب يتم رفعها وتطهير مجرى القناة من بقاياها ۰

أ ـ أسأل المهندسين ۰ انهم هم الذين يستطيعون ان يقولوا اذا كانت مثل هذه الفكرة ممكنة ام لا ۰

ب ـ طبعا ۰ سوف أسأل المهندسين بل سوف أسأل اكثر من مهندس لأن المهندسين كثيرا ما تختلف آراؤهم ۰

لم أرغب في الانتظار حتى عودتي الى المركز ١٠ لكي أبحث مع مدير المهندسين فكرتي عن بناء كباري صماء فوق القناة وصممت أن استشير اول مهندس أقابله ۰ وفي اثناء تواجدي في قيادة الجيش الثالث استدعيت رئيس المهندسين بالجيش وانتحيت به جانبا حيث أطلعته على الفكرة وسألته عن رأيه من الناحية الفنية ۰ اجاب دون تردد بأن ذلك ممكن من الناحية الهندسية ۰ وعندما سألته عن الوقت اللازم لإنشاء ٣ كباري من هذا النوع أجاب قائلا « لكي أجيب على هذا السؤال هل لي أن اعرف أولا من الذي سيقوم بانشاء هذه الكباري ، وهل سيتم ذلك بإمكانيات القوات المسلحة وحدها ام ان ذلك سوف يتم بإمكانيات الدولة كلها ؟ » قلت له انه بمجرد ان يتخذ القرار بخصوص هذا الموضوع فسوف توضع امكانيات الدولة في

خدمة المشروع فأجاب قائلا « في هذه الحالة يمكن بناء هذه الكباري الثلاثة في اسبوع » « أسبوع ؟ ألست تغالي في هذا التقدير ؟ » صرخت في وجهه صراخا مفعما بالدهشة والفرح . ولكنه عاد يؤكد لي مرة أخرى بأن هذا ممكن ، وأضاف قائلا « انها عملية بسيطة جدا اننا سوف نحتاج فقط الى بولدوزرات ، اما الرمال التي سوف تردم بها القناة فانها هناك في مكان العمل ولن نحتاج الى نقلها » .

- بعد عودتي من الجبهة ، الى المركز ١٠ في نهاية ذلك اليوم اخبرت الوزير بالفكرة ولكنه كان مترددا للغاية . اوضحت له خطورة الموقف وما يمكن ان يحدث لو ان خسائرنا في الكباري استمرت بهذا المعدل فاضطر في النهاية ان يقول انه سيخطر الرئيس فيما بعد . لم ارغب في ان اضيع وقتي واقف ساكنا الى ان يأذن او لا يأذن الرئيس لي بذلك وقررت ان اتخذ بعض الخطوات الايجابية في هذا الاتجاه . بحثت الفكرة مع اللواء جمال علي مدير المهندسين فنصح بأن نناقش الموضوع كله مع كل من الدكتور بدران وزير الاصلاح الزراعي ، والمهندس مشهور احمد مشهور رئيس هيئة قناة السويس ، والمهندس عثمان احمد عثمان مدير شركة المقاولين العرب . وفي الساعة ٢١٠٠ من اليوم نفسه كان جمعيهم ومعهم اللواء جمال علي في مكتبي في المركز ١٠ لبحث هذا الموضوع . شرحت الأسباب التي دفعتني الى ذلك وسألتهم العون والمشورة . كان رد الفعل لدى المهندس عثمان احمد عثمان سريعا ومؤيدا ومدّ يده اليّ مصافحا وهو يقول « سيادة الفريق أهنئك على هذه الفكرة . لقد فكرت فيها انا شخصيا وكنت افكر في ان اتقدم بها الى القوات المسلحة . انها فكرة رائعة ويمكن تنفيذها بسهولة . اما بخصوص الوقت اللازم لاتمام هذه الكباري فإنني احتاج الى بعض الوقت لانجاز الحسابات اللازمة لذلك » أما فيما يتعلق بالمهندس مشهور احمد مشهور فقد اصيب بدهشة وخيبة امل كبيرتين بما سمع مني وعلق قائلا « كيف تفكر في ردم القناة علما بأن الرئيس اتصل بي اليوم وأخبرني بأن اعد العدة والخطة لتطهير القناة واعادة فتحها للملاحة ؟ » (١) قلت له « انني لا أردم القناة . أنني اريد ان ابني عليها الكباري التي تحقق لنا النصر . ثم اننا لن نبدأ العمل في هذا المشروع الا بعد الحصول على تصديق رئيس الجمهورية وسوف يقوم وزير الحربية بالاتصال به وطلب الاذن منه بذلك » . قام المهندس عثمان احمد عثمان بطمأنة المهندس مشهور وقال له انه يستطيع ان يرفع هذه الكباري من مجرى القناة في خلال أيام قليلة بعد انتهاء الحرب . وفي نهاية المؤتمر اتفقنا على ان يتولى المهندس عثمان احمد عثمان تنفيذ المشروع على ان تضع هيئة قناة السويس ووزارة الاصلاح الزراعي امكانياتهما جميعها في خدمته .

لقد كانت الساعة ٢٣٠٠ عندما خرج الرجال الأربعة من مكتبي في طريقهم الى مكتب عثمان احمد عثمان لإجراء الدراسات الخاصة بالمشروع .

- وفي مساء ٩ اكتوبر كانت مجموعة العمل قد انتهت من دراسة المشروع وتقدم المهندس عثمان احمد عثمان بتقريره الذي كان يشمل النقاط التالية :

---

(١) ان تطور الأحداث في الاعوام ٧٤ - ٧٩ ، تجعلنا نتوقف لدراسة ماذا كان يقصد السادات يوم ٨ اكتوبر عندما طلب الى المهندس مشهور احمد مشهور ان يضع الخطة لتطهير القناة واعادة فتحها للملاحة .

١ - إنه من الصعوبة بمكان انشاء كوبري من هذا النوع في الشط او في أي مكان في قطاع الجيش الثالث، حيث ان سرعة تيار المياه في هذا القطاع يجعل انشاء كوبري أصم في هذه المناطق عملية باهظة التكاليف.

٢ - ان منطقة الدفرسوار الفردان والقنطرة هي أفضل الأماكن لإنشاء هذه الكباري. وتعتبر الدفرسوار أفضلها جميعا حيث ان سرعة التيار في هذه المنطقة يصل الى الصفر تقريبا.

٣ - بمجرد اصدار الأمر بالبدء في التنفيذ فإنه يحتاج الى سبعة أيام لحشد ونقل المعدات الى مناطق العمل، ثم يحتاج الى ٩ أيام أخرى لإنجاز العمل (المجموع ١٦ يوما).

٤ - إن انجاز المشروع في الوقت المذكور يعتمد على ان يقوم المقاولون العرب بسحب البلودوزرات والمعدات الميكانيكية التي تعمل في مشاريع لهم في ليبيا وهم الذين يلتمسون ان نتصل بالسلطات الليبية لاستئزانها بذلك.

- حاولت الضغط مرة أخرى للحصول على موافقة الرئيس. وفي النهاية جاءت موافقته مساء يوم ١٠ اكتوبر، وشرعت فورا في اتخاذ الخطوات التنفيذية. ولكن نجاح العدو في اختراق مواقعنا عند الدفرسوار يوم ١٦ اكتوبر سبب اسقاط مشروع بناء الكوبري في تلك المنطقة. استمر العمل في بناء كوبري في منطقة الفردان وآخر في منطقة القنطرة وبعد سلسلة من المتاعب والمشكلات الهندسية تم بناء الأول في اول ديسمبر، وبناء الثاني في ٩ ديسمبر ٧٣ (١). ومن الغريب حقا ان يتبنى العدو الفكرة نفسها التي جالت بخاطري وان يقوم ببناء كوبري أصم في المكان نفسه الذي حددناه لذلك. وقد انتهى العدو من انشاء هذا الكوبري في منطقة الدفرسوار وافتتحه العدو في ٧ ديسمبر ١٩٧٣.

فشل الهجمات المضادة التي قام بها العدو

- نعود مرة اخرى الى هجوم العدو المضاد الذي كنا نتوقعه يوم ٨ اكتوبر فقد كنا نتوقع ان يقوم باستغلال حرية المناورة التي يتمتع بها ويقوم بحشد دباباته في اتجاه أحد القطاعات ويوجه له ضربة قوية تمكنه من الحصول على نتائج حاسمة. ولكننا فوجئنا بأنه يتصرف بعكس ما توقعناه تماما، فقد استخدم دباباته في توجيه ضربات متفرقة وفي عدة اتجاهات مما ترتب عليه فشل هذه الهجمات جميعا. ففي صباح يوم ٨ اكتوبر هاجم العدو الفرقة ١٨ مشاة بأحد ألويته المدرعة في اتجاه القنطرة وفي الوقت نفسه هاجم لواء مدرع آخر الفرقة الثانية مشاة في اتجاه الفردان وقد تمكنت قواتنا من صد الهجومين.

- وبعد ظهر اليوم نفسه قام العدو بهجوم آخر أشرك فيه ثلاثة ألوية مدرعة اثنان منهما كانا يهاجمان الفرقة الثانية مشاة في اتجاه الفردان بينما اللواء الثالث يهاجم الفرقة ١٦ مشاة

(١) لقد سبب تيار المياه في القناة متاعب ضخمة عند بناء الكباري الصماء. كنا كلما اقتربنا من منتصف القناة زادت سرعة اندفاع المياه واخذت تلتهم ما تقذف به من رمال في وسط المجرى. وفي النهاية اقتنع المهندسون المصريون بضرورة ان نترك فتحة لمرور المياه عرضها حوالي ٤٠ - ٥٠ مترا. وهكذا تطورت فكرتي في النهاية الى تضييق مجرى القناة الى ٤٠ - ٥٠ مترا وقد تم بناء كوبري عائمة فوق هذا المجرى.

في اتجاه الاسماعيلية · وقد نجحت الفرقة الثانية مشاة في ابادة احد الالوية ابادة تامة بينما انسحب اللواء الآخر بعد ان تكبد خسائر كبيرة · كذلك نجحت الفرقة ١٦ مشاة في صد هجوم العدو وارغامه على الانسحاب ·

ـ وفي اليوم التالي (الثلاثاء ٩ اكتوبر) عاود العدو هجومه مرة أخرى . واستخدم هذه المرة لواءين مدرعين ضد الفرقة ١٦ مشاة ولكن العدو فشل بمرة أخرى في احراز أي نجاح ولم يقم العدو بعد هذا التاريخ بأية هجمات قوية · وبالتالي يمكن القول ان هجومه المضاد الرئيسي قد تم صده يومي ٨ و ٩ اكتوبر ·

ـ في يوم ١٠ اكتوبر حوالي الساعة ١٦٤٥ ابلغتنا الفرقة الثانية مشاة بأن العدو قد هاجم جناحها الأيسر بقوة تقدر بكتيبة دبابات مدعمة بعناصر من المشاة في عربات مدرعة وان هذه القوة تمكنت من اختراق مواقع الفرقة الى عمق حوالي كيلومترين · ولكن هذه القوة ارغمت على الانسحاب خلال الليل (١) ·

الطيران المعادي يشتت لواء المشاة الأول

ـ في خلال يوم ١٠ اكتوبر قامت عناصر من لواء المشاة الأول بالتقدم جنوباً واحتلت مواقع عيون موسى (٢) · وفي خلال ليلة ١٠ / ١١ اكتوبر تلقينا اشارة خطيرة أثارت القلق والانزعاج · كانت الاشارة تقول « لقد فقد لواء المشاة الأول ٩٠ ٪ من رجاله واسلحته ومعداته » كانت المعلومات التي تصل الينا من الجيش الثالث ومن الفرقة ١٩ مشاة تدل على فقدان الاتصال تماماً بين اللواء الأول والقيادات جميعها. وبالتالي فلا أحد يعرف على وجه التحديد ماذا حدث لهذا اللواء · أرسلت ضابط اتصال برتبة كبيرة الى الجبهة بمهمة جمع الحقائق عن هذا اللواء · لقد كان اللواء الأول مكلفاً بالتحرك ليلاً الى الجنوب واحتلال منطقة سدر · ولكن قائد اللواء فكر في أن يبدأ تحركه قبل غروب الشمس ببضع ساعات ·. وقد كانت القوات الجوية الاسرائيلية تراقبه عن كثب فتركته يتقدم جنوباً الى أن خرج تماماً من تحت مظلة دفاعنا الجوي وأصبح يعبر أرضاً ضيقة لا تسمح له بالانتشار اذا ما هوجم من الجو . وهنا انطلقت القوات الاسرائيلية في هجومها الشرس على اللواء الذي لم يكن لديه الوسيلة الفعالة للدفاع ضد هذا الهجوم · ان هذه المعركة تعتبر مثالاً لما يمكن ان تحققه القوات الجوية المجهزة بالصواريخ جو ـ أرض ضد قوة برية لا تملك دفاعاً جوياً مؤثراً وخفيف الحركة · لم تشترك أية قوات أرضية معادية في المعركة . ومع ذلك فقد نجح طيران العدو في تشتيت اللواء (٣) . وقد أمكن خلال الأيام التالية جمع الكثيرين من أفراده وإنقاذ الكثير من معداته مما جعل

---

(١) من المعتقد أن هذه القوة المعادية كانت مكلفة بواجب الاستطلاع بقوة ·

(٢) كانت عيون موسى مازالت تقع تحت مظلة شبكة دفاعنا الجوي SAM

(٣) ان هذا يوضح لنا عدم فعالية القوات المصرية التي تحتل سيناء طبقاً لاتفاقية الصلح المصرية الاسرائيلية حيث أن تلك المعاهدة تحرم على مصر اقامة أي دفاع صاروخي مضاد للطائرات SAM في سيناء ·

خسائره أقل بكثير من رقم ٩٠ ٪ الذي جاء في أول بلاغ . ولكن الحقيقة الثابتة هي أن اللواء خرج من المعركة وفقد الاعتبار كقوة مقاتلة لعدة أيام . الى أن تم إعادة تنظيمه وتعويض خسائره .

زيارتي الثانية للجبهة

ـ لقد كان واضحاً من هجمات العدو المضادة يومي ٨ و ٩ اكتوبر أن العدو يركز هجومه على اتجاه القطاع الأوسط محور الطاسة ـ الاسماعيلية الذي يقع في حدود الجيش الثاني . لذلك قررت أن ازور الجيش الثاني مرة أخرى .

ـ في صباح يوم الخميس ١١ اكتوبر تحركت الى الجبهة للمرة الثانية . كان الموقف في الجبهة مطمئنا وكنا جميعاً مقتنعين بأن قواتنا قادرة على صد أي هجوم مدرع آخر . ولتعزيز دفاعاتنا ضد أية هجمات أخرى قررت صرف ١٠٠٠٠ لغم مضاد للدبابات فوراً لتعزيز الدفاع .

ـ لقد عدت من تلك الزيارة الثانية وأنا أكثر اقتناعاً بقدرتنا على صد أي هجوم مضاد آخر . ولكني اكتشفت نقطة ضعف خطيرة لم تكن قد ظهرت أثناء رحلتي الأولى تلك هي مدى السيطرة على الكباري ووسائل العبور المختلفة . لقد كانت تعليماتي خلال مرحلة العبور تقضي بأن يكون رئيس اركان كل فرقة هو المسؤول الأول عن تنظيم العبور والسيطرة عليه . ومن هنا تمت عملية العبور بنظام وتحت سيطرة حازمة واستمر ذلك خلال فترة زيارتي الأولى . أما بعد ذلك فقد ترك رؤساء أركان الفرق هذه المسؤولية لبعض صغار الضباط وضباط الصف . ومن هنا بدأت الفوضى تظهر في منطقة الكباري . لم يكن من الممكن أن نحرم فرق المشاة من رؤساء اركانها بصفة دائمة لكي يشرفوا على تنظيم المعابر . ولكن لم يكن أيضاً من المقبول أن نترك هذه المسؤولية في أيدي صغار الضباط . لذلك قررت أن أقوم بتشكيل قيادة خاصة لهذه المهمة وقد عُيِّنَ اللواء صالح أمين قائداً للمجموعة التي تعمل في خدمة الجيش الثاني . العميد منير سامي قائداً للمجموعة التي تعمل في الجيش الثالث ومع كل منهما عدداً من الضباط من ذوي الرتب الكبيرة .

ثغرة الدفرسوار

القرار السياسي الخاطىء

- بعد عودتي من الجبهة يوم الخميس ١١ أكتوبر فاتحني الوزير في موضوع تطوير هجومنا نحو المضائق . ولكني عارضت الفكرة للأسباب نفسها التي سبق أن ذكرتها سابقاً (١) . وأضفت قائلاً : « مازالت القوات الجوية الاسرائيلية قوية وتشكل تهديداً خطيراً لأية قوات برية تتحرك في العراء دون غطاء جوي . يجب أن نأخذ درساً من التجربة القاسية التي مر بها اللواء الأول مشاة أمس » وبدا لي وكأنه اقتنع بهذا وأغلق الموضوع . ولكنه عاد وفاتحني بالموضوع مرة أخرى في صباح اليوم التالي مدعياً هذه المرة أن الهدف من هجومنا هو تخفيف الضغط على الجبهة السورية . عارضت الفكرة مرة أخرى على أساس ان هجومنا لن ينجح ولن يخفف الضغط على الجبهة السورية واضفت قائلاً « ان لدى العدو ٨ ألوية مدرعة أمامنا ولن يحتاج الى سحب قوات اضافية من الجبهة السورية حيث أن هذه القوات قادرة على صد أي هجوم نقوم به . ليس لدينا دفاع جوي متحرك الا اعداداً قليلة جداً من سام ٦ لا تكفي لحماية قواتنا . وقواتنا الجوية ضعيفة ولا تستطيع تحدي القوات الجوية الاسرائيلية في معارك جوية وبالتالي فإن قواتنا البرية ستقع فريسة للقوات الجوية الاسرائيلية بمجرد خروجها من تحت مظلة الدفاع الجوي أي بعد حوالي ١٥ كيلومتراً شرق القناة . اذا نحن قمنا بهذه العملية فإننا سوف ندمر قواتنا دون أن نقدم أية مساعدة لتخفيف الضغط على الجبهة السورية . » وحوالي الظهر تطرق الوزير لهذا الموضوع للمرة الثالثة خلال ٢٤ ساعة . وقال هذه المرة : « القرار السياسي يحتم علينا ضرورة تطوير الهجوم نحو المضائق ويجب أن يبدأ ذلك صباح غد ١٣ اكتوبر !! » وحوالي الساعة ١٣٣٠ كانت التعليمات الخاصة بتطوير الهجوم قد تم اعدادها وتحرك اللواء غنيم الى الجيش الثاني واللواء طه المجدوب الى الجيش الثالث حاملين معهم تلك الأوامر الى قائدي الجيشين .

- وحوالي الساعة ١٥٣٠ كان اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثاني يطلبني على الهاتف وقد قال بغضب « سيادة الفريق أنا مستقيل . أنا لا أستطيع أن أقوم بتنفيذ التعليمات التي ارسلتموها مع اللواء غنيم » ولم يمض بضع دقائق حتى كان اللواء عبد المنعم واصل هو الآخر على الخط الهاتفي وأبدى معارضة شديدة لتلك التعليمات التي وصلته مع اللواء طه المجذوب . وفي محادثتي مع كل من اللواء سعد مأمون واللواء عبد المنعم واصل لم أخف عنهما أنني أنا أيضاً قد عارضت هذه التعليمات ولكني اجبرت عليها . فاتحت الوزير مرة أخرى بالموضوع وتقرر استدعاء سعد مأمون ، و عبد المنعم واصل لحضور مؤتمر بالقيادة في الساعة ١٨٠٠ من اليوم نفسه . وفي خلال هذا المؤتمر الذي امتد حتى الساعة ٢٣٠٠ كرر كل منا وجهة نظره مراراً وتكراراً . ولكن كان هناك اصرار من الوزير على أن القرار سياسي ويجب ان نلتزم به . وكل ما أمكن عمله هو تأجيل الهجوم الى فجر يوم ١٤ بدلاً من فجر يوم ١٣ كما كان محدداً .

- لقد كان هذا القرار هو أول غلطة كبيرة ترتكبها القيادة المصرية خلال الحرب . وقد

---

(١) انظر الباب الأول .

جرتنا هذه الغلطة الى سلسلة أخرى من الأخطاء التي كان لها أثر كبير على سير الحرب ونتائجها · ولكي تطور هجومنا للشرق مع المحافظة على رؤوس الكباري قوية ومؤمنة كان لا بد لنا من أن ندفع الأنساق الثانية الى المعركة · وفي خلال ليلة ١٢ / ١٣ و ليلة ١٣ / ١٤ عبرت الفرقة ٢١ مدرعة من خلال الفرقة ١٦ مشاة ، بينما عبرت الفرقة الرابعة المدرعة عدا لواء مدرع من خلال رأس كوبري الجيش الثالث ·

ـ كانت خطتنا في الهجوم تشمل استخدام ٤ ألوية مدرعة و لواء مشاة ميكانيكياً في أربعة اتجاهات مختلفة طبقاً لما يلي :

لواء مدرع في اتجاه ممر متلا (القطاع الجنوبي)
لواء مشاء ميكانيكي في اتجاه ممر الجدي (القطاع الجنوبي)
لواءان مدرعان في اتجاه الطاسة (القطاع الأوسط)
لواء مدرع في اتجاه بالوظة (القطاع الشمالي)

ـ لقد خسر العدو خلال قتال يومي ٨ و٩ اكتوبر حوالي ٢٦٠ دبابة ، وكان خلال هذين اليومين يستخدم دباباته في اقتحام مواقع المشاة بالأسلوب القديم نفسه الذي كان يعتمد على سرعة التحرك واحداث الصدمة النفسية لدى جندي المشاة نتيجة اقتحام المدرعات · ولكنه سرعان ما اكتشف ان المشاة المصريين بما لديهم من اسلحة مضادة للدبابات وبما يتمتعون به من روح معنوية عالية قادرون على سحق المدرعات التي تستخدم هذا الاسلوب · واعتباراً من يوم ١٠ اكتوبر بدأ يستخدم دباباته بأسلوب حذر يعتمد على التحرك البطيء والاستفادة من الارض والسواتر الطبيعية ، ونتيجة لذلك انخفضت خسائره في الدبابات انخفاضاً ملحوظاً · قام العدو بتعويض الجزء الأكبر من خسائره في الدبابات بحيث وصل عدد الدبابات التي في ألويته المدرعة الثمانية التي امامنا يوم ١٣ اكتوبر الى ٩٠٠ دبابة ·

ـ كان علينا يوم ١٤ اكتوبر ان نهاجم ٩٠٠ دبابة معادية في المكان الذي يختاره العدو لهذا اللقاء وتحت سيطرة جوية معادية بقوة ٤٠٠ دبابة مصرية فقط !! هل كان هذا القرار نتيجة الجهل أم المقامرة أم الخيانة ؟ ما زال هناك كثير من الغموض يحيط بهذا الموضوع · لقد نجح العدو في استدراج الويتنا المهاجمة الى مناطق قتل اختارها بعناية ، ونجح في تدمير معظم دباباتنا · لقد فقدنا في هذا اليوم الاسود ٢٥٠ دبابة ، وهو رقم يزيد عن مجموع خسائرنا في الأيام الثمانية الأولى للحرب · وحول ظهر يوم ١٤ انسحبت قواتنا مرة اخرى الى داخل رؤوس الكباري شرق القناة (١) ·

---

(١) كانت خسائرنا في الدبابات كما يلي :

من يوم ٦ ـ ١٢ اكتوبر	٢٤٠
يوم ١٤ اكتوبر	٢٥٠

وكانت خسائر العدو كما يلي :

٦ اكتوبر وحتى فجر يوم ٧ اكتوبر	٢٠٠
٨ و ٩ اكتوبر	٢٦٠
١٠ ـ ١٢ اكتوبر	٥٠
١٤ ـ اكتوبر	٥٠

- في الساعة ۱۱۰۰ من يوم ١٤ اكتوبر حاولت الاتصال هاتفياً باللواء سعد مأمون ولكن قيل لي انه في الاستراحة . لم يكن هذا بالأمر العادي اذ انه لا يجوز للقائد ان يكون في الاستراحة بينما تكون قواته مشتبكة في معركة كبيرة . ولكني تصورت انه لا بد وان يكون في غاية الارهاق لكي يتصرف مثل هذا التصرف .

وفي حوالي الساعة ١٣٠٠ وصل الرئيس الى المركز ١٠ بعد ان اخطره الوزير بالموقف . أمرني الرئيس بأن اتحرك الى الجبهة لرفع معنويات الجنود . وفي الساعة ١٤٠٠ كنت في طريقي الى الجبهة للمرة الثالثة . وفي الساعة ١٦٠٠ كنت في مركز قيادة الجيش الثاني . لم يكن اللواء سعد مأمون في غرفة العمليات وعندما سألت عنه عرفت الأسباب الحقيقية لأول مرة . لقد كان تأثير أخبار هزيمة قواته صباح اليوم ذات اثر كبير عليه فانهار . وكان معاونوه يعتقدون انه بعد عدة ساعات من النوم سوف يستعيد نشاطه ولذلك حجبوا هذه المعلومات عن القيادة العامة . ذهبت اليه في غرفته حيث كان مستلقياً في فراشه ويجلس بجواره الطبيب الذي يشرف على علاجه . حاول ان يجلس في سريره عند دخولي عليه ولكن الطبيب منعه من ذلك . وفي حديث خاص بيني وبين الطبيب خارج غرفته اخبرني ان حالته تستدعي رعاية خاصة لا يمكن توفرها في المنطقة الامامية وانه يجب اخلاؤه الى الخلف . وعندما ابلغت اللواء سعد مأمون بأننا سنخليه الى مستشفى المعادي انزعج كثيراً ورجاني ألا افعل ذلك مدعياً انه يشعر بأنه يسترد صحته بسرعة وأنه يستطيع ان يمارس مسؤولياته فوراً . وامام أصراره قررت ان نؤجل اخلاءه الى القاهرة صباح اليوم التالي انتظاراً لما قد تسفر عنه حالته . وقد اتفقت مع الطبيب ان يتصل بي صباح اليوم التالي ليطلعني على حالته (١) .

- بعد ان غادرت غرفة اللواء سعد مأمون اجتمعت مع ضباط قيادة الجيش الثاني وبحثت معهم الموقف . كما قمت بالاتصال بقادة الفرق جميعهم وابلغتهم بتحيات الرئيس وتشجيعه . صممت أن أزور الفرقة المدرعة ٢١ حيث انها كانت التشكيل الذي تحمّل العبء الأكبر من المعركة صباح هذا اليوم . ولكن العميد عرابي قائد الفرقة نصحني بألا افعل ذلك حيث ان الظلام قد بدأ يهبط وسوف يكون التحرك ليلاً في ميدان المعركة عملية بالغة الخطورة . وعلى الرغم من تحذيرات عرابي صممت على الذهاب اليه . وبدأ تحركي الساعة ١٧٠٠ في اتجاه معابر الفرقة ١٦ مشاة . كان أحد الكباري مدمراً فتحركت الى الكوبري الآخر فوجدته مرفوعاً من مكانه ليتفادى التدمير بواسطة مدفعية العدو التي كانت مستمرة في الضرب . لقد خيّم الظلام تماماً واصبح التحرك بطيئاً نتيجة احتياطات الأمن المفروضة على التحركات الليلية فقررت العودة مرة اخرى الى قيادة الجيش الثاني . واثناء العودة كانت منطقة الكوبري المدمر تقع تحت نيران المدفعية فعبرنا المنطقة بسرعة عالية لنقلل فرصة التعرض الى اقل وقت ممكن . لقد كنت اتحرك في عربتين كنت اركب العربة الاولى وكان يركب العربة الثانية جماعة من الحراس . وقد مرقت عربتي من المنطقة المضروبة بالمدفعية دون

(١) في صباح يوم ١٥ اكتوبر اتصل بي الطبيب وأخبرني بأن حالته لم تتحسن . وبالتالي تقرر اخلاؤه الى مستشفى المعادى حيث بقي فيه الى ما بعد وقف اطلاق النار .

ان تصاب بأذى . اما العربة التالية فقد اصيبت ببعض الشظايا واصيب احد افراد الحراسة اصابة تستلزم اخلاءه الى المستشفى .

ـ واخيراً وصلت الى قيادة الجيش الثاني مرة اخرى حوالي الساعة ۲۰۰۰ حيث اتصلت مرة اخرى بالعميد عرابي وأخطرته بالموقف . وبعد ان اخلينا الجندي المصاب الى أحد مستشفيات الجيش الثاني تحركت عائداً الى المركز ۱۰ فوصلته حوالي الساعة ۲۳۰۰ حيث ابلغت الوزير بالموقف . وحوالي منتصف الليل اتصل بي الرئيس وسألني عن الموقف فأعدت على مسامعه ما رأيته كله وما فعلته كله .

ـ لقد كثر الكلام وتعددت الآراء حول الاسباب التي منعت المصريين من تطوير هجومهم الى الشرق فور نجاحهم في عملية العبور وقد انتشرت اشاعات كثيرة تقول بأنني كنت من أنصار الاندفاع السريع نحو الشرق سواء يوم ١٤ اكتوبر أو قبل ذلك بكثير . وقد امتنعت القوات المسلحة عن التعليق على هذه النقطة بالتأييد أو بالنفي سواء على المستوى الاعلامي أو على المستوى العلمي (۱) وهكذا بدأت وسائل الاعلام العالمية تؤكد تلك الاشاعات . لقد وصفوني بأنني رجل مظلي قوي ، عنيد ، هجومي ، مقدام الخ . وأنه لما يسعدني ان استمع الى هذا المديح ولكني لا أود أن نربط بين تلك الصفات الجميلة وبين قرار تطوير الحرب ضد الشرق . اني على استعداد دائم لأن اضحي بحياتي في سبيل وطني ولكني لا أستطيع أن اقامر بمستقبل بلادي.لقد كنت دائماً ضد فكرة تطوير الهجوم نحو الشرق سواء كان ذلك في مرحلة التخطيط أو في مرحلة ادارة العمليات الحربية للأسباب الكثيرة التي سبق لي أن ذكرتها . وقد ابديت رأيي هذا بصراحة تامة أمام كثيرين ممن ما يزالون أحياء يرزقون .

بماذا يبرر السادات خطأه

ـ أما بخصوص ادعاء السادات بأن هجومنا يوم ١٤ اكتوبر كان يهدف الى تخفيف الضغط عن سوريا فهو أيضاً ادعاء باطل ، الهدف منه هو تسويغ الخطأ الذي ارتكبته القيادة السياسية المصرية ، وذلك للاسباب التالية :

١ كان بعد القوات المصرية في جبهة قناة السويس عن قلب اسرائيل (حوالي ۲۰۰ كيلومتر من أرض سيناء المفتوحة) وكان تفوق القوات الجوية الاسرائيلية تفوقاً ساحقاً يجعل اسرائيل قادرة على احتواء الجبهة المصرية بالقليل من القوات مع حشد الجزء الأكبر من قواتها ضد الجبهة السورية . وقد حذرت من هذا الموقف في خلال اجتماعاتي مع الهيئة الاستشارية العسكرية العربية (التي تتكون من رؤساء اركان حرب القوات المسلحة بالدول العربية) وكذلك خلال اجتماعات مجلس الدفاع المشترك في دورته الثانية عشرة في نوفمبر ۱۹۷۱ . وقد قلت أن الجبهة المصرية لا تستطيع أن تمنع اسرائيل من حسم المعركة ضد الجبهة الشرقية في خلال اسبوع واحد (۲) وان ما قلته عام ۷۱

(۱) لم تتعرض السلطات المصرية لهذه النقطة خلال مناقشات الندوة الدولية لحرب اكتوبر ۷۳ التي انعقدت في القاهرة في الفترة ۲۷ ـ ۳۱ اكتوبر ۱۹۷٥ .

(۲) يرجى الرجوع الى محاضر هذه الجلسات المحفوظة في الجامعة العربية ولدى الدول الاعضاء .

كان ما يزال قائماً عام ٧٣ وسوف يستمر طالما كانت سيناء محتلة أو منزوعة السلاح وطالما بقيت القوات الجوية المصرية على ضعفها ٠

٢ ـ لقد كان أمام الجبهة المصرية ٨ ألوية مدرعة وقد كانت أكثر من كافية لصد أي هجوم مصري في اتجاه الشرق ، وبالتالي فإن قيامنا بالهجوم لن يرغم اسرائيل على سحب جزء من قواتها الى الجبهة المصرية ٠

٣ ـ لقد استقر الوضع في الجبهة السورية يوم ١٢ اكتوبر فقد وصلت العناصر المتقدمة من فرقتين عراقيتين (فرقة مدرعة + فرقة مشاة ميكانيكية) الى الجبهة السورية واشتركت في القتال يوم ١١ ٠ كذلك دفع الأردن لواءين مدرعين الى الجبهة السورية وقد وصل أولهما يوم ١٣ اكتوبر ووصل اللواء الآخر بعد ذلك بأيام ٠ وهكذا فإن موقف الجبهة السورية لم يكن بالصورة التي يحاول السادات أن يصورها لكي يجد لنفسه مخرجاً من تبعات قراره السياسي الخاطىء

٤ ـ اذا كان دفع الفرقة المدرعة ٢١ والفرقة المدرعة الرابعة قد تم لتخفيف الضغط عن سوريا فلماذا لم تسحب الفرقتان الى الغرب بعد أن فشل الهجوم وصرف النظر نهائياً عن موضوع تطوير الهجوم نحو الشرق ؟

أهمية الاحتفاظ باحتياطي من القوات

ـ وان نجاح القوة المهاجمة في اختراق الخط الدفاعي للخصم والنفاذ الى مؤخرته هو حُلم كل قائد مهاجم ٠ ان الوصول الى مؤخرة الخصم سوف يمكن المهاجم من تدمير النظام الاداري للقوات المدافعة وتدمير وسائل القيادة والسيطرة وعزل القوات المدافعة عن مناطق إعاشتها وبالتالي يجعل مهمة تدمير تلك القوات المحاصرة مسألة وقت فقط ٠ ويمكن للمدافع أن يمنع عدوه المهاجم من تحقيق هذا الهدف بطريقتين ، الاحتفاظ بقوة احتياطية ، والمناورة بالقوات ٠

ـ من المسلّم به في العلم العسكري أنه لا يوجد ما يسمى بالخط الدفاعي الذي لا يمكن اختراقه ٠ ان اي خط دفاعي مهما كانت تحصيناته وتجهيزه فإن من الممكن اختراقه بواسطة الخصم الذي يملك التصميم والعزيمة على النصر مهما كان الثمن ٠ لقد اخترق الألمان خط ماجينو الفرنسي في الحرب العالمية الثانية ١٩٤٠ وقد اخترق الحلفاء خط زيجفريد الألماني عام ١٩٤٥ وقد اخترق المصريون خط بارليف الاسرائيلي عام ١٩٧٣ ـ ان اي خط دفاعي لا بد وان يكون فيه بعض نقاط الضعف لأن من المستحيل أن يكون المدافع قوياً في كل مكان ٠ وحيث أن المهاجم يتمتع بحرية اختيار المكان الذي يخترق فيه الخط الدفاعي لخصمه فإنه عادة ينتخب أضعف هذه النقاط حيث تكون فرص نجاحه أفضل ٠ ومن هنا كان من الواجب أن يحتفظ المدافع بقوة احتياطية خلف مواقعه تكون مستعدة لضرب أية قوات معادية تنجح في اختراق مواقعه ٠ ويختلف حجم تلك القوة الاحتياطية تبعاً لعوامل كثيرة ٠ وتتراوح القوة الاحتياطية عادة ما بين الثلث والخمس بالنسبة لحجم القوات المدافعة ٠ ولا يجوز أن يقل حجم القوة الاحتياطية عن ٢٠ ٪ الا في حالات الضرورة القصوى ولفترة قصيرة ٠

ـ وبينما كنا نعد خططنا لعبور القناة ، فإننا لم نستبعد مطلقاً أن يقوم العدو باختراق مواقعنا سواء في مراحل ما قبل العبور أو أثناءه أو بعد نجاحه ٠ بل تصورنا أيضاً المناطق التي

يحتمل أن يعبر منها ، وحددنا ثلاث نقاط محتملة كانت الدفرسوار احداها (١) ووضعنا الخطط اللازمة لضرب هذه الاختراقات فور حدوثها وحددنا القوات التي تقوم بتنفيذها ودربنا تلك القوات على تنفيذ هذه الواجبات ٠

- ولكي نستطيع أن نسحق أي اختراق في مراحله الأولى فقد حشدنا معظم دباباتنا في المنطقة الأمامية ٠ كان مجموع ما نملك من الدبابات عند بداية الحرب هو ١٧٠٠ دبابة حشدنا منها ١٣٥٠ في جهة القناة ، ووزعنا ١٠٠ أخرى في منطقة البحر الأحمر وأماكن اخرى متفرقة في مصر واحتفظنا بالباقي ، وهو ٢٥٠ دبابة كاحتياطي استراتيجي (٢) وكان يدخل ضمن الاحتياطي الاستراتيجي اللواء المدرع المكلف بحراسة رئاسة الجمهورية وبه ١٢٠ دبابة ٠ وقد كان طبقاً للخطة ان يعبر الجيش الثاني والثالث بحوالي ١٠٢٠ دبابة وان يتم الاحتفاظ بـ ٣٣٠ دبابة غرب القناة بحوالي ٢٠ كيلومتراً وكانت تلك الدبابات ضمن تشكيل الفرقة المدرعة ٢١ التي كانت تحمي ظهر الجيش الثاني والفرقة الرابعة المدرعة التي كانت تحمي ظهر الجيش الثالث (٣) ان بقاء هاتين الفرقتين في أماكنهما غرب القناة كفيل بأن يسحق أي اختراق يقوم به العدو على طول الجبهة ٠

- كان قرار تطوير الهجوم الذي اتخذ مساء يوم ١٢ اكتوبر، وما ترتب عليه من دفع الفرقة المدرعة ٢١ ، والفرقة الرابعة المدرعة عدا لواء مدرع خطأً كبير كما سبق أن بينت - واعتباراً من فجر يوم ١٤ اكتوبر لم يكن لدينا غرب القناة في منطقة الجيشين الثاني والثالث سوى لواء مدرع واحد ٠ وهنا اختلت الموازين وأصبح الموقف مثالياً لكي يقوم العدو بمحاولة لاختراق مواقعنا ٠

طائرة استطلاع أميركية فوق مواقعنا

- في حوالي الساعة ١٣٣٠ يوم ١٣ اكتوبر ظهرت طائرة استطلاع فوق منطقة القنال ولم تكتف بتغطية الجبهة بالكامل بل طارت فوق الدلتا قبل أن تخرج نهائياً من مجالنا الجوي دون أن تصاب بأي اذى ٠ كنت أراقب تحرك الطائرة على شاشة الدفاع الجوي في غرفة العمليات في المركز ١٠ واتعجب كيف استطاعت ان تبقى في الجو طوال هذه المدة دون ان يتمكن رجال دفاعنا الجوي من اسقاطها حيث أنها كانت تطير فوق مناطق مكتظة بصواريخ SAM. طلبت اللواء محمد علي فهمي هاتفياً وسألته عن السبب في عدم اسقاط هذه الطائرة فقال أنها تطير على ارتفاع خارج مدى صواريخنا ٠ وقد عرفنا من ارتفاعها وسرعتها أنها لا بد وأن تكون الطائرة الأميركية SR-71A التي تطير على ارتفاع ٣٠ كيلومتراً وبسرعة ٣ ماخ (٤) كان معنى هذا ان اسرائيل اصبحت تعلم بموقف قواتنا شرق القناة وغربها على وجه اليقين

---

(١) الدفرسوار هي المكان الذي اخترق فيه العدو دفاعنا في ليلة ١٥ / ١٦ اكتوبر ٧٣ ٠

(٢) كان الاحتياطي الاستراتيجي يتمركز في منطقة القاهرة وكان عبارة عن اللواء المدرع ٢٣ ، اللواء المدرع بالحرس الجمهوري ٠

(٣) كلتا الفرقتين المدرعتين ٤ و ٢١ كانت تتكون من لواءين مدرعين ولواء مشاة ميكانيكيا ، ولأهداف العبور ألحق أحد الألوية المدرعة من الفرق ٢١ مدرعة بالفرقة ١٦ مشاة ٠

(٤) هذه الطائرة تشبه في خصائصها الطائرة السوفياتية ميج ٢٥ ٠

وأنه لم يعد هناك ما يمكن اخفاؤه عن العدو، وأنه يجب علينا أن نفترض بأن اسرائيل تعرف موقعنا تماماً .

لماذا رفضت القيادة السياسية سحب الفرقتين المدرعتين الى الغرب

- في صباح يوم ١٥ اكتوبر اقترحت اعادة تجميع الفرقة ٢١ مدرعة والفرقة الرابعة المدرعة في غرب القناة حتى يمكننا أن نعيد الاتزان الى موقعنا الدفاعي، ولكن الوزير عارض الاقتراح على أساس ان سحب هذه القوات قد يؤثر على الروح المعنوية للجنود وقد يفسره العدو على أنه علامة ضعف فيزيد من ضغطه على قواتنا ويتحول الانسحاب الى ذعر (١) لم أكن لأوافق على هذا الرأي . كنا نتكلم بلغتين مختلفتين ولا يستطيع أي منا أن يقتنع بما يقوله الآخر . كان هناك أيضاً سبب آخر لعدم سحب القوات ولكنه كان سبباً سياسياً . لقد كان مقرراً ان يلقي السادات خطاباً سياسياً مهماً أمام مجلس الشعب المصري وكان السادات يريد أن يسمع صوته لأميركا واسرائيل من موقع قوة (٢) .

- وفي خلال يوم ١٥ اكتوبر قامت الطائرة SR-71A برحلة استطلاعية أخرى فوق الجبهة والمنطقة الخلفية وبذلك تحقق للعدو خلو المنطقة غرب القناة من الدبابات تقريباً . كان من الممكن ان تكون هذه الطلعة الاستطلاعية انذاراً للقيادة المصرية بأن العدو يمكنه أن يقوم باختراق الجبهة وهو مطمئن تماماً، وانه يتحتم علينا أن نسحب الفرقة ٢١ مدرعة والفرقة ٤ مدرعة الى غرب القناة، ولكن هذا لم يحدث للأسف الشديد، لا جهلاً أو اهمالاً من القادة العسكريين ولكن مقامرة وغروراً من القيادة السياسية . لم يضيع العدو الوقت وبدأ عملية اختراق مواقعنا خلال ليلة ١٥ / ١٦ اكتوبر .

اختراق العدو ليلة ١٥ / ١٦ اكتوبر

- على مستوى القيادة العامة للقوات المسلحة، وصلتنا المعلومات الأولى عن اختراق العدو صباح يوم ١٦ اكتوبر . كانت المعلومات مقتضبة ولا تثير أي انزعاج . كان البلاغ يقول « لقد نجحت جماعات صغيرة من العدو في العبور الى الضفة الغربية ويقوم الجيش باتخاذ الاجراءات اللازمة للقضاء عليها (٣) وعلى الرغم من هذه المعلومات المطمئنة فقد رفعت درجة استعداد اللواء المدرع ٢٣ الموجود في القاهرة وأصدرت اليه أمراً انذارياً بأن يستعد للتحرك الى الجبهة في قطاع الجيش الثاني . وفي خلال نهار يوم ١٦ بدأت المعلومات تصل الينا بأن عدداً من كتائب الصواريخ سام قد هوجمت بواسطة دبابات العدو وكانت بعض هذه الكتائب تقع

---

(١) لم يقم احمد اسماعيل بزيارة الجبهة طوال فترة القتال وبذلك لم يكن بينه وبين الجنود ذلك الرباط الذي كان يربطني بهم والذي كان يجعلني قادراً على ان احس وأشعر بما يستطيعون عمله وما لا يستطيعون عمله . لقد كان احمد اسماعيل يعيش ويفكر بعقلية عام ٦٧ ولا يستطيع ان يحس بامكانيات الجندي المصري عام ٧٣ لأنه لم يره !! .

(٢) من السذاجة ان يعتقد السادات ان اميركا واسرائيل تصدق ما يقوله ولا تصدق ما تقوله لها اقمارها الصناعية وطائرات استطلاعها SR-71

(٣) لقد ثبت فيما بعد أن العدو كان قد عبر خلال الليل بقوة تقدر بلواء مشاة وكتيبة دبابات قوامها ٣٠ دبابة .

على عمق حوالي ١٥ كيلومتراً غرب القناة . لقد كان الموقف مائعاً وعجزت قيادة الجيش عن تحديد حجم ومكان القوة المعادية. كانت دبابات العدو تظهر فجأة بقوة ٧ - ١٠ دبابات بالقرب من أحد مواقع سام ثم تشتبك مع الموقع من مسافة ١٥٠٠ - ٢٠٠٠ متر فتقوم بتدميره أو اسكاته ثم تنسحب فجأة لتظهر في مكان آخر وهكذا . لم تكن كتائب الصواريخ سام لديها الأسلحة التي تستطيع أن ترد بها على مثل هذا الهجوم وبالتالي فإن دبابات العدو كانت تنسحب بعد تنفيذ المهمة بها دون ان تتلقى أي عقاب (١) .

الصدام بيني وبين الرئيس حول تصفية الثغرة

- عقد مؤتمر بالقيادة بعد ظهر يوم ١٦ لبحث الموقف واتفقت مع الوزير على أن نقوم بتوجيه ضربة قوية ضد العدو في منطقة الاختراق صباح يوم ١٧ ، ولكننا اختلفنا مرة أخرى على طريقة توجيه هذه الضربة . لقد كانت نظريتي في ضرورة أعادة الاتزان الى مواقعنا الدفاعية بسحب جزء من قواتنا في الشرق الى غرب القناة مازالت قائمة ولكن مع تعديل في الأسلوب طبقاً للموقف الجديد . لقد اقترحت في اليوم السابق سحب الفرقة ٢١ مدرعة والفرقة ٤ مدرعة أما اليوم فلم يعد من السهل أن نقوم بسحب الفرقة ٢١ مدرعة في الوقت الذي نتعرض فيه لضغط العدو . لذلك اقترحت ان نقوم بسحب الفرقة ٤ مدرعة ، واللواء المدرع ٢٥ من قطاع الجيش الثالث خلال الليل . وان نقوم بتوجيه الضربة الرئيسية ضد قطاع الاختراق بقوة لواءين مدرعين من غرب القناة وفي اتجاه شمال شرقي ، وفي الوقت نفسه يقوم اللواء ١١٦ مشاة بتوجيه ضربة ثانوية من الغرب الى الشرق بينما تقوم الفرقة ٢١ مدرعة بتوجيه ضربة من مواقعها شرق القناة في اتجاه جنوبي بهدف إغلاق الطريق المؤدي للثغرة من الشرق . (٢)

كان الوزير مازال ضد أية فكرة لسحب القوات من الشرق الى الغرب وبالتالي رفض سحب الفرقة الرابعة المدرعة وقرر أن يقوم اللواء المدرع ٢٥ بتوجيه ضربة من شرق القناة في اتجاه من الجنوب الى الشمال لكي يلتقي هجوم الفرقة ٢١ مدرعة وان يقوم اللواء ١١٦ مشاة بتوجيه ضربة ثانوية من الغرب الى الشرق . كان هناك اذن خلاف رئيسي بيني وبين الوزير فبينما كنت أريد أن تكون ضربتنا الرئيسية موجهة الى الثغرة من غرب القناة مع توجيه ضربة ثانوية ضد فتحة الثغرة شرق القناة كان الوزير يرى العكس تماماً . فقد كان يرى أن تكون الضربة الرئيسية من شرق القناة وان تكون الضربة الثانوية من غرب القناة .

- كانت المزايا التي يمكن أن تحققها الخطة التي تقدمت بها ما يلي :

١ - اللواء المدرع ٢٥ كان من ضمن الواجبات التي تدرب عليها قبل بدء القتال تدمير العدو اذا نجح في الاختراق في منطقة الدفرسوار . وبالتالي فإن ضباط وجنود اللواء كانوا على المام تام بطبيعة الأرض التي تقع غرب القناة ويعرفون كل ثنية أرضية في الأرض التي سوف يقاتلون عليها ، وتلك ميزة عظيمة يجب ألا نضحي بها .

---

(١) هذا مثل من المتاعب التي يلاقيها المدافع اذا نجح المهاجم في اختراق خطه الدفاعي والوصول الى مؤخرة قواته . ان الوحدات التي تتمركز في المؤخرة ليس لديها القدرة على مواجهة هجوم الدبابات .

(٢) انظر الخريطة رقم ٣

٢ - ان سحب الفرقة المدرعة الرابعة واللواء المدرع من شرق القناة الى غربها سوف يعيد الاتزان الى مواقعنا الدفاعية ويجعلنا أكثر قدرة على مقابلة أي تهديد يقوم به العدو للوصول الى مؤخرة قواتنا ٠

٣ - ان قيامنا بتوجيه الضربة الرئيسية غرب القناة يضمن لنا اتمامها تحت مظلة الدفاع الجوي سام ، أما اذا قمنا بها من الشرق فسوف تتم خارج هذه المظلة ويمكن أن تقع قواتنا فريسة للهجوم الجوي المعادي ٠ وان حادث تدمير اللواء الأول مشاة بواسطة طيران العدو لم يكن قد مضى عليه سوى خمسة أيام فقط ٠

٤ - ان توجيه الضربة الرئيسية بقوة لواءين مدرعين من غرب القناة تحقق لنا قوة الصدمة التي يمكن أن نوجهها للعدو بالأضافة الى توفير القوات اللازمة لتأمين قاعدة الهجوم واجنابه ٠ أمّا اذا قام بها اللواء المدرع ٢٥ من الشرق فإن الضربة ستكون ضعيفة وسوف تكون قاعدة هجومه وجانبه الأيمن معرضين للخطر ٠

- وعلى الرغم من وضوح تلك النقاط بشكل صارخ لأي قائد عسكري فقد رفض الوزير رفضاً باتاً سحب اللواء المدرع ٢٥ الى الغرب ٠ وفي حديث هاتفي مع اللواء عبد المنعم واصل لتبادل الرأي في هذا الموضوع أفاد بأنه يفضل ان يتم سحب اللواء المدرع ٢٥ وان يقوم بتوجيه ضربته ضد الثغرة من الغرب وابلغني بأن قائد اللواء المدرع ٢٥ يشاركه هذا الرأي ٠ وعلى الرغم من وجود هذا الاجماع بين القادة العسكريين فقد رفض الوزير هذا الاقتراح (٢) ٠

- وبعد ساعات قليلة وصل الرئيس الى المركز ١٠ ٠ لقد كان مازال هناك متسع من الوقت ، وفكرت أن استعين برئيس الجمهورية لكي ينقض قرار الوزير وان يوافق على وجهة نظري فيما يتعلق بسحب بعض القوات من الشرق وان نقوم بتوجيه ضربتنا الرئيسية ضد الثغرة من الغرب (٣) شرحت الاقتراحات السابق ذكرها ، ولكن الرئيس لم يمهلني لكي أتم مقترحاتي وثار ثورة عارمة وفقد أعصابه وأخذ يصرخ في وجهي بعصبية « أنا لا أريد أن أسمع منك مرة ثانية هذه الاقتراحات الخاصة بسحب القوات من الشرق ، اذا أثرت هذا الموضوع مرة أخرى فإني سوف أحاكمك » حاولت أن اشرح له بأن المناورة بالقوات شيء والانسحاب شيء آخر ولكنه كان في ثورة عارمة لا يريد أن يسمع ولا يريدني أن استرسل في الكلام (٣) لقد أصابني كلام السادات بجرح عميق ٠ حال بخاطري أن استقيل ، ولكن سرعان ما استبعدت هذا الخاطر ٠ كيف أترك القوات المسلحة في أوقات الشدة ؟ ماذا سيقول عني الخصوم ؟ هرب عند وقوع أول أزمة ؟ لا لن أقبل ذلك على نفسي ٠ لقد عشت مع القوات المسلحة فترة مجد

---

(١) لم أكن حتى هذه اللحظة على علم باللعبة السياسية - وكنت اعتقد ان معارضة الوزير في سحب جزء من قواتنا في الشرق هو جمود فكري من قبله وليس جزءا من لعبة سياسية كبيرة - لذلك فكرت في ان استعين بالرئيس في تصحيح الموقف -

(٢) يبدو ان هذا الاصرار من جانب الوزير كان بناء على تعليمات من الرئيس ويمكن استنتاج ذلك من غضب الرئيس وثورته عندما فاتحته بهذا الموضوع من جديد ٠

(٢) هذا يدل ان المعارضة في سحب جزء من قواتنا من الشرق الى الغرب كان قراراً للسادات اكثر منه قراراً للوزير ٠

ويجب أن أقف معها وقت الشدة حتى لو لم استطع أن انقذ ما أريد انقاذه كله . ابتعلت كبريائي والتمست العذر للسادات وقلت لنفسي « لا بد ان السادات أعصابه متوترة . حتى أنه لم يستطع أن يواجه الموقف . يجب أن اتحمله ولو مؤقتاً من أجل مصر » (١) وهكذا قمنا باصدار التعليمات الخاصة بعمليات يوم ١٧ طبقاً للقرار الذي اتخذه الوزير والرئيس كما سبق شرحه (٢)

- وحوالي منتصف الليل أويت الى فراشي ولكن ضابط العمليات المناوب أيقظني في الساعة ٣٠٠ . وأخبرني بأن اللواء عبد المنعم واصل يطلب محادثتي بصفة عاجلة . اخبرني بأن اللواء المدرع ٢٥ لن يستطيع التحرك في هذا اليوم لأسباب فنية . كان واضحا ان اللواء عبد المنعم واصل وقائد اللواء المدرع ٢٥ يتوقعان وقوع كارثة بالنسبة لهذا اللواء وانهما يريدان خلق المشكلات التي قد تؤدي الى منع قيامه بهذه العملية الانتحارية . لقد كنت اشعر في قرارة نفسي بصدق وإحساس كل كلمة يقولها اللواء عبد المنعم واصل ولكن مسؤوليتي في ذلك الوقت كانت تحتم علي ان اعارض عبد المنعم واصل . كمبدأ عام يمكن للقادة ان يختلفوا عند ابداء وجهة نظرهم قبل اتخاذ القرار . أما بمجرد اتخاذ القرار فيجب ان يعمل كل منهم قدر طاقته لتنفيذه سواء كان يتفق مع وجهة نظره أم لا . وقد تم اتخاذ القرار ولا سبيل الى التراجع عنه الآن وبعد حديث طويل مع عبد المنعم واصل قال لي بيأس شديد « لا حول ولا قوة الا بالله . سوف أقوم بتنفيذ هذه الأوامر ولكنني اقولها مسبقا . سوف يدمر هذا اللواء » .

- كانت قوات العدو امام الجبهة اعتباراً من فجر يوم ١٧ اكتوبر هي ٨ ألوية مدرعة ولوائي مشاة ميكانيكيين وكان توزيعها كما يلي (٣) :

- فرقة تقوم بتأمين رأس الكوبري في منطقة الدفرسوار . وكان لهذه الفرقة لواء مدرع ولواء مشاة غرب القناة وتحتفظ بلواء مدرع آخر لتأمين الثغرة من الشرق .

- لواء مدرع ولواء مشاة يقومان باحتواء الفرقة ٢١ مدرعة (لواءان مدرعان) التي تؤمن الجناح الايمن للجيش الثاني .

- لواء مدرع يحتوي مواجهة الجيش الثاني بكامله (الفرقة ١٨ ، الفرقة ٢ ، الفرقة ١٦ ومعها لواءان مدرعان ، ١٢ كتيبة دبابات) (٤) .

- لواء مدرع يحتوي مواجهة الجيش الثالث بكامله (الفرقة ٧ ، الفرقة ١٩ لواء المشاة الأول الفرقة الرابعة المدرعة عدا لواء مدرع ، اللواء المدرع ٢٥ ، وكان مجموع المدرعات داخل رأس كوبري الجيش الثالث ٣ ألوية مدرعة ، ١٠ كتيبة دبابات) .

---

(١) قال تعالى « وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم » صدق الله العظيم . لم أكن اعلم وقتئذ ان ثورة السادات امام حوالي سبعة من الضباط في غرفة العمليات يوم ١٦ اكتوبر ، هي عمل اراد الله به أن يظهر الخلاف بيني من جهة وبينه وبين الوزير من جهة أخرى . ولكي يبين بطريقة علنية لا يستطيع السادات أن ينكرها في المستقبل أنني كنت على حق وانهما كانا على باطل .

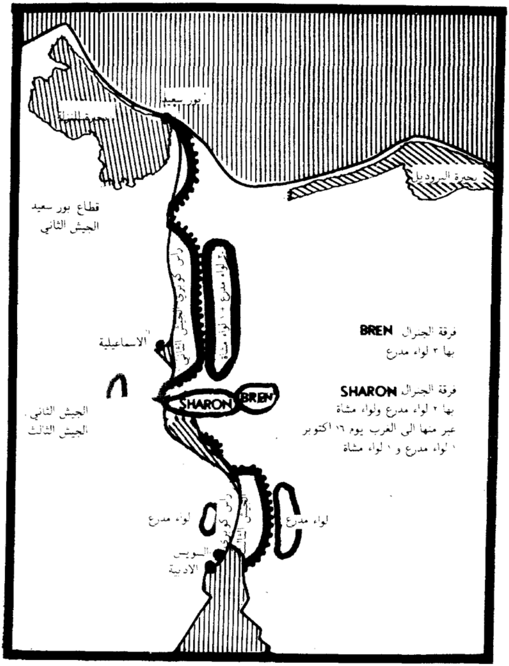
(٢) انظر الخريطة رقم ٤

(٣) انظر الخريطة رقم ٢

(٤) كل ٣ كتائب دبابات تعادل تقريبا لواء مدرعا

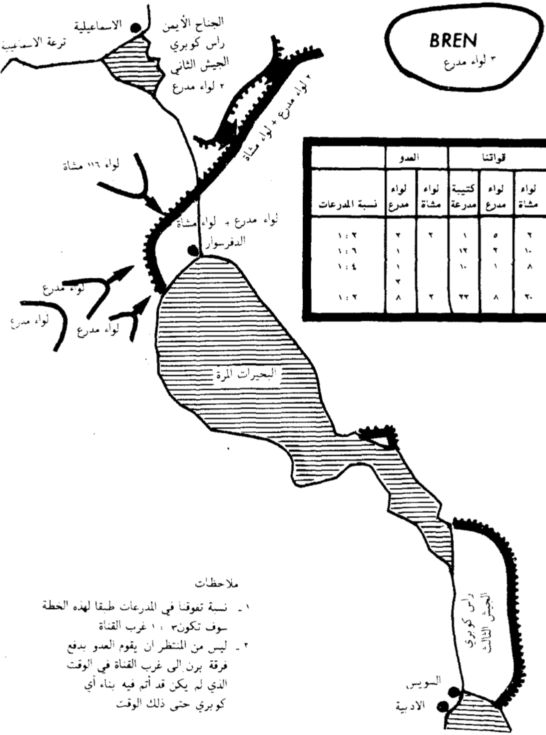
الخريطة رقم ٢

توزيع القوات ليلة ١٦ / ١٧ اكتوبر ١٩٧٣



- قوات الجيش الثاني شرق القناة (١٠ لواء مشاة مدرع و ١٢ كتيبة دبابات و ٣ كتيبة BMP، ٤ كتيبة مالوتكا و ٣ كتيبة مدفعية للدبابات) ويقوم بتثبيت هذه القوات من العدو ٢ لواء مدرع و ١ لواء مشاة .
- قوات الجيش الثالث شرق القناة (٩ لواء مشاة و ٢ لواء مدرع و ١٠ كتيبة دبابات و ٢ كتيبة BMP و ٣ كتيبة مالوتكا و ٣ كتيبة مالوتكا و ٢ كتيبة مدفعية مضادة للدبابات) يقوم بتثبيتها من قوات العدو ١ لواء مدرع .
- قطاع الاختراق (الدفرسوار) : للعدو غرب القناة ١ لواء مدرع + ١ لواء مشاة وله شرق القناة في اتجاه الدفرسوار ٤ لواء مدرع وذلك في مقابل لواء مشاة فقط لنا غرب القناة في اتجاه قطاع الاختراق .

الخريطة رقم ٣
معركة الدفرسوار كما كان يريدها الفريق الشاذلي يوم ١٧ اكتوبر



منطقة العمليات	قواتنا: لواء مشاة	لواء مدرع	كتيبة مدرعة	العدو: لواء مشاة	لواء مدرع	نسبة المدرعات
الدفرسوار	٢	٥	١	٢	٣	٢ : ١
باقي مواجهة الجيش الثاني	١٠	٢	١٢		١	٦ : ١
الجيش الثالث	٨	١	١٠		١	٤ : ١
احتياطي عمليات					٣	
اجمالي	٢٠	٨	٢٣	٢	٨	٢ : ١

ملاحظات

١ ـ نسبة تفوقنا في المدرعات طبقا لهذه الخطة سوف تكون٣ : ١ غرب القناة

٢ ـ ليس من المنتظر ان يقوم العدو بدفع فرقة برن الى غرب القناة في الوقت الذي لم يكن قد أتم فيه بناء أي كوبري حتى ذلك الوقت

ـ فرقة من ثلاثة ألوية مدرعة تتجمع شرق القناة بحوالي ٢٠ كيلو متراً مستعدة للعبور الى الغرب بمجرد ان يتم تركيب الكوبري على القناة في منطقة الدفرسوار ٠ (١) ٠

ـ واني لأشعر بالخجل وأنا أذكر أوضاع قواتنا فجر يوم ١٧ اكتوبر ٠ ولكن من أجل مصر ومن أجل ان نتعلم من أخطائنا ومن أجل ان يعرف العرب من هم الذين تآمروا على القوات المسلحة لأغراض سياسية خفية ، من أجل ذلك كله يجب أن أتكلم ٠ أن اية فرقة مشاة مصرية كان يدحل ضمن تنظيمها ٤ كتائب دبابات. كتيبة EMP ،كتيبة مقذوفات مصادة للدبابات موجهة مالوتكا ، كتيبة مدفعية مضادة للدبابات ، ١١ كتيبة مدفعية ميدانية يمكن استخدامها وقت الضرورة كأسلحة مضادة للدبابات ، علاوة على ذلك يوجد ضمن تنظيم الفرق ٩٠ قطعة سلاح مضادة للدبابات ب ١٠ ، ب ١١ للقتال القريب مع الدبابات ، ٤٥٠ قطعة سلاح RPG للقتال المتلاحم ٠ لقد روعي عند تنظيم فرقة المشاة جعلها قادرة دون اي دعم خارجي ، على أن تصد اي هجوم مدرع يقوم به العدو بقوة تقدر بفرقة مدرعة قوامها ثلاثة ألوية مدرعة ٠ وعلى الرغم من ذلك فقد دعمنا كل فرقة لأهداف العبور ، بلواء مدرع إضافي وبأعداد اضافية من المقذوفات الصاروخية الموجهة مالوتكا قمنا بسحبها من التشكيلات الأخرى التي تشترك بصفة مباشرة في عملية العبور ٠ وكان المفروض ان نقوم بسحب هذه التدعيمات بمجرد ان يستقر الموقف على الضفة الشرقية ٠ فتعود المالوتكا الى وحداتها الاصلية وتعود الألوية المدرعة أو على الاقل الجزء الاكبر منها الى غرب القناة لكي نشكل احتياطيات مدرعة تستطيع أن تواجه وتتحدى ضربات العدو ٠ ولكن للأسف الشديد فقد حدث العكس تماما ٠ فبدلا من ان نسحب هذه القوات من الشرق الى الغرب دفعنا يوم ١٣ ، ١٤ الفرقة ٤ المدرعة والفرقة ٢١ المدرعة الى الشرق ، وعندما طالبت بإعادة هاتين الفرقتين الى الغرب رفض الوزير وثار السادات كما سبق ان بينت ٠ لقد كان لدينا في الجبهة يوم ١٧ اكتوبر ٨ ألوية مدرعة وهو عدد يماثل ما لدى العدو ، ولكن اوضاع هذه الالوية صباح يوم ١٧ اكتوبر كانت تدعو الى الرثاء. كانت اوضاعها كما يلي :

ـ ٤ الوية مدرعة لا تقوم بأي عمل ، وهي مربوطة بالأرض في مناطق الفرقة ١٨ مشاة ، الفرقة ٢ مشاة ، الفرقة ٧ مشاة ، الفرقة ١٩ مشاة ٠

ـ اللواء المدرع ٢٥ يتحرك من داخل رأس كوبري الجيش الثالث شرق القناة في اتجاه الشمال ولمسافة تصل الى حوالي ٣٠ كيلو متراً خارج مظلة الدفاع الجوي وخارج مدى أية معاونة من مدفعيتنا وفي منطقة يتواجد بها ٤ ألوية مدرعة للعدو ويتمتع فيها العدو بسيطرة جوية كاملة (٣) ٠

ـ يقوم لواءان من الفرقة ٢١ مدرعة التي انهكت في القتال خلال الايام الثلاثة الماضية بالهجوم جنوبا بهدف إغلاق الطريق المؤدي الى الثغرة من الشرق ٠

ـ لواء آخر يحرس المنطقة الخلفية للجيش الثاني والثالث ٠

---

(١) لواء المشاة واللواء المدرع اللذان عبرا ليلة ١٥ / ١٦ ، ليلة ١٦ / ١٧ استخدما القوارب والمعديات ٠

(انظر الخريطة رقم ٢

ـ لقد كان معنى ذلك ان القيادة العامة للقوات المسلحة تحشد لمعركة الدفرسوار ٣ الوية مدرعة (بما في ذلك اللواء المدرع ٢٥ الذي كانت هناك شكوك بإمكان وصوله الى منطقة المعركة) ولواء مشاة في حين ان العدو كان يحتفظ في المنطقة نفسها بـ ٦ الوية مدرعة ولوائي مشاة · وهكذا كان للعدو التفوق الساحق في منطقة المعركة · لقد كان هذا القرار هو ثالث خطأ كبير ترتكبه القيادة المصرية (١) وقد ترتب على تلك الاخطاء الكبيرة سلسلة اخرى من الاخطاء مما سوف نشرحه بالتفصيل فيما بعد ·

كيف سارت معركة الدفرسوار يوم ١٧ اكتوبر

١ ـ تحرك اللواء ١١٦ مشاة من الغرب الى الشرق في اتجاه رأس الكوبري الذي كانت قاعدته حوالي ٥ كيلو مترات ونجح في تدمير عدد من الدبابات اثناء تقدمه · عندما وصل الى بعد حوالي كيلو مترين من القناة وقع العدو تحت نيران كثيفة اضطرته الى التقهقر بعد ان اصيب بخسائر كبيرة ·

٢ ـ نجحت الفرقة ٢١ مدرعة في قطع الطريق المؤدي الى ثغرة الدفرسوار من الشرق ، ولكنها عجزت عن إحراز اي تقدم جنوب هذا الطريق وبالتالي ظل الطريق الذي يقود الى الثغرة من الجنوب والجنوب الشرقي مفتوحا ·

٣ ـ تقدم اللواء المدرع ٢٥ ونظرا لما يتمتع به العدو من تفوق ساحق في المدرعات في تلك المنطقة فقد وجه العدو فرقة مدرعة من ثلاثة الوية مدرعة لمواجهة هذا اللواء (كانت هذه الفرقة تتمركز في الاحتياط وعلى بعد ٢٠ كم شرق القناة · قامت فرقة العدو المدرعة بتخصيص احد الويتها لكي يسد طريق تقدم اللواء المدرع ٢٥ الى الشمال بينما تحرك اللواءان الثاني والثالث ليتخذا مواقع الى اليمين والى المؤخرة بالنسبة لاتجاه تقدم اللواء المدرع ٢٥ وعندما دخل اللواء المدرع ٢٥ منطقة الكمين هوجم بالنيران من ثلاثة اتجاهات وتم تدميره تدميرا تاما ، كما سبق أن توقعت أنا واللواء عبد المنعم واصل وقائد اللواء (٢) ·

تدفق قوات العدو الى الغرب

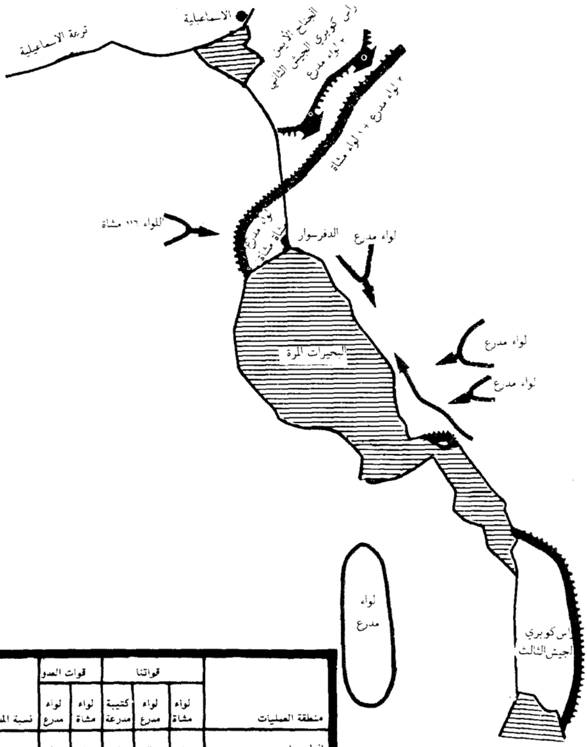
ـ وفي خلال ليلة ١٧ / ١٨ اكتوبر نجح العدو في بناء أول كوبري له في منطقة الدفرسوار وعبر عليه لواءان مدرعان من فرقة برن · وبحلول فجر يوم ١٨ اكتوبر كان للعدو غرب القناة فرقتان مدرعتان كانت احداهما بقيادة الجنرال شارون وتتكون من لواء مدرع ولواء مشاة ، فرقة برن التي تتكون من لواءين مدرعين · وضد هذه القوات كلها وجهت القيادة المصرية اللواء المدرع ٢٣ ليوجه ضربة الى العدو غرب القناة · وكانت النتيجة طبعا هي فشل الهجوم وخسران اللواء عددا كبيرا من دباباته · وبتدمير اللواء المدرع ٢٣ الذي كان يمثل الاحتياطي

---

(١) كان الخطأ الأول هو دفع الفرقة الرابعة والفرقة ٢١ الى الشرق ·
وكان الخطأ الثاني هو رفض إعادة هاتين الفرقتين بعد فشل هجوم يوم ١٤ اكتوبر ·

(٢) لكي يغطي السادات واحمد اسماعيل مسؤوليتهما في تدمير هذا اللواء فقد عاملوا ضباطه وجنوده بعد الحرب على انهم جبناء وانهم لم يقاتلوا كما كان يجب عليهم ان يقاتلوا ·

الخريطة رقم ٤
معركة الدفرسوار يوم ١٧ اكتوبر ١٩٧٣



منطقة العمليات	قواتنا			قوات العدو		نسبة المدرعات
	لواء مشاة	لواء مدرع	كتيبة مدرعة	لواء مشاة	لواء مدرع	
الدفرسوار	١	٣	١	٢	٦	٢ :
باقي مواجهة الجيش الثاني	١٠	٢	١٢		١	١ :
الجيش الثالث	٩	٢	١٠		١	١ :
احتياطي عمليات		١				
اجمالي	٢٠	٨	٢٣	٢	٨	١ :

الاستراتيجي اصبحت الضفة الغربية عارية من الدبابات ، اللهم الا من لواء مدرع خلف الجيش الثاني والثالث ولواء الحرس الجمهوري في القاهرة · وبحلول ظهر يوم ١٨ عبر لواء مدرع آخر للعدو وانضم الى فرقة برن واصبح للعدو غرب القناة ٤ الوية مدرعة ولواء مشاة (فرقة برن ٣ الوية مدرعة ، فرقة شارون ، لواء مدرع + لواء مشاة) ·

- لم يفهم رئيس الجمهورية ووزير الحربية اهمية المناورة بالقوات الا بعد ظهر يوم ١٨ اكتوبر ، وبعد ان اصبحت قواتنا مهددة بالتطويق وبعد ان دمر العدو الكثير من مواقع صواريخنا سام وبعد ان اصبحت القوات الجوية المعادية قادرة على العمل بحرية من خلال الثغرة التي احدثتها في دفاعنا الجوي !! وحتى عندما فهما بأنني كنت على حق في المطالبة بسحب جزء من قواتنا من الشرق فانه لم يكن لديهما المقدرة على تصور ما يمكن ان يحدث بعد يومين او ثلاثة · كانا يفكران بما سوف نفعله غدا مفترضين ان العدو سيبقى كما هو خلال تلك الفترة ، وهذا خطأ جسيم · لقد اتخذ اخيرا قرار بسحب الفرقة الرابعة المدرعة ليلة ١٨ / ١٩ اكتوبر · لقد كنت اريد ان اسحب هذه الفرقة هي واللواء المدرع ٢٥ ليلة ١٦ / ١٧ ، ولو تم ذلك لتغير الموقف · أما الآن فان سحب الفرقة الرابعة المدرعة وحدها لن يجعلنا قادرين على استعادة الموقف لقد اصبح للعدو فرقتان مدرعتان غرب القناة ، وقد تصبح ثلاث فرق مدرعة قبل فجر غد ١٩ اكتوبر !!

(الفصل الرابع والثلاثون)

القتال غرب القناة

القيادة السياسية تخفي الحقائق

- لقد كان لستار السرية الذي فرضته القيادة السياسية على الموقف غرب القناة آثار سيئة للغاية · انه لم يخدع الشعب المصري فقط عن حقيقة الموقف بل وخدع ايضا افراد القوات المسلحة · لقد كانت الوحدات الادارية ووحدات الدفاع الجوي ومراكز القيادة غرب القناة تفاجأ بظهور دبابات تطلق النار عليها دون ان تدري ما هي هوية هذه الدبابات · وفي الوقت الذي تكتشف فيه حقيقة الموقف تكون هذه الوحدات قد تم تدميرها او اسرها · كانت العربات والافراد الذين يتحركون في الضفة الغربية للقناة ، وهم يعتقدون بصحة البلاغات المصرية التي تصور بأن ليس لدى العدو سوى ٧ دبابات تختبىء في الاشجار في منطقة الدفرسوار ، تفاجأ بمن يظهر امامها ويطلق النار عليهم فيقتل فريقا ويأسر آخر · لقد قتل المئات من الجنود وأسر الآلاف دون ان يقاتلوا لأن احدا منهم لم يكن يتوقع وجود العدو في هذه الاماكن · لقد كان هذا النوع من القتال هو ما تريده اسرائيل لاغراض الدعاية · انهم لم يستطيعوا ان يأسروا جنديا واحدا في الضفة الشرقية الا اذا وقع في ايديهم وهو جريح لا يستطيع ان يقاتل او يدافع عن نفسه ، اما في الضفة الغربية للقناة ، فها هم اولاً يأسرون المئات دون اي قتال ، وذلك لأن القيادة المصرية قد خدعت رجالها واخفت عنهم الحقائق ·

- وقد كان لتدمير العديد من كتائب صواريخ سام اثر كبير على سير المعركة في الضفة الغربية · فقد دخلت القوات الجوية المعادية المعركة واصبحت تقدم المعاونة الارضية للقوات

الارضية المهاجمة بينما كانت قواتنا الجوية عاجزة عن التدخل ضد القوات البرية المعادية لصعوبة التمييز بين الصديق والعدو نظرا لميوعة الموقف . ومما زاد من صعوبة الموقف ضعف امكانيات الدفاع المضاد للدبابات بالنسبة للتشكيلات والوحدات التي في غرب القناة . كما سبق ان قلت . كنا قد سحبنا وحدات الصواريخ المضادة للدبابات الموجهة (المالوتكا) من التشكيلات التي لا تشترك في العبور لكي ندعم بها التشكيلات المكلفة به . وهكذا فقد كانت هناك كتيبتا مالوتكا في الشرق . واحدة منها تخص الفرقة الثالثة مشاة ميكانيكية . والاخرى كانت تخص فرقة المظلات . ودون هاتين الكتيبتين فأن قدرات هاتين الفرقتين في صد المدرعات تنخفض انخفاضا كبيرا . وحيث ان الرئيس والوزير كانا يعارضان سحب اي سلاح من الشرق فقد قررت ان اسحب هاتين الكتيبتين (المالوتكا) دون ان اخطرهما بذلك .

- وباتفاق سري بيني وبين اللواء سعيد الماحي قائد المدفعية قررت ان اسحب تلك الكتيبتين . وتم فعلا سحب بعض منها يومي ١٧ و ١٨ دون علم الوزير . وعلى الرغم من معارضة قادة التشكيلات التي كان قد تم تدعيمها بها . لقد قال لي احد قادة فرق المشاة عندما طلبت اليه اخلاء سرية الصواريخ المضادة للدبابات (مالوتكا) التي كانت قد الحقت به لأهداف العبور : « ان الموقف الدفاعي للفرقة سيتعرض للخطر اذا سحبت مني هذه السرية !! » اني اعلم من خبرتي السابقة ان ما قاله قائد الفرقة هو تسجيل موقف يمكن ان يستخدمه للدفاع عن نفسه فيما لو فشل فعلا في صد هجوم العدو ووجد نفسه موضع تساؤل . لقد كان اهتمامي بانقاذ الموقف في غرب القناة اهم بكثير من اي شيء آخر ولذلك قلت له « انا المسؤول عن كل شيء ، ارسل السرية فورا هذه الليلة » ان هذا الحديث يبين بوضوح ان ابعاد الموقف وخطورته لم تكن معروفة حتى على مستوى قادة الفرق .

زيارتي الرابعة للجبهة

- في حوالي الساعة ١٤٠٠ يوم ١٨ اكتوبر وصل رئيس الجمهورية الى المركز ١٠ واستمع الى تقرير عن الموقف من الوزير . لم يسألني الرئيس ولم ابادر انا بالكلام . وبعد ذلك طلب مني ان اتحرك الى الجيش الثاني لكي اعمل على رفع الروح المعنوية وابذل ما استطيع لمنع تدهور الموقف . وقد أبلغت بأن الفرقة الرابعة المدرعة التي تعمل خلف كل من الجيشين الثاني والثالث تعمل بأوامر من القيادة العامة (المركز ١٠) وليس للجيش الثاني اي سلطان عليها . وهذا يعني ان الجيش الثاني لم يكن لديه دبابة واحدة غرب القناة وجنوب ترعة الاسماعيلية . تحركت من المركز ١٠ حوالي الساعة ١٤٤٥ يوم ١٨ اكتوبر فوصلت قيادة الجيش الساعة ١٧٣٠ من اليوم نفسه (١) .

---

(١) - من الثابت في سجلات الحرب واجتماعات المجلس الاعلى للقوات المسلحة انني تحركت الى الجيش الثاني بعد ظهر يوم ١٨ اكتوبر وانني عدت في مساء يوم ١٩ اكتوبر . ومن الثابت ايضا من سجلاتنا ومن اعترافات العدو في الكتب التي نشرت بعد الحرب جميعها ان العدو لم يعبر بأية قوات اضافية خلال تلك الفترة . وان الجنرال دايان وزير الدفاع الاسرائيلي يعترف في مذكراته (صفحة ٤٣٩) بأنه كاد يقتل الساعة ١١٣٠ يوم ١٩ اكتوبر وهو يحاول ان يعبر الى غرب القناة . وانه اضطر الى العودة الى تل ابيب وعدل عن زيارة الوحدات الاسرائيلية غرب القناة لاستحالة العبور نتيجة قصف المدفعية . ونتيجة لهذه الحقائق الدامغة يدعي السادات في مذكراته (صفحة ٣٤٨) بانني ذهبت الى الجيش الثاني يوم ١٦ وعدت منه يوم ١٩ !!

- عند وصولي الى قيادة الجيش الثاني مساء يوم ١٨ اكتوبر كانت اوضاع الجناح الايمن للجيش الثاني كما يلي : (انظر الخريطة رقم ٥

١ - لقد اضطرت الفرقة ٢١ مدرعة الى الارتداد للخلف (في اتجاه الشمال) بعد ان وقعت تحت النيران التي يطلقها عليها العدو من مواقعه في غرب القناة · وقد اصبح الخط الذي نحتله يتحاذى مع سرابيوم على الضفة الغربية للقناة ·

٢ - اللواء ١٥٠ مظلات يعمل غرب القناة جنوب ترعة الاسماعيلية ويحاول منع انتشار العدو شمالا في اتجاه الاسماعيلية ·

- كانت قوات العدو في الضفة الغربية مع آخر ضوء يوم ١٨ اكتوبر كما يلي :

١ - خلال فترة ما بعد ظهر يوم ١٨ اكتوبر عبر الى الضفة الغربية لواء مدرع آخر وبذلك وصلت قوات العدو غرب القناة في منطقة الدفرسوار غرب القناة الى ٥ الوية مدرعة ولواء مشاة · وكانت هذه القوة مشكلة من فرقتين مدرعتين : فرقة بقيادة الجنرال شارون وتتكون من ٢ لواءين مدرعين ولواء مشاة وتواجه الشمال . فرقة اخرى بقيادة الجنرال برن وتتكون من ٣ الوية مدرعة وتواجه الغرب والجنوب ·

٢ - يسيطر العدو سيطرة تامة على مسافة ٥ كيلومترات شمال الدفرسوار ويحتل المصاطب التي في هذه المنطقة بقواته . بينما يسيطر بالنيران على بضعة كيلومترات اخرى شمال ذلك ·

- بعد وصولي الى قيادة الجيش الثاني استمعت الى قرار اللواء عبد المنعم خليل قائد الجيش . وكان يتلخص فيما يلي :

١ - سحب اللواء المدرع ١٥ من الضفة الشرقية للقناة الى الضمة الغربية (كان تحت قيادة الفرقة ١٨ مشاة) ويتمركز في المنطقة شمال ترعة الاسماعيلية ويعمل كاحتياطي للجيش ·

٢ - يقوم اللواء ١٥٠ مظلات بالدفاع النشيط عن الضفة الغربية جنوب ترعة الاسماعيلية ويقوم ايضا بتأمين مؤخرة الفرقة ٢١ مدرعة والفرقة ١٦ مشاة المتمركزة في الضفة الشرقية ·

٣ - تقوم كلتا الفرقتين ٢١ مدرعة و ١٦ مشاة بالضغط جنوبا في محاولة لاعادة اغلاق الطريق المؤدي الى الدفرسوار ·

٤ - تتمسك كلتا الفرقتين ٢ مشاة و ١٨ مشاة بمواقعهما شرق القناة ·

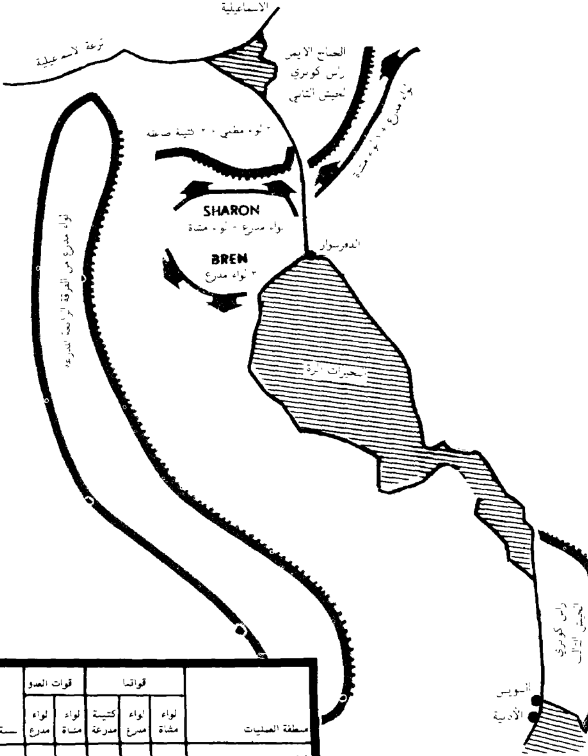
٥ - تقوم مدفعية الجيش بتركيز نيرانها على منطقة الدفرسوار ·

٦ - القيام بأعمال الاغارة على قوات العدو المتمركزة في منطقة الدفرسوار بواسطة وحدات الصاعقة ·

- لقد كان للعدو في منطقة الدفرسوار في تلك الليلة فرقتان مدرعتان كما سبق ان قلت . وكانت فرقة شارون تضغط على قواتنا في اتجاه الشمال بهدف الوصول الى الاسماعيلية وتطويق الجيش الثاني . ولم يكن لدينا للتصدي له سوى اللواء ١٥٠ مظلات · لم يكن قائد الجيش ينتظر المعجزات من لواء المظلات . لذلك امر بنسف الكباري التي على ترعة

الخريطة رقم ٥

الموقف في منطقة الدفرسوار مساء ١٨ اكتوبر ٧٣



منطقة العمليات	قواتنا			قوات العدو		سسة مدرعت
	لواء مشاة	لواء مدرع	كتيبة مدرعة	لواء مشاة	لواء مدرع	
الدفرسوار (غرب القناة)	١			١	٥	٥
الجيش الثاني	١٠	٤	١٢	١	٢	
الجيش الثالث	٩	٢	١٠		١	١
احتياطي عمليات		١				
اجمالي	٢٠	٧	٢٢	٢	٨	١

الاسماعيلية جميعها لكي يمنع العدو من عبور هذه الترعة فيما لو نجحت قواته في التغلب على مقاومة لواء المظلات · صدقت على قرار قائد الجيش فلم يكن هناك ما يمكن عمله بالنسبة للقتال خلال تلك الليلة ونهار اليوم التالي اكثر من ذلك ·

- بدأ لواء المظلات يتقدم جنوبا واحتل عددا من المصاطب الى ان وصلت عناصر منه الى مكان تستطيع منه ان ترى الكوبري الذي اقامه العدو في الدفرسوار . وقد ساعدنا في تصحيح نيران المدفعية الى ان حددنا مكان الكوبري بدقة · ومنذ ذلك الوقت اخذت مدفعيتنا تصب عليه النيران دون هوادة طوال الليل وطوال نهار اليوم التالي · وقد تنبه العدو الى دقة نيران المدفعية التي تقوم بتوجيهها العناصر المتقدمة من لواء المظلات فقام بهجوم مضاد واحتل المصطبة التي كما ندير منها نيران المدفعية · وعلى الرغم من ان لواء المظلات عجز عن استرداد تلك المصطبة . وعلى الرغم من انه لم تكن هناك مصطبة بديلة يمكن منها ان نوجه نيران المدفعية ضد الكوبري . فقد كانت المعلومات التي حصلنا عليها من اشتباكاتنا السابقة كافية لأن نستمر بالضرب · كانت الاشارات الملتقطة من العدو نتيجة ضرب مدفعيتنا مشجعة للغاية وتفيد بأن العدو قد تحمل خسائر فادحة · وبمجرد ان وصلتنا المعلومات بقيام العدو بنصب كوبري آخر شمال الكوبري الاول وجهنا نيران مدفعيتنا على الكوبري واصبناه بخسائر فادحة (١) · ان الدفاع المستميت الذي قام به لواء المظلات وكتيبتان من الصاعقة خلال ليلة ١٨ / ١٩ والايام التالية كان له الاثر المباشر في منع تقدم العدو شمالا وافشال محاولته في تطويق الجيش الثاني · يقول الجنرال هرتزوج في كتابه The war of atonement في صفحة ٢٤٥ ما يلي « لقد قوبلت فرقة شارون المدرعة ولواء المظلات (الاسرائيلي) بمقاومة عنيفة من المشاة والمدفعية (المصرية) وتحملت خسائر فادحة · لقد كانت مهمة شارون هي احتلال الاسماعيلية ولكن المقاومة التي قام بها الكوماندو المصريون اوقفت تقدمهم (٢) ·

الموقف مساء يوم ١٩ اكتوبر

- عدت الى المركز ١٠ مساء يوم ١٩ اكتوبر بعد أن قضيت حوالي ٢٤ ساعة مع الجيش الثاني ،، وبعد ان اطلعت على كافة تقارير المخابرات ظهر امامي الموقف العام التالي :

١ - موقف العدو

أ - كان للعدو غرب القناة ٥ ألوية مدرعة ولواء مظلي وكانت هذه القوة مشكلة في فرقتين مدرعتين : فرقة بقيادة الجنرال شارون وتتكون من لواءين مدرعين ولواء مظلي ، وتضغط في اتجاه مؤخرة الجيش الثاني وفرقة مدرعة أخرى تتكون من ثلاثة ألوية مدرعة بقيادة الجنرال برن . وتضغط في اتجاه مؤخرة الجيش الثالث ·

---

(١) - يقول هرتزوج في كتابه the war of atonement صفحة ٢٣٩ « لقد كان الكوبري تحت نيران مستمره وفي ليلة واحدة قتل ٤١ شخص من قوة جاكي (المكلفة بتشغيل الكوبري) وجرح عدة مئات ·

(٢) - ماذا يمكن ان يفعل لواء مظلات وكتيبتان من الصاعقة اكثر من ذلك ؟ لقد صدت فرقة شارون التي كانت تتكون من لواءين مدرعين ولواء مظلي ، اعتبارا من ليلة ١٨ / ١٩ اكتوبر حتى نهاية الحرب · وشهد بذلك شاهد من اهلهم وهو الجنرال هرتزوج الاسرائيلي ·

ب ـ كان للعدو فرقتان مدرعتان أخريان شرقي القناة تتكون كل منهما من لواءين مدرعين ولواء مشاة ميكانيكي تقوم بتثبيت قواتنا شرق القناة ·

حـ ـ بعد أن نجح العدو في تدمير أو إسكات كتائب صواريخ سام التي تتمركز غرب القناة حتى عمق ١٥ كيلومترا تقريبا ، أصبح في امكانه ولأول مرة منذ بدء القتال ان يستخدم قواته الجوية في تقديم المعاونة الجوية لقواته البرية أثناء قيامها بعمليات تعرضية ·

٢ ـ كان موقف الجيش الثاني كما يلي :

أ ـ في الشرق يوجد ٣ فرق مشاة وفرقة مدرعة ولواء مدرع ·

ب ـ في الغرب وجنوب ترعة الإسماعيلية يوجد لواء مظلي وكتيبتا صاعقة ·

حـ ـ في الغرب وشمال ترعة الإسماعيلية يوجد لواء مدرع ·

٣ ـ كان موقف الجيش الثالث كما يلي :

أ ـ في الشرق يوجد فرقتا مشاة ولواء مدرع ولواء مشاة ولواء برمائي ·

ب ـ في الغرب لواء مشاة ميكانيكي · (١) ·

٤ ـ النسق الثاني للجبهة ·

الفرقة الرابعة المدرعة ، وتأخذ مسؤولية الدفاع عن المنطقة الممتدة من ترعة الاسماعيلية شمالا حتى جبل عتاقة جنوبا ، وتعمل بأوامر من القيادة العامة ·

٥ ـ الاحتياطي الاستراتيجي :

لواء الحرس الجمهوري المدرع ويتمركز في منطقة القاهرة ·

المطالبة بسحب اربعة الوية مدرعة من الشرق

ـ كان من الواضح ان توزيع قواتنا لا يتمشى مطلقاً مع متطلبات المعركة · ان مسؤولية كل قائد هو ان يحشد قواته وامكانياته في المعركة ، لا ان يترك جزءاً من قواته تقاتل تحت ظروف سيئة بينما تقف باقي القوات موقف المتفرج واللامبالاة · لقد اصبحت خطة العدو واضحة وضوح الشمس · انه يهدف الى تطويق الجيش الثاني والجيش الثالث · انه يقوم بتوسيع الثغرة في منطقة الدفرسوار كل يوم ، ويجب الا ننتظر المعجزات من قواتنا التي تقاتل غرب القناة · ان لواءً مظلياً مصرياً يخوض معركة مريرة ضد فرقة مدرعة من لواءين

---

(١) لقد ثبت خلال حرب اكتوبر عدم صلاحية المشاة الميكانيكية من حيث التنظيم في قتال المدرعات · فاذا كانت في الدفاع وفي حفر مستورة فإن مدرعات العدو تستطيع الالتفاف حولها وتطويقها · واذا كانت في دفاع على عجل وكانت عرباتها ظاهرة فوق سطح الأرض فان دبابات العدو تستطيع تدميرها بمدافعها ١٠٥ مم بينما لا تستطيع المشاة الميكانيكية ان ترد عليها لعدم توفر الاسلحة المضادة للدبابات ذات المدى البعيد · واذا قامت بالهجوم فان العدو يستطيع ان يدمر مركباتها !!

قد تكون فرقة المشاة الميكانيكية ذات فائدة في بعض الجيوب ولكن بالنسبة لمصر حيث يعتمد العدو في الدفاع والهجوم على الدبابات فإن هذه الفرق تعتبر قليلة الأهمية ·

مدرعين ولواء مظلي اسرائيلي · قد يستطيع المقاومة لمدة ٣ ـ ٤ ايام اخرى ولكن لا يمكن ان تستمر مقاومته الى الأبد · كان جدول مقارنة القوات بيننا وبين العدو يصرخ بالانتقاد · ان نظرة واحدة من رجل مدني لا يفهم في الشؤون العسكرية لكفيلة بأن تقنعه بأن هذا التوزيع خاطىء وانه اذا لم يتم اصلاحه فوراً فقد تحدث الكارثة · ومع ذلك فأني لم استطع ان اقنع لا وزير الحربية ولا الرئيس السادات بتعديل هذه الاوضاع · كان جدول توزيع القوات في جبهة قناة السويس مساء يوم ١٩ اكتوبر كما يلي : (١) ·

	شرق القناة		غرب القناة		اجمالي	
	لواء مشاة	لواء مدرع	لواء مشاة	لواء مدرع	لواء مشاة	لواء مدرع
العدو	٢	٤	١	٥	٣	٩
قواتنا	١٨	٤	٢	٣	٢٠	٧

(٢)

ـ بحثت الموقف مع احمد اسماعيل وقلت له اذا لم نعد توزيع قواتنا لمقابلة التهديد القائم فقد تحدث كارثة في خلال ثلاثة ايام او اربعة · ان العدو يستطيع ان يدفع بفرقة مدرعة جديدة هذه الليلة الى الغرب دون ان يكون هناك اي خطورة على موقعه في الشرق · ليس هناك خطورة كبيرة من امكان تطويق الجيش الثاني نظراً لوجود ترعة الاسماعيلية واللواء المدرع ١٥ شمال الترعة ووجود اللواء ١٥٠ مظلات الذي يمكنه ان يقاتل لمدة ٣ ـ ٤ أيام اخرى · ولكن الخطورة الكبرى تقع في الجنوب بالنسبة للجيش الثالث · ان الارض مناسبة لعمل المدرعات وقد اصبح في امكان العدو ان يستخدم قواته الجوية ضد قواتنا البرية اليوم ولأول مرة منذ بدء القتال · اذا قام العدو بنقل فرقة مدرعة اخرى الى الغرب فسوف يصبح له في القطاع الجنوبي غرب القناة فرقتان مدرعتان تدعمهما القوات الجوية الاسرائيلية مقابل فرقة مدرعة واحدة من جانبنا · ولهذا الموقف يجب ان نسحب ألويتنا المدرعة من الشرق لمقابلة التهديد في الغرب(٣) · كان في رأيي ان سحب هذه الالوية الأربعة من الشرق في خلال الأربع والعشرين ساعة التالية لن يؤثر على سلامة خطوطنا ومواقعنا في الشرق وسوف يزيد من قدرتنا على مقابلة تهديد العدو لنا في الغرب ·

---

(١) يتم احتساب كل من اللواء المظلي ولواء المشاة الميكانيكي على انه لواء مشاة · ويلاحظ اننا ندخل في حسابنا اللواء المدرع ٢٥ الذي دمر يوم ١٧ اكتوبر واللواء المدرع ٢٢ الذي دمر يوم ١٨ اكتوبر · كذلك سجلنا عدد الألوية دون احتساب الخسائر التي تحملتها على الرغم من ان ذلك يعطي ميزة للعدو حيث انه كان يقوم باستمرار بتعويض خسائره في الدبابات من الاحتياطي المتوفر لديه في حين ان الويتنا المدرعة لم تكن تتلقى اي تعويض عن خسائرها في الدبابات ·

(٢) يتضح من الجدول ان العدو كان له ٥ الوية مدرعة كاملة في مقابل ٣ الوية مدرعة تحملت الكثير من الخسائر · ولكن احد الويتنا المدرعة كان شمال ترعة الاسماعيلية ، وبالتالي فان النسبة في منطقة الدفرسوار غرب القناة وجنوب ترعة الاسماعيلية كانت ٥ : ٢ ·

(٣) في حالة سحب ٤ الوية مدرعة من الغرب فانه يبقى لدينا في الشرق ١٨ لواء مشاة ومعها ٢٢ كتيبة دبابات و٥ كتائب BMP و٥ كتائب مقذوفات موجهة مالوتكا و٥ كتائب مدفعية مضادة للدبابات وحوالي ٤٠٠ مدفع مضاد للدبابات ب ١٠ / ب ١١ و٢١٠٠ قاذف صاروخي RPG و٦٠ كتيبة مدفعية ميدان عيار ١٠٠ مم / ١٢٢ مم و١٥ كتيبة هاون ثقيل من عيار ١٢٠ ملليمتر / ١٦٠ ملليمتر ·

- بعد ان فشلت في اقناع الوزير بوجهة نظري . افضيت لبعض مساعديَّ بقلقي على الموقف وافضيت لهم بأنه اذا لم نسحب جزءاً من قواتنا من الشرق الى الغرب فسوف تقع كارثة لا يعلم ابعادها الا الله · وهنا اقترح عليَّ اللواء سعيد الماحي قائد المدفعية ان ادعو الرئيس وأشرح الموقف · لم اتحمس أول الأمر لهذا الاقتراح لأني اعرف وجهة نظر الرئيس السادات منذ الخلاف الذي وقع بيني وبينه في غرفة العمليات يوم ١٦ اكتوبر (قبل ذلك بثلاثة ايام) . ولاعتقادي بأن احمد اسماعيل وهو رجل عسكري قبل ان يكون سياسياً . ما كان ليقبل مثل هذا الموقف لولا انه تحت ضغط سياسي · ولكنني بعد ان فكرت قليلاً قررت ان استدعاء السادات وشرح الموقف امامه سوف يضعه امام مسؤوليته التاريخية · ذهبت الى احمد اسماعيل في غرفته وقلت له « ان الموقف خطير ويجب ان يحضر الرئيس للاستماع الى وجهة نظر القادة » (١) · حاول ان يثنيني عن رأيي وقال ان الوقت متأخر الآن ولا داعي لازعاج الرئيس الآن . ولكنني اصررت على ضرورة حضور الرئيس الى المركز ١٠ فوراً · انها مسؤولية تاريخية ويجب ان يستمع الرئيس الى الموقف العسكري بأمانة · لم اخرج من عند الوزير الا بعد ان وعدني بأنه سيتصل به فوراً ·

- عدت الى غرفة العمليات وبعد دقائق حضر الوزير وأخطرني بأنه اتصل بالرئيس وقد وعد بأنه سيحضر فوراً · اتفقت مع الوزير على ان يحضر هذا اللقاء مع الرئيس كل من : احمد اسماعيل . سعد الشاذلي . محمد علي فهمي . حسني مبارك . عبد الغني الجمسي . سعيد الماحي . فؤاد نصار · وصل رئيس الجمهورية ومعه المهندس عبد الفتاح عبد الله (٢) الى المركز ١٠ حوالي الساعة ٢٢٣٠ يوم ١٩ . وتوجه فوراً الى غرفة احمد اسماعيل حيث بقي معه ما يقرب من ساعة . بينما كنت انا مجتمعاً مع باقي الاعضاء في غرفة المؤتمرات الملاصقة لغرفة العمليات نتبادل وجهات النظر حول الموقف ·

- وفي النهاية دخل علينا الرئيس ومعه احمد اسماعيل والمهندس عبد الفتاح عبد الله · طلب الرئيس الكلمة من المجتمعين واحداً بعد الآخر · وقد قام كل منهم بشرح موقف القوات بأمانة تامة · وبعد ان استمع اليهم جميعاً لم يطلب مني الكلمة وعلّق قائلاً : « لن نقوم بسحب أي جندي من الشرق » لم أتكلم ولم أعلّق · غمزني المهندس عبد الفتاح عبد الله وهمس في اذني « قل شيئاً » ولكني تجاهلت نصيحته · ماذا أتكلم وقد اتخذ الرئيس القرار ولا يريد ان يسمعني · انني أريد ان اسحب ٤ الوية مدرعة من الشرق وهو يعارض سحب جندي واحد · انه لم يتخذ هذا القرار عن جهل بل عن معرفة تامة بالموقف · انه لا يستطيع ان يدعي بعد ذلك بأنه كان يعتقد ان العدو لديه ٧ دبابات في الغرب · انه يعرف الحقائق كلها عن الموقف وهذا هو قراره ·

---

(١) كانت البلاغات الرسمية حتى هذه اللحظة تتكلم عن وجود ٧ دبابات معادية في الضفة الغربية للقنال.

(٢) المهندس عبد الفتاح عبد الله كان يشغل منصب وزير رئاسة الجمهورية . وكان يعمل خلال فترة الحرب مديراً لمكتب الرئيس للشؤون العسكرية .

- يدعي السادات في مذكراته (الصفحة ٣٤٨) بأنني عدت من الجبهة منهارا يوم ١٩ اكتوبر وأنني طالبت « بسحب قواتنا في شرق القناة لأن الغرب مهدد » ويؤسفني بأن أقول ان هذا كذب رخيص . لقد كنا تسعة أشخاص مات واحد وما زال الثمانية الآخرون أحياء . واني اتحدى اذا كان أحد . من هؤلاء الأحياء يستطيع ان يشهد بصدق ما يدعيه السادات . لقد طالبت حقا بسحب جزء من قواتنا من الشرق الى الغرب وكانت مطالبتي بهذه العملية يوم ١٩ اكتوبر هي خامس محاولة حادة لانقاذ الموقف . وكانت هذه المحاولات الخمس كما يلي :

١ عارضت دفع الفرقة ٢١ مدرعة والفرقة ٤ المدرعة من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية يوم ١٢ و ١٣ اكتوبر .
٢ - طالبت يوم ١٥ اكتوبر باعادة الفرقة ٢١ المدرعة والفرقة ٤ مدرعة الى الضفة الغربية بعد فشل هجومنا يوم ١٤ اكتوبر .
٣ - طالبت يوم ١٦ اكتوبر بسحب الفرقة ٤ المدرعة واللواء المدرع ٢٥ من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية . وثار الرئيس في وجهي ثورة عارمة كما سبق ان بينت .
٤ - سحبت دون علم الوزير والرئيس يومي ١٦ و ١٧ اكتوبر وحدات فرعية من كتيبتي قواذف صاروخية موجهة « مالكوتا » كانتا تخصان تشكيلاتنا في الغرب . وسحبت منها قبل بدء العمليات لكي ندعم بها الفرق المشاة المكلفة بالعبور .
٥ - طالبت يوم ١٩ اكتوبر بسحب ٤ ألوية مدرعة من الشرق الى الغرب (١) .

مسؤولية السادات عن حصار الجيش الثالث

- ان شرف القوات المسلحة المصرية وتاريخها الرائع الذي كتبته بدمائها في اكتوبر ٧٣ يتطلبان منا ان نحدد من هو المسؤول الحقيقي عن حدوث الثغرة ولماذا لم تدمر في حينها ؟ ومن هو المسؤول الحقيقي عن حصار الجيش الثالث ؟ ان حصار الجيش الثالث جريمة لا تغتفر وأني اتهم السادات بأنه هو المسؤول الاول عنها . يقول السادات في مذكراته صفحة ٣٥٣ بأنه أمر قائد الجيش الثالث بألا يسمح للعدو بتحقيق أي تقدم نحو الجنوب وان قائد الجيش الثالث أهمل تنفيذ ذلك . هذا كلام غريب لا يعتمد على المنطق او العلم العسكري كيف يستطيع قائد الجيش ان يمنع العدو من التقدم جنوبا في الوقت الذي لا يستطيع ان يسحب جندي او اية بندقية من الشرق ولا يملك في الغرب سوى لواء مشاة مقابل فرقتين مدرعتين للعدو ؟ لا اعتقد ان عاقلا يمكنه ان يلوم قائد الجيش الثالث على ذلك .

- ومن الغريب حقا ان السادات يعترف في مذكراته (صفحة ٣٥٠ و ٣٥١) انه قرر في هذه الليلة ان يطلب وقف اطلاق النار ولكنه يعطي لذلك أسبابا ومسوعات غريبة . لو انه أخذ برأيي يوم ١٣ و ١٥ و ١٦ اكتوبر لما ظهر موقف يوم ١٩ اكتوبر . ولو اخذ برأيي يوم ١٩

(١) اذكر القارىء انه بعد سحب هذه القوات فان مواقعنا في الشرق تبقى سليمة وقوية ويدافع عنها ١٨ لواء مشاة و ٣٢ كتيبة دبابات و ٥ كتائب BMP و ٥ كتائب مقذوفات موجهة مالوتكا و ٥ كتائب مدفعية مضادة للدبابات وحوالي ٤٠٠ مدفع مضاد للدبابات ب ١٠ و ب ١١ وحوالي ٢١٠٠ مدفع RPG و ٦٠ كتيبة مدفعية ميدان عيار ١٠٠ مم / ١٢٢ مم و ١٥ كتيبة هاون ثقيل عيار ١٢٠ ملم / ١٦٠ مم .

اكتوبر لما كان له حاجة الى طلب وقف اطلاق النار ولأصبح في امكاننا ان نقاتل ونمنع العدو من حصار الجيش الثالث وندمر قوات العدو غرب القناة بدلا من ان يطلب وقف اطلاق النار وهو في موقف ضعف . لقد رفض السادات وقف اطلاق النار عندما كنا في موقف قوة وطلب وقف اطلاق النار عندما أصبحنا في موقف ضعف . ان هذا يدل على انه لا يستطيع ان يرى او يتصور المستقبل . انه يعيش حاضره وماضيه فقط . وليس هذا من صفات الرجل السياسي المحنك . لقد كان اقتراحي الخاص بسحب ٤ ألوية مدرعة من الشرق ليلة ١٩ / ٢٠ اكتوبر هي الفرصة الأخيرة لانقاذ الشرف العسكري المصري . لقد فقدنا المبادرة نهائيا بعد ذلك وحتى نهاية الحرب .

حصار الجيش الثالث ومدينة السويس

- في خلال ليلة ١٩ / ٢٠ اكتوبر والليلة التالية دفع العدو بفرقة مدرعة ثالثة الى الغرب بقيادة الجنرال ماجن MAGEN . كانت فرقة شارون تضغط شمالا في اتجاه الاسماعيلية وفي مواجهتها اللواء المظلي ١٥٠ . والى الغرب والجنوب كانت فرقة برن وفرقة ماجن تضغطان على الفرقة الرابعة المدرعة بقيادة قابيل . كان قابيل يقاتل تحت ظروف سيئة جدا كانت المواجهة واسعة جدا والارض مناسبة للمدرعات مما يسمح لمدرعات العدو بالتسرب وتفادي المواقع التي تريد ان تتفاداها . كانت القوات الجوية الاسرائيلية تقدم معاونة فعالة للوحدات المدرعة وكانت تسيطر على سماء المعركة غرب القناة وعندما دفعنا بقواتنا الجوية لاعتراض طائرات العدو في منطقة المعارك غرب القناة يوم ٢١ اكتوبر . قامت القوات الجوية الاسرائيلية باسقاط عشر طائرات لنا في معركة جوية واحدة . وبالاضافة الى هذا التفوق الجوي الساحق فقد كان العدو يتفوق أيضا في المدرعات غرب القناة بنسبة تزيد عن ٣ : ١ .

- على الرغم من تلك الظروف السيئة كلها لم يكتسب العدو الكثير من الارض خلال قتاله الايام ٢٠ و ٢١ و ٢٢ . ففي الشمال لم تستطع فرقة شارون الوصول الى ترعة الاسماعيلية . وفي الجنوب توقفت فرقة برن عند جنيفة . والى الغرب والشمال منها فرقة ماجن . والى الغرب وصلت دبابات العدو الى حوالي ١٥ كيلومترا غرب القناة . لم يكن العدو يسيطر على هذه المنطقة بل كان ما يزال بداخلها بعض وحدات المشاة وكتائب سام التي تفادتها القوات المدرعة وبالتالي فلم يكن هناك خطوط دفاعية . ان وحداتنا التي تركها العدو خلفه تتحكم في خطوط مواصلات دباباته وفي الوقت نفسه فان دبابات العدو أصبحت تتحكم في خطوط مواصلات وحداتنا التي تركتها الدبابات المعادية في الخلف . كان هذا هو الموقف عندما أصبح وقف اطلاق النار نافذ المفعول الساعة ١٨٥٢ يوم ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ (١) . وقبل وقف اطلاق النار ببضع دقائق أطلقنا ٣ قذائف من صواريخنا R 17 E (scud) على العدو في منطقة الدفرسوار . وقد تم اطلاق هذه القذائف بناء على اوامر من السادات واعلن لوسائل الاعلام بأنها « القاهر » الذي تم تصنيعه في مصر . كان السادات يريد ان يوهم اسرائيل بأن لديه الأسلحة التي يستطيع ان يضرب بها العمق الاسرائيلي . وقد كرر هذا القول في مذكراته في

---

(١) موقف قوات العدو غرب القناة انظر الخريطة رقم 6

صفحة ٣٩٠ . اذ قال انه عندما قابل كيسنجر يوم ١٣ ديسمبر ١٩٧٣ قال له : « كان في امكاني ان اضرب في عمق اسرائيل وهي تعلم ذلك وتعلم انت ان لدي السلاح الذي يقوم بذلك » (١) .

ـ ولكي يفاوض الاسرائيليون من موقف قوة ولكي يملوا شروطهم على السادات استأنفوا القتال صباح يوم ٢٣ اكتوبر بهدف اتمام حصار الجيش الثالث وبحجة ان الجيش الثالث انتهك قرار وقف اطلاق النار · لقد اعتمدت عملياتهم يوم ٢٣ اكتوبر على عنصر المفاجأة والعامل النفسي الذي يدفع الفرد الى التراخي بعد فترة مرهقة من القتال المستمر لعدة ايام متتالية وفوق هذا وذاك تفوقهم العسكري الواضح في الدبابات وفي الطيران في المنطقة التي اختاروها لقتالهم·لقد ثبتوا الفرقة الرابعة المدرعة بأحد ألويتهم المدرعة واندفعوا جنوباً بثلاثة ألوية مدرعة ضد لا شيء·ضد وحدات اداريه ومعسكرات نقاهة الخ · قاموا بتطويق مدينة السويس واستمروا جنوبا على خليج السويس حتى وصلوا الى ميناء الأدبية التي تقع جنوب مدينة السويس بـ ١٥ كيلومترا فوصلوها منتصف الليل وكانت الدبابات تضيء كشافاتها وكأنها في طابور استعراض ليلي · كان الجنود المصريون في بعض المواقع المنعزلة يتمرحون على هذا القول من الدبابات وهو يسير على طريق الأسفلت على شكل قطار فردي (دبابة وراء أخرى) وانوارها مضاءة ولا يتصور أي منهم ان تلك دبابات معادية . فلا هي تطلق النار على أحد ولا أحد يطلق عليها النيران · ان الاسرائيليين يصمون هذه العملية في كتبهم التي نشرت بعد الحرب « الاندفاع المدرع الجريء نحو الجنوب » أية شجاعة وأية جرأة هذه ، أين كانت هذه الجرأة قبل ذلك ، ان فرقة شارون المدرعة ومعها لواء مظلي ظلت تقاتل لواء مظليا مصريا لمدة اسبوع كامل ولم تستطع ان تكسب أكثر من عشرة كيلومترات · ان فرقة برن هي الأخرى تقاتل منذ اسبوع وانضمت اليها فرقة ماجن منذ يومين ولم تستطع الفرقتان المدرعتان ان تتقدما اكثر من ٢٠ كيلومترا الى الجنوب من الدفرسوار · وبعد ان يعلن وقف اطلاق النار فان الجرأة والاقدام يحلان بالاسرائيليين فجأة فيتقدموا حوالي ٣٥ كيلومترا في يوم واحد هو يوم ٢٣ اكتوبر !!

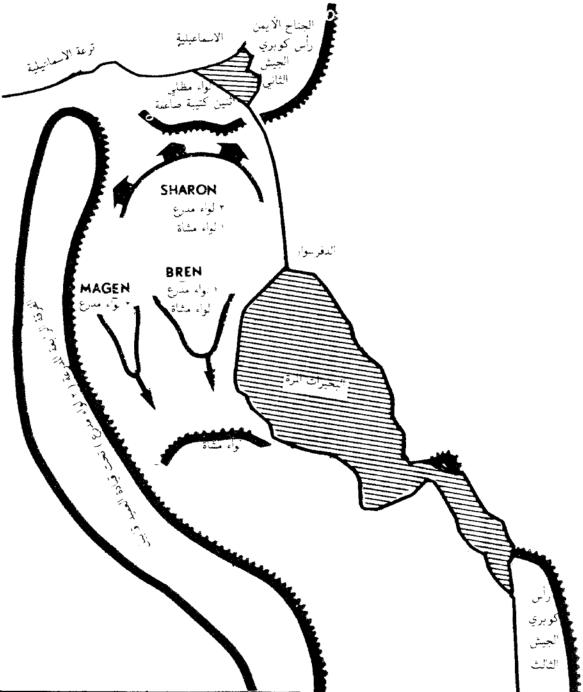
ـ ان من يريد ان يقوم بأي عمل فانه يستطيع دائما ان يجد المسوغ لذلك · لقد ادعت اسرائيل عام ١٩٦٧ أننا بدأنا القتال ولم يكن ذلك صحيحا · وادعت مصر عام ١٩٧٣ ان اسرائيل هي التي بدأت القتال ولم يكن ذلك صحيحا ايضا · وقد اعترف كل منا بالحقيقة بعد ذلك · ولذلك فأني لا الوم اسرائيل على ادعائها يوم ٢٣ اكتوبر بأنها استأنفت القتال مدعية كذبا بأن الجيش الثالث كسر وقف اطلاق النار . ولكني ألوم الجنرال دايان على استمراره في هذا الادعاء الباطل وذلك في مذكراته التي نشرت عام ١٩٧٥ · ان الامانة التاريخية كانت تفرض عليه ان يقول الحقيقة ولكنه لم يقلها · ومع ذلك فأن في مذكرات دايان ما يفضح بطلان ادعائهم · يقول دايان « انه طالب الجنرال بارليف قائد الجبهة الجنوبية صباح يوم ٢٣ اكتوبر بضرورة احتلال جبل عتاقة قبل وقف اطلاق النار »(٢) ·

---

(١) سبق ان تكلمنا عن هذا الموضوع في الفصل التاسع من الباب الثاني ان هذا الكلام لا يمكن ان يخدع كيسنجر او وكالة المخابرات المركزية الاميركية CIA و طائرات الاستطلاع الاميركيةSR-71Aاو اقمار التجسس الاميركية او اسرائيل . ان المقصود بهذا الكلام هو خداع الشعب المصري فقط وبعض الاخوان العرب الذين يصدقون ما يقوله لهم السادات .

(٢) انظر الصفحة رقم 441 من الترجمة الانجليزية .

الخريطة رقم ٦
الموقف مساء يوم ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣



منطقة العمليات	قواتنا لواء مشاة	العدو لواء مدرع	كتيبة مدرعة	لواء مشاة	لواء مدرع	نسبة المدرعات
الدفرسوار	٢	٢		٢	٦	٣ :
الجيش الثاني	١٠	٤	١٢	٦	٢	١ :
الجيش الثالث	٨	١	١٠	٢	١	١ :
اجمالي	٢٠	٧	٢٢	٦	٩	١ :

ويقول أيضا « وبوصول قواتنا الى ميناء الادبية واشتراك قواتنا البحرية في اغلاق الممر المائي الى السويس . تم حصار الجيش الثالث ومدينة السويس من هذا الاتجاه » لقد كان الهدف اذن هو حصار الجيش الثالث قبل وقف اطلاق النار حتى يمكن التفاوض والمساومة من موقف قوة . فلما لم تتمكن القوات الاسرائيلية من تنفيذ ذلك قبل وقف اطلاق النار يوم ٢٢ اكتوبر كان لا بد من تنفيذ المهمة حتى بعد وقف اطلاق النار .

- فوجئت الحامية البحرية في الادبية بدخول الدبابات عليها فنشبت معركة قصيرة غير متكافئة بين رجال البحرية وبين دبابات العدو . وتمكنت الزوارق السريعة من الهرب . وبعد ان اتضحت صورة الموقف قرر قائد قطاع بير عديب القيام بهجوم مضاد فجر يوم ٢٤ اكتوبر لاسترداد القاعدة . وفي الصباح قامت قوة تقدر بسرية مشاة يدعمها ٧ دبابات ت ٣٤ بمهاجمة القاعدة . وعلى الرغم من صغر حجم هذه القوة المهاجمة فقد طلب العدو الذي يحتل الميناء معاونة جوية . هاجم العدو القوة وأصاب دباباتنا السبع اصابات مباشرة وأصيبت سرية المشاة بخسائر جسيمة . عندما زرت هذا المكان بعد أيام قليلة وقفت خاشعا امام تلك الدبابات المحترقة التي تشهد بشجاعة واقدام الجندي المصري . التي ظهرت بأحلى صورها خلال حرب اكتوبر ٧٣ .

- وبحلول يوم ٢٤ اكتوبر اصبح الموقف سيئا للغاية . لقد اتم العدو حصار قوات الجيش الثالث التي شرق القناة وعزلها عن مركز قيادة الجيش الثالث التي كانت غرب القناة . وقد هاجمت دبابات العدو مركز قيادة عبد المنعم واصل ودمرته ونجا هو باعجوبة . لقد اصبحت فرقتا مشاة مدعمتان قوامهما حوالي ٤٥٠٠٠ ضابط وجندي ومعهم حوالي ٢٥٠ دبابة ومن خلفهم مدينة السويس, اصبح هؤلاء كلهم محاصرين حصارا تاما . وقد اصبحت هذه القوة كلها خارج امكانيات شبكة الدفاع الجوي SAM وبالتالي اصبحت هذه مهددة بالقصف الجوي المعادي دون اية فرصة لردع الطائرات المهاجمة . لم يكن لدينا في الغرب القوات الكافية التي تسمح لنا بفك الحصار . كان العدو يعلم هذه الحقائق كلها فقامت القوات الجوية المعادية يوم ٢٤ اكتوبر بهجوم مركز على الجيش الثالث وقامت خلال هذه الغارات بتدمير وسائل العبور جميعها من كباري ومعديات كانت ما تزال في منطقة الجيش . وبذلك قضت نهائيا على اية فرصة لانسحاب هذه القوات .

- لقد كان القضاء على الثغرة يوم ١٦ اكتوبر سهلا ميسورا . لو لم يثر السادات في وجهي وكأنني ارتكبت حماقة . وفي يوم ١٩ اكتوبر كان الموقف ما يزال تحت سيطرتنا ويمكن القضاء على الثغرة لو ان السادات اخذ برأيي ولم يرفض سحب جزء من قواتنا في الشرق. ان في ذلك لعبرة ودرسا لمصر وابنائها . انه درس قاس دفعت مصر والعرب ثمنا غاليا له . ولكنه درس على اي حال . ان السادات هو احد مئات من حكام مصر الذين حكموا هذه البلاد عبر ٧٠٠٠ عام . سيذهب ويجيء من بعده مئات آخرون . وستبقى مصر شامخة عزيزة الجانب وسيشهد التاريخ ان حرب اكتوبر ٧٣ قد ابلى فيها الجندي المصري احسن بلاء وان الضباط والجنود جميعا قد بذلوا جهدهم وأدوه اروع اداء الا ان حاكم مصر في ذلك الوقت . المتعطش الى السلطة وحب الظهور . حول نصرهم الى هزيمة .

ـ بينما كانت اسرائيل تدفع فرقتين مدرعتين صباح يوم ٢٣ اكتوبر لاتمام حصار الجيش الثالث كان كيسنجر وزير خارجية اميركا يغمض عينيه وكأن طائرات الاستطلاع والاقمار الصناعية الاميركية قد فقدت بصرها . كان كيسنجر يهدف من وراء ذلك ان يساعد ابناء عمومته في اسرائيل كي يصلوا الى موقف يستطيعون منه ان يفاوضوا من موقف قوة . وهكذا لم يجد السادات من يلجأ اليه في ذلك الوقت سوى الاتحاد السوفياتي . لجأ السادات الى الاتحاد السوفياتي مرة اخرى بعد ان لجأ اليه يوم ١٩ اكتوبر . وبعد ان كان يرفض وساطته منذ بدء القتال وحتى يوم ١٨ اكتوبر . لجأ يطلب منه العون فاستجاب له الاتحاد السوفياتي . وفي صباح يوم ٢٤ اكتوبر انتقد الاتحاد السوفياتي اسرائيل وهاجم اميركا بصمة علنية في الامم المتحدة وأتهمها بأنها بينما تتظاهر بأنها تؤيد قرار وقف اطلاق النار في الامم المتحدة فأنها تشجع اسرائيل في اعتداءاتها وتمدها بأسلحة بلغ ثمنها ٢٢٠٠ مليون دولار (١) . وفي اليوم نفسه رفع الاتحاد السوفياتي درجة الاستعداد لـ ٦ فرق جنود مظلات قوامها ٤٥٠٠٠ رجل . وفي اليوم نفسه سلمت رسالة الى نيكسون من بريجنيف وصفها بعضهم بالانذار ووصفها آخرون بالعنف الشديد . وعلى الرغم من ان الرسالة لم تنشر بكاملها فقد عرف بعض محتوياتها وفيها يقول « سوف اقولها بصراحة . اذا لم يكن من الممكن ان تعملوا معنا في هذا الموضوع . فقد نجد انفسنا امام موقف يضطرنا الى اتخاذ الخطوات التي نراها ضرورية وعاجلة . لا يمكن ان يُسمح لاسرائيل بأن تستمر في عدوانها هكذا » .

ـ وبعد وصول هذه الرسالة الشديدة اللهجة قام نيكسون برفع درجة الاستعداد في القوات المسلحة الاميركية في جميع انحاء العالم . وبدا الموقف وكأن الدولتين العظميين على وشك المجابهة واصيب العالم بالذعر وكأن الحرب العالمية الثالثة على وشك الحدوث . وبضغط خفيف من اميركا ـ وبعد ان اتمت اسرائيل حصار الجيش الثالث ـ قبلت اسرائيل ايقاف اطلاق النار مساء يوم ٢٤ اكتوبر ولكنها عارضت الالتزام بقرار مجلس الأمن رقم ٣٣٩ لأنه ينص على ان تسحب القوات المتحاربة فورا الى خطوط يوم ٢٢ اكتوبر . وكانت معارضة اسرائيل لهذه النقطة بالذات هي بحجة انها لا تعرف بالضبط ولا يمكن لأحد ان يحدد بالضبط اين كانت خطوط يوم ٢٢ اكتوبر !! مرة اخرى فأنا لا الوم اسرائيل على ادعائها بأنها لا تعرف اين كانت خطوط يوم ٢٢ اكتوبر ولا ألوم اميركا ايضا على سكوتها على هذا الادعاء . ان ذلك كله هو جزء من قواعد اللعبة السياسية . اللعبة التي لا تعتمد الا على القوة .

ـ وعلى الرغم من اعلان اسرائيل قبولها وقف اطلاق النار الثاني الذي اصبح ساري المفعول اعتبارا من مساء ٢٤ اكتوبر . فأنها استمرت في عملياتها ضد قوات الجيش الثالث ومدينة السويس طوال الايام ٢٥ ، ٢٦ و ٢٧ اكتوبر . كان الاسرائيليون يأملون بذلك ان يستسلم

---

(١) ـ بدا الكوبري الجوي الاميركي بامداد اسرائيل بالاسلحة يوم ١٤ اكتوبر واستمر حتى ١٤ نوفمبر ١٩٧٣ .

الجيش الثالث المحاصر وان يدخلوا مدينة السويس قبل ان تصل قوات الامم المتحدة . ولو قدر لهم ان يحققوا ما كانوا يهدفون اليه لادعوا انهم استولوا على الجيش الثالث يوم ٢٢ اكتوبر . وهذا يفسر مرة اخرى لماذا ادعت اسرائيل في الامم المتحدة يوم ٢٤ اكتوبر بأن خطوط وقف اطلاق النار يوم ٢٢ اكتوبر لم تكن معروفة .

- وهكذا قام الاسرائيليون بهجمات جوية مكثفة ضد وحدات الجيش الثالث المحاصرة والتي كانت قد اصبحت خارج مظلة دفاعنا الجوي . واستخدم الاسرائيليون لأول مرة انواعا جديدة من صواريخ جو - ارض لم تكن لديهم عند بداية الحرب . لقد توالت البلاغات بأن بعض الدبابات المخندقة اصيبت اصابات مباشرة بواسطة الصواريخ جو - ارض . وهنا ثبت لنا ان العدو قد بدأ يستخدم الصواريخ الاميركية الحديثة ماڤريك Maverick التي وصلت اليه ضمن الجسر الجوي الاميركي . ولكن تلك الهجمات الجوية لم تؤثر في معنويات الوحدات المحاصرة فقد سبق لها ان تعودت عليها خلال فترة حرب الاستنزاف ٦٨ - ٧٠. وصمدت وحدات الجيش الثالث ولم تستطع اسرائيل ان تحقق هدفها .

العدو يحاول احتلال مدينة السويس

- وفي يوم ٢٤ اكتوبر هاجم الاسرائيليون مدينة السويس مستخدمين في ذلك ثلاثة الوية مدرعة ولواء مظليا . ولكن مدينة السويس التي لم يكن بها اية وحدات عسكرية قاومت الهجوم وصدته . لم يكن بالمدينة اية وحدات عسكرية ولكن بعض الجنود الشاردين نتيجة القتال الذي دار في يوم ٢٣ اكتوبر توافدوا الى المدينة وليس معهم سوى سلاحهم الشخصي البندقية (الرشاش الخفيف) (ر ب ج) وبمبادرة من العميد يوسف عفيفي قائد الفرقة ١٩ مشاة التي كانت شرق القناة . وبالتعاون مع محافظ مدينة السويس قام الطرفان بتجهيز المدينة للمقاومة خلال يوم ٢٣ اكتوبر . لقد تم تجميع الجنود الشاردين وتنظيمهم في مجموعات صغيرة . وتم توزيع السلاح على الاهلين المدنيين . وقام العميد يوسف عفيفي بسحب بعض جماعات اقتناص الدبابات من الشرق ونقلها الى المدينة في الغرب . وقبل فجر يوم ٢٤ اكتوبر كانت المدينة قد جهزت نفسها للقاء العدو .

- في حوالي السابعة من صباح يوم ٢٤ اكتوبر وبعد قصف مكثف من المدفعية والطيران بدأ العدو هجومه على مدينة السويس . لواء مدرع يتقدم من الشمال على محور الإسماعيلية السويس . لواء مدرع مدعم بكتيبة مظلات يتقدم على محور القاهرة السويس . لواء مدرع يتقدم من اتجاه الزيتية (اتجاه جنوب وجنوب شرق) . فشل هجوم اللواء المدرع الذي على المحور الشمالي ولم يستطع دخول المدينة . بينما نجحت دبابات العدو التي تهاجم على المحورين الغربي والجنوبي في الدخول الى شوارع المدينة ودار قتال عنيف مع العدو كان السلاح الرئيسي فيه هو ر ب ج R P G والأسلحة الصغيرة . وخسر العدو الكثير من الدبابات واضطر إلى الانسحاب من المدينة قبل حلول الظلام تاركاً خلفه دباباته المحطمة ومجموعة كبيرة من المظليين المحاصرين داخل المدينة . وقد حاول العدو سحب هذه القوة المحاصرة خلال الليل تحت ستار عنيف من قصف المدفعية فأفلت بعضهم وسقط الكثيرون .

قتلى . لقد خسر العدو في محاولته احتلال السويس ١٠٠ قتيل وحوالي ٥٠٠ جريح وعلى الرغم من أنه استخدم فرقة مدرعة من ثلاثة ألوية مدرعة ولواء مظلي فقد صد هجومه سكان السويس وحفنة من الجنود الشاردين . إن ملحمة السويس هي شهادة أخرى للمواطن المصري ومدى قدرته على التحمل والتحدي وقت الشدائد .

ـ ولكي يغطي العدو خيبة الأمل التي أصيب بها بعد فشل هجومه على السويس أطلق على المدينة الباسلة قواته الجوية ومدفعيته واستمر بقصفها طوال الأيام ٢٥ ،و٢٦ و٢٧ اكتوبر . ولم يتوقف القصف الا صباح يوم ٢٨ اكتوبر بعد وصول قوات الأمم المتحدة إليها . لقد بلغت خسائر الجيش الثالث ومدينة السويس نتيجة قصف الطيران والمدفعية خلال الفترة من ٢٤ ـ ٢٧ اكتوبر حوالي ٨٠ شهيداً و٤٢٥ جريحا .

(الفصل الخامس والثلاثون)

مأساة الجيش الثالث

صدام آخر بين أحمد اسماعيل والشاذلي

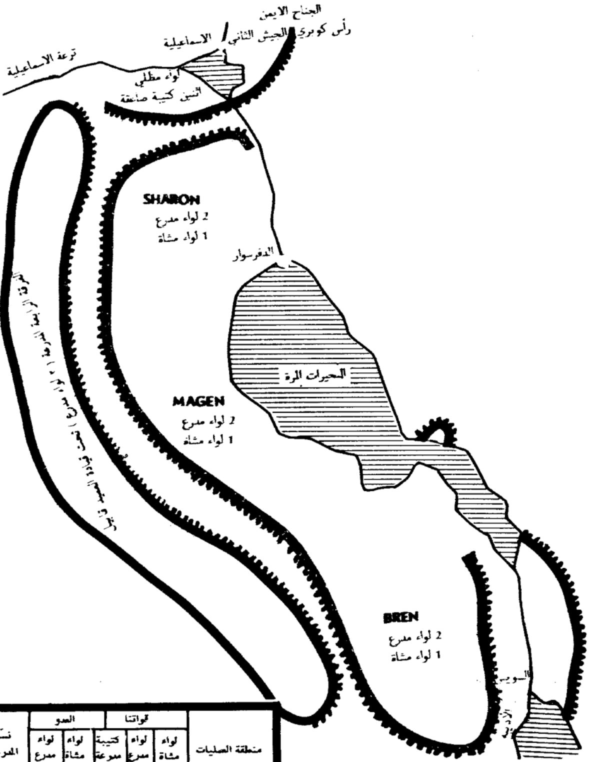
ـ في الساعة ١١٠٠ يوم ٢٥ اكتوبر اجتمع المجلس الأعلى للقوات المسلحة برئاسة السيد الوزير لأول مرة منذ اندلاع القتال . كان الموضوع الرئيسي للمناقشة هو كيف يمكن اعادة فتح الطريق الى الجيش الثالث . وقد تكلم المجتمعون كلهم بإخلاص تام . ولكننا لم نستطع الوصول الى أي حل وانفض الاجتماع على أساس اجراء الدراسات اللازمة حول هذا الموضوع (انظر الخريطة رقم 6) .

ـ في الساعة ١١٠٠ يوم ٢٦ اكتوبر حضر العميد قابيل قائد الفرقة الرابعة المدرعة الى المركز ١٠ ليعرض نتيجة دراسته . كان تقرير العميد قابيل . يؤيده في ذلك اللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث . هو أن الفرقة الرابعة المدرعة لا تستطيع أن تقوم بتنفيذ هذه المهمة . كان كلام قابيل وعبد المنعم واصل كلاماً منطقياً يعتمد على قواعد وأصول العلم العسكري ولم أكن أنا شخصياً أتوقع غير ذلك منذ يوم ٢٣ اكتوبر ولكن الوزير أخذ يحاور قابيل محاورات غريبة . وهنا قال قابيل « إنني وضباط وجنود الفرقة جميعهم مستعدون للقيام بهذه العملية الانتحارية ولكني لا أعتقد أننا سننجح في فتح الطريق الى القوات المحاصرة بعد ذلك كله . وادا دمرت هذه الفرقة فسيكون الطريق مفتوحاً أمام العدو الى القاهرة » .

ـ قال الوزير « ادن نعدل المهمة من فتح طريق السويس الى حماية قوات ادارية تتحرك من القاهرة الى الجيش الثالث عبر المسالك والطرق الثانوية » كدت أصعق وأنا استمع الى الوزير وهو يدلي بهدا القول . ان مثل هذا الكلام لا يمكن أن يصدر من شخص بكامل قواه العقلية . أنه كلام غير منطقي اطلاقا فكيف يصدر من وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة [١]

١ ـ ان الحد الأدنى لمطالب الجندي من التعيينات والمياه وقت الحصار هي ٣,٥ كيلوجرام في اليوم . وهذا يعني ان القوات المحاصرة ـ عدا المدنيين الموجودين في مدينة السويس ـ تحتاج الى ١٥٠ طن يوميا لكي لا يموت الجنود جوعا وعطشا .

الخريطة رقم ٧
الموقف صباح يوم ٢٥ اكتوبر ١٩٧٣



منطقة العمليات	قواتنا			العدو		نسبة المدرعات
	لواء مشاة	لواء مدرع	كتيبة مدرعة	لواء مشاة	لواء مدرع	
الجيب الاسرائيلي	٢	٢		٣	٦	٣ : ١
الجيش الثاني	١٠	٤	١٢	٢	٢	١ : ٤
الجيش الثالث	٨	١	١٠	٢	١	١ : ٤
اجمالي	٢٠	٧	٢٢	٧	٩	١ : ١٫٥

٢ - ان استخدام المسالك والأرض المفتوحة يتطلب عربات ذات جنازير حتى يمكنها عبور الأراضي المفتوحة ومجاري السيول ولو حملت كل من هذه العربات ١,٥ طن فإننا نحتاج الى حوالي ١٠٠ عربة مجنزرة على الأقل لتنقل احتياجات يوم واحد . بفرض أنها جميعاً ستصل سليمة ولن ينجح العدو في تدمير أية منها .

٣ - ان العدو يتمتع بالسيطرة الجوية في تلك المنطقة ويستطيع أن يكشف أية تحركات بالجملة عبر هذه المسالك ويقوم بتدميرها .

٤ - ان مخارج هذه الأراضي المفتوحة جميعها يجب أن تمر في النهاية خلال المنطقة ما بين جبل عتاقة وجبل جنيفة أو ما بين جبل جنيفة والبحيرات المرة . وهي مناطق يسيطر عليها العدو .

٥ - من غير المعقول أن تقوم بهذه المقامرة من أجل ارسال احتياجات يوم واحد . فلو فرضنا إمداد القوات المحاصرة باحتياجات سبعة أيام فإننا نحتاج الى ٧٠٠ مركبة مجنزرة للقيام بهذه المهمة الادارية . وهذا رقم كبير غير متيسر . ولو تيسر واستخدمنا مثل هذا الاستخدام الساذج لكان سُبَّةً في جبيننا .

٦ - اذا كانت الفرقة الرابعة المدرعة لا تستطيع أن تفتح الطريق وحدها فكيف نحملها مسؤولية عبء ثقيل وهو حماية ٧٠٠ مركبة تحمل مطالب أدارية ؟

٧ - هل نترك الباب مفتوحاً الى القاهرة بينما تكون الفرقة الرابعة المدرعة مشغولة بهذه العملية ؟

- عارضت الوزير ولكنه أصر وطلب الي أن اصدر أمراً كتابياً الى قائد الفرقة بتنفيذ هذه المهمة فرفضت وقلت له « لن أوقع بإمضائي على هذه المهمة . يمكنك أن توقع على هذا الأمر وحدك إن شئت » . وهنا لجأ الوزير الى مناقشات غير منطقية الهدف منها تسجيل مواقف فقال « أنا لا أفهم ماذا تريد بالضبط ؟ هل تريد لهؤلاء الرجال المحاصرين أن يستسلموا ؟ » فأجبت « بالطبع لا أريد ذلك ولكن في الوقت نفسه لا أريد أن نفقد الفرقة الرابعة المدرعة دون أن يتغير الموقف في شيء » فقال « يجب ألا نقول هذا الكلام في حضور قائد الفرقة المكلف بهذه المهمة (١) !! » قلت « انني أبدي رأيي بصراحة تحتمها عليَّ مسؤوليتي وعموماً هناك تقرير مكتوب من قائد الجيش الثالث يتفق مع وجهة نظري . » قال الوزير « اذا لم توقع على الأمر للفرقة الرابعة لتنفيذ هذه المهمة فسوف أقوم بإخطار الرئيس بذلك » أجبت بهدوء « يمكنك أن تفعل ذلك بكل تأكيد » قام الوزير بتوقيع الأمر بعد ذلك وسلمه الى العميد قابيل (٢) . ولكن المهمة ألغيت بعد ذلك ولم تنفذ قط . ربما لأن الوزير لم يستطع ان يتحمل وحده مسؤولية هذه العملية الطائشة .

---

(١) حضر هذا اللقاء علاوة على الوزير وأنا والعميد قابيل كل من اللواء عبد الغني الجمسي ، اللواء سعيد الماجي ، اللواء نصار .

(٢) يدعي الرئيس السادات في مذكراته في الصفحة ٣٤٩ بأنه قال للعميد قابيل « ثبت الاسرائيليين ولا تجعلهم يتمكنون من التوسع واياك أن تشتبك معهم إلى أن تصلك الإمدادات !! » ان الرئيس لم يذكر تاريخ هذا الأمر وان كان يفهم من المذكرات أن ذلك كان في الساعات الأولى من يوم ٢٠ أكتوبر . كلام مشوش وغير مفهوم . وإننا نسأل السادات سؤالاً صريحاً في أي تاريخ أصبح قابيل قادراً على العمل ضد العدو في الغرب ؟

- في الساعة ٢٣٠٠ من يوم ٢٦ اكتوبر وصل الى القاهرة الدفعة الأولى من قوة الطوارىء الدولية وكان عددها ٥٠ فرداً . واعتباراً من الساعات الأولى من يوم ٢٧ اكتوبر وضعت الأطراف جميعها أوراقها على المنضدة . ذهب الوزير لمقابلة الرئيس في الساعة الرابعة صباحاً وعاد حوالي السادسة . وأدلى بالتعليمات التالية :

١ - لقد تلقى الرئيس رسالة من الرئيس نيكسون يخطره بأنه سوف يكون هناك حلٌ مشرّف لمشكلة الجيش الثالث .

٢ - يجب أن نوقف النشاطات العسكرية جميعها اعتباراً من الساعة ١٣٠٠ اليوم .

٣ - يدفع اليوم رتل من الحملة يحمل المطالب الادارية للجيش الثالث . يتحرك في الساعة ١٣٠٠ .

٤ - تبدأ المفاوضات اليوم الساعة ١٥٠٠ عند علامة الكيلو ١٠١ طريق مصر - السويس ويرأس الوفد المصري اللواء عبد الغني الجمسي رئيس هيئة العمليات .

- ومنذ هذه اللحظة - من الناحية الواقعية منذ ٢٣ اكتوبر - أصبح الجيش الثالث رهينة في يد اسرائيل وفي يد كيسنجر . لقد اصبح مصير الجيش الثالث مرتبطاً بمدى المطالب التي تطلبها اسرائيل وأميركا ومدى خضوع السادات لهذه المطالب . وقد استغلت كل من اسرائيل واميركا هذه الرهينة أحسن استغلال كما سوف نرى .

مفاوضات الكيلو ١٠١

- كان المصريون يستعجلون الأمور . وكان الاسرائيليون يعلمون ذلك فيتعمدون تأخير كل شيء وتعطيل كل شيء . لقد أصبحت المعركة الآن معركة سياسية وأصبح من بيده امداد الجيش الثالث بكسرة خبز واحدة هو كيسنجر . كان كيسنجر يعلم تلك الحقيقة وكان يعلم أيضاً أن السادات هو الآخر يعلمها . ولكنه كان يريد أن يذكر السادات بهذه الحقيقة باستمرار حتى يستطيع أن يسيطر عليه سيطرة تامة .

- كانت الخطة التي وضعها كيسنجر مع اسرائيل تتلخص فيما يلي :

١ - كلما طالت مدة حصار الجيش الثالث كان ذلك أفضل . حيث أن ذلك سيعطي اسرائيل وأميركا فرصة أفضل لتحقيق مطالبهما .

٢ - يتم امداد الجيش الثالث من أضيق الحدود بحيث يكون دائماً « من اليد الى الفم » وليس لديه أي احتياطي من التعيينات أو الاحتياجات . ومن هنا يصبح كل يوم يمر عنصر ضغط سياسي على السادات وكأنه يقول له « توافق على هذا الطلب أم نمنع مرور قول التموين الى الجيش الثالث ؟ » .

٣ - ان مصر يجب أن تدفع بسخاء لكل من اسرائيل واميركا ثمناً لانقاذ الجيش الثالث . كان الثمن الذي تريده اميركا هو طرد النفوذ السوفياتي من المنطقة . والغاء الحظر الذي فرضته الدول العربية على امداد اميركا والدول الغربية بالوقود . أما لاسرائيل

فكانت مطالبها كثيرة ومتعددة كما سوف نرى . وكان أهم ما فيها هو اتفاقية يناير ٧٤ الخاصة بفض الاشتباك الأول والتي تعهدت فيها مصر بسحب قوات الجيشين الثاني والثالث من المنطقة شرق القناة وذلك فيما عدا ٧٠٠٠ جندي و ٣٠ دبابة فقط .

- بدأت مرحلة ابتزاز النظام المصري واستغلال وجود الجيش الثالث كرهينة اعتباراً من صباح يوم ٢٧ اكتوبر . ففي هذا اليوم وبناء على اتفاق السادات وواشنطن تحرك قول اداري من القاهرة لامداد الجيش الثالث . كان القول الأداري مكوناً من ١٠٩ عربات تحمل ١٠٠٠ طن من الاحتياجات من مواد الاعاشة وكان معه ٣٠ عربة اسعاف لاخلاء الجرحى . ولكن الاسرائيليون رفضوا السماح له بالمرور كذلك ذهب الجمسي الى الكيلو ١٠١ طريق السويس ولكنه عاد لأنه لم يجد أحداً يريد استقباله . واهترت اسلاك الهاتف بين القاهرة وواشنطن وتل أبيب ثم قيل للجمسي اذهب مرة أخرى وميعاد المقابلة هو منتصف الليل . وذهب الجمسي الى الكيلو ١٠١ مرة أخرى ولكنه عاد أيضاً دون أن يقابله أحد . واهتز الهاتف مرة أخرى بين القاهرة وواشنطن وبعد سلسلة من التأجيلات وافق الجانب الاسرائيلي على استقبال الجمسي عند علامة الكيلو ١٠١ الساعة ١٢٠٠ يوم ٢٩ اكتوبر ٧٣ .

أما بخصوص امداد الجيش الثالث فقد أثاروا الكثير من العقبات وفرضوا الكثير من القيود التي قبلها الجانب المصري بأكملها لأنه لم يكن لديه أية فرصة للمساومة (١) .

أ - قالوا أنهم لن يسمحوا الا بمرور الامدادات الطبية فقط وبعد مناقشات مطولة وافقوا في الساعة ١٧٠٠ يوم ٢٩ اكتوبر على امداد القوات المحاصرة بثلاثين طناً فقط من الاحتياجات (٢٠ طن مياه و ٨ أطنان تعيينات و ٢,٥ طن من المواد الطبية) (٢) .

ب - كانوا يجرون تفتيشاً دقيقاً ومهيناً للعربات التي تحمل تلك الاحتياجات الادارية .

حـ - رفضوا السماح للسائقين المصريين أن يتقدموا بتلك العربات بعد علامة الكيلو ١٠١ وأصروا على أن يقودها سائقون اسرائيليون أو سائقون تابعون للأمم المتحدة خلال الرحلة ما بين الكيلو ١٠١ والقوات المحاصرة وقبل المفاوض المصري . وعلى الرغم من هذه التنازلات المهينة كلها فإن نسبة كبيرة من امداداتنا الى القوات المحاصرة كان ينهبها الاسرائيليون خلال الطريق .

- كانت مفاوضات الكيلو ١٠١ غريبة في طبيعتها . لقد كانت عبارة عن تلقي تعليمات الجانب الاسرائيلي يومياً كثمن لامداد الجيش الثالث باحتياجاته . في أول يوم للاجتماع طلب الجانب الاسرائيلي الافراج عن جاسوس اسرائيلي كان في قبضتنا اسمه اڤيدان Avidan وكان قد حكم عليه بالسجن بحكم محكمة وكان حينئذ يقضي العقوبة في أحد سجوننا . وافق الرئيس وفي اليوم التالي كان أڤيدان يرافق الجمسي في عربته الى الكيلو ١٠١ ليسلمه بنفسه الى الجانب الاسرائيلي كان أڤيدان هو المقدمة ثم تبع ذلك المطالبة بتسليم الجواسيس الاسرائيليين

---

(١) منذ حصار الجيش الثالث يوم ٢٢ أكتوبر ٧٣ أصبح السادات كالخاتم في يد كيسنجر . ومن هنا تبرز أهمية تحديد من هو المسؤول عن حصار الجيش الثالث المصري ؟

(٢) الحد الأدنى للمطالب الادارية هو ١٥٠ طناً يومياً .

كلهم الذين يقضون احكاماً في السجون المصرية بما فيهم الجاسوس المصري باروخ مزراحي الذي اختفى قبل ذلك من مصر ثم ضبط في أحدى الدول العربية تحت اسم آخر وكان يتجسس لحساب اسرائيل · طالبوا بعد ذلك بتبادل اسرى الحرب · كانت وجهة نظر مصر أن يؤجل تبادل أسرى الحرب الى ما بعد التوقيع على اتفاقية فض الاشتباك . رفضت اسرائيل فتنازلت مصر . وطلبت أن يكون تبادل الأسرى بعد انسحاب الاسرائيليين الى خط ٢٢ اكتوبر فرفضت اسرائيل وأعلنت جولدا مائير في الكنيست في ١٤ نوفمبر ٧٣ « لن يمر كيلوجرام واحد من الاحتياجات الى الجيش الثالث الا بعد ان يصل الينا رجالنا الأسرى الذين في يد المصريين » ورضخ السادات وبدأ تسليم الأسرى اعتباراً من يوم ١٥ نوفمبر واستمر حتى ٢٢ نوفمبر · وعندما اشتد البرد حاولنا ارسال البطانيات والملابس الصوفية الى رجالنا ولكن الجانب الاسرائيلي رفض السماح بمرور هذه الأصناف ·

كيسنجر يستغل حصار الجيش الثالث ويطالب برفع الحظر عن الامدادات البترولية

ـ وعندما اشتكت القاهرة الى واشنطن من التعنت الاسرائيلي وصلت رسالة من الدكتور كيسنجر الى وزير الخارجية المصري في ٤ ديسمبر ٧٣ تتضمن النقاط التالية

١ ـ يجب أن تستأنف مفاوضات الكيلو ١٠١ على أساس تبادل المصالح(١)

٢ ـ ان مقترحات باريف (نظير الجمسي ورئيس الوفد الاسرائيلي في مفاوضات الكيلو ١٠١) يوم ٢٢ نوفمبر يمكن أن تكون أساساً لمؤتمر سلام (٢) ·

٣ ـ ان عدم رفع قيود البترول قبل انعقاد مؤتمر السلام قد يجعل أميركا غير قادرة على اتخاذ موقف مؤثر ·

ها هو ذا كيسنجر قد بدأ يساوم هو الآخر لصالح أميركا · ان امداد الجيش بالتعيينات والمياه يجب أن يقابله إمداد أميركا والغرب بالوقود · ان طبيعة سلاح البترول هو أن قوة تأثيره لا تظهر الا بعد بضعة شهور · وفي الوقت الذي بدأت فيه أميركا والدول المؤيدة لاسرائيل تشعر بالأثر الاقتصادي نتيجة للحظر الذي فرضته الدول العربية . أقول في هذا الوقت وضع كيسنجر سلاح البترول في كفة الميزان وانقاذ الجيش الثالث في الكفة الاخرى · كان على السادات اذن أن يلتمس من الاخوان العرب ان يقوموا بوقف استخدام هذا السلاح · وهذا ما حدث فعلاً · كان السادات هو أكثر الزعماء العرب تحمساً لالغاء الحظر البترولي ضد أميركا والدول المؤيدة لاسرائيل · مرة أخرى اقول اني لا ألوم كيسنجر على هذه السياسة فمن واجبه ان يخدم مصالح أميركا . ولكني ألوم السادات لأنه هو الذي تسبب في حصار الجيش الثالث ولم يتصور ما يمكن أن يجره ذلك من مصائب ·

---

(١) ان هذا بالمعنى العام المصري « خذ وهات » ولكن للاسف فان اسرائيل كانت تطلب ثمنا غاليا نظير إمداد الجيش الثالث . واني لا ألوم اسرائيل على ذلك . ولكني ألوم السادات لأنه هو الذي تسبب في حصار الجيش الثالث .

(٢) المقصود بمؤتمر السلام هو مؤتمر جنيف الذي كان مقررا عقده قبل نهاية ديسمبر ٧٣ .

ـ وللاستفادة من حصار الجيش الثالث أرغمتنا اسرائيل على اعلان فك الحصار البحري عنها . كنا قد الغينا هذا الحصار البحري عملياً يوم أول نوفمبر عندما سمحنا لناقلة بترول تحمل ١٢٣٠٠٠ طن تدخل البحر الأحمر وتتجه شمالاً الى اسرائيل تحت نظرنا وفي مرمى صواريخنا . كان اغراق هذه الباخرة يعني التضحية بالجيش الثالث . كانت اسرائيل تعرف هذه الحقائق وتعرف ان غواصاتنا ولنشات صواريخنا التي تعمل في جنوب البحر الأحمر كان في استطاعتها أن تغرق هذه الباخرة ولكننا سمحنا لها بالمرور ثمناً لأمداد الجيش الثالث . ولكن هذا لم يكن ليكفي غرور اسرائيل التي كانت تستغل حصار الجيش للقيام بعملية ابتزاز فظيعة . وأرادت أن يكون الغاء الحصار البحري بطريقة علنية يعلم بها العالم أجمع . وهكذا اعلنت ان الباخرة الاسرائيلية بيرسبع ستتحدى الحصار البحري وستدخل مضيق باب المندب يوم ٢ ديسمبر أو ٣ ديسمبر وتتجه شمالاً الى اسرائيل . ودخلت السفينة ومرت أمام قطعنا البحرية وهي تتهادى بينما ينظر اليها رجالنا في غيظ وحنق مكظومين .

السادات يكذب على الشعب

ـ وبينما كانت هذه الاجراءات المهينة تجري على المستوى السياسي والعسكري كان الشعب المصري كالزوج المخدوع آخر من يعلم . لم يكن يدري بما يحدث . كان يسمع ما يقال له وما يكتب له بواسطة وسائل الاعلام التي تسيطر عليها الدولة . وكم من مرة ومرات خدع حكام مصر هذا الشعب وأخفوا عنه الحقائق ، ولكن اخفاء حصار جيش يتكون من ٤٥٠٠٠ رجل ومدينة كاملة لم يكن بالأمر الهين . أن مئات الألوف من أقارب وأصدقاء هؤلاء الرجال بدأوا يتشككون في الموقف ونجح بعضهم في التقاط بعض الاذاعات الأجنبية . وهنا ظهرت الصحف يوم ٣٠ نوفمبر بعناوين ضخمة « ان قواتنا تسيطر سيطرة تامة على الضفة الغربية تماماً ما بين الدفرسوار والسويس . إن معابر الجيش الثالث جميعها سليمة وان الامداد يتم بانتظام » . وفي حديث للرئيس السادات أمام مجلس الشعب في فبراير ٧٤ . نفى أن الجيش الثالث قد حوصر . اني لا اتصور أن يكذب رئيس دولة تدعي بأنها ديمقراطية . بهذه الصورة ثم لا يجد من يسأله أو يراجعه . لقد طرد الشعب الاميركي الرئيس نيكسون لأنه كذب على الشعب الأميركي كذبة صغيرة لو قيست بأكاذيب السادات لبدت وكأنها لا تدخل ضمن تعريف الكذب . وفي خلال اجتماع مجلس الشعب . قام الرئيس السادات باخراج تمثيلية ليقنع بها الاعضاء . ان هذه التمثيلية ما زالت عالقة بالأذهان وقد قام بعضهم بتسجيلها على الفيديو كجزء من تاريخ السادات . استدعى الرئيس السادات اللواء بدوي الذي كان قائداً للقوة المحصورة ويشغل الآن منصب ر ا ح ق م م وأخذ يوجه له أسئلة ويتلقى أجوبة تثبت أن الجيش الثالث لم يكن محاصراً !! هل هذا معقول ؟ وهل مقبول ؟ وهل يصل الاستهتار بعقول الشعب أن يتمادى الحاكم في الكذب الى هذا الحد ؟

اتفاقية فض الاشتباك

- في يوم ١٨ يناير ١٩٧٤ تم التوقيع على الاتفاقية الأولى لفض الاشتباك بين مصر واسرائيل . وكانت تشمل بنودها الرئيسية ما يلي :

١ - تقوم اسرائيل بسحب قواتها الى خط يقع شرق قناة السويس بحوالي ٣٠ كيلومتراً .

٢ - تقوم مصر بسحب قواتها جميعها من شرق القناة وذلك فيما عدا قوة صغيرة لا يزيد عددها عن ٧٠٠٠ رجل وبحيث لا يكون معهم سوى ٣٠ دبابة . والا يتجاوز تواجدها شرق القناة أكثر من ١٠ كيلومترات .

٣ - تتواجد قوات الأمم المتحدة في المنطقة العازلة بين القوات الاسرائيلية والقوات المصرية وعرضها حوالي ٢٠ كيلومتراً .

٤ - لا تعتبر هذه الاتفاقية معاهدة سلام ولكنها تعتبر مجرد خطوة على الطريق للوصول الى معاهدة سلام طبقاً لقرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ وداخل إطار مؤتمر جنيف للسلام (١) .

اسرائيل تنهب الأرض المحتلة

- لقد احتلت اسرائيل مساحة في الضفة الغربية لقناة السويس بلغت حوالي ١٥٠٠ كيلومتر مربع ، وبقيت تحتل هذه البقعة لمدة تزيد عن ثلاثة أشهر الى أن انسحبت منها خلال شهر فبراير ٧٤ بناء على اتفاقية فصل القوات . وفي خلال تلك المدة انتهكت اسرائيل جميع قواعد القانون الدولي والعرف الدولي ومبادىء الأخلاق . لقد ردموا ترعة المياه الحلوة التي تنقل المياه من الاسماعيلية الى مدينة السويس والجيش الثالث . لقد فكوا مصنع تكرير الوقود ومصنع السماد اللذين كانا يقعان خارج المدينة ونقلوهما الى اسرائيل . واما الأجزاء الثقيلة التي لا يمكن نقلها فقد نسفوها عن آخرها قبل أن يغادروا المكان . لقد فكوا الروافع والمعدات من ميناء الأدبية وأخذوها معهم ثم نسفوا ما لا يستطيعون نقله . لقد فكوا خطوط أنابيب المياه وانابيب البترول التي كانت تمر في المنطقة . لقد نهبوا واستولوا على المواشي والمحاصيل التي كانت في حوزة الفلاحين الذين كانوا يسكنون تلك المنطقة . لم تكن عملية النهب والسلب عملية محلية يرتكبها الجنود والقادة المحليون كما هي العادة دائماً بالنسبة لجيوش الاحتلال . وانما كانت عملية منظمة تتم بناء على تعليمات من الحكومة الاسرائيلية وتأييدها . وهذا هو الجرم الأكبر . لقد انسحب الاسرائيليون من تلك المنطقة بعد أن تركوها خراباً تشهد لهم بأنهم قد فاقوا القبائل المنغولية التي اجتاحت آسيا وأوروبا خلال القرن الثالث عشر الميلادي .

إني أتهم

- ما أغلى الثمن الذي دفعته مصر نتيجة لحصار الجيش الثالث يوم ٢٣ اكتوبر . لقد اجهض حصار الجيش الثالث انتصارات اكتوبر المجيدة . لقد اجهض حصار الجيش الثالث

---

(١) مؤتمر جنيف للسلام هو المؤتمر الذي تتولى رئاسته كل من اميركا والاتحاد السوفياتي وتحضره الاطراف في مشكلة الشرق الأوسط جميعها .

سلاح البترول . لقد اجهض حصار الجيش الثالث الحصار البحري الفعال الذي فرضته مصر على اسرائيل . لقد أفقد حصار الجيش القيادة السياسية المصرية القدرة على الحركة والمناورة وجعلها العوبة في يد اسرائيل وفي يد أميركا . وفي سبيل انقاذ الجيش الثالث كانت مصر ترى اسرائيل وهي تنهب وتسلب ثرواتها وتقف مكتوفة الأيدي لا تستطيع الرد ولا حتى مجرد الاحتجاج . وهنا يبرز السؤال مرة أخرى من هو المسؤول عن حصار الجيش الثالث ؟ اذا رغبت مصر في أن تغسل شرفها العسكري من الشوائب التي أصابته نتيجة حصار الجيش الثالث فإنها يجب أن تبحث عن المسؤول عن هذه الكارثة . واني اتهم السادات بهذه الجريمة ولديّ الوثائق التي تؤيد هذا الاتهام .

(الفصل السادس والثلاثون)

قصة اقالتي من منصب ر أ ح ق م م

البيانات العسكرية المصرية وحقيقتها

- لقد اتفقت مع احمد اسماعيل قبل الحرب على ان تكون بلاغاتنا العسكرية دقيقة وصادقة وان نذكر الحقائق كلها مجردة من أية مبالغات او أكاذيب كما كانت الحال في حروبنا السابقة مع اسرائيل . وقد التزمت القيادة بهذا الخط الى أن جاء يوم ١٤ أكتوبر ٧٣ الذي خسرنا فيه حوالي ٢٥٠ دبابة مقابل خسائر محدودة من العدو . ونظراً لما كان يحس به السادات وأحمد اسماعيل من شعور بالذنب - لأنهما هما اللذان أصرّا على هذا الهجوم على الرغم من معارضتي أنا وقادة الجيوش كما سبق أن ذكرت - فقد صدر البيان العسكري ، ولأول مرة منذ بداية الحرب ، وفيه تزوير للحقائق . ثم جاء بعد ذلك اختراق العدو في منطقة الدفرسوار ليلة ١٥ / ١٦ اكتوبر فكان عاملاً جديداً في استمرار بياناتنا العسكرية في أكاذيبها .

- في خلال الأيام الاولى من الاختراق نفت البيانات العسكرية نفياً قاطعاً وجود أي اختراق للعدو غرب القناة . وبعد ان تطورت قوة العدو في الغرب الى الحد الذي اصبح معه مستحيلا اخفاء وجود هذه الاختراقات عمدت البيانات الى التقليل من اهمية هذا الاختراق . (١) .

واني أذكر كيف كان أحمد اسماعيل يتصل هاتفياً من غرفة العمليات بالدكتور حاتم نائب رئيس الوزراء ووزير الإعلام لكي يشرح له الموقف . ومن بين تلك المحادثات مكالمة هاتفية يوم ١٨ أكتوبر ، قبل أن أتحرك الى الجيش الثاني ظهر هذا اليوم . كانت قوة العدو في ذلك الوقت تقدر بأربعة ألوية مدرعة ومع ذلك كان أحمد اسماعيل يقول للدكتور حاتم « ان للعدو ٧ دبابات في الغرب . إنهم يتبعون أسلوب حرب العصابات . إنهم يظهرون فجأة حيث

---

(١) قد يكون من المناسب للباحثين والمؤرخين أن يراجعوا البيانات العسكرية المصرية وما نشر في الجرائد المصرية في ذلك الوقت ومقارنته بالحقائق كما رويتها في هذه المذكرات .

يضربون ثم يهربون ويختفون في الأشجار ولذلك فإننا نجد صعوبة في اكتشافهم وتدميرهم !! »
ومع أني لم أكن أسمع ما يقوله الدكتور حاتم من الجانب الآخر من الخط الا أني كنت أستنتج أنه لا يستطيع أنْ يتقبل هذا التفسير الساذج . مما كان يضطر أحمد اسماعيل الى أن يعيد ويكرر ما سبق أن قاله مرات ومرات ٠

ـ وعندما كنت أناقش هذا الموضوع مع الوزير وأطالب بضرورة إعلان الحقائق فإننا كنا نصطدم بعقليتين وعقيدتين مختلفتين تماماً ٠ كان يقول إن اذاعة هذه المعلومات السيئة سوف يكون لها أثر سيء على الروح المعنوية للقوات المسلحة وعلى الشعب ، وكنت أقول إن المعلومات السيئة تستحث الهمم وتولد عند كل مواطن روح التحدي للعدو وتدفعه لأن يقدم لوطنه أقصى ما يستطيع أن يقدمه ٠ كما وأن اعلانها للقوات المسلحة سيدفع التشكيلات والوحدات غير المشتركة في القتال لكي تكون أكثر تعاوناً وأكثر استعداداً لتقديم المساعدة والدعم للقوات المشتركة في القتال ٠ نظريتان مختلفتان تماماً ٠ والنتيجة هي أن الوزير استمر في إصدار البيانات العسكرية الكاذبة ـ ويعلم السادات بكذبها ـ طوال مدة الحرب ٠

مقابلة مع مندوب مجلة نيوزويك الأميركية

ـ في الساعة ١٧٠٠ يوم ٥ ديسمبر ٧٣ أجريت مقابلة صحفية مع المستر أرنولد بورشجريف محرر مجلة نيوزويك الأمريكية ٠ وقد تكلمت معه بمنتهى الحرية والصراحة وأجبت عن أسئلته كلها وذلك فيما عدا المعلومات التي قد يستفيد العدو من إذاعتها ٠ وقد منعت الرقابة المصرية المستر بورشجريف من ارسال هذا الحديث الصحفي الى مجلته . وقامت بترجمة الحديث الى اللغة العربية وأرسلته الى المخابرات الحربية للموافقة على النشر . فقامت المخابرات الحربية بعرض الأمر على السيد الوزير ٠ سألني الوزير عما إذا كنت قد قلت هذا الكلام فأجبت بالإيجاب ٠ قال كان يجب عليك أن تعرضها على المخابرات الحربية قبل إرسالها الى الصحافة ٠ قلت له « كيف أطلب من المخابرات الحربية وهي ادارة مرؤوسة لي أن تراجع ما أقول ٠ أنا أعرف ما هو سرٌ و ما هو ليس سراً أكثر من مدير المخابرات لأن لدي قدرة تصور أوسع واتصالات عالمية أكثر ٠ لماذا نخفي شيئاً يعرفه العالم أجمع إلا شعب مصر ؟ ٠ إنني لم أقل شيئاً يستطيع العدو أن يستفيد منه ٠ وعلى سبيل المثال فقد امتنعت عن الإجابة عندما طلب مني أن أقارن بين قوتنا وقوة العدو قبل ٦ أكتوبر والآن . لأن الاجابة على هذا السؤال قد تضطرني إلى اذاعة بعض المعلومات التي ليست معروفة على المستوى الدولي حتى الآن . مثال ذلك خسائرنا في الحرب والإمدادات التي وصلتنا حتى الآن ٠ أما أنت . ففي حديث لك مع الاستاذ حسنين هيكل رئيس تحرير جريدة الأهرام . أذعت بياناً عن خسائرنا في الحرب ٠ ولو استطاع العدو أن يعرف الإمدادات التي وصلت الينا بعد ٦ أكتوبر وحتى الآن فإنه يستطيع أن يعرف قوتنا على وجه التحديد » ٠ لقد كانت مناقشة حادة حقاً ٠ طلب مني الوزير أن أستدعي بورشجريف وأن أسحب منه ما قلت فرفضت ٠

جريدة الأهرام تذيع خبراً كاذباً

- وفي صباح يوم ١١ ديسمبر ٧٣ فوجئت بعنوان ضخم في جريدة الأهرام « قواتنا في الشرق والغرب تتقدم عشرة كيلومترات » وكانت الجريدة تنسب الخبر الى قيادة قوة الطوارىء الدولية في القاهرة · لقد كان الخبر صورة أخرى من صور التزوير لواقع الأمر · حاولت معرفة مصدر هذا الخبر · اتصلت بقيادة قوة الطوارىء الدولية فنفت نفياً باتاً بأنها أصدرت بياناً عن ذلك · اتصلت بإدارة المخابرات الحربية فنفت هي الأخرى أي علم بمصدر أو مؤلف هذا الخبر · كان الوزير يجلس بجواري في غرفة العمليات وأنا أجري هذه الاتصالات دون أن يعلق بشيء . مما جعلني أشك أنه هو مصدر هذا الخبر · قلت بصوت عال وبغضب ودون أن أوجه كلامي لأحد « هذا جنون · ليس هذا هو الأسلوب الصحيح للإعلام يجب أن نعرف من هو الشخص الذي وراء هذا الخبر ويجب أن يعاقب ». وهنا تدخل الوزير قائلاً « لماذا تغضب ؟ هل أنت وزير للإعلام ؟ قد يعتقدون ان إصدار هذا الخبر في مصلحة الوطن » سألت « من هم الذين يعتقدون ؟ » (١) قال « لا أعرف ولكنني أود أن أقول لك ألا تتدخل في عمل المخابرات أو في عمل الإعلام » فأجبته بأنني سوف أتدخل ·

- وفي اليوم نفسه صممت على أن التقي الدكتور حاتم · وفي الساعة ١٣٠٠ كنت في مكتبه في وزارة الاعلام · حكيت له رأيي في الاعلام عموماً ثم تطرقنا الى الخبر الذي نشر في جريدة « الأهرام » صباح ذلك اليوم وقلت له « لقد تحققت من جميع الجهات التي يمكن أن تكون مصدراً لهذا الخبر وجميعها نفت علمها بهذا الموضوع . هناك شخصان أشتبه بهما : الشخص الأول هو الاستاذ حسنين هيكل رئيس تحرير « الاهرام » . والشخص الثاني هو وزير الحربية · وحيث أنه ليس لدي أية سلطة لكي أستجوب أياً منهما فإني أرجو ان تحقق سيادتكم عن مصدر هذا الخبر » ذكر لي الدكتور حاتم ان الخط الاعلامي للدولة كان مرتبطاً بالبلاغات العسكرية التي تصدرها القيادة وأنه . وان كان هو شخصياً لم يكن مقتنعاً بصحتها . فإنه كان ملتزماً بها · أما بخصوص الخبر الذي نشر في جريدة « الاهرام » صباح ذلك اليوم فأكد لي عدم علمه بمصدر هذا الخبر ووعد بالبحث لمعرفة الحقيقة ·

- وفي صباح يوم ١٢ ديسمبر ظهرت جريدة « الأهرام » وفيها تصحيح للخبر واعتذار عن الخطأ وأعطت بعض التسويفات لهذا الخطأ · لقد بلغ التحدي بيني وبين السلطة السياسية مداه · إن بقائي سوف يفسد الألاعيب التي يقومون بها · لقد تحملوا مني الكثير وكان لا بد أن يتخلصوا مني · وفي مساء يوم ١٢ ديسمبر ٧٣ أقالني السادات من منصبي كرئيس لأركان حرب القوات المسلحة المصرية ·

---

(١) لقد عرفت من كان يقصد الوزير بكلمة « هم » بعد حوالي ٤ سنوات ونصف السنة من هذه المجابهة · إنه كان يقصد السادات . وقد اعترف بذلك في مذكراته في صفحة ٢٥٥ عندما قال « في ديسمبر ٧٣ بدأت قواتنا حرب الاستنزاف . ولم يتوقف ضغطها على الثغرة لحظة واحدة مما جعلنا نكسب ارضا جديدة كل يوم · تارة بالامتار وتارة بالكيلومترات ولكننا كنا نكسب دائما » ·

كيف علمت بخبر الإقالة

ـ لم أذهب الى منزلي منذ اول اكتوبر حتى ١٢ ديسمبر الا مرة واحدة لمدة ساعتين لاحضار بعض الملابس الاضافية وللاستحمام بالماء الساخن · وحوالي منتصف نوفمبر كانت الأمور قد استقرت وأصبح الموقف لا يتطلب أن أكون بصفة دائمة في المركز ١٠ أو بين القوات كما كان الحال فترة العمليات · وفي منتصف نوفمبر أستأنفت القيام بتدريباتي الرياضية اليومية واكتشفت أنني فقدت من وزني ٥ كيلوجرامات خلال تلك الفترة الماضية · وعلى الرغم من أنه كان في استطاعتي أن أعود الى منزلي الذي لم يكن يبعد أكثر من بضعة كيلومترات من مركز القيادة فاني لم أفعل ذلك · كنت أشعر بالأسى بالنسبة لرجال الجيش الثالث المحاصرين · كيف يمكنني أن اذهب الى منزلي وهناك ٤٥٠٠٠ رجل من رجالنا محاصرون ؟ حقاً أن يديّ نظيفتان من مسؤولية حصارهم ولكن ليس هذا هو وقت تحديد المسؤولية · إنهم أولاً وأخيراً أبناء مصر . ويجب أن أشاركهم أحزانهم وقلقهم · صممت ألا أعود الى منزلي الا بعد أن يعود هؤلاء الرجال الى ديارهم ·

ـ كان يوم ١٣ ديسمبر هو عيد زواجي فأقنعت نفسي مساء يوم ١٢ ديسمبر أن أقضي ليلة بالمنزل · وحيث أني كنت أشك فيما يدور حولي كله فقد أخذت معي قبل أن اغادر المركز ١٠ أوراقي كلها ومذكراتي الخاصة · لم يدر بخلدي قط . وأنا أترك المركز ١٠ في الساعة ١٧٠٠ يوم ١٢ ديسمبر ١٩٧٣ . أن تلك الساعة هي نهاية خدمتي بالقوات المسلحة المصرية . ومع ذلك فإن الحاسة السادسة قد دفعتني الى أن آخذ معي أوراقي الهامة ومذكراتي جميعها · وقد صدق حدسي حيث أني بعد أن ذهبت الى مكتبي بعد ذلك بأيام لأجمع باقي أوراقي وجدت أن ادارة المخابرات الحربية قد قامت بواجبها على الوجه الأكمل . فقد اختفت جميع هذه الأوراق بما فيها برقيات التهاني التي كانت قد وصلتني من الأهلين ومن رؤساء أركان الجيوش العربية · كنت في قمة السعادة لأنهم لم يستطيعوا الحصول على ما كانوا عنه يبحثون ·

ـ وفي حوالي الساعة ٢٠٠٠ من يوم ١٢ ديسمبر ٧٣ وبينما كنت في منزلي رن جرس الهاتف وكان الوزير على الطرف الآخر · أخبرني بأنه يحدثني من مكتبه بالوزارة ويود لو استطيع أن أحضر لمقابلته · وبعد حوالي نصف ساعة كنت أدخل عليه مكتبه · وعند دخولي عليه وجدت عنده الجمسي وسعد مأمون · وبعد دخولي عليهم قطع الوزير الحديث وطلب من الجمسي وسعد مأمون أن ينسحبا ويتركانا على انفراد · أخذ الوزير يدور ويلف الى أن دخل في صلب الموضوع الذي استدعاني من أجله ودار بيني وبينه الحديث التالي :

الوزير :

لقد قرر رئيس الجمهورية إنهاء خدمتكم كرئيس أركان حرب القوات المسلحة وأصدر قراراً جمهورياً بتعيينكم سفيراً في وزارة الخارجية وعليكم التوجه اعتباراً من الساعة الثامنة صباحاً الى وزارة الخارجية في ميدان التحرير ·

الشاذلي :

أشكر الرئيس على هذا التعيين وأرجو أن تقوم بإبلاغه بأنني أعتذر عن قبول منصب السفير وأفضل أن ابقى في منزلي .

الوزير :

هل تعني أنك ترفض اطاعة أمر الرئيس الذي يقضي بذهابك الى وزارة الخارجية ؟

الشاذلي :

سيادة الوزير . يمكنك أن تفسرها كما تشاء . اذا كان الرئيس يعتبر أن هذا التعيين خدمة لي فمن حقي أن اقبل الخدمة أو أرفضها . واذا كان المقصود بهذا التعيين هو العقاب فأنا أرفضه وأفضل أن يكون هناك تحقيق ومحاكمة حتى تظهر الحقائق .

الوزير :

ان ما تقوله شيء خطير . هل أقوم بإبلاغ الرئيس بما قلته ؟

الشاذلي :

طبعاً . الهاتف بجوارك ويمكنك أن تبلغه الآن وفوراً .

الوزير :

حاول الوزير بعد ذلك أن يقنعني بطريق أكثر تهذيباً بأن أقبل هذا المنصب السامي حيث أن رفضي سوف يغضب الرئيس وأنه يقدر عملي ومجهودي اللذين قدمتهما للقوات المسلحة الخ الخ !

الشاذلي :

إني أصر على الرفض وأفضل أن يكون عزلاً وليس نقلاً الى وزارة الخارجية وهذا هو اعتذار رسمي عن قبول منصب السفير (وحررت له الاعتذار كتابة وسلمته اليه) ماذا سيفعل الرئيس بعد أن يعلم أني رفضت منصب السفير ؟ هل سيأمر بمحاكمتي ؟ اني أفضل ذلك وأنا على أتم الاستعداد له .

وبعد حوار دام حوالي نصف ساعة غادرت مكتب الوزير بعد أن اكدت له أنني لن أذهب غداً لا الى وزارة الخارجية ولا الى المركز ١٠ . وأنني سأبقى في منزلي .

- بعد أن عدت الى منزلي أخبرت زوجتي بما دار بيني وبين الوزير من حوار وقلت لها « الحمد لله الذي جعلهم يتخذون هذه الخطوة » ان كل شيء كان يسير مؤخراً في عكس الاتجاه الذي أريده . لم يكن يسعدني البقاء ولكن لم أكن استطيع أن اتقدم بالاستقالة في مثل هذه الظروف الصعبة » . استقبلت زوجتي الخبر بشجاعة وأيدت موقفي في رفض منصب السفير وقالت « الحمد لله أنك تترك القوات المسلحة بعد أن عبرت بهم القناة ولم يكن أحد يصدق أن هذا عمل ممكن . الحمد لله الذي تترك القوات المسلحة ونحن في صحة جيدة . لو

حسبت الوقت الذي قضيته في منزلك منذ أن تزوجنا فأنه لن يزيد عن ربع تلك السنين . لنسترح ونستمتع بما بقي لنا من عمر . » ضحكت وتعجبت . لقد كنت أسمع أن خبر التقاعد هو أصعب خبر تتلقاه الزوجات وها هي ذي زوجتي تتلقى الخبر بفرح وارتياح . ان الخبر بالنسبة لها هو استعادة للزوج الذي كانت قد فقدته لأنه أعطى وقته واهتمامه كلهما للقوات المسلحة على حساب بيته وعائلته . ضحكنا وأخذنا نتجاذب الحديث وننتظر حضور المستر بورشجريف مراسل جريدة النيوزويك الأميركية الذي كنت قد وعدته باستقباله في منزلي تلك الليلة .

بورشجريف أول من يعلم بخبر الاقالة

ـ كان بورشجريف قد اتصل بي صباح ذلك اليوم وأحطرني بأنه سوف يغادر القاهرة في اليوم التالي وأنه يرغب بلقائي قبل سفره ليعبر لي عن شكره على الحديث الذي أدليت به له ، فوعدت بأن استقبله في منزلي في مساء اليوم نفسه . ولم يكد يمر ١٥ دقيقة على عودتي الى المنزل حتى وصل بورشجريف هو وزوجته . قلت له : مستر بورشجريف إنك صحفي محظوظ . سوف أقول لك خبراً لم يعرفه أي صحفي في العالم حتى الآن . وحكيت له قصة مقابلتي مع الوزير ورفضي لمنصب السفير الذي عرض علي . لم يكن بورشجريف وزوجته يصدقان ما أقول وكانا يعتقدان أنني أمزح وعندما أكدت له ذلك أكثر من مرة قال : « إن الطريقة التي تتكلم بها أنت وزوجتك تدل على أنك سعيد بهذا ولا يبدو عليك أو على حرمك أي حزن أو أسف » (١) فقلت له هذه فلسفتي . « ولو اجتمع أهل الأرض على أن ينفعوك بشيء ما نفعوك الا بشيء كتبه الله لك ، ولو اجتمع اهل الأرض على أن يضروك بشيء ما ضروك الا بشيء كتبه الله لك . جفت الأقلام وطويت الصحف » وقد جال بخاطر بورشجريف أن يكون حديثي معه هو السبب في اعفائي من منصبي فقال لي على استحياء : « أرجو الا أكون سبباً فيما أصابك ؟ » فقلت له « لا أعتقد ذلك . أنني على خلاف معهم في مواضيع كثيرة ، وان موضوعك يعتبر واحداً منها ولكنه يكاد يكون أبسطها » وعلى الرغم شعرت من كثرة تساؤلات بورشجريف وتأكيداته في هذا الموضوع انه كان يشعر بأنه أحد الاسباب الرئيسية . وعموماً فإذا كانت مقابلة بورشجريف يوم ٥ ديسمبر و تكذيب الخبر الذي نشر في جريدة الأهرام يوم ١١ ديسمبر هما من الأسباب المباشرة الظاهرة فإنها لا تعدو أن تكون القشة التي قصمت ظهر البعير .

لقد كانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة مساء عندما غادر منزلي بورشجريف ، وهو لا يكاد يصدق ما رآه بعينيه وسمعه بأذنيه .

(١) يقول هيرتزوج في كتابه « حرب الغفران » ، أنه عندما وصلني خبر الإقالة كان عندي صحفي أجنبي وأنني بكيت . هذه قصة مختلقة وان بورشجريف ما زال حياً يرزق يعمل في مجلة نيوزويك .

زيارة غير متوقعة من حسني مبارك

- بعد حوالي ١٥ دقيقة من مغادرة بورشجريف منزلي ، رن جرس الهاتف ، كان المتحدث هو اللواء حسني مبارك قال لي أنه يريد أن يقابلني لأمر مهم · لم أكن أعرف اذا كان قد علم بخبر اقالتي أم لا فحاولت أن أؤجل المقابلة الى الغد على اعتبار أنه اذا لم يكن يعرف الآن فسوف يعرف غداً وينتهي الموضوع ، ولكنه أصر على المقابلة قلت له « لا داعي لهذه المقابلة حيث أني لم أعد رئيس أركان حرب القوات المسلحة » فأجاب « أنا أعرف ذلك ولذلك أريد أن أقابلك · إني احمل رسالة لك من السيد الرئيس » فأجبت « أهلاً وسهلاً » ·

وفي حوالي الساعة ٢٣٣٠ وصل حسني مبارك · كان ملخص رسالة الرئيس السادات ما يلي :

أ - ان الرئيس يقدر تماماً ما قمت به من أعمال في خدمة القوات المسلحة وقت السلم والحرب ·

ب - ان الخلافات المستمرة بينك وبين الوزير قد تفاقمت وقد أصبح من الخطورة أن تستمر بهذا الشكل ·

حـ - ان تعيينك سفيراً لا يعني تنزيلاً من درجتك فسوف تستمر بدرجة وزير وتنال راتب ومرتبات وبدل تمثيل الوزير ·

د - إن الرئيس ينوي ارسالك سفيراً الى لندن ، وهو أسمى منصب دبلوماسي يطمع به إنسان ·

هـ - ولكي يؤكد الرئيس أن هذا التعيين لا يعني أي تنزيل من مقامك فأنه يرقيك الى رتبة فريق أول ·

و - وإن الرئيس يتعشم أن تقبل هذا المنصب ·

- كانت خلاصة أقوالي لحسني مبارك ما يلي « لو أن الرئيس استدعاني وقال لي هذا الكلام لقبلت ، ولكن أن يكلف احمد اسماعيل - وهو يعلم جيداً ما بيني وبينه - بإبلاغي الخبر وبالصورة التي قالها ، فإن هذا يعني أن الرئيس يصدق ما يقوله أحمد اسماعيل ويؤيد موقفه · لذلك فإني أرفض مرة أخرى قبول العرض » ثم كررت على مسامعه ما سبق أن قلته لأحمد اسماعيل قبل ساعات قليلة « اذا كان الرئيس يعرض عليَّ هذا المنصب مكافأة لي فأرجو ابلاغه شكري واعتذاري عن قبول المنصب ، واذا كان هذا المنصب عقاباً لي فلنضع النقاط على الحروف ولنناقش هذا الموضوع بطريقة علنية · لن أقبل هذا المنصب ولن يستطيع أحد أن يرغمني على قبوله ·

- غادر حسني مبارك منزلي بعد منتصف الليل دون أن يستطيع اقناعي بقبول المنصب · وفي صباح يوم ١٣ ديسمبر ظهرت صحف الصباح وفيها نبأ تعيين الجمسي رئيساً للأركان دون أي ذكر لمصير الفريق سعد الدين الشاذلي · هل اقيل ؟ هل استقال ؟ هل عين سفيراً ؟ هل مات ؟ لا شيء على الاطلاق ·

- على الرغم من عدم ذهابي الى وزارة الخارجية أو قيامي باستلام أي عمل فان الاجراءات الخاصة بتعييني في الخارجية استمرت في سيرها كالمعتاد . وبعد عدة أيام كتبت بعض الصحف أنني عينت سفيراً في لندن . وهنا اتصلت بالرئاسة وطلبت مقابلة الرئيس لكي أوضح موقفي ولكي أؤكد له أنني ابلغت رفضي لهذا المنصب الى كل من أحمد اسماعيل وحسني مبارك وأنني مازلت مقيما في منزلي . وبعد بضعة أيام من طلبي المقابلة اتصل بي مكتب الرئيس وابلغني بأنه سوف يستقبلني في أسوان يوم ٦ يناير ٧٤ . وعلى الرغم من أن القرار الجمهوري الخاص بتعييني سفيراً بالدرجة الممتازة كان قد صدر قبل ذلك . فإنني لم أكن حتى ذلك الوقت أعترف بهذا القرار الجمهوري . وبالتالي سافرت الى اسوان على حسابي الخاص ودون أن أخطر وزارة الخارجية بذلك . عندما وصلت طائرتي الى اسوان ، كان ما يزال أمامي ساعتان قبل أن يحل موعد مقابلة الرئيس فذهبت الى فندق الكتراكت لكي أقضي بعض الوقت . وهناك قابلت حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام . أخذنا نتجاذب في مواضيع شتى أغلبها يدور حول حرب اكتوبر الى أن حان ميعاد ذهابي الى الرئيس فتركته وذهبت للقاء الرئيس .

- كان حديث الرئيس ظريفاً طيباً ، وأخذ يسألني عن أحوال زوجتي والعائلة الخ . ثم فاتحني بالموضوع الرئيسي . بدأ الرئيس حديثه بنبرة عتاب ولكنه من نوع العتاب الضاحك الباسم فقال « لا لا لا أنا زعلان منك أزاي تعمل كده ؟ أنت اتجننت ؟ ابعت لك حسني مبارك برسالة مني فترفض الرسالة . أنا لما قال لي حسني أنك رفضت . قلت أبعت أجيبك واكلمك بنفسي لكن حسني قال لي بلاش دلوقت . ده مصمم وراكب دماغه . قلت طيب بعدين » قلت له « سيادة الرئيس . أنا لست منزعجاً لأنني أترك القوات المسلحة . ان كل ضابط يجب عليه أن يترك القوات المسلحة في يوم ما ليخلي الطريق لغيره وهذه هي سنة الحياة ولكن ما ضايقني هو الأسلوب الذي أبلغتني به هذا القرار . سيادتك تعلم جيداً ما بيني وبين أحمد اسماعيل . ومع ذلك طلبت من أحمد أسماعيل أن يقوم بابلاغي بهذا القرار » قال الرئيس « أنا اعرف ما بينك وبين أحمد اسماعيل وعلشان كده لما ابلغني أحمد اسماعيل بأنك رفضت المنصب وقال لي الكلام الذي قلته له . اعتقدت أن أحمد اسماعيل يبالغ فقررت أن أرسل لك حسني مبارك فرفضت أيضاً . وعندما قلت أحضرك أمامي وأبلغك بنفسي . حسني قال لي بلاش دلوقت » وأضاف ضاحكاً « لازم حسني بيخاف منك . قل لي ماذا تعمل لكي تجعل مرؤوسيك يخافونك ويخشونك ؟ »

- استرسل الرئيس في حديثه فأثنى علي وأفاض في ذلك كثيراً وقال إنني مازلت موضع ثقته وان كل ما حدث هو أنه ينقلني من مجال عمل الى مجال عمل آخر وأن ما اضطره الى ذلك هو الخلاف الشديد الذي يسود العلاقات بيني وبين أحمد اسماعيل . وحكى لي كيف ولماذا أعفى الدكتور محمود فوزي من رئاسة الوزارة فقال « كان فوزي يشتكي لي كل يوم ويقول لي الوزير فلان والوزير فلان ما بيسمعوش كلامه . أنا مش قاضي علشان أعمل قاضي بين كبار الموظفين » واستطرد بعد ذلك « وفيما يتعلق بك انت واحمد اسماعيل كان لازم

واحد منكم يمشي • وانا فكرت ووجدت أن من الأفضل أنك انت اللي تمشي وعرضت عليك أفضل المناصب عندنا • وأنا اخترت لك لندن ليس لمركزها الأدبي فحسب بل لأني محتاج لأن يكون لنا رجل ذو خبرة عسكرية كبيرة في لندن • اننا على اتصال الآن مع المانيا الغربية وستقوم المانيا بإمدادنا بأسلحة متطورة ومتقدمة • وان سفيرنا في المانيا رجل مدني اسمه محمد ابراهيم كامل (١) • كان معي في السجن وأنا عينته في الخارجية وبعد ذلك هو الآن سفير في المانيا . انما طبعاً لا يفهم في الشؤون العسكرية ولا يستطيع أن يتابع عمليات المباحثات والعقود العسكرية • وأنا أهدف الى أنك من لندن تقوم برحلات مستمرة الى المانيا للاشراف على هذا الموضوع • ان وظيفتك كسفير في لندن ستكون موضوعاً ثانوياً بالنسبة للوظيفة الأولى وهي تسليح الجيش المصري • وليس لدينا من هو أفضل منك للقيام بهذه المهمة (٢)» وأفاض في حديثه ... حتى اعتبرت أن ما قاله هو ترضية كافية وان منصب سفير مصر في لندن هو امتداد لمسؤوليتي في خدمة القوات المسلحة المصرية وتقويتها وقبلت المنصب • انتقلنا بعد ذلك الى الحديث عن العلاقات المصرية البريطانية والمصريين الذين يعيشون في المملكة المتحدة ومواضيع أخرى • وكانت الساعة قد بلغت الواحدة والنصف بعد الظهر عندما غادرت استراحة الرئيس في اسوان •

ـ عدت مرة أخرى الى فندق الكتراكت لكي أتناول الغذاء وأنتظر الطائرة التي سأعود بها الى القاهرة وهناك التقطني الأستاذ حسنين هيكل مرة أخرى • وكما كان بورشجريف أول صحفي في العالم يعلم بإعفائي من منصبي ورفضي لقبول منصب سفير . كان هيكل أول صحفي في العالم يعرف بنتيجة مقابلتي مع الرئيس في أسوان . ولكن لم أخبره بموضوع تسليح الجيش المصري عن طريق المانيا الغربية حيث ان هذا الموضوع كما ذكر لي الرئيس كان يتم على مستوى عال من السرية •

السفر الى لندن

ـ بعد أن أذيع خبر تعييني سفيراً لمصر في لندن بدأ الناس يتهامسون ويقولون ان تعييني في لندن لا يقصد به إبعادي من القاهرة فحسب بل أنه جزء من مؤامرة لقتلي • ان المخابرات الاسرائيلية والمتطرفين الصهاينة يستطيعون اغتيالي في لندن دون أن يتركوا من ورائهم أثراً يستطيع أن يكشف دورهم • إنّهم يعتبرونني العدو رقم ١ بالنسبة اليهم • وبدأ بعض الناس ينصحونني بعدم الذهاب الى لندن حفاظاً على حياتي ولكني لم استمع الى هذه النصائح

(١) محمد ابراهيم كامل عين وزيراً للخارجية في ديسمبر ١٩٧٧ بعد أن استقال اسماعيل فهمي احتجاجاً على قرار الرئيس الذهاب الى القدس . ثم استقال ابراهيم كامل بعد ذلك في سبتمبر ٧٨ احتجاجاً على اتفاقية كامب ديفيد •

(٢) لم أكن اتصور ان الرئيس يختلق موضوع تسليح الجيش بواسطة أسلحة ومعدات المانية اختلاقاً تاماً • وبعد وصولي الى لندن في مايو ٧٤ اجريت اتصالا مع سفير المانيا في لندن ولم يكن لديه بالطبع أية فكرة عن هذا الموضوع • وبعد عدة اتصالات سرية بينه وبين حكومته في بون . اتضح أن ما قاله الرئيس لي بخصوص هذا الموضوع كان من نسج خياله •

والتحذيرات · وقلت لنفسي « لقد كانت حياتي سلسلة من المخاطرات · وان خدمتى في لندن لن تكون سوى امتدادا لهذه الحياة التي تحيط بها المخاطر دائماً ·

انني لا أخشى الموت الآن · في الحقيقة فأني أحياناً اتعجب كيف عشت طوال هذه السنين على الرغم من المخاطر كلها التي مررت بها · لو أنني مت اليوم فاني سوف أموت سعيداً · لقد اعطيت بلادي كل ما استطيع أن أعطيه وقد رأيت ثمرة كفاحي · رأيت جنود مصر بعد أن هزمتهم اسرائيل في ثلاث حروب سابقة · رأيتهم وهم يعبرون قناة السويس ويحطمون خط بارليف ويهتفون الله اكبر · ماذا أريد بعد ذلك كله ؟ لا شيء أيها الموت أهلا بك فإني لا أخشاك · ان الاعمار بيد الله سبحانه وتعالى ولن يستطيع أحد ان يقدم أجلي أو يؤخره عن الوقت الذي حدده الله ولو بثانية واحدة · » وقبل سفري الى لندن بعدة أيام طلبني اللواء رفعت حسنين نائب مدير المخابرات العامة واخبرني بأن لديهم معلومات تفيد بأن مجموعة من المتعصبين الاسرائيليين سوف يسافرون الى لندن لاغتيالي وأن المخابرات الانجليزية لديها المعلومات نفسها ولذلك يطلب مني أن أكون حذراً وان اتحاشى بقدر الإمكان الاعلان المسبق عن تحركاتي · ولذلك فان سفري الى لندن يجب أن يبقى سراً وألا أبوح به لأحد · (١) ·

ـ وعملاً بنصيحة المخابرات العامة ، سافرت سراً من القاهرة الى لندن يوم ١٣ مايو ٧٤ · وبعد وصولي ببضعة شهور بدأت تثور شكوكي حول السادات وأهدافه فيما يتعلق بشخصي · فقد بدأ يصعد هجومه علي ويوجه الي اتهامات باطلة · ومن هنا بدأت أعد العدة للمجابهة التي لا بد وانها ستقع بيننا يوما ما · وبينما كنت اقدر الموقف استعدادا لهذه المجابهة توصلت الى نتيجة وهي أن السادات له مصلحة في التخلص من حياتي أكثر من مصلحة المتعصبين الاسرائيليين · ان حياتي تشكل خطراً كبيراً عليه ، لذلك يجب أن احتاط · لقد تذكرت كيف مات الفريق الليثي ناصف بطريقة غامضة في لندن أغسطس 73 وكيف قيدت حادثة وفاته على أنها انتحار بينما يثور كثير من الجدل والتساؤلات حول وفاته · وبطريقة سرية لم يعلم بها أحد من رجال السفارة المصرية أو الليبية حصلت على جواز سفر ليبي لي وآخر لزوجتي ولكن بأسماء مستعارة ·

---

(١) أرجو أن يفهم الأقارب والاصدقاء الآن السبب الذي دفعني الى السفر فجأة دون أن أخطرهم بل وأحياناً خدعتهم بأن وعدتهم باستقبالهم في منزلي في وقت كنت أعلم فيه أنني سأكون في لندن ·

السادات يبحث عن كبش فداء

اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة ٢١ نوفمبر ٧٣

ـ لا بد وأن مسؤولية ثغرة الدفرسوار وحصار الجيش الثالث كانت تقلق السادات وتدفعه للبحث عن شخص لكي يلقي عليه بهذه المسؤولية · هذه هي طبيعة السادات وقد اعترف بها في مذكراته في أكثر من موضع · انه لكي يبريء نفسه من أية تهمة لا يتردد في أن يتهم شخصاً آخر بتهمة لم يرتكبها · لقد روى لنا في مذكراته دون حياء ـ في الصفحات من ٨٨ الى ٩٤ ـ كيف أنه أدعى كذباً على القاويش وكيل النيابة وعلى مأمور السجن وعلى سعيد الجزار بأنهم كانوا يعذبونه وذلك لكي يفسد القضية ويبرىء نفسه ...

ـ وقد بدأ السادات يكشف عن نواياه لأول مرة في يوم ٢١ نوفمبر ٧٣ اثناء اجتماع المجلس الاعلى للقوات المسلحة · في هذا الاجتماع وبطريقة عفوية قال وهو يستعرض أحداث الحرب « انها ليلة واحدة هي السبب في المشكلات كلها التي حدثت . تلك هي ليلة ١٨ / ١٩ اكتوبر · لو أننا عملنا بحسم وقوة خلال تلك الليلة لقضينا على الثغرة · انها تلك الليلة التي كنت فيها يا سعد في الجيش الثاني · » (١) لقد فهمت بسرعة ماذا يقصد الرئيس من وراء هذا وتعجبت لماذا يختار هذه الليلة بالذات · وهل يعتقد الرئيس أنه بمجرد أن يقول ان هذا كان ممكناً يوم ١٨ فإن الناس جميعاً يجب أن يصدقوا ما يقول · ألا يعرف أن هناك علماً عسكرياً يقرر ما هو ممكن وما هو غير ممكن في كل يوم وفي كل ساعة طبقاً للظروف المحيطة ؟ تدخلت بسرعة قائلاً « سيادة الرئيس · لقد بذل رجال الجيش الثاني أقصى ما يمكن عمله خلال تلك الليلة » فرد قائلاً « بعد أن تنتهي الحرب سوف نقوم بتحقيق لتحديد المسؤولية عن عملية اختراق الدفرسوار » فقلت له بصوت لم استطع أن أخفي ما فيه من ثقة وتحدٍ « فعلاً يجب أن نحدد من هو المسؤول !! » (٢)

ـ بعد أن انتهى الاجتماع رافقته أنا والوزير الى عربته كما هي العادة · وبعد أن غادر الرئيس مبنى القيادة وفي اثناء عودتنا الى الداخل قال لي الوزير « كيف تخاطب الرئيس بهذا الشكل ! ولماذا تأخذ كلام الرئيس على أنه اتهام لك ؟ هل انت قائد للجيش الثاني ؟ اذا كانت هناك مسؤولية فهي مسؤولية الجيش الثاني » · قلت له « ان مجرد وجودي في الجيش الثاني يجعلني مسؤولاً عن كل ما يقوم به الجيش من اعمال · لقد وافقت وشاركت في كل قرار اتخذ في الجيش خلال الأربع والعشرين ساعة التي عشتها معهم » وبعد أن انفض الاجتماع استدعيت اللواء عبد المنعم خليل قائد الجيش الثاني وقلت له « يا عبد المنعم · أني اشم رائحة الخيانة والغدر · يبدو أنهم يبحثون عن شخص يلقون عليه أوزار أخطائهم كلها · كن حذراً وحافظ على وثائق الجيش حتى لا يقوم أحد بسرقتها أو تزويرها ·

---

(١) يلاحظ أن السادات يقول في مذكراته إنه أرسلني الى الجيش الثاني يوم ١٦ وثابت من محضر المجلس الأعلى أنه قال وبصوته بأنه أرسلني إلى الجبهة يوم ١٨ أكتوبر وليس ١٦ ·

(٢) ان هذا الحديث كله مسجل على أشرطة أرجو أن تذاع في يوم من الأيام .. واذا حاول السادات أن يمسح ما بها كما فعل نيكسون رئيس الولايات المتحدة فسوف يعرف الخبراء ذلك.

ـ في خلال اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة أثار الرئيس موضوعاً مهماً وركز عليه طويلاً وهو موضوع الجيش والسياسة · قال الرئيس « ان القوات المسلحة يجب أن تلتفت الى عملها وألا تتدخل في السياسة · ان عملية الفصل بين القوات هي عملية سياسية · وسواء تم التوصل الى اتفاق أم لا فإن هذا لا يعنيكم في شيء · وعليكم ان تهتموا فقط بأعمالكم » ومن خبرتنا الطويلة في القوات المسلحة فإن مثل هذه التصريحات لا يمكن ان تصدر من رئيس الجمهورية الا اذا كانت رداً على شائعة أو كان المقصود منها ابلاغ شخص ما برسالة أو انذار بطريقة مستترة · من هم يا ترى الأشخاص الذين يعنيهم الرئيس بهذا الكلام ؟ من هم أكثر الناس إلماماً بأسرار حرب اكتوبر وخفاياها ؟ وبعد ثلاثة اسابيع من هذا اللقاء جاء الرد على هذا التساؤل · لقد أقال الرئيس كلاً من الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس أركان حرب القوات المسلحة واللواء عبد المنعم خليل قائد الجيش الثاني واللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث من مناصبهم · وفي وقت لاحق أقيل ايضاً سعد مأمون الذي قاد الجيش الثاني حتى يوم ١٤ اكتوبر · لقد عرض الرئيس علينا نحن الأربعة مناصب سامية . فقد عرض علي منصب سفير في لندن بدرجة وزير ، وعين عبد المنعم واصل محافظاً مدنياً بدرجة نائب وزير ، وعين عبد المنعم خليل مساعد وزير الحربية · وعين سعد مأمون في وقت لاحق محافظاً مدنياً هو الآخر · وان هذه الوظائف السامية لم تستطع أن تخفي الحقيقة وهي أن السادات تخلص من أكثر الناس إلماماً بأسرار الحرب ·

يشتمني في زفة ويصالحني في عطفة

ـ وعندما ذهب السادات الى مجلس الشعب في فبراير ٧٤ لكي يحتفل بتنفيذ الاتفاقية الأولى للفصل بين القوات . وأخذ يوزع الأنواط والأوسمة على القادة الذين حاربوا خلال حرب اكتوبر · حدثت همهمة بين الناس وأخذوا يتساءلون فيما بينهم أين الشاذلي ؟ أين عبد المنعم واصل ؟ أين سعد مأمون ؟ أين عبد المنعم خليل ؟ كانت تساؤلات خافتة لا يستطع أحد أن يجاهر بها في ظل نظام أوتوقراطي · ثم أنها كانت مناسبة سعيدة للاحتفال بانتصار اكتوبر ولا أحد يريد أن يثير الجدل حول أي موضوع حتى لا يؤثر في هذا الجو المرح السعيد · ومن سخرية القدر أنه بينما كان مجلس الشعب يحتفل بانتصار حرب اكتوبر كان سعد الدين الشاذلي يتفرج على هذا الاحتفال على شاشة التليفزيون في منزله · قامت زوجتي بإغلاق التليفزيون وقالت « ما هذا التهريج ؟ إن هي الا تمثيلية سخيفة » ولكني طلبت منها اعادة فتح التليفزيون وقلت لها « إنها حقاً تمثيلية ولكنها جزء من تاريخ مصر ويجب أن نشاهدها · تذكرت في هذه اللحظة ما سبق أن قاله سعد مأمون قبل الحرب « اذا فشل العبور فسوف تطير ثلاثة رؤوس في الهواء » لم يكن يتصور سعد مأمون وهو يقول هذا الكلام ان الرؤوس الثلاثة نفسها سوف تطير لو نجح العبور » ·

ـ ولكي يثير السادات الشكوك حول مسؤولية الثغرة فإن اسمي لم يذكر بين أسماء القادة الذين جرى تكريمهم في مجلس الشعب وسلمت اليهم الأنواط والأوسمة · ولكن بينما

السادات ـ وأقول السادات وليس مصر ـ تعمد إسقاط دوري في حرب اكتوبر فإن العرب بصفة عامة ، وسوريا بصفة خاصة ، أخذوا يشيدون بالدور الذي قمت به في هذه الحرب . ففي الحفل الكبير الذي اقامته سوريا لتكريم أبطال حرب تشرين لم ينس السوريون دور الفريق سعد الدين الشاذلي وانعموا عليَّ بأعلى وسام عسكري سوري . كان حمل تكريم أبطال الحرب السوريين تذاع على الهواء وكان الكثيرون من الأهلين في مصر يستمعون اليه . عندما ذكر اسمي والوسام الذي منح لي ـ وعلى الرغم من عدم وجودي بينهم ـ ضجت القاعة بالتصفيق لمدة طويلة حتى ظن معظم المستمعين المصريين أنني في دمشق . لقد كان التصرف السوري صفعة شديدة للسادات . لقد أراد الأخوة السوريون أن يوضحوا للعالم العربي والمصري ان السادات يتكلم عن الوفاء ولكنه ليس وفيا لأحد ، وأنه يدعو الناس لئلا يحقدوا على أحد ، وهو الحقود الذي يجري الحقد في دمائه . أراد السادات أن يصلح خطأه تجاهي ، فارتكب خطأ آخر . ففي خلال عام ١٩٧٤ وبينما كنت سفيراً لمصر في لندن ، حضر الى مكتبي ذات يوم الملحق الحربي المصري وهو يكاد ينهار خجلاً .... كان متردداً ومتلعثماً وهو يحاول أن يتكلم الى أن شجعته على الكلام فقال « سيادة الفريق أني لا أعرف كيف أبدأ الحديث في هذا الموضوع ، وكم كنت اتمنى ألا أجد نفسي أبداً في هذا الموقف ولكنها الأوامر صدرت اليَّ وأنت أعلم بما يجب أن أقوم به لتنفيذها . لقد طلب اليَّ أن اسلم اليكم نجمة الشرف التي أنعم عليكم بها رئيس الجمهورية » استلمت منه الوسام في هدوء وأنا واثق ان مصر ـ وليس السادات حاكم مصر ـ سوف تكرمني في يوم من الأيام بعد أن تعرف حقائق واسرار حرب اكتوبر . ليس التكريم هو أن أمنح وساماً في الخفاء . ولكن التكريم هو أن يعلم الشعب بالدور الذي قمت به . سوف يأتي هذا اليوم مهما حاول السادات تأخيره ومهما حاول السادات تزوير التاريخ . إنه لن يستطيع لأنه لا يصح الا الصحيح .

ـ كان ما قاله السادات خلال اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة في ٢١ نوفمبر ٧٣ من أن ليلة ١٨ / ١٩ اكتوبر هي سبب كارثة الدفرسوار هي بداية الحملة التي رسمها السادات في خياله ليحملني مسؤولية الثغرة.ثم جاء بعد ذلك اجتماع مجلس الشعب لتكريم أبطال الحرب وغيابي عن حضور التمثيلية التي اخرجها السادات. ثم بدأ بعد ذلك يصعد حملته شيئا فشيئا على شكل أحاديث صحفية وتليفزيونية الخ . وتركته يتكلم ويناقض نفسه بنفسه شهراً بعد شهر وعاماً بعد عام الى أن نشر مذكراته في مايو ١٩٧٨ فكانت هذه المذكرات ذات فائدة مزدوجة لي . كانت الفائدة الأولى هي استخدام الاعترافات التي وردت على لسان السادات في هذه المذكرات كوثيقة اتهام ضده . أما الفائدة الثانية فانها قد اعطت لي المبرر لكي انشر مذكراتي وأرد فيها على الأكاذيب التي ملأ بها مذكراته .

ما هو التاريخ الحقيقي لاقالتي

ـ يدعي السادات في مذكراته (صفحة ٣٤١) بأنه عزلني يوم ١٩ أكتوبر ٧٣ . ولو أنه قال بدلاً من ذلك نويت أن أعزله لكان أقرب الى الصدق مَنه الى الكذب ، لأن العزل معناه ألا يمارس الشخص أي عمل بعد عزله ، ولكن الحقيقة كانت غير ذلك . فقد مكثت أمارس عملي

حتى ١٢ ديسمبر ٧٣ · قد يتعجب بعض الناس لماذا أقول هذا الكلام ؟ وقد يرى الأذكياء منهم أنه خيرٌ لي ألف مرة أن أرحب بهذا الادعاء لأن القوات المسلحة لم تحقق شيئاً بعد يوم ١٩ أكتوبر بل على العكس توالت المصَائب بعد هذا التاريخ · فبعد هذا التاريخ تم حصار الجيش الثالث ، وبعد هذا التاريخ فقدنا المبادرة نهائياً على المستوى العسكري والمستوى السياسي · ولهؤلاء أقول إن الأمانة في كتابة التاريخ هي التي تفرض عليّ أن أقول كل شيء ·

ـ لقد كان بقائي عنصر ضغط وتأثير على القرارات حتى لو لم يؤخذ بوجهة نظري · واذا كان بقائي حتى ١٢ ديسمبر لم يحقق شيئاً سوى انقاذ الفرقة الرابعة المدرعة من التدمير وإبقائها سليمة للدفاع ضد أي هجوم معاد لاحتلال القاهرة ، فإن هذا وحده يكفيني ويجعل من بقائي فائدة لمصر · إن رفضي التوقيع على الأمر هو الذي أرغم الوزير على التراجع · لا بد أن الرئيس قد نوى أن يعزلني قبل يوم ١٩ أكتوبر بكثير · إن السادات إذا أراد أن يتخلص من أحد فإنه يرسم ويخطط لذلك ويحاول أن يخلق أو يدعي أسباباً أبعد ما تكون عن الاسباب الحقيقية · لقد فعل ذلك مع الفريق الليثي ناصيف ، والفريق محمد صادق والدكتور عزيز صدقي ، وجاء دوري ، ثم جاء من بعدي ممدوح سالم ، ثم عبد الغني الجمسي ومحمد علي فهمي ، والبقية تأتي · وأني أحذر هؤلاء الذين ما يزالون يتعاملون مع السادات أن يأخذوا حذرهم منه وأن يتعظوا بما فعله مع أعوانه السابقين · أعود وأقول لا بد وأنه عزم على إقالتي اعتباراً من يوم ١٢ أكتوبر ٧٣ للأسباب الآتية :

١ ـ بعد النجاح الرائع الذي حققته القوات المسلحة المصرية في عبور قناة السويس ركزت الصحافة العربية والأجنبية كلها على الدور الكبير الذي قام به الفريق سعد الدين الشاذلي ر ا ح ق م م · ولقد بلغ الأمر أن صورتي كانت تعلق داخل البيوت في مصر والبلاد العربية ، وظهرت كصورة غلاف على كثير من المجلات الأجنبية · لقد وصل ذلك كله الى السادات فدبت الغيرة والحقد في قلبه ·

٢ ـ وفي يوم ١٢ أكتوبر عارضت دفع الفرقة ٢١ مدرعة والفرقة ٤ المدرعة ، وأصر السادات · وفي ١٥ أكتوبر طالبت بإعادة الفرقة ٢١ مدرعة والفرقة ٤ مدرعة الى الضفة الغربية ورفض السادات · وفي يوم ١٦ أكتوبر اختلفت مع السادات والوزير في أسلوب القضاء على الثغرة وثار السادات وفقد أعصابه كما سبق أن بينت (الفصل الثالث والثلاثون من الباب السابع / الصفحة ٤٦٠) ·

ـ من هنا نرى ان النية في اقالتي لا بد وانها بدأت تتكون في فكر السادات منذ الأيام الأولى للحرب نتيجة لعنصر الغيرة ، ثم اخذت الفكرة تختمر اعتبارا من يوم ١٢ اكتوبر نتيجة عنصر التحدي (١) · وقد كانت ثورته العارمة يوم ١٦ اكتوبر دليلا قاطعا على أنه أصبح لا يطيق وجودي · ولو أن هجومنا في تصفية الثغرة نجح يوم ١٧ اكتوبر طبقا للخطة التي وضعها احمد اسماعيل ووافق عليها السادات لأعلن بعد الحرب انه عزلني يوم ١٦ اكتوبر ، ولكن فشل الهجوم كما توقعت أثبت أني كنت على حق وبالتالي أصبح يوم ١٦ اكتوبر ليس يوما مناسبا لاعلان العزل ·

---

(١) لو ان السادات رجل ديمقراطي لاستمع الى كل رأي معارض لكي يستفيد منه ، ولكن للأسف فإنه يعتبر كل من يختلف معه في الرأي متحديا لسلطته ·

١ - لم يبدأ السادات في مهاجمتي الا في ابريل عام ١٩٧٤ ففي حديث أجراه مع الاستاذ سليم اللوزي رئيس مجلة الحوادث ونشر في المجلة المذكورة يدعي أنه أمرني يوم ١٦ اكتوبر بما يلي ، « عليك ان تكون بعد ساعة ونصف في الاسماعيلية وتضرب طوقا حول الدفرسوار بحيث نترك اليهود يدخلون الى هذه المنطقة ولكن ليس خارجها . بعدها تصبح القوة الاسرائيلية كلها في يدي ... » وليس لدي تعليق على هذا الكلام سوى ان أقول انه كلام مصاطب قد تحكيه جدة عجوز لطفل ريفي لتساعده على النعاس كما كانت جدة الرئيس تحكي له وهو طفل قصة زهران . ليس هكذا تدار الحرب وليس هكذا تخصص المهام العسكرية . اني أخجل ويخجل معي كل مثقف ان ينسب الى رئيس جمهورية مصر هذا الكلام. وبعد ذلك كله فلم يحدث ان أمرني السادات ان اذهب الى الجبهة يوم ١٦ ولم اذهب الا يوم ١٨ اكتوبر وسجلات الحرب المكتوبة تثبت ذلك. ان السادات بهذه القصة تحاشى ان يذكر قصة المواجهة التي دارت بيني وبينه بخصوص تصفية الثغرة كما سبق ان ذكرت .

٢ - يدعي السادات بأنني طالبت يوم ١٩ اكتوبر بالانسحاب الكامل من سيناء وهذه كذبة كبيرة أخرى سبق أن شرحتها بالتفصيل (الفصل الثالث والثلاثون من الباب السابع ان كل ما طالبت به هو سحب ٤ ألوية مدرعة وكان سيبقى لنا بعد سحبها ٩٠٠٠٠ رجل في الشرق . وشتان بين حجم هذه القوات وبين حجم القوات التي حددتها اتفاقية فض الاشتباك الاولى والتي كان بموجبها لا يسمح لمصر بأن تحتفظ شرق القناة بما يزيد عن ٧٠٠٠ رجل و ٣٠ دبابة - شتان مابين ماامكن السادات ان يحصل عليه بالسياسة ، وما كان يمكن ان نحصل عليه بالحرب . فلو انه قال انه أقالني لأنني طالبت بسحب ٤ ألوية مدرعة وانه سيبقى لنا في الشرق بعد ذلك ٩٠٠٠٠ رجل ومعهم اكثر من ٣٥٠٠ قطعة سلاح مضاد للدبابات (٥٠٠ دبابة + ٣٥٠ مالوتكا + حوالي ١٥٠ مدفعا ٨٥ ملليمتر + ٢٥٠٠ مدفع مضاد للدبابات ذات مدى قصير ب ١٠ / ب ١١ / د ب ح) وعلاوة على ذلك حوالي ٧٠٠ قطعة مدفعية ميدان يمكن استخدامها وقت الضرورة كأسلحة مضادة للدبابات + حوالي ٢٥٠ هاونا ثقيلا ١٢٠ مم / ١٦٠ مم (١) . لو قال السادات هذه الحقائق لظهرت ادعاءاته بشكل لا يمكن لعاقل ان يقبله . لذلك ابتكر السادات كذبة كبيرة ، فربط بين الإقالة وبين سحب القوات كلها من سيناء . واني اتحدى ان يذكر احد شهود هذا الاجتماع - وهم ستة اشخاص علاوة على الرئيس والوزير وانا - ان يذكر انني طلبت انسحاب القوات كلها من سيناء .

وفي الحديث السابق نفسه يتحدث السادات عن نفسه فيقول « انني استطعت أن اوقف القتال على خط ٢٢ اكتوبر » ولا يقول لنا السادات لماذا لم يستطع التمسك بخط ٢٢ اكتوبر . ان من يوقف عدوه عند خط معين يجب ان يكون قادرا على التمسك بهذا الخط . ان عدم قدرتنا على التمسك بهذا الخط عندما بدأ العدو هجومه يوم ٢٣ اكتوبر هو دليل قاطع على ضعف قواتنا العسكرية في هذا الخط . ولو ان السادات وافق على اقتراحي بسحب هذه الألوية الاربعة (ثلاثة من الجيش الثاني في الشرق وواحد من الجيش الثالث في الشرق) في ليلة ١٩ / ٢٠ اكتوبر لظهر أثر ذلك في القتال اعتبارا من صباح يوم ٢١ اكتوبر ولكان في

(١) هذا الموقف هو بعد استنزال جميع الخسائر حتى مساء يوم ١٩ اكتوبر ، وعلى أساس سحب الالوية الاربعة المدرعة من الشرق .

امكاننا ضرب الثغرة يوم ٢١ و ٢٢ وفي اسوأ الظروف كان يمكن تضييقها • ولو حدث وتوقف القتال وتلك الألوية الاربعة حول الثغرة لما استطاع العدو ان ينتهك وقف اطلاق النار يوم ٢٣ اكتوبر ولو انتهكه لكنا قادرين على صده وتدميره • ان مسؤولية حصار الجيش الثالث يوم ٢٣ اكتوبر تقع اولا واخيرا على الرئيس السادات وهو يحاول ان يهرب منها ولكن هيهات هيهات •

٣ ـ أما ادعاؤه بأني عدت منهارا من الجبهة يوم ١٩ اكتوبر فان هذا قول رخيص • لست انا الذي انهار ولم يحدث ان انهرت في حياتي حتى الآن والحمد لله • انا رجل مظلات يعرفني رجالي ويعرفني اصدقائي جيدا ولا أحد يستطيع ان يصدق ما يدعيه السادات • اما السادات فله تاريخ طويل من الانهيار والامراض النفسية وهذا بيان بعضها :

أ ـ اعترف في حديث له مع همت مصطفى (الاذاعة المصرية) بمناسبة ١٥ مايو ١٩٧٧ بأنه أصيب بمرض عصبي نتيجة القبض عليه في الساعة الثالثة صباحا وان هدا المرض لازمه لمدة سنة ونصف • وقد اضاف السادات قائلا بأنه شُفي وقد اكد هذه القصة بشكل مخفف في مذكراته صفحة ١٠٤ • ولكن الذي لايريد ان يعترف به السادات هو انه ما زال مريضا وان هذه الحالة حدثت له اكثر من مرة بعد خروجه من السجن عام ١٩٤٦ •

ب ـ يقول في مذكراته صفحة ٢٢٨ عن الحالة التي انتابته بعد هزيمة عام ١٩٦٧ « استولى عليّ ذهول غريب لم اعد استطيع معه ان اتبين الزمن او المسافات او حتى المكان نفسه في بعض الاحيان » •

جـ ـ يقول في مذكراته في الصفحة ٢٦٤ عن الحالة التي انتابته بعد وفاة عبد الناصر « بعد ان أصبحت الجنازة على وشك الابتداء أصبت بانهيار مفاجىء فحملوني الى مجلس قيادة الثورة وأعطاني الأطباء خمس حقن لم أفق منها الا حوالي الساعة الواحدة بعد الظهر •

د ـ يقول في مذكراته في الصفحة ٣٥٧ عن حالته النفسية يوم ١٢ ديسمبر ١٩٧٣ (١) • « أصبت بنزيف لمدة ٤ أيام وقال لي الاطباء ان هذا نزيف بسبب التوتر النفسي » ويقول في الصفحة نفسها « كنت في حالة نفسية مرهقة » •

هـ ـ هناك حالة أخرى شهدها كل من الرئيس معمر القذافي والاخ عبد السلام جلود ولن اتعرض لذكرها •

ـ ان للسادات تاريخا طويلا في الامراض النفسية • اما انا فأني احمد الله واشكره لأني لم اصب طوال حياتي بأي مرض عصبي او أي حالة نفسية • اللهم لا شماتة وانما أشكرك على ما انعمت به عليّ • وان السادات وهو الرجل المريض يرى في غيره ما يحس هو به . فيتهم كل من يختلف معه في الرأي بأنه انهار . ولست انا اولهم ولا آخرهم . فاذا كان السادات قد اتهمني بهذا الاتهام الباطل . فانه قد اتهم من بعدي وزيرين للخارجية بالاتهام نفسه • لقد

(١) يوم ١٢ ديسمبر ٧٣ هو اليوم الذي غادر فيه كيسنجر القاهرة وهو اليوم الذي أقالني فيه السادات وهو اليوم الذي اصيب فيه السادات بهزة نفسية •

اتهم اسماعيل فهمي وزير الخارجية الذي رفض ان يسافر معه الى القدس بالتهمة ذاتها وقال عنه في الصفحة رقم ٤٠٧ من مذكراته « مسكين ، لم تستطع أعصابه ان تتحمل المبادرة واستقال » . وبعد ان رفض محمد ابراهيم كامل (وزير الخارجية الذي حل محل اسماعيل فهمي) التوقيع على اتفاقية كامب ديفيد واستقال احتجاجا على ذلك ، اتهمه السادات في تصريحاته بالاتهام نفسه . ان السادات له تاريخ طويل وثابت يؤكد انه يعاني من امراض عصبية ونفسية ، وهو في مرضه هذا يتصور نفسه وكأن جميع الناس مرضى وانه هو وحده الذي لا يعاني من هذه الامراض ، وهذا هو أخطر حالات المرض .

الخاتمة

- هذه هي القصة الكاملة والحقيقية لحرب أكتوبر ١٩٧٣ وهي تختلف كثيراً عن كل ما صدر عن هذه الحرب من كتب . إن هذا هو الكتاب الأول الذي يكتب عن هذه الحرب من وجهة النظر العربية ، دون أن يكون تحت أي ضغط من أصحاب السلطة في مصر أو في غير مصر . لقد سردت الأحداث بصراحة تامة لم يألفها المصريون حتى ليبدو للكثيرين منهم أني قد أذعت « أسراراً حربية » ما كان يصح أن أبوح بها . ولكي نوضح هذه النقطة يجب أن نتفق أولاً على المعنى المقصود من تعبير « أسرار حربية » إن التفسير المنطقي لذلك هو « إذاعة معلومات عن القوات المسلحة الوطنية لم يكن العدو يعرفها ، ونتيجة معرفته لهذه المعلومات فإنه يستطيع أن يهدد أمن وسلامة الوطن » إن حجب المعلومات - التي لا ينطبق عليها التفسير السابق - عن الشعب المصري والعربي تحت شعار السرية هو إسراف في تفسير تعبير « اسرار حربية » وهو محاولة يائسة من السادات ونظامه لكي يحجب الحقائق عن الشعب المصري ، لكي ينقذ نفسه من مسؤولية الأخطاء الجسيمة التي ارتكبها في حق مصر وقواتها المسلحة .

- ان العدو يعرف جيداً أننا قمنا بدفع الفرقة المدرعة الرابعة ، والفرقة المدرعة ٢١ من غرب القناة الى شرقها ليلتي ١٢ ، ١٣ أكتوبر . إن العدو يعلم جيداً أننا قمنا بهجوم فاشل يوم ١٤ أكتوبر خسرنا فيه ٢٥٠ دبابة . ان العدو يعلم أنه عبر في منطقة الدفرسوار ليلة ١٥ / ١٦ أكتوبر بقوة لواء مشاة ولواء مدرع . إن العدو يعلم جيداً بخطتنا للهجوم على الدفرسوار يوم ١٧ أكتوبر وأنه دمر اللواء المدرع ٢٥ بكامله . إن العدو يعلم جيداً أنه مساء يوم ١٨ أكتوبر كان له غرب القناة خمسة ألوية مدرعة ولواء مشاة . إن العدو يعلم جيداً أنه حاصر الجيش الثالث يومي ٢٣ و ٢٤ أكتوبر وأنه عند وقف إطلاق النار يوم ٢٤ أكتوبر كان له ثلاث فرق مدرعة غرب القناة مقابل فرقة مدرعة مصرية واحدة . إن ما لا يعرفه العدو هو « لماذا يتصرف

المصريون بمثل هذه الحماقة ومن هو المسؤول الرئيسي عن هذه القرارات الخاطئة ؟ » ليس هناك اذن معلومات سرية يستطيع العدو أن يستفيد منها ضد مصر وإنما هناك أسرار يزيد السادات أن يحجبها عن الشعب العربي · وهذه هي مشكلة الديمقراطية في مصر · إن السادات لا يريد أن يسمح لشعب مصر أن يقرأ الا ما يريد له السادات أن يقرأ · إنه لا يريد لأحد من أبناء مصر أن يكتب إلا اذا كان ما يكتبه معبراً عن وجهة نظر حاكم مصر · ومن هنا يكون هذا الكتاب تحدياً خطيراً لهذه القواعد القمعية واللاديمقراطية التي يمارسها نظام السادات في مصر ·

ـ ان هذه الحرب مليئة بالدروس والعبر ، ولعل أبرز هذه الدروس وأكثرها تأثيراً على سير العمليات هو الصراع بين القادة العسكريين والقادة السياسيين · ان الصراع بين القادة العسكريين والقادة السياسيين هو مشكلة كل وقت وزمان ، ولكنها لم تكن قط بهذه الصورة التي ظهرت بها خلال حرب اكتوبر ٧٣ على المستوى المصري · لقد كان في استطاعتنا أن نحقق الكثير لولا تدخل السادات المستمر وإصداره سلسلة من القرارات الخاطئة التي كانت تجهض قدراتنا العسكرية · والآن وقد أذيعت الأسرار كلها التي كان يحرص السادات على اخفائها ، فقد آن الأوان لكي نجري في مصر حواراً نناقش فيه أخطاءنا ونحدد المسؤول عن كل خطأ حتى نعرف من هم أبطال هذه الحرب الحقيقيون ومن هم الأبطال المزيفون ·

فهرس

الباب الأول

الخطة الهجومية

		ص
الفصل الأول :	المشاريع الاستراتيجية	13
الفصل الثاني :	إمكانياتنا الهجومية	14
الفصل الثالث :	تطور الخطة الهجومية	18
الفصل الرابع :	الخطة بدر	23

الباب الثاني

تجهيز وإعداد القوات المسلحة للمعركة الهجومية

الفصل الخامس :	إنشاء خطوط جديدة للقيادة والسيطرة	29
الفصل السادس :	تشكيل وحدات جديدة	33
الفصل السابع :	مشكلات العبور وكيف تم التغلب عليها	37
الفصل الثامن :	إدخال عقائد جديدة	52
الفصل التاسع :	البحث في جميع المجالات	54
الفصل العاشر :	تطور الدفاع الجوي في مصر	63
الفصل الحادي عشر :	موقف القوات البحرية	74
الفصل الثاني عشر :	تطوير خطة التعبئة العامة	76
الفصل الثالث عشر :	تدريب القوات	81
الفصل الرابع عشر :	رفع الروح المعنوية للقوات المسلحة	83

الباب الثالث

السادات وصادق وأنا

الفصل الخامس عشر : اكتوبر 70 ـ مايو 71 91
الفصل السادس عشر : يونيو 71 ـ مارس 72 98
الفصل السابع عشر : قصة الخلاف بيني وبين صادق 108
الفصل الثامن عشر : ابريل 72 ـ اكتوبر 72 117

الباب الرابع

السادات وأحمد إسماعيل وأنا

الفصل التاسع عشر : تعيين أحمد إسماعيل وزيرا للحربية 133
الفصل العشرون : ماذا بعد إقالة صادق 142

الباب الخامس

العلاقات المصرية السوفياتية في عهد السادات

الفصل الواحد والعشرون : التعاون المشوب بالحذر 151
الفصل الثاني والعشرون : قرار الاستغناء عن الوحدات الصديقة 156
الفصل الثالث والعشرون : وتحسنت العلاقات ولكن الشكوك بين الطرفين ظلت قائمة 165
الفصل الرابع والعشرون : تقييم المساعدات العسكرية السوفياتية 169

الباب السادس

المساعدات العسكرية من الدول العربية

الفصل الخامس والعشرون ، الدورة الثانية عشرة لمجلس الدفاع المشترك 183

الفصل السادس والعشرون ، الدورة الثالثة عشرة لمجلس الدفاع المشترك 194

الفصل السابع والعشرون ، الدعم العراقي 198

الفصل الثامن والعشرون ، الدعم من دول عربية أخرى 202

الفصل التاسع والعشرون ، تقويم الدعم العربي 210

الباب السابع

إدارة العمليات الحربية

الفصل الثلاثون ، السكون الذي يسبق العاصفة 217

الفصل الواحد والثلاثون ، معركة العبور 228

الفصل الثاني والثلاثون ، الهجوم المضاد الرئيسي للعدو 236

الفصل الثالث والثلاثون ، ثغرة الدفرسوار 245

الفصل الرابع والثلاثون ، القتال غرب القناة 260

الفصل الخامس والثلاثون ، مأساة الجيش الثالث 275

الفصل السادس والثلاثون ، قصة إقالتي من منصب ر ا ح ق م م 284

الفصل السابع والثلاثون ، السادات يبحث عن كبش فداء 294

الخاتمـــــة 301

ملحق

نص الخطاب الذي وجهه الفريق سعد الدين الشاذلي الى النائب العام المصري ، وفيه يطلب محاكمة السادات

السيدالنائب العام
تحية طيبة وبعد . أتشرف أنا الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية في الفترة ما بين ١٦ مايو ١٩٧١ وحتى ١٢ ديسمبر ١٩٧٣ ، وأقيم حاليا بالجمهورية الجزائرية الديمقراطية بمدينة الجزائر العاصمة وعنوانى هو صندوق بريد رقم ٧٧٨ الجزائر المحطة ALGER (B.P 778 Gare) بأن اعرض على سيادتكم ما يلي

(اولا) .

إنى أتهم السيد محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية بأنه خلال الفترة ما بين اكتوبر ١٩٧٣ و مايو ١٩٧٨ ، وحيث كان يشغل منصب رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة المصرية بأنه ارتكب الجرائم التالية

١ ـ الأهمال الجسيم

وذلك أنه وبصفته السابق ذكرها أهمل في مسؤولياته التى أقرها القادة العسكريون . وقد ترتب على هذه القرارات الخاطئة ما يلى

ا ـ نجاح العدو في اختراق مواقعنا في منطقة الدفرسوار ليلة ١٥ / ١٦ اكتوبر ٧٣ في حين أنه كان من الممكن ألا يحدث هذا الاختراق اطلاقا .

ب ـ فشل قواتنا في تدمير قوات العدو التى اخترقت مواقعنا في الدفرسوار ، في حين أن تدمير هذه القوات كان في قدرة قواتنا . وكان تحقيق ذلك ممكنا لو لم يفرض السادات على القادة العسكريين قراراته الخاطئة .

ج ـ نجاح العدو في حصار الجيش الثالث يوم ٢٣ اكتوبر ٧٣ في حين أنه كان من الممكن تلافي وقوع هذه الكارثة .

٢ ـ تزييف التاريخ

وذلك أنه بصفته السابق ذكرها حاول ولا يزال يحاول أن يزيف تاريخ مصر . ولكى يحقق ذلك فقد نشر مذكراته في كتاب أسماه « البحث عن الذات » وقد ملأ هذه المذكرات بالعديد من المعلومات الخاطئة التى يظهر فيها أركان التزييف المتعمد وليس مجرد الخطأ البرىء .

٣ ـ الكذب

وذلك أنه كذب على مجلس الشعب وكذب على الشعب المصرى في بياناته الرسمية وفي خطبه التى ألقاها على الشعب وأذيعت في شتى وسائل الأعلام المصرى . وقد ذكر العديد من هذه الاكاذيب في مذكراته « البحث عن الذات » ويزيد عددها عم خمسين كذبه أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي

ا ـ ادعائه بأن العدو الذى اخترق في منطقة الدفرسوار هو سبعة دبابات فقط واستمر يردد هذه الكذبة طوال فترة الحرب .

ب ـ ادعائه بأن الجيش الثالث لم يحاصر قط . في حين أن الجيش الثالث قد حوصر بواسطة قوات العدو لمدة تزيد عن ثلاثة أشهر .

٤ - الأدعاء الباطل

وذلك أنه ادعى باطلا بأن الفريق الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية قد عاد من الجبهة منهارا يوم ١٩ اكتوبر ٧٣ وأنه أوصى بسحب جميع القوات المصرية من شرق القناة . في حين أنه لم يحدث شيئا من ذلك مطلقا ·

٥ - إساءة استخدام السلطة

وذلك أنه بصفته السابق ذكرها ، سمح لنفسه بأن يتهم خصومه السياسيين بادعاءات باطلة ، واستغل وسائل الاعلام للدولة في ترويج هذه الادعاءات الباطلة · وفي نفس الوقت فقد حرم خصومه من حق استخدام وسائل الأعلام المصرية - التى تعتبر من الوجهة القانونية ملكا للشعب - للدفاع عن أنفسهم ضد هذه الاتهامات الباطلة ·

(ثانيا)

إنى أطالب بأقامة الدعوى العمومية ضد الرئيس أنور السادات نظير ارتكابه تلك الجرائم ونظرا لما سببته هذه الجرائم من أضرار بالنسبة لأمن الوطن ونزاهة الحكم ·

(ثالثا)

إذا لم يكن من الممكن محاكمة رئيس الجمهورية في ظل الدستور الحالى على تلك الجرائم ، فأن أقل ما يمكن عمله للمحافظة على هيبة الحكم ، هو محاكمتى لأننى تجرأت واتهمت رئيس الجمهورية بهذه التهم التى قد تعتقدون من وجهه نظركم بأنها اتهامات باطلة · إن البينة على من ادعى وإنى لمستطيع بأذن الله أن أقدم البينة التى تؤدى الى ثبوت جميع هذه الادعاءات · واذا كان السادات يتهرب من محاكمتى على أساس أن المحاكمة قد يترتب عليها إذاعة بعض الأسرار ، فقد سقطت قيمة هذه الحجة بعد أن قمت بنشر مذكراتى في مجلة « الوطن العربي » في الفترة ما بين ديسمبر ٧٨ و يوليو ١٩٧٩ للرد على الأكاذيب والادعاءات الباطلة التى وردت في مذكرات السادات · لقد اطلع على هذه المذكرات واستمع الى محتوياتها عشرات الملايين من البشر في العالم العربي ومئات الألوف في مصر ·

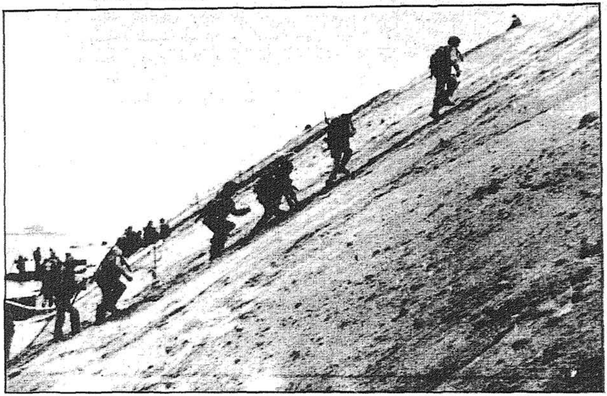
(رابعا)

إذا عجز النظام المصرى عن أن يقدمنى إلى المحاكمة العلنية ، بالرغم من تلك الاتهامات التى وجهتها الى رئيس الجمهورية ، فأن ذلك يعتبر أكبر دليل على ثبوت هذه الادعاءات ضد السادات ، كما وأن ذلك يثبت بالدليل القاطع على انعدام الديمقراطية في مصر ·

ختاما فأنى في انتظار ردكم على عنوانى السابق ذكره ، وأؤكد لكم ستعدادى للعودة الى مصر لحضور المحاكمة بمجرد أن يتخذ القرار الخاص بذلك ·

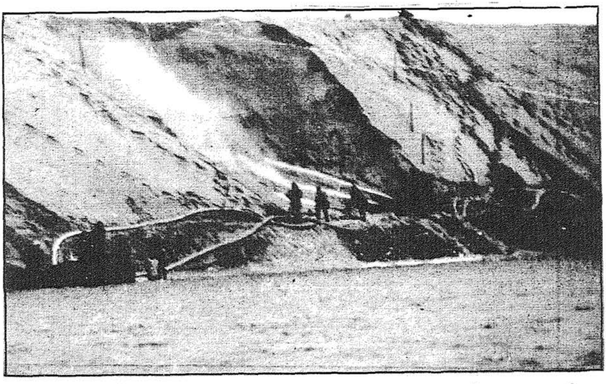
وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

فريق سعد الدين الشاذلى
٢١ يوليو ١٩٧٩



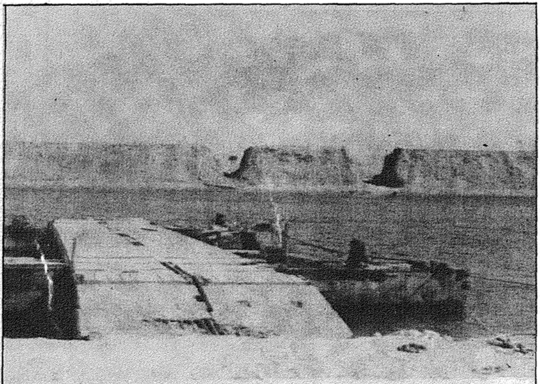
افراد المشاة يصعدون الساتر الترابي الذي بناه العدو على الشاطىء الشرقي للقناة بارتفاع 20 مترا

أسلوب فتح الثغرة في الساتر الترابي بواسطة المياه

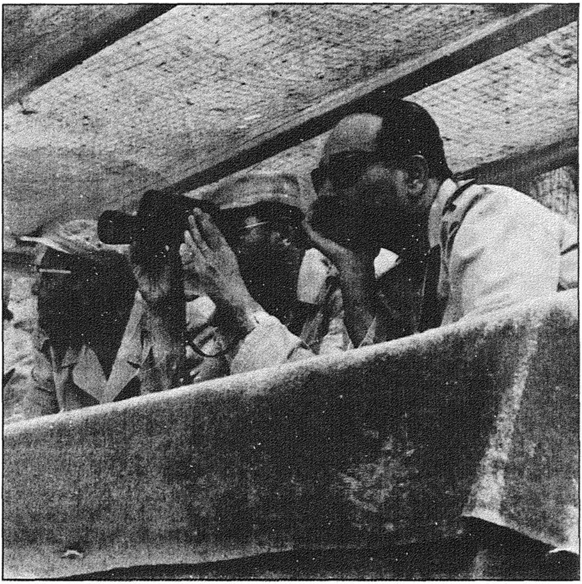




الساتر الترابى بعد فتح ثغرات فيه بواسطة قوة دفع المياه،



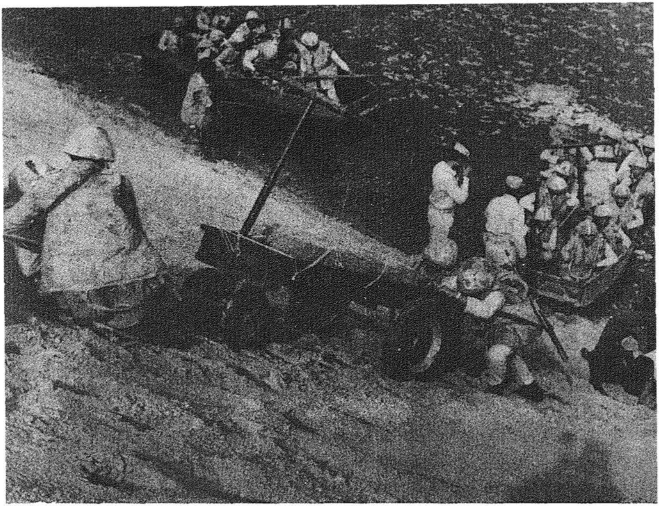
المدرعات تبدأ في العمل حوالي الساعة س + 5 (بعد ان تم فتح الثغرات)



الفريق سعد الدين الشاذلي يشرف على بيان عملي تقوم به وحدات المهندسين لفتح ثغرة في الساتر الترابي .
والى يمينه اللواء جمال علي مدير ادارة المهندسين 1971

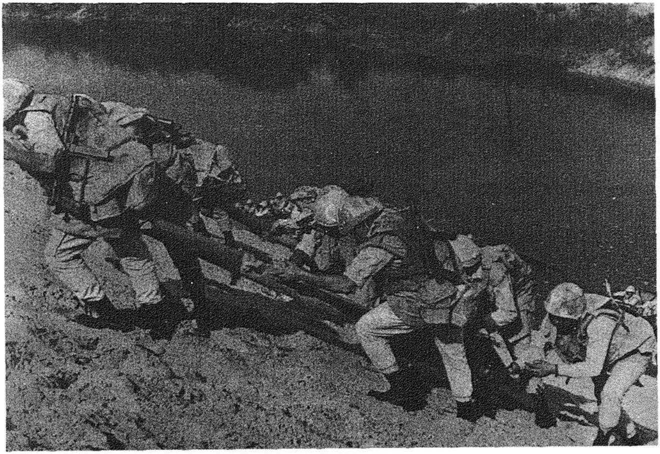
الفريق سعد الدين الشاذلي
يلقي كلمة على الضباط والجنود
الذين حضروا بيانا عمليا عن عبور كتيبة مشاة
مدعمة لقناة السويس طبقا للتوجيه رقم 41





الجنود يتدربون على دفع عربة الجر فوق الساتر الترابي

طاقم مدفع عديم الارتداد يجرون مدفعهم فوق الساتر الترابي

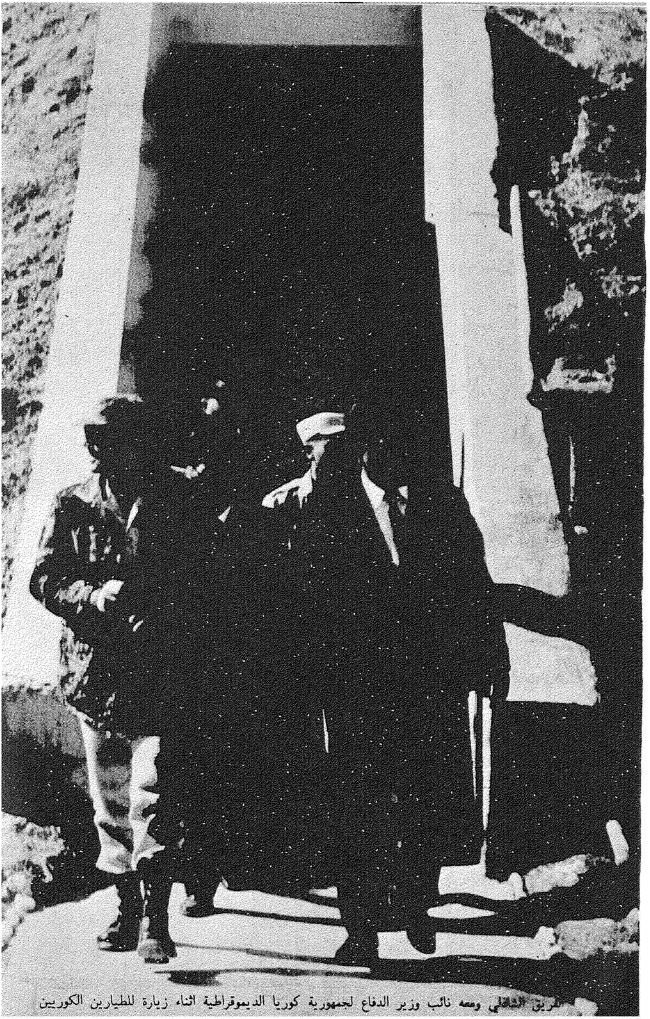




جندي يحمل رشاش متوسط
ويصعد به الساتر الترابي

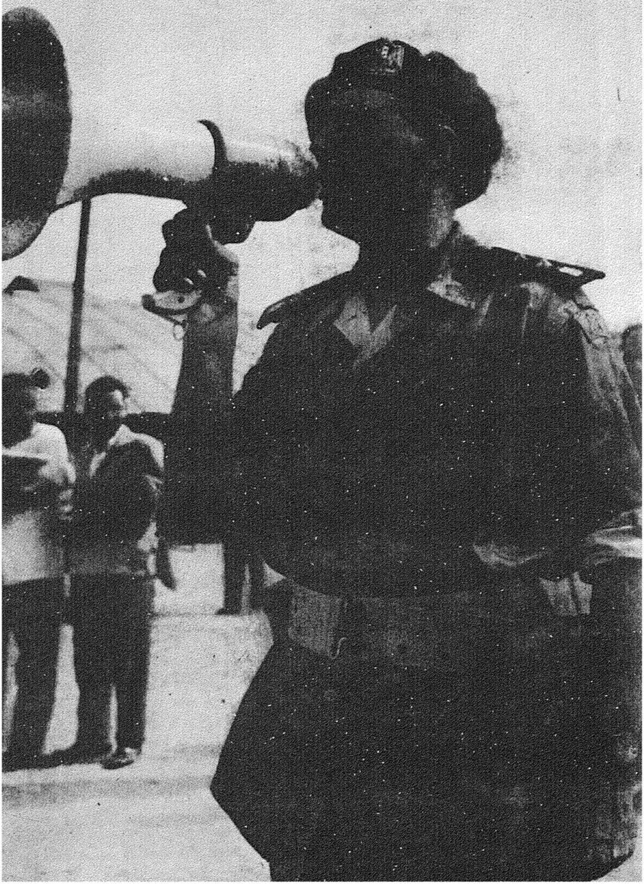
طاقم هاون ٨٢ مم يصعد الساتر الترابي





الفريق الشاذلي ومعه نائب وزير الدفاع لجمهورية كوريا الديموقراطية اثناء زيارة للطيارين الكوريين

العقيد سعد الدين الشاذلي قائد الكتيبة العربية في الكونجو 1960





الفريق الشاذلي مع بودجورني والسادات مايو 1971

الفريق الشاذلي وعلى يمينه الفريق الليثي ناصف وعلى يساره الجنرال أوكيينيف مايو 1972





الفريق سعد الدين الشاذلي في حديث مع عدد من القادة العسكريين العرب ويظهر وسط الصورة سمو ولي عهد دولة البحرين

الفريق سعد الشاذلي في حديث ضاحك مع سفيري الجزائر والمغرب

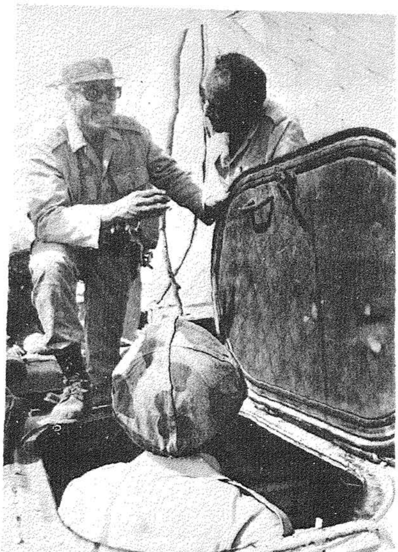




الجنود يتدافعون ويهللون حول الفريق سعد الدين الشاذلي

الفريق سعد الشاذلي يزور الفرقة الثامنة المشاة ويتحدث مع العميد حسن ابو سعده قبل أن يقوم العدو بهجومه المضاد يوم 8 اكتوبر 73





الفريق سعد الدين الشاذلي
يتحدث الى العميد حسن ابو سعده
قبل أن يقوم العدو بهجومه المضاد
يوم 18 اكتوبر 73

احدى نقط خط بارليف بعد أن اقتحمتها قواتنا





الشاذلي مع السادات في غرفة العمليات يوم 16 اكتوبر 73



الفريق سعد الدين الشاذلي ابان الحرب

الطبعة الأولى
١٩٨٠



منشورات مؤسسة "الوطن العربي"
للطباعة والنشر - باريس
بالتعاون مع "دار المحرر للطباعة والنشر" - بيروت

السعر ٥٠ ل.ل
أو ما يعادلها